

الأخمين محمد الشامي

دَوَائِلُ الشَّيْ
لِلْعَمَلِ الْكَامِلَةِ

الحجّة الأولى

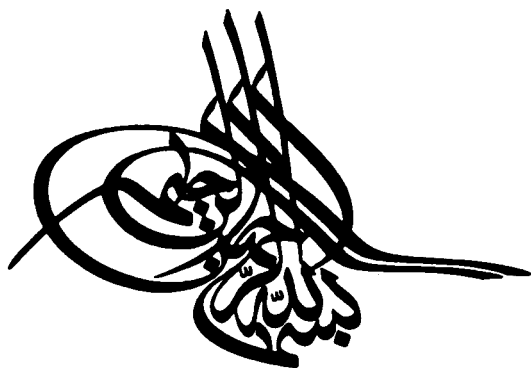
الطبعة الثانية

الناشر

عبد المقصود محمد سعيد خوج

جدة

ذِي نَوَاحٍ الشَّامِي
لِلْهُجَمِ الْكَامِلَةِ
الْحَبْلَةُ الْوُحْدَى



مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

قبل ثمان سنوات قدّمتُ لدار «منشورات العصر الحديث» ديوان شعري «الأعمال الكاملة» فنشرته في مجلدين؛ وقد رتبتُ قصائده ترتيباً تاريخياً؛ وكان آخرها في المجلد الثاني تلك التي عنوانها: «سلام على عبد العزيز وآله» والمؤرخة ٢١ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ / الموافق ١٩٨٣/١/٥ م لما ضربت اليمن بزلزال «أنس» المدمر ووقفت المملكة العربية السعودية ذلك الموقف الأخوي الكريم.

وقد تبين لي بعد صدور الديوان أمران؛

● أولاً: أن مقاطيع وقصائد قد أهملت..

● وثانياً: أنني أثناء طبع الديوان قد ظللت حليفَ المشاعر والتأملات، وخدين الحنين والتصورات، من تطّلع إلى مجهول، أو شوق إلى وطن، أو بكاء على فقيد، أو انفعال بحدث، أو حوار مع أطيايف الذكريات؛ وما سمعتُ خبراً ساراً أو محزناً، أو فكّرتُ في أمر، إلّا قلتُ: ياليت، ولعلّ، وعسى، وربّما، وكيف ولماذا؟!

وتلك هي نجاوى الشعر ووساوسه؛ التي يُبتلى بها مَنْ فطره الخالق البارئ المصور شاعراً في هذه الحياة الدنيا؛ ولا يستطيع — إذا انفعل بها — إلّا أن يُعبّر عنها.

وقد كنت كذلك — طيلة مدة طبع الديوان التي استمرت أربع سنوات لأسباب أجهلها — وهل يستطيع مثلي الصمت أربع سنوات؟! فنظمت أشعاراً نشرتُ منها في الصحف ما نشرتُ، وقرأتُ على الأصدقاء ما قرأتُ، واحتفظتُ لنفسى بالقليل منها.

وقد جدّت أمور، وحدثت أحداث لم أستطع معها، ولا عليها صبراً، دون أن أعبرَ عما أحسستُ به إزاءها؛ ولذلك رأيتُ أن أجمع ما أهملته عمداً أو نسياناً، وأضمه إلى ما نظمته من قصائد الوجدان والمناسبات خلال فترة انتظار صدور المجلدين الأولين وأنشر كل ذلك في طبعة جديدة مصحّحة.

وسوف يجد القراء والنقاد على اختلاف مشاعرهم ومشاربهم، ومداركهم وأهوائهم، ومبادئهم ومذاهبهم، في هذا الديوان ما يعجب وما لا يُعجب، وقد يُرضي قوماً، ويُغضب آخرين، شأنهم مع سائر كتبي ومؤلفاتي ولكني دائماً لا أبالي بمن يغضبون، وحسبي الرضى من «كرام عشيرتي» حسباً أو أدباً.

كما أنهم سيجدون في «ديوان الشامي» هذا قصائد قديمة قلتها في ريعان العمر فهي بحق من «موودات الشباب»، وأخريات نظمتمها بعد أن جاوزت الستين... فهن «عرانس الأصيل».

وأود أن لا يظن القارئ أن ما حواه «ديوان الشامي» في مجلداته الثلاثة يضم كل أشعاري فقد أرجأت بعض القصائد السياسية، والقطع الغزلية والفلسفية والاجتماعية وفضلت أن تظل بين «الموودات» إلى ما شاء الله.

كما أن لي مسرحية شعرية في خمسة فصول اسمها «ثورة الدستور في اليمن»، حكيت فيها قصة ثورة علماء اليمن ومصارع أحرارها عام ١٩٤٨م / ١٣٦٧هـ، وسيكون كل ذلك، أو ما قد يجِد - إن نسا الله في الأجل «المجلد الرابع». من أعمالى الشعرية الكاملة إن شاء الله.

ولقد اتبعت في ترتيب قصائد وقطع الديوان في هذه الطبعة النهج نفسه الذي التزمته في الطبعة الأولى، فرتبتها حسب التسلسل التاريخي رغم اختلاف وتضارب المواضيع والمناسبات.

وقد التزمت هذا الترتيب لأسباب ثلاثة:

● أولاً؛ لأنني أعتقد أن حياتي الشعرية لا تنفصل عن حياتي الوجدانية والاجتماعية فالسياسية؛ متغزلاً أو واصفاً، ساخطاً أو راضياً، باكياً راثياً، أو ضاحكاً راجياً، مادحاً أو قادحاً؛ فقد أغرمت بالشعر منذ الصبا، وجعلته عدتي وعتادي في جميع حالاتي، وفي كل ظروفى ومعاركى الوجدانية والأدبية والسياسية. وقد أشرت إلى ذلك في إحدى مقدمات هذا الديوان المنشورة في المجلد الأول؛ وما انفعلت بحدث من الأحداث خيراً أو شراً، إلا وسجلته شعراً. . سواء بالأسلوب العربى «الموزون المقفى»، أو بطريقة الشعر المرسل، وما أسميه «الشعر الغربى» وبالتصريح والإفصاح، أو بالرمز والتلميح.

وَمَنْ يقرأ كتابي «رياح التغيير في اليمن» سيرى أني قد أحسنتُ صُنْعًا حين رَتَبْتُ «ديوان الشامي» ترتيباً تاريخياً لأن ذلك سَيُسَهِّلُ مهمةَ مَنْ يرغب في تتبُّعِ مراحل حياتي الشعرية وتطوُّرها الاجتماعي والسياسي، ويتعمَّق في فهم أسرار الظروف والمناسبات التي تأثَّرتُ وتأثَّرَ جيلي بها في اليمن.

● وأما ثاني الأسباب؛ فهو أن كثيراً مِمَّنْ تحدَّثوا عن «الشعر المعاصر في اليمن» قد قالوا إن «الشامي» كان في طليعة من مارسوا «الشعر الجديد» في اليمن؛ بل وزعمتُ نفسي أني قد زاولته طبعاً قبل أن أسمع بالبياتي و«نازك الملائكة» في مطلع الأربعينات (راجع المقدمات ج ١، صفحات من ٧ إلى ١٧٩)؛ بل وظللت – كما هو واضح في الديوان – أمارسه وألجأ إليه في أزماي النفسية والسياسية، وعندما أعجز أو أخاف الإفصاح حينما كنت في معتقل «حجة»، ثم تحت الحراسة والإقامة الجبرية في «الحديدة» ما بين عامي (١٩٤٨م و ١٩٥٥م / ١٣٦٧هـ و ١٣٧٤هـ)، ثم في مدينتي (القاهرة) و (لندن) ما بين عامي (١٩٥٦م و ١٩٦٣م)، أي (١٣٧٥هـ و ١٣٨٣هـ)، ثم لما عُيِّنْتُ سفيراً في كلٍّ من (لندن) و (باريس) ما بين عامي (١٩٧٠م و ١٩٧٤م / ١٣٨٩هـ و ١٣٩٣هـ)، وأخيراً في منتجعي بمدينة (بروملي) منذ سنة (١٩٧٥م) وحتى عامنا هذا (١٩٩٠م) (١٣٩٤هـ و ١٤١١هـ) وإلى ما شاء الله.

ولما تحدَّث الدكتور المصري الأستاذ «عز الدين إسماعيل» في كتابه: «الشعر المعاصر في اليمن» عن «أحمد الشامي» وأرادَ لِسَبَبٍ يعلمه الله أن يغمز من قناتِهِ الشعرية، فقال في صفحة (٢٢٥) ما يلي:

«على أنه من الجدير بالملاحظة أن «الشامي» في هذه التجارب المختلفة لم يخلص وجهه أوروحه للشكل الجديد وحده؛ بل ظلَّ طوال الوقت يكتب «القصيدة التقليدية» إلى جانب القصيدة الطويلة، مختلفاً في هذا مع رواد التجربة الشعرية الجديدة الذين بدأوا جميعاً بكتابة القصيدة في شكلها التقليدي ثم تحوَّلوا بعد ذلك إلى الشكل الجديد نهائياً».

ثم يعقِّب على ذلك في الهامش بقوله:

«يمكن ملاحظة أنه على حين أخذت تجربة الشكل الجديد تنمو لدى «الشرفي» إذا بالشامي يعود مؤخراً فيصبح تشبُّثاً بالقلب القديم؛ أو هذا ما يدلُّ عليه ديوانه

الأخير «ألحان الشوق» الصادر سنة (١٩٧٠م) فليس فيه قصيدة واحدة من القالب الجديد».

وظل الدكتور الفاضل يهرف بما يعرف وما لا يعرف حتى قال في (صفحة ٢٣٣): «وقد بدأ اتجاه الشعر في اليمن إلى الشكل الموسيقي الجديد منذ أوائل الخمسينات على يد «أحمد الشامي» وبخاصة سنة ١٩٥٤م. وكأنه قد أرغم على هذا الاعتراف فتداركه بقوله: «ولكن قصائده رغم اصطناعها للشكل الجديد لم تكن تطويرية في بنائها وذلك لغلبة الرؤية الرومانتيكية عليها».

وأخيراً ونظراً للظروف السياسية التي كانت تكتنف اليمن حين ألّف الدكتور كتابه في أواخر الستينات وقبل قيام «المصالحة الوطنية»، قال الدكتور: «وللأسف توفي الشاعر (جعفر أمان) و«ارتدّ» (الشامي) فيما يبدو إلى الشكل التقليدي للقصيدة». (صفحة ٢٤٩).

هكذا «ارتدّ» دون خوف من الله أو حياء أو خجل من الناس؟ وكما تعمّد أن يوظّف الاستعمال الديني لعبارة «أخلص دينه لله وحده» إذ إن من يعبد مع الله إلهاً آخر يُعدُّ «مشرّكاً»، فقال بمكر ودهاء: إن (الشامي) لم يُخلص وجهه أو روحه للشكل الحديث بل ظل يكتب القصيدة التقليدية إلى جانب القصيدة الجديدة، مشبّهاً له بالمشرّكين!

كذلك تعمّد استعمال فعل «ارتدّ» لا «تراجع» أو نحوها، و«المرتدّ» في المصطلح الديني هو من يرجع عن الإسلام، وهذا يدلُّ على توتر نفسي شديد لا ضد (الشامي) فقط، بل وضد التعابير «الإسلامية» ومن يدافع عن لغة «القرآن» وآدابها.

وقد فنّدت جلّ أخطاء الدكتور عز الدين إسماعيل وتخريّصاته عن «الشعر المعاصر في اليمن» في كتابي «مع الشعر المعاصر في اليمن»؛ وإنما أردت أن ألقت النظر في هذه المقدمة إلى أن جهل الدكتور بما كنت قلته قبل سنة ١٩٥٤م مما سمّاه شعر «الشكل الجديد» ثم ما نظمته بعد إخراج كتابه، في ديوان «إلياذة من صنعاء»، وديوان «أطيف» و«من يشترى السهر؟» و«اليمن السعيدة» و«الديوان الغربي» وغير ذلك ما لو لم يتجاهله، أو لو أطلع عليه وكان مصنفًا لغير رأيه، وعرف أنه كان ظالماً للشعر في اليمن بكتابته عنه دونما تبصّر، ولا سعة اطلاع، ولا خلوص نيّة للأدب

والعلم والبيان. ولعلّ فيما سيقروّه في هذا الديوان من قصائد وقطع شعر «الشكل الجديد» ما قد ينفع معارفه إن شاء الله.

● وأما ثالث الأسباب؛ - وهو أطرفها - فقد أحببت أن أحاور الصديق الأديب الشاعر الدكتور عبد العزيز المقالح فيما قاله عن «الشعر الجديد» وفي دعواه الظريفة التي زعمها في كتابه «من البيت إلى القصيدة» لما قال وهو يتحدث عن «أحمد الشامي» ما نصّه:

«ولم يكن أمامي بعد ذلك إلّا أن أبدأ القراءة من حيث ابتدأ الشاعر أحمد الشامي محاولاته ومن خلال أربعة نماذج جيدة، نشرها في ديوانه الأوّل «النفس الأوّل»، وهناك من بين نقّادها من يتّهم الشاعر أحمد الشامي بأنه كتب الشعر الجديد من باب الأغراب والاستجابة لنزوة التجديد، وفي يقيني أن الشامي كتب الشعر الجديد استجابة لشعور نفسي، وتعبيراً عن عوامل اجتماعية وسياسية عاناها وعاشها وحاول التعبير عنها بهذا الشكل المختلف بعد أن ضاق الشكل التقليدي عن استيعاب مشاعر تلك الاستجابة».

«وقد تجسّد ذلك الإحساس من خلال تقديمه لديوانه الأوّل، والذي يقول فيه:

«أعرف نفسي جيّداً، فلن أخدعها ولن أخدع النَّاسَ، فما أنا براضٍ كل الرضاء عن شعري، ولا أدري متى سأتمكّن من إبداع الشعر الذي يرضيني.. في أعماقي شعراً؛ لكنه جديد.. جديد على عالم الشعر المعهود.. والجملة البيانية التي في قلبي أسمى من كل تعبير.. الحروف هذه ليس فيها حياة.. والمعاني التي في قلبي فيها حياتي بل وحيوات آخرين.. والكلمة الكبرى ما برحت معشعشة في حنايا روحي.. حروفها مشاعر مكفوفة.. معناها تاريخ ألم طويل، إن كان الوجود كلمة الله.. فهذه كلمة الإنسان، وإن كانت الطبيعة شعر القدرة الإلهية فهذا شعر الوجدان».

(مقدمة النفس الأوّل: ص ٩).

ثم يقول الدكتور:

«ماذا تعني هذه الكلمات؟ وما مدلول الأشواق إلى كتابة شعر جديد خارج عن المألوف ومختلف عن الأساليب البيانية المستهلكة؟ وهل كان في الظروف التي كتب فيها الشامي ما كتب من شعر جديد فسحة من الوقت للأغراب والانسحاق وراء الأشكال

لذات الأشكال؟ إنني لا أرى غرابة في أن يكتب الشاعر أحمد الشامي، وهو في سجنه شعراً جديداً، فالسجن يدعو إلى كسر القيود، ولكن الغرابة - كما سوف يتضح لنا فيما بعد - أن يكتب الشامي في لندن شعراً عمودياً يلتزم فيه ما لا يلزم، ويعود بنا ألف عام إلى الخلف. لقد بدأ كتابة القصيدة الجديدة وهورين المعتقل، وهذا يدعونا بالضرورة إلى استرجاع ملامح من حياته القلقة المضطربة المتعرجة التي انعكست على شعره».

«لقد انغمس في بداية حياته الشعرية في غمار الحركة الوطنية، وكان كأيّ شابٍ يمّني مثقّف وطموح مسكوناً بهموم اليمن، مشغولاً بفكرة تجديدها؛ تجديد النظام، وتجديد الأوضاع السياسية والاقتصادية، وتجديد الشعر، فكانت قصائده الرومانسية تملّك في هذا الجو، وتعبر عن هذا الهاجس الساخط الثائر الذي لا يرى مناصاً ولا خلاصاً إلا من خلال نفس القديم بأشكاله وأنماطه كافة، إن الهدم هو الخطوة الأولى نحو البناء».

ثم يقول الدكتور :

«وقامت حركة (١٩٤٨م)، وشارك أحمد الشامي ما استطاع إلى المشاركة، وساقته ثورته إلى سجن نافع، وهناك حمل القيود، وتعرّض للسياط، وواجه الموت كبقية الرفاق، وأحسّ بعبء التقاليد، وثقل الاغتراب والاستلاب عن العصر، وفي ذلك الجو المشحون بالقسوة، وبسيطرة القديم تنفّس الشعر الجديد وكتب القصيدة الأولى متحدّياً جدران السجن وجدران «العمود الشعري» وكانت قصيدة «صلاة»، التي بدأت هكذا:

«أنا لا أنظم شعراً..»

فلقد أنسيت أوزان القصيد

إنما أنثر أشواقاً ودمعاً... إلخ.

انظرها في المجلد الأول من ديوان الشامي؛ وفي النفس الأول.

ثم يسترسل الدكتور المقالّح قائلاً.

«كم تمنيت وأنا أقرأ فاتحة القصيدة أن لا ينظم الشعراء ما قيل لهم إنه شعر،

وأن ينسوا أوزان القصيد لكي يكتبوا لنا مثل هذا الشعر الجميل الأصيل وليت شاعرنا الشامي قد نسي الأوزان والقوافي ولم يعد يتذكرها حتى يظل يكتب مثل هذا الشعر الخارج من منطقة الإبداع لا من منطقة التقليد والمحاكاة والاجترار». (من البيت إلى القصيدة: ص ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦).

وبعد أن أورد الدكتور من ديوان النفس الأول مقاطع من قصائد «أمل» و«النور الشهيد»، قال:

«لا شك أنه بهذه القصائد وأمثالها قد استقام عمود الشعر الجديد وكاد ينطلق بالتجربة الجديدة - في بلادنا - دون تعثر أو إبطاء، لكن ما الذي حدث للشعر الجديد مع هذا الشاعر (الشامي) لقد أدركته الشيخوخة قبل الأوان وفقد هذه الصورة الجميلة، وهذه اللغة الشعرية الشفافة، والموقف الإنساني المتقدم، لقد كان الشاعر - باختصار - يرسم بالكلمات فأصبح يتكلم بالكلمات، والفرق كبير بين التصوير والحديث، وإقامة التفعيلات أو تحطيم وحداتها لا يصنع الشعر، ولا يخلق الشعراء. (ص ٣٧ - ٣٨).

ما أكرم الدكتور المقالح، وما ألطف ذوقه، وأرق طبعه؛ إنه حين يعبر عن رأيه المخالف للرأي الآخر لا يجازف ولا يجرح ولا يغمز ولا يلمز؛ لأنه ناقد مؤدب يحلل ويعلل ويعبر عما يراه أو يظنه أو يعتقد به بوقار الباحث وأناة الناقد، فلم يقل: إن (الشامي) «ارتد»؛ أو إن (الشامي) لم يخلص وجهه للشعر الجديد وحده كما قال أستاذه الدكتور عز الدين إسماعيل، بل قال: «أدركته الشيخوخة قبل الأوان».

ثم ماذا؟ إنه يعلل أسباب هذه الشيخوخة التي أدركت شعر (الشامي) الجديد قبل الأوان، فيقول:

«وحيث نقرأ هذا الشعر الجديد الذي كاد شاعرنا أحمد الشامي يبدأ به منعطفًا جديدًا في حياته الشعرية، ونقارنه بما كتبه من شعر جديد يدركنا قدر غير قليل من خيبة الأمل؛ ولعل المشكلة عند أستاذنا الشاعر أحمد الشامي أنه كان شاعرًا وثائريًا، ثم أصبح سياسيًا وشاعرًا، والفرق كبير أيضًا بين الشاعر والسياسي، وبين الشاعر والشاعر السياسي؛ الأول يرفض ويحلم، والآخر يتقبل ويسير، لقد أوصلت الثورة أحمد الشامي إلى السجن فجاء شعره مجسّدًا طموح الشاعر الثائر وكانت من وحي

الثورة، ثم أوصلته السياسة إلى عضوية المجلس الجمهوري - فجاء شعره مجسداً ذلك الواقع وكانت من وحي السياسة؛ إن شعره يرسم الصراع الدائر بين الثائر والسياسي. ولم تقف السياسة بالأستاذ الشامي عند هذا الشعر الفاتر الضعيف بل قادتة كذلك إلى التنكر للجديد الشعري، وبدأ مرحلة تراجُع رهيبة عادت به إلى ما قبل «النفس الأول» بألف عام وبضعة أعوام. . . إلى عصر «المعري» الذي بدأ يجاريه في «لزوميّاته» ربما ليكفر عن تلك البدايات البريئة العذراء وعن تلك البكارات الفنية المجبولة بنار الشعر المقدسة».

«ولعل مسرحيته الهزيلة [هكذا الهزيلة!] أخطر بيان عن هذا التراجع، فقد حشد فيها كبار الشعراء العرب في القديم والحديث لكي يدينوا القصيدة الجديدة، والشعر الجديد، بدلاً من أن يدينوا الانحطاط الشعري العام وليسهموا في تعريف الصالح من الطالح في التجربة حتى لا يؤخذ البريء بجرم المذنب، ولا يقتصر القارئ من المهوب انتقاماً من فاقده الموهبة» . . . «لقد كتب الشاعر أحمد الشامي «إلياذة من صنعاء» وكتب «لزوميّات الشعر الجديد» وما يزال بين حين وآخر يكتب أشياء يسميها شعراً جديداً؛ لكنها - يعلم الله - تبتعد عن الشعر الجديد كما كتبه في الخمسينات مسافة تزيد كثيراً عن المسافة التي تفصل بين شارع (الفليحي) في صنعاء، وشارع (أكسفورد) في لندن، وكان المتوقع والمنتظر من شاعر موهوب في مثل قامته الشعرية، وثقافته القديمة والحديثة أن يكتب الآن شعراً جديداً يكون بينه وبين قصائد «حجة» و«الحديّة» مسافة لا تقلّ عن مسافة التخلف بين هاتين المدينتين التقليديتين وأيّة مدينتين في بريطانيا». (ص ٣٨ - من البيت إلى القصيدة).

انظروا إلى تواضع كبير «دكاترة اليمن» علماً وأديباً ومعرفة؛ يقول فيمن ينتقده: «أستاذنا الشاعر أحمد الشامي» مع أن عاطفته الفنية وتشجيعه لما يسميه «القصيدة الجديدة» وشعرائها مع أولئك الذين حشرتهم في جحيم التهافت والانحطاط البياني واللغوي أمثال «علوان» ودبوان، و«السقاف» والنقاف، و«اللوزي» والجوزي! في مسرحتي الهزلية: «محكمة في جنة الشعراء».

وقد طربت للباقّة الدكتور اللغوية حين استعمل لماً وصفها لفظة «الهزيلة» تلطفاً، لأنه يستطيع أن يقول: إنما قلت وأردت «مسرحيته الهزليّة»، فالخطأ إذاً

مطبعي ؛ هكذا يستطيع أن يقول ويحقُّ لي أن أطرب وأضحك راضياً مطمئناً إلى أن الدكتور المقالّح في قرارة نفسه قد رضي عَمَّا صنعتُ ؛ وإن كان لا يزال عند رأيه الذي يعلم أنّي أخالفه فيه بالنسبة إلى «القصيدة الجديدة» والتطوُّر أو الترقّي بها من البيت إلى القصيدة ؛ ولم يقتنع بعدُ إلى أن «الرجوع إلى البيت» هو الأفضل ؛ بل هو الواجب ؛ أدباً وشعراً وعقلاً وشرعاً :

«وما أحلى الرجوع إليه!» والحديث شجون وله مكان آخر.

دفاع الشاعر عن نفسه :

وإنصافاً للحقيقة فلا بد أن أقول أن الدكتور المقالّح كان حصيف المنطق وأقرب إلى الجدل المنهجي ، والاستدلال البرهاني حين فرّق بين ما زاولته مما يسميه «الشعر الجديد» عندما كنت - كما يقول - شاعراً ثائراً ، وما كتبت منه بعد أن أصبحت «سياسياً شاعراً» ؛ وله منطق وذوقه وهواه أن لا يعجبه ولا يطربه ما كتبت في ديواني «إلياذة من صنعاء» أو في ديواني «لزوميات الشعر الجديد» ؛ وأن يقول أيضاً أنّي ما زلت بين حين وآخر أكتب أشياء أسميها شعراً جديداً ولكنها كما يعلم - أو كما يعلم الله - حسب تعبيره ، تبعد عن الشعر الجديد كما كتبت في الخمسينات مسافة شاسعة .

وقد كان لطيف السخرية حين قال : إن تلك المسافة تزيد كثيراً عن المسافة التي تفصل بين شارع (الفليحي) في صنعاء [حيث نشأت وتثقفت عندما كنت شاعراً ثائراً] ؛ وشارع (أكسفورد) في لندن ؛ أي حيث صرت سفيراً أو مقيماً بعد أن أصبحت سياسياً شاعراً !

وهو يؤكّد بهذه النكتة اللطيفة أو السخرية اللاذعة ما قاله قبل ذلك من أنه لا يرى غرابة في أن يكتب أحمد الشامي وهو في سجنه شعراً جديداً ؛ فالسجن يدعو إلى كسر القيود ؛ ولكن الغرابة أن يكتب (الشامي) في لندن شعراً عمودياً يلتزم فيه ما لا يلزم ويعود بنا ألف عام إلى الخلف !

والدكتور المقالّح بهذه النكتة اللطيفة قد فنّد مزاعم أستاذه الدكتور عز الدين إسماعيل ولأشئ تحامله على الشامي ، لما قال إنه «ارتدّ» ولم يكتب بعد الخمسينات شعراً جديداً ؛ وحسبي ذلك» وأما أن شعر «الإلياذة» أو «اللزوميات» لم يعجبه سواء لضعف صياغته الفنية ، أو للمواضيع الاجتماعية والفلسفية التي طرقها وهام في

وديانتها؛ فهل لي أن أزعم أن الأذواق تختلف وأن أذكره بقول المتنبي :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وأفته من الفهم السقيم

ثم ألا يعلم الدكتوران الفاضلان أن مجموع ما نُشر لي حتى الآن في «ديوان الشامي» من قطع وقصائد بالشكل الذي يسمّيه جديداً أكثر من ثمانين قطعة أو قصيدة، وأن كل ذلك يكون ديواناً ضخماً قد لا يوازيه أي ديوان لشاعر يمّنيّ التزم الشكل الجديد في العصر الحديث! .

وهل يعلم الدكتور عز الدين إسماعيل – أما الدكتور المقالّح فإنه يعلم – أن ديواني «إلياذة من صنعاء» قد صدر في مئتي صفحة؛ ويحتوي على أكثر من ألفي مصراع، وأن قصيدتي «أسطورة اليمن السعيدة» وهي بنفس الشكل الجديد تحتوي على أكثر من مئة وأربعين شطراً، وأرجوزتي «ماذا يريد القصيمي» تضم حوالي مئتي بيت؛ فهل يعلمان شاعراً يمّنياً أخلص روحه للشكل الجديد – حسب تعبير الدكتور عز الدين – أرفد هذا الفن بمثل هذا العطاء؟

وهناك سؤال أودّ توجيهه إلى شاعرنا الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح، وهو: هل يُعيني شعرياً أن أغني نفسي وأنا تحت الإقامة الجبرية في مدينة الحديدة عام (١٩٥٢ – ١٩٥٣م) هذا اللحن:

«النور الشهيد»

حطمتُ مصباحي .. والليلُ يرزح تحت وطأته الوجودُ .
وخنقتُ صوتي في فمي ، وصهرتُ لحنِي في دمي ..
وكسرتُ قيثاري .. والكون يصغي للنشيد ..
ونحرتُ أحلامي الجميلة .. وارتميتُ على التراب ..

* * *

أبكي بلا دمع .. ! وأنوح بالصَّمتِ البليغ .
وأريق سؤَرَ الروح .. فوق حطام آمال الشباب .
وأذيب لحنَ الثكل .. فوق رفات أنغام الرباب .

* * *

ودَّعت أفراحي .. والشمس تدلف للمغيّب ..
والبحر ساجي الموج .. يرهب ظلمة اللّيل العتيّد ..
يهفو إلى النور الجريح .. ويودّع الضوء الذبيح ..
والأفق في شفق الأصيل .. نشوان كالحلم الجميل ..
وأنا المعذب بالدجى والنور ..
حيران .. لا أدري .. ماذا وراء الليل ..

* * *

آلْفَجْرُ؟ لا ..
الفجرُ مقتولُ السنا ..
حنقتهُ كف الهول .. وهو بمهد فرحته وليد ..
يا دمة الألق الطريد ..
ذوبي على الفجر الشهيد ..

* * *

ثم أغني لنفسي في المكان نفسه، وفي الزمان نفسه وبالأسلوب العمودي
أو التقليدي كما يحلو للدكتورين أن يسمّياه بهذا اللحن :

«ضراعة روح»

وحرّك صبايات الغرام المكتّم	خذ الناي واصدحْ بالنشيد المطلّسم
تذوب حنايا كل قلب متيم	طحا بك شوق في سمائم برّحة
وتصبح في ليل من الهمّ مظلم	تبيت تُداري الشهد أو تنشد الكرى،
وقد صرت مثل الهيكل المتهدّم !!	أحبّا وقد ولّى الشباب؟ وصبوة
لنزوة حبّ، وافتتان تتيم،	ولم تدع الأرزاء منك بقيّة،
غريماً سوى ثغر الهوى المتبسّم،	فؤادي شهيدُ الحبّ، لا تطلبوا له
على الحبّ صبراً وهو ينساب في دمي،	صبرتُ على هوج الخطوب ولم أطق

سقاني سعيراً في رسيس لهيبه فناءً لعمري واحتراقاً لأعظمي
ومن يُعطَ قلباً مثل قلبي يعيش به يَتيم الأمانى للتعاسة ينتمي .

* * *

ثم هل يعينني شعرياً أيضاً أن أقف ذات ليلة من ليالي خريف عام
(١٩٦٢م/١٣٨٢هـ)، وبعد البكاء على «النور الشهيد» و«ضراعة الروح» بعشر
سنوات وأنا سفير في (لندن) والأحداث في وطني تتمخض بالثورة؛ وهناك من
العنصرين والطائفتين والحاقدين من أخافهم على وطني وعلى حيوات من أعزهم من
أصدقائي وأبناء قومي والمسؤولون غافلون فأهملهم كثيراً حزينا متشائماً:

«كهف»

في حنينٍ دائمٍ، واذكارٍ واجمٍ ،
في زفيرٍ وشهيقٍ، ونحيبٍ لا يفيقُ
ضلٌّ عن مأواه لا يعرف نهجاً أو طريقاً
والأمانى حوله صرعى؛ ولا يدري رفيقا،

* * *

كان بالأمس ربيب الصُّبواتِ
وهو اليومَ نديم الحسراتِ ،
ورفيق العبراتِ، وصرير الذكرياتِ
وخيالات نشاء، وظنون خائباتِ ،
ورؤى تلهت كالهميم بوادي العثراتِ .
وحنينٌ، وأنينٌ، ودموعٌ، وشتاتٌ

* * *

كلّما أمعن في الشُّكر صحا القلبُ الجريحُ
وأفاق الشوقُ، واستعرم وجدانُ ذبيحُ،

وترأت كخيوط العنكبوت . .
ذكريات نسلت من كهف ماضٍ موحشٍ
حسرات البؤس في أرجائه . . تتعاوى كذئابٍ جائعات .
والمنايا تتلوى كالأفاعي ، والرزايا كالوحوش الضاريات
ودموع ، ونجيع ، وحنينٌ وأنينٌ . .
وسهادٌ واضطهاد ، وعذابٌ لا يلينُ
كلّها ترجف خوفاً . . بين تلك الظلمات .
وفناء غامضٌ يفغر فاه . .
وكيان شاحبٌ يرسف في أغلاله . .
وهلاكٌ ودمارٌ .

* * *

وغدٌ . . يا ويح نفسي من غدٍ . .
إنّه لفحة نار ، إنه وثبة ثار . .
إنّه وصمة جرحٍ في جبين ، إنه وحشٌ كمينُ
إنه غصبة حقدٍ لا يلينُ .

* * *

وبقايا خمرةٍ عاقرها شيخ عقور ،
أغمض العين على نشوتها وهي تفور ،
فهي موتٌ وحياةٌ ، وهي إظلامٌ ونور .

* * *

ثم وفي نفس الزمان والمكان تستيقظ الأوزان والقوافي فأغنيّ لنفسي بهذه
الآبيات :

«عندما تعود»

وإذا ما رجعت يوماً ولا عَشَّ لك باقٍ، ولا غديرك جاري
والغصون الجدباء تبكي بصمتٍ والهزارى هشيمة الأوكار،
ويقلب محطّم وبروح... مثقل بالأوجاع والأسرار
نحت تنعى أهلاً وجيران أهلٍ وتُبكي داراً وأصحاب دارٍ
إلى آخرها.. وكل ذلك قد كان.

* * *

وسأسال الدكتور الشاعر أيضاً هذا السؤال الأخير.. هل يضيرني شعرياً أن
أكتب في يوم من أيام أغسطس سنة (١٩٥٤م/١٣٧٣هـ) وأنا رهين الإقامة الجبرية
(بالحديدة) هذه القطعة التي أودعتها «الديوان الغربي» والتي تسمون ما شاكلها اليوم
«القصيدة الجديدة» وإن لم تتقيّد بوزن أو «تفعيلة» موسيقية:

«من ليالي أب على شاطئ الحديدة»

إنّها ليلة باهتة.. من ليالي «أب»..
امتزجت حرارة الجو المختنق..
برطوبة البحر الراكد.. وبأضواء القمر والنجوم..
ولا منفتح لنسمة عابرة..
واختنقت أنغام البلبل في جوفه..
فصمت يرتعش..
وأشعة القمر تتساقط على صفحة البحر وتغني..
والسفينة الرابضة قد أضناها الانتظار..
وأغمض «العزیز» عينيه على طلائع حُلُم..
وأنا أطلع قصّة.. ولا أرى أبطالاً!!
المسرح فسيح.. ولكن أين الممثلون؟
والرواية رائعة.. ولكن أين الأبطال؟

والمأساة دامية.. لكن أبطالها أقزام.

* * *

ثم آتي بعد أكثر من عشرين عامًا، أي عام (١٩٧٥م/١٣٩٥هـ) وأنا في مدينة (بروملي) البريطانية، فأجاري شاعر الإسلام أبا العلاء المعري بهذه اللزومية. [الألف مع الراء].

«لماذا الحنين»

عراك الحنين بجُنْح الدُّجى إلى الأهل لَمَّا خيال سرى
تذُكُرت «صنعاء» مهدَ الشباب وسالف عيشٍ بتلك الذرا
ليالي تمتحُ ماء الحياة... شجاعًا كأنك ليث الثرى
وأيام تسرح ما إن تقول ماذا سيجري؟ وماذا جرى
زمان البراءة والعنفوان، وصحو شبابهما والكرى

* * *

لماذا الحنين إلى بلدةٍ بها العلم ممتحنٌ مزدري؟
وأبناءؤها هلكوا بالخمول.. ولا يسأمون الفرى والمرى
أسارى خرافات جهّالهم وأوهام من غشهم وافتري
لماذا الحنين لماذا الأنين؟ وأنت ترى فيهم ما ترى
وجُلُ الرفاق قد استشهدوا ومعظمهم نُبذوا بالعرا!!
ولم يبق إلا رفاق الرفاق وأبناء من غيّبوا في الثرى

* * *

حنانًا على مدنف خاشعٍ يخاف الخضوع ويأبى الفرى
تعبّد للحق يسموبه... وفيه يُشافه ما لا يُرى
زمان الصبا؛ يا زمان الصبا ألا وُضِل يُبتاع أو يُشتري؟
أنا دمعة «الأزل» المرتجى على «أبد» مات قبل السرى!
رضعت المنايا وقطرتُها نطافًا أداوي بها ما اعترى
عرفت بجهلي سرّ البقاء.. ومعنى الخلود ولغز الورى:

«نزول كما زال أجدادنا ويبقى الزمان على ما نرى»
وليس ذلك فحسب، بل وأحن إلى «الشكل الجديد» من جديد وأنا في نفس
المكان وبعد ثماني سنوات، فأقول:

«انتظار...!»

جوفاء ما تزال . .
تلك السنابل المبرعمة . .
جوفاء ما تزال ظامئة . .
تنتظر المطر . .
ورغم فجرنا . . القاتم الأحمر . .
فشمسنا وراءه . .
تريد أن تصعد . . وتساقط المطر . .
من سحب الأفق . .
على سنابل الشعير . .
والشيخ واقف . . يستروح الهواء . .
في قلق . . يرنو إلى السماء . .

* * *

تلك الغيوم الداكنة . . تلوح من بعيد
مثقلة تلك الغيوم الداكنة . . بالمطر الموعود .
أين الرياح؟
في شبقٍ تنتظر السنابل الجوفاء . .
زحف الرياح . . ليهطل المطر .

* * *

فما العيب شعرياً؟ وأين «الردة»؟ بل وأين «الشيخوخة» المبكرة؟

الشعر الغُربي وعلم العروض:

وسيجد القارئ القصائد العمودية، أي المقيدة بقوانين «الشعر العربي» الأصل بجانب القصائد «التفعيلية» المنغمة؛ وليس ذلك فحسب بل وسيجد قطعاً مما يزعمه «المجددون» شعراً رغم عدم تقيده بوزن أو حتى بتفعيلة تميزه من النثر؛ وكنت قد نشرت في دواوين شعري الكثير من هذا النوع الذي يسمونه «الشعر الجديد» وكلها في «ديوان الشامي». غير أني لم أثبت إلا ما التزمت فيه «التفعيلة» الملتزمة بالنغم... الموسيقى، وإن تعددت «الأوزان»، وتنوعت «القوافي»؛ وذلك هو ما يميز «الشعر» من «النثر» عند العرب.

إنهم يسمونه «الشعر الجديد» أو «الحديث»، وكنت ولا أزال أحدهم... شريطة التزام «الوزن» و«التفعيلة الموسيقية»، ونكّب الأدب العربي المعاصر بما سمّوه «قصيدة النثر»، وجاء بعض المتشاعرين بالطّم والرّم وما يصدع الرؤوس. ولعل هذه التسمية: «قصيدة النثر» قد تسلّلت إلى الأدب العربي المعاصر من تلك الروائع التي ترجمها في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع هذا القرن الميلادي [القرن الرابع عشر الهجري] فطاحل من أدباء وشعراء العرب في مصر والشام والعراق لنوايغ الشعراء الأوروبيين، فقد كانوا ينقلون قصائدهم وآثارهم الشعرية؛ وحرصاً منهم على الإبداع والإتيقان وأمانة الترجمة، ونفوراً من التقعر والتكلف، لا يلتزمون الأوزان والتقفية، وقليلاً من يتكلف ذلك منهم فيحافظ عليهما إذا عرف من نفسه القدرة، وكان شاعراً كبيراً، أمثال: خليل مطران وعلي محمود طه وعلي أحمد باكثير وأضرابهم من شعراء «أبلو» و«المهجر».

وفتن بهذه التسمية: «قصيدة النثر»، فريقان:

● أحدهما: عدوّ لدود للغة العربية الفصحى، ويحاول بشقّ الوسائل، ومنذ زمن قديم، هدم قواعدها، وإبادة تراثها، وتشويه خصائصها، وطمس علومها البيانية التي استطاع بها المسلمون أن يحافظوا على كتابهم المعجز المقدس «القرآن الكريم» طيلة أربعة عشر قرناً؛ تصديقاً لوعده الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾؛ وهذا الفريق يمارس مهمته بعلم ومعرفة وطبق مخطّط تآزر على رسمه، ويتعاون على تنفيذه الصليبيون والصّهانية وهم الذين أشاعوا بدع إلغاء «الفصحى»

واستبدالها «بالعامية»، وتغيير الكتابة والقراءة بالحروف العربية واعتقاد الحروف اللاتينية؛ وتحذثوا طويلاً عن «الثابت والمتحول»؛ وألّفوا في ذلك الكتب وبأساليب شيطانية لا يفقه مكرها، ويفهم سوء مقاصدها، إلاّ العالمون: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾.

● والفريق الثاني: المقلّدون والمتشاعرون من تلاميذ مدارس ومعاهد الفريق الأول.

ونشأ جيلٌ من المتأدّبين الذين تخرّجوا من الجامعات والمعاهد الغربية؛ ولم تُثَقَّف ألسنتهم وأرواحهم بأداب اللغة العربية، وتلقّوا معارفهم باللغات الأوروبية ودرسوا بها آدابها فظنّوا أن «الشعر العربي» - وليس فقط الغربي المترجم - يمكن أن يُسمّى شعراً دون التزام لقافية ووزن. . وأغرقوا في ظنونهم، فزعموا أن هذا هو الشعر الحق، وهو الجديد الذي يجب أن يحلّ محلّ الشعر الرجعي العتيق «الموزون المقفى»؛ وضربوا لذلك الأمثال؛ وغفلوا عن أمرين وهو أن الناقد العربي لا يعوزه التمييز بين الجيّد والردّي من القول، سواء كان موزوناً أو مرسلّاً؛ ولكنه لا يستطيع أن يسمّي ما ليس موزوناً «شعراً عربياً».

وقد تأثّر هذا الفريق الضائع بما تلقّاه أبنائه أثناء دراساتهم في معاهد اللغات الأجنبية، دون أن يتثقفوا عربياً بما يحصّنهم ويحميهم - كما قلنا - فظنّوا أن «النثر الفني» وما أتبعه بعض شعراء أوروبا وأمريكا المحدثين من فن بياني لا يتقيدون فيه بقافية ولا وزن واستساغوا، وأباحّ لهم لغاتهم وآدابها وقابليتها للتغيير والتجّدّد أن يسمّوه شعراً - ظنوا أن هذا «الفن» مما يسمّيه العربي الأصيل «نثراً» لا أصل له في «الأدب العربي»، وأنه اختراع جديد للغرب يجب أن يسود كما سادت سائر الاختراعات المادية - ولا يُلامون على هذا الظن إن وقعوا فيه، فهم لم يقرؤوا خطب العرب ولا درسوا «مقاماتهم» عبر العصور فلا يعرفون «قسّ بن ساعدة»، ولا «سحبان وائل» ولا «علي بن أبي طالب»، ولا «واصل بن عطا»، ولا «البلوي»، ولا «الجاحظ»، ولا «الزحشري»، ولا «بديع الزمان»، ولا المئات من أضرابهم المتقدمين. وأظنهم أيضاً لم يدرسوا «الأيام» لطفة حسين، ولا «وحي الرسالة» للزيّات، ولا قرؤوا آثار جبران والرافعي من المتأخرين؛ وآثار أولئك وهؤلاء بل والمئات من أئمة وأعلام البيان وفطاحل البلاغة تزخر بها المكتبات الخاصة والعامة.

وقد كثر اللَّغَطُ، وتكرَّرَ الجدل حول «القصيدة الجديدة» أو «قصيدة النثر» أو هذا «الشعر المنشور» الخالي من الوزن والموسيقى، وفيه الجيّد والردي؛ والبعض يمارسه بإبداع وبراعة؛ وبينهم شعراء ليسوا بعاجزين عن نظم الشعر «الموزون المقفّي»؛ ولا يمكن أن ندّعي أنهم تهرَّبوا عن التفاعيل والأوزان والقوافي عجزاً وجهلاً كالملقّدين والمتشاعرين؛ ولا خلاف بيننا وبينهم أن هذا الفنّ من البيان ليس موزوناً؛ ولا نختلف على استحسان ما كان جيّداً منه، ولا ازدراء ما كان رديّاً. لا تصويراً ولا تعبيراً، كما لا نختلف أيضاً أن علماء الشعر العربي قد قالوا: إنه «الكلام الموزون المقفّي».

وإذن فأين يكمن الخلاف؟

إنّه على «التسمية» فقط؛ ولقد كان آباؤنا أكثر حصافةً ممّا حين كانوا يضعون لكل ما يخرعونه، أو يحدّد من فنون الشعر والصناعات الأدبيّة أسماء تميّزها من غيرها من سائر الفنون البيانية وصناعات الشعر والنثر أمثال «لزوم ما لا يلزم»، و«القوافي المشتركة»، و«القصائد المعرّاة»؛ وسَمّوا أحد الفنون: «محبوك الطرفين»، وآخر: «ما يُقرأ نظماً ونثراً»، و«ما لا يستحيل بالانعكاس»، و«الملاحن»، و«الأحاجي والمعميّات»، و«المتائيم»، و«المشجّر» و«البند»، و«ذوات القوافي». إلى غير ذلك.

والحلّ بالنسبة لما يسمّونه «قصيدة النثر» سهل وميسور — في نظري — إذا خضعنا لمنطق العقل والعلم، والواقع اللّغوي والتاريخي لكلمة الشعر ومعناها عند العرب.

وسنقضي على هذا اللّغَط والجدل «البيزنطي» الذي يدور في الصحف والنوادي الثقافية، وقد تنبّه للأمر، وعالج المشكلة أحد النقاد الشعراء العلماء العرب قبل ستمئة عام وبضعة وأربعين عاماً قمرياً وهو الشيخ العبقري صلاح الدين الصّفدي المتوفى سنة (٧٦٤هـ/١٢٦٦م)، في كتابه «الغيث المسجّم»، وهو يتحدث عن «العروض والقوافي»، فقال رحمه الله:

«العروض: آلة قانونيّة تعصم مراعاتها الإنسان عن أن يضلّ في وزن «شعر العرب»، وهذا الاحتراز الأخير [يقصد شعر العرب] أتيت به؛ لأن اللغة اليونانية فيها شعر، وليس الشعر عندهم ما يكون ذا وزنٍ وقافية، ولا ذلك ركن فيه، بل الركن في

ذلك إيراد المقدمات المخيلة؛ وقال أرباب المنطق: القياس الشعري قول مؤلف من مقدمات مخيلة تؤثر في النفس تأثيراً عجبياً من قبض وبسط... إلخ». (ج ١، ص ٥٤).

وإذن: فأنا أقترح أن نسمي هذا الفن من البيان «الشعر الغربي» إذ لا يصح أن نسميه «الشعر السرياني» لأن «السريانيين» كانوا يصوغونه موزوناً وإن بدون قوافي؛ ولا يمكن أن نسميه «الشعر العبراني»، لأنهم يشترطون فيه القافية؛ ولا اعتبارات أخرى!! وهو ليس شعراً عربياً لأن الوزن والقافية هما ما يميزان «الشعر» من «النثر» عند العرب كما قال الصّفدي.

ولنا قُدوة بالشاعر الألماني (جوته)، إذ قد سُمي أحد دواوينه «الديوان الشرقي»، وهو ما أعمله الآن في «الديوان الغربي» والذي سيجد القراء نماذج منه في هذا المجلد إن أصرّوا على تسمية هذا النوع من البيان شعراً، لأنه صيغ في تعابير تؤثر في النفس؛ وإذا لاقى هذا الاقتراح قبولاً فقد تخمد نار الجدل، ويُقَطع دابر الخصام، وقد بسطت القول في السفر الأول من كتابي «معجم شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام» (ص ٢٠٨ - ٢١٣) عن هذا الموضوع.

وأودّ أن أوضح أنني لا أنصح الشعراء بالإسراف في دراسة علم العروض، ولا بالاعتماد عليه حين تخامرهم هواجس الشعر وتناجيهم دواعيه، فالشعر موهبة فطرية، وليس علماً يدرّس في المعاهد والجامعات والتي إن كان في إمكانها أن تخرّج من كليّاتها مهندسين وسياسيين وعسكريين ومحامين وأطباء فليس في إمكانها أن تُنجب شعراء!

وأنا شخصياً لم أحاول دراسة علم «العروض» على أستاذ، ولا أذكر أنني لجأت إلى أوتاده وأسبابه وفواصله وأنا أنظم شعراً، ولا أظن أن شعراء المعلقات قد عرفوه، ولا أن أفذاذ شعراء العرب كأبي تمام والبحري والمتنبّي بل والبارودي وشوقي والزميري، قد اهتموا بدراسته لكي يكونوا شعراء؛ وقد قال بعض القدامى: «إنه لا حاجة للشاعر إلى علم العروض لأن كل من نظم به شق ذلك عليه، وأتى نظمه مكلفاً، وإلى أن ينظم بيتاً يكون الشاعر صاحب الطبع السليم قد نظم قصيدة».

وقال الجاحظ: «العروض علمٌ مُسْتَبَرَدٌ، ومذهب مرفوض، وكلام مجهول، يستكذّب العقول، بمستفعلٍ ومفعول، من غير فائدةٍ ولا محصول».

ولكن (الجاحظ) ورغم سخريته بمن يعتمد عليه في النظم دون طبع سليم وفطرة شعرية كان يعلم فائدته لناقد الشعر، وأنها تنحصر في تمييزه «الشعر العربي» من سائر أشعار الأمم، ولذلك قال: «العروض ميزان الشعر ومعياره وبه يُعرف الصَّحيح من السقيم، والمعتلّ من السليم».

وقال (الجوهري) في الصحاح: «العروض ميزان الشعر».

ونقل (الصَّفدي) عن علي بن عبد الرحمن أنه قال: «العروض علم يُدرك به ما تعتقده «العرب» من كلامهم شعراً».

وكثيراً ما كان الشعراء يسخرون ممن يتكلفون النظم معتمدين على معرفتهم بعلم العروض دون موهبة وطبع فقال أبو فراس:

تَهاَضُّ النَّاسَ لِلْمَعَالِي	لَمَّا رَأَوْا نَحْوَهَا نَهْوَضِي
تَكَلَّفُوا الْمَكْرَمَاتِ كَدًّا	تَكَلَّفَ النَّظْمَ بِالْعُرُوضِ .

وقال ابن حجاج:

مَسْأَلٌ كُلُّهَا فَضُولٌ	مُسْتَفْعَلُنْ فَاعِلٌ فَعُولٌ
قَدْ كَانَ شِعْرُ الْوَرَى صَحِيحًا	مَنْ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ الْخَلِيلُ .

وقال أحمد شوقي:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة
أو حكمة؛ فهو تقطيع وأوزان.

ولم أتعرض للموضوع إلا لكي أؤكد ما قاله (الصَّفدي) من أن فائدة هذا العلم تنحصر في «فصل القضية فيما يُتَنَازَعُ فيه هل هو شعرٌ عربي أم لا» [الغيث المسجم، ج ١، ص ٥٦]، فهل اقتراحي أن نسمي هذا الذي يسميه بعض المحدثين «قصيدة النثر» أو «القصيدة الجديدة»: «الشعر الغربي»، سيفصل القول ويقطع دابر الخصام إذا تُلْقِيَ بالقبول؟

ثم ما كان جيداً منه قبلناه، وما كان رديئاً رفضناه.

مسرحة البتول:

في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٨٥م / الموافق ١٣ ربيع الآخر عام ١٤٠٦هـ كنت في مدينة (ويلت دزني) بفلوريدا، وشاهدت احتفالات القوم بذكرى ميلاد السيد المسيح عليه السلام؛ فتذكرتُ، والذكرى تثير الذكرى؛ ما نوه به السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير في كتابه «الروضة الندية»، وأورده من قصة ميلاد البتول السيدة «فاطمة الزهراء» رضي الله عنها؛ واكتسحتني موجة شعرية فنظمت في تلك العشية وضحاها مسرحية «مولد البتول»، وقد رأيت - رغم أنها عمل مستقل - أن أضُمَّها إلى المجلد الثالث من «ديوان الشامي».

وختامًا.. ها أنا أقدم سجلّ حياتي مُنعمًا في «ديوان الشامي» ولو كان ذلك الصديق الكريم الذي كان ألطف وأعنف، وأصدق وأرأف خصومي السياسيين؛ والذي قال لي - باسمًا - وأنا أهدي إليه ديواني «النفس الأول» قبل أربعين عامًا: متى ستلفظ «النفس الأخير»؟!.. لو كان لا يزال يتنسم أنفاس الحياة الدنيا لأهديته إليه مُتمثلًا بقولي يومئذ:

هو دمعِي؛ وليتَنِي	في جفوني حبسُهُ
وابتسامِي؛ وليتَنِي	في فؤادي دفنُهُ
لو تبَيَّنَت منتهى	مهيعي ما مشيتُهُ!

الأخمين محمد الشامي

جدة: ٥/٢٥ / ١٤١١هـ

١٢/١١/١٩٩٠م

مُقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الْأُولَى

بقلم: قاسم بن علي الوزير

هل انتهى زمن الشعر فلا مكان له بعد.. لا أذن تسمع، ولا عين تقرأ، ولا وجدان ينتشي ويطرب؟

منذ فترة غير قصيرة والناعون لا يكفون عن نعي هذا الفن الجميل، والنادبون يندبون الأيام الزاهية.. تلك الأيام المغسولة الحواشي بأشعته التي منحت الحياة عذوبتها وأناقتها.. ولونها الأليم منه والبهيج.

وكل ما جدّ جديد.. مما يكتشفه الإنسان أو يخترعه، دقّ المشائمون الناقوس، وأذنبوا في الناس أن الشعر قد مات! وحلّت محله أداة جديدة.. هي هذا الجديد المكتشف، أو المخترع أيّا كان!

قالوا ذلك مع اختراع الراديو، وصاحوا به مع اختراع السينما، ثم رفعوا عقيرتهم حين قفّى على أثرهما التليفزيون.. ثم الفيديو.. وسوف يردّدون ذلك مع كل جديد؛ معلّلين ذلك كل مرة بأن هذه الأداة الجديدة ستشبع الحواس جميعها؛ بالصوت المتأنق، والصورة المرئية، واللحن المسموع، والإخراج البديع.. فهل يتسع الوقت بعد ذلك لمتعة القراءة المتأنية المتذوّقة للشعر.. هذا المخلوق اللطيف.. الرقيق.. الجميل البالغ الأناقة البالغ التعقيد أيضاً.. هذه الصورة السانحة بظلالها أكثر من ذاتها، والنغمة المعزوفة بأوتار الوجدان الأعماق للإنسان وليس بالإيقاع الخارجي للّلحن؟

لقد أغنى ما يرى وما يُسمع وما يُقدّم عن ذلك الجهد في «تفهّم» المعنى القصيّ للقصيدة، واقتناص اللحمة الشاردة للصورة، واستماع اللحن بالوجدان؛ ليتناغم إيقاعه مع إيقاع النفس ذاتها؛ فيتولّد ذلك النمط الفريد من «الموسيقى» الخاصة: موسيقى المعنى المضمّر للكلمات، وموسيقى التقاء الكلمات نفسها في بناء هندسي

يصدر عنه إيقاعه الخاص الملازم لذلك المعنى.. مضافاً إلى ذلك كله الإحساس الخاص للقارئ أو السامع الذي تتجاوب في جنبات نفسه تلك الموسيقى التي هي السمّة الأساسية للشعر من حيث هو.. ولا وجود لشعر بدونه..

يا لها من عملية معقدة يمرُّ بها الشاعر وقارئه معاً.. وإذن: أفلا يكون الإنتاج الفنيّ المتمثل في «فيلم» يتضمّن ما شئت من «صورة» و«موسيقى مسموعة»: ثم ما شئت من معنى يجسّده حدث تدركه العينُ الشاخضة دون عناء – هو «البديل» الأيسر، في عالم يتجه إلى التبسيط، والتناول الواقعي العملي لشؤون الحياة وفنونها؟!

نعم! ذلك كان – في الحقيقة – تحدياً.. ولكنه لم يكن بديلاً!!! فمع ذلك! مع ذلك كله.. ظلّ الشعر في مكانه العالي يربّط بندائوته جفاف الزمن الكالح وينير بأشعته ظلام هذه الأيام المتعاقبة كليا إليها. سوداء مظلمة. ويمنح الركب السائر حذاء؛ في أداء لم يغن عنه شيء ولا أبدله بديل!

ثم جاءت الكشوف العلمية المذهلة: طار الإنسان في الجو، واخترق أجواز الفضاء.. نزل في القمر، وأرسل آلاته إلى الكواكب النائية ليستنبى أمورها. ويستخرج خبيئتها، ويجعل منها «حقلاً» لدراساته و«مجالاً» لتأملاته.. لقد تفتّحت أمامه الآفاق، فهو كل يوم منها في جديد يبهر الفكر والبصر، ويملأ الروح والنفس.

وهتف المتشائمون: ماذا بقي للخيال إذن؟

أو يستطيع العاشق الوهّان – مثلاً – أن يسير حالمًا سارحًا تحت ضوء القمر الساجي في ليلة هادئة لا يبدد أحلامه، إن هذا السّيمير الموغل في القدم ليس إلّا كتلاً من الصخور الميتة الخامدة التي لا تصلح للمسامرة ولا تنبض فيها حياة؟

وحقاً.. لقد أصبح العلم – أو على الأصح كشوفاته – ضرباً من الخيال البديع، وأصبح عمل العالم لا يقلّ متعة عن عمل الفنان سواء بسواء، وأصبحت الأرقام الرياضية الجامدة تنبض بالحياة والجمال، بما تتبرّج عنه من بدائع السماوات والأرض، وتتكشّف به من عجائب الكون والنفس.. وبما يتصاعد من أعماق ذلك كله من تسبيح خاشع باسم الخلاق العظيم!

وعلى هذا فإن العلم – في هذه الحدود – قد أصبح مددًا للشاعر، و«رفدًا»

للشعر لا تحدياً له، ولا بديلاً عنه، وحينما اقترب العلم من الحقائق الكبرى خرب ساجداً لله، من بعد أن كان أداة للإنكار، ووسيلة إلى الجحود، وفي هذه اللحظة التي اقترب فيها العلم من الإيمان نتيجة لتقدمه المستمر.. اكتسى تلك «الشفافية» المبهمة التي هي إحدى الخصائص الأساسية للشعر، وهكذا أصبح العلم رفيقاً للشعر ومدداً له ومسرّحاً رحيباً لأفاهه وتصوراتهِ!

ثم قالوا: تعقدت الحياة كثيراً، وتعددت مسؤولياتها تبعاً لذلك، وتضافرت عواملها المستجدة المختلفة على استهلاك قوى الإنسان ووقته، فليس له من الوقت ما يصرفه على عمل معقد كالشعر مهما كان جميلاً أو عظيماً؛ وإذا هو وجد الوقت، فلن يجد الجهد الذي استهلكته شؤون أخرى فرضتها دواعي الحياة؛ وإذا هو وجد الجهد والوقت معاً.. فلن يجد المستمع أو القارئ الذي لا يجد هو نفسه أيضاً، لا الوقت ولا الجهد، والذي يشبع أشواقه - فيما فضل له من وقت وجهد - بما هو متاح من وسائل المتعة المختزلة في «الحن»، أو «فيلم» أو ضرب من ضروب هذه «التخليط» التي تزدهم بها الحياة من حوله.. ويُعدّ بعضها - افتئاتاً - من الفنون الجميلة!

هذا صحيح..

ولكن.. أصحيح - كذلك - أن الإنسان نفسه قد تغيّرت عناصر إنسانيته؟ أتبدّل خفقان قلبه فلا تتردّد في جنباته خفقة حب؟ أفقد بصره فلم يعد يتصّباه الجمال في أيّ مجلى من مجاله؛ في الطبيعة والناس؟ أشغلت «معدته» عن عواطفه، وغرائزه الدنيا عن أشواقه العليا، وعن أفكاره؟ أفتح عقله المغاليق المغلقة من أسرار الطبيعة والكون؟ فلم يعد أمامه لغز يثير خياله، ويحرك كوامنه؟ أحلّ مشكلة الموت والحياة؛ فلم يعد يقف أمامهما حائراً تتوزّع مشاعر الحيرة واليأس والأمل والإحباط؟ هل فقد الإنسان قيمة الخلود.. أي فقد «قيمة» الإنسان فيه؟

لا.. أيها الناس؛ لشدّ ما نظلم الإنسان حين نجرّده من قيمه وأفكاره وعناصره الإنسانية، ولا نبقي فيه أومنه، إلّا مكوّناته العضوية - البيولوجية، كأَيّ مخلوق من المخلوقات التي تدبّ على الأرض على اثنتين أو على أربع!..

إن الإنسان سيظل مبهوراً أمام بدائع السماوات والأرض، وأمام بدائع الإنسان نفسه، ولن تزيده الكشوف العلمية إلّا انبهاراً رشيداً، ولن يزيده الانبهار الرشيد هذا

إلا شعورًا بضعفه وعظمته معًا، وبعجزه وقدرته في آن! . وسيظل يقف أمام الموت والحياة عاجزًا أن يفقه كنههما يطمح في الخلود ولا يقدر عليه؛ فيسمو ويهبط، وسيستمر يحب ويكره، وسيظل مشدود البصر والبصيرة، بمجالي الجمال فيما حوله، وفيمن حوله، وسيظل يطمح في العدل، ويكدح ضد الظلم، ويكره البشاعة في عمل أو منظر أو خلق، وسيظل مشتاقًا على نحو موصول إلى ما هو أجمل، وأكثر كمالًا، وإلى ما هو أكمل، وأكثر جمالًا، وإلى ما هو عدل وحق وخير. وسيظل - بعد كل حساب - يكدح إلى ربّه كدحًا . . حتى يلاقيه؛ فيوفيه حسابه. ويردّ على أسئلته الشجيرة جميعًا . .

وما دام الأمر كذلك؛ فسيظل للشعر مكانه الثابت من عطاء الإنسان وفي وجوده ذاته، لأنه واحدة من الوسائل التي يحقق بها ذلك الوجود، ويعمّقه ويكشفه؛ فنحن لا نخشى على الشعر - في الحقيقة - وإنما نخشى على الإنسان، وحين يُصاب الشعر بأزمة: فلأن الإنسان يكون قد مُني بها قبل ذلك؛ فهي أزمة الإنسان أولاً . .

إن الإنسان بالشعر، وبغيره من الفنون الجميلة، إنما يعيد طرح نفسه على الواقع . . كما سبق أن طرح الواقع عليه نفسه، فهو لا يريد أن ينسحق تحت وطأته، ولا أن يفقد ذاته فيه، ولهذا فإن الشاعر أو الفنان . . إنما يطرح نفسه - أي عالمه الداخلي - على الواقع . . أي على العالم الخارجي . . وذلك عن طريق إعادة طرح هذا الواقع ذاته، بالعمل الفني من وجهة نظره هو؛ من خلال تلقيه له، ورؤيته الخاصة إليه، وتعامله معه . . و . . بوسائله؛ وهو بذلك - يعيد صياغة العالم الخارجي على نحو يلائم طبيعته، ويناسب أشواقه في رؤيته ذلك الواقع كما يراه، أو يريده، أو يحلم به . . إنه «ردّ» على المرفوض، أو «تمثّل» للمقبول، أو «تشكيل» للمنشود من الواقع . . وبهذا يكون الشعر أو الفن خلقًا من الخلق - وهذا هو الخلق الفني بذاته.

وإذا كان المعول - عمومًا - أداة في يد الإنسان لإشباع حاجات الجسد - البيولوجية - فإن الإزميل في يد النحات، أو الريشة في يد الرسّام، أو الكلمة على لسان الشاعر، إنما هي أدوات لإشباع أدوات الروح: وكما أن الإنسان لا «يعيش» بدون الحدّ الأدنى من إشباع حاجات جسده المادية؛ فإنه كذلك لا يحقق إنسانيته وسعادته؛ أي لا «يحيا» بدون إشباع أشواق روحه . . وقديمًا قال السيد المسيح عليه السلام: «ليس بالخبز وحده . . يحيا الإنسان»!

وإذا كان الرسّام يرسم بالألوان؛ فيكشف عن الكامن في الظاهر، والنّحات يخرج - بالإزميل - غير المرئي إلى المرئي المحسوس.. وإذا كان الموسيقي يكتّف - بالنغمة - ما لا يُسمع عادة؛ فيبصر الإنسان بسمعه ما لا يبصره بعينه، فإنّ الشاعر هو ذلك الفنّان الذي يرسم، ولكن بالكلمات.. وينحت ولكن بالمعنى.. ويغني ولكن بالإيقاع الخاص على بناء تلك الكلمات بناءً موسيقيًا متناسبًا مع الإيقاع الباطني الخفي للمعنى.. المشخص للصورة، الساري كالروح لذلك البناء.

ومن عجب.. أن ليس إلّا الشعر وحده بين تلك الفنون جميعًا هو الذي يجمع خصائصها مجتمعة حيث قد يُغني عن أيّ منها، ولا يغني أيّ منها عنه أبدًا.. لهذا كان الشاعر هو الفنّان الأكبر..

وليس الشعر أخيرًا - إلّا التحدّي الإنساني للبعد الزّماني - إذا صح التعبير - فإنّ الإنسان يتطلّع إلى الخلود وهو يعلم أنه لا يقدر عليه في هذه الحياة.. من هنا فإنه بالشعر يريد أن يمتد في الزمان امتدادًا يهبه بعض طمأنينة الخلود!..

وعلى هذا فإنّ زمن الشعر لم ينته، وما هو بمنته إلّا بنهاية الزمن نفسه لأن الشعر - كما رأينا - حاجة من حاجات الإنسان الروحية غير المحدودة.. كما أن «الغذاء» حاجة من حاجات جسده المحدودة.. وكما أن الإنسان يشغل بجسمه حيزه في المكان، فإنه بروحه فقط يشغل مكانه في الزمان.. وحين يغادر الإنسان «مكانه بالمولت»، فإنه يبقى بآثاره في الزمن.. وبأعماله في الخلود، أو في الأبد..

ومع ذلك فإنّ الشعر في أزمة.. ومصدر هذه الأزمة أمران:

● أولهما: آتٍ من طبيعة الحضارة الغربية الباسطة ظلالها على الأرض، وطبيعة علاقاتنا بها.. فأما طبيعة هذه الحضارة فهي التي قادتها إلى أزمة شاملة نجمت عن ذلك التناقض المروّع بين التقدّم الرائع للعلم، والتراجع المخزي للضمير.. أي انهيار الأساس الأخلاقي على نحو مطرد تزداد به الأزمة تفاقمًا.. يتجلّى في هذا الفراغ الروحي المهلك الذي تتخط فيه مجتمعات هذه الحضارة: بما تعلّق بها من أخلاق وآداب وفنون وفلسفة.

وأما طبيعة العلاقة بها: فإن الاستعمار - كما هو معروف - كان هو أسلوب هذه

الحضارة للاتصال بالعالم الواقع خارج نطاقها، وقد تولّد من جرّاء ذلك شعور بالتفوق العرقي وليس الحضاري فحسب لدى المستعمر. . وشعور بالنقص والتبعية لدى المستعمر. . ونتج عن هذا أن اعتبرت مجتمعات هذه الحضارة (أوروبا وأمريكا) نفسها «مركز الكون» فما هو صالح بالنسبة لها فهو الصالح للعالم، وما هو غير صالح في نظرها فهو كذلك للعالم أيضاً. . ومن ثم أخذت تصدر لهذا العالم الكثير من أزماتها وقيمها الأدبية والاجتماعية. . مع منتجاتها، دون أن «تصدر» شيئاً من علمها ونظامها الدقيق. . ! أي تصدر فقط إفلاسها! .

ولأن المغلوب - كما يقرّر ابن خلدون - مقلّد للغالب عادة، فقد تقبّل المغلوبون كل ذلك، وأضحوا يعيشون أزمات الحضارة دون أن ينعموا بمقدماتها أو أسبابها. . حتى لقد رأينا على أرصفة شوارعنا من يتباهى بتقليد «الهيبيز» (HIPPIES) و«البيتلز» (BETLES) دون وعي بأسباب هذه الظواهر الاجتماعية والنفسية في المجتمع الغربي الناجمة عن حالة الإشباع الحسي والمادي المفرط بحثاً عن إشباع روحي مفقود. . ومطلوب. . حتى بالهوس والتشرّد، والتبطل، والعودة إلى حياة البدائية الأولى.

إن مجتمعاتنا لم تصل بعد إلى الحد الأدنى من الاكتفاء المادي، فضلاً عن التشبّع، فلا مسوغ لشيء من ذلك. . إلّا أن يكون التقليد الأعمى، مضافاً إليه الجهل الذي يدفع بصاحبه إلى تقليد «الظواهر» مع انقطاع الصلات بالأسباب والمقدمات، وتلك هي آية «القابلية للاستعمار» على كل حال.

وإن الأمر لكذلك بالنسبة للأدب والشعر، فإن أزمة الحضارة الشاملة قد مسّت الشعر كما مسّت غيره من الفنون الجميلة. . فحسب الذين لهم صلة من الصلات المباشرة بهذه الناحية الأدبية «ظواهر» تلك الأزمة أشكالاً وقيماً جديدة للأدب أو الشعر فقلّدوها. . دون مراعاة لأسبابها في مواطنها باعتبارها ظواهر أزمة شاملة، لا سبيل إلى الخروج منها، ولا دليل على الجودة الموهومة فوقع الخلط، وكانوا بذلك كهؤلاء الذين قلّدوا جماعات «البيتلز» و«الهيبيز»، دون سبب مقبول، ولكن على صعيد آخر، يكشف عن وحدة العلة في طبيعة العلاقة القائمة على «التقليد» لا على «التمييز».

ثم جاء الذين يقلّدون هؤلاء المقلّدين أنفسهم ممن لا يجيدون لغة من لغات

هذه الحضارة، ولا يعقدون مع آدابها صلة مباشرة.. فكان ذلك ضغناً على إبالة، أضافت إلى عقابيل التقليد السيئ جرائر الجهل الضار، فكانت هذه الأزمة التي يتخبط في أحاييلها الشعر من الركافة، والخروج على قواعد اللغة والهروب إلى اللامفهوم حذراً من الانكشاف.

● ثانيهما: آت من سوء المناهج التربوية والتعليمية في مجتمعاتنا وغياب المؤسسات الثقافية، التي أخرجت جيلاً لا يفقه لغته كما يجب، وليس متصلاً بترائه كما ينبغي، ولا متصلاً - كذلك - بعصره على النحو المنشود حتى «يجدد» وهو مستكمل أدوات التجديد، منطلقاً من أرض ثابتة، لا هارباً إلى تجديد مقطوع الصلة بمقومات التجديد الحق.

فالأزمة في وجهها هذا هي أزمة نقص، وليست أزمة ضلال، كما هي في وجهها السابق؛ فما يزال للشعر مكانه المرغوب، وجمهوره المتحمس، وأنت لن تشكو من قلة المحصول حين تطالع المنشور في مجلاتنا ودورياتنا الأدبية.. فما يزال الشعر هو الغالب عليها، أو هو يكاد يكون. ولكنك - على التأكيد - ستشكو من ندرة الجودة.. وضعف الوسائل، واستعجال المواهب على العطاء دون مران كاف دؤوب، لا بد منه لكل ذي موهبة، ولا استكمال للأدوات الفنية اللازمة للعمل الفني الجيد، وبخاصة في مجال «القصيدة الجديدة» حيث لحقها من جرّاء ذلك أفدح الأضرار.

نعم! مصدران لأزمة واحدة يعاني منها الشعر، ولكنها - كما رأينا - أزمة مفروضة عليه من غير بواعثه أو مصادره، وإنما هي جناية التقليد من ناحية، وجريرة التقصير من ناحية أخرى.

أقول هذا وأنا أقدم لمجموعة كاملة تزيد على ستة عشر ألف بيت من الشعر^(١) - حسب إحصاء الشاعر - فإذا أخذنا ذلك من حيث الكم فإنه سيشكك في وجود أزمة، بيد أننا إذا نظرنا إليه من حيث النوع أو الكيف، فإنه يصبح تحدياً قوياً للأزمة.. ذلك لأنه نوع من الشعر الرفيع الذي يتطلب وجوده وجود شاعر يجيد القول، وقارئ يجيد تذوقه، أو منصت يجيد الاستماع إليه.

(١) لم يدخل في الإحصاء ما ضاع، ولا بقية «الموءودات» ولا مسرحية «ثورة الدستور في اليمن» وكل ذلك يكون بضعة آلاف بيت.

أما هذا الشعر فهو هذا الديوان .. الآثار الكاملة للشاعر الشهير. أحمد محمد الشامي .

والشامي شاعر كبير لا يحتاج إلى من يقدمه، معروف لا يحتاج إلى تعريف، غزير الإنتاج متعدد نواحيه، قد شغل الناس شاعراً، وباحثاً، ومجاهداً وثورياً، ومحافظاً ورجعياً، وعالمًا وسياسيًا، وسجيناً وسفيراً، ووزيراً .. وعضواً في المجلس الجمهوري .. وما يزال يشغلهم، وسيظل - فيما أحسب - يشغلهم إلى أمد طويل .

الشامي متعدد الجوانب الشخصية .. وهذا أمر يجعل الحديث عنه صعباً؛ لقد عاش حياة حافلة، مليئة بالأحداث، ذات خطوط متداخلة، ومتناقضة، حتى لشعر أنك أمام أكثر من شخص واحد .. بل أمام عدد من الأشخاص حين تتابع حياته العملية ذات التعاريج الكثرة، والدوي المنداح .

بيد أنه من الحق أن خيطاً دقيقاً واضحاً يربط حياته كلها برباط يجعل منها «وحدة» متعددة الجوانب، لشخصية مثيرة: لا أشخاصاً متنافرين: وذلك هو «الشعر» الذي يتألق به جانب الشاعر منه بين جوانبه جميعاً .. ذلك الجانب الذي يقلّ عنده الخلاف، ويسهل عليه الاتفاق بين مريديه وخصومه على السواء .

ترجع معرفتي بالشاعر إلى تلك الأيام النائية القصية، المواظبة بذكرياتها على الحضور الدائم حين هبطنا معتقل القاهرة «حجة» عام ١٣٦٩ هـ الموافق عام ١٩٥٠ م ..

كان «الشامي» هناك لا تتخطى العين مكانته المرموقة بين تلك الصفوة من العلماء والأدباء والسياسيين المناضلين جميعهم؛ وكانت زعامة الأدب والفكر قد انتهت إليه بينهم دون نزاع؛ فإذا صدرت مجلة أدبية (وقد صدرت مجلتان خطيتان هما السلوة، والندوة) أحمد الشامي هو كاتبها الأول، ورئيس تحريرها، وإذا احتدمت معركة فكرية كمعركتي الخير والشر، والقديم والجديد، اللتين انشغل بهما المعتقلون فترة طويلة: فهو نفسه فارسها السباق الذي لا يشق له غبار: وإذا أغطشت سماء الشعر وتنزلت ملائكته (إذ لم يكن ثمة مكان للشياطين في تلك القمة العالية العامرة بالصلاة والفكر والجهاد) فإن أحمد الشامي هو الذي كان بيننا جميعاً يخطف البصر

ويستأثر بالأسماع. وهو قبل ذلك، مع زميله الشاعر إبراهيم الحضرائي قد رأسا تحرير مجلة «البريد الأدبي» لفترة عامين قبل انفجار ثورة الدستور سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

نعم: كان شاعرنا قد بدأ حياته الأدبية قبل ذلك، واقتربت بحياته السياسية والوطنية بفضل الرفقة المباركة التي ربما كان أسطع نجومها عنده، وأكثرها تأثيراً عليه الشاعر الشهيد زيد بن علي الموشكي بدايةً. ثم المجاهد الجزائري العظيم الفضيل الورتلاني من بعد..

فلم يدخل «الشامي» السجن إلا بعد أن كان قد أصبح مشهوراً بين الشعراء المعدودين ومشهوراً كذلك بين المناضلين البارزين: حتى لقد اقترب من قمم الكبار من زعماء الأمة، وقادة جهادها، وهو بعد في شرح الشباب، وحسبك أن تعرف أنه هو الذي أوتمن على نسخ «الميثاق المقدس» لثورة سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م الخالدة ثم اختير «سكرتيراً» عاماً لمجلس وزرائها القصير العمر، وهو بعد في الثالثة والعشرين من عمره المديد بإذن الله.

وهكذا كانت شهرته – حين طوته ظلمات السجن – قد صورته لنا شيخاً كبيراً، لا فتى في مستقبل العمر؛ فأولى مفاجأتنا به – تلك المفاجآت التي لن تنقطع مع الأيام – إنما كانت اكتشافنا له فتى غض الإهاب، في مستقبل العمر، يقتعد مكاناً بارزاً بين كبار المواقع الجهادية، وكبار الأعمار.

وأتاح لنا السجن أن نتلمذ على أيدي الذين سبقونا بالجهاد، والعلم والسجن، وكانت «قاهرة حجة» – قد تحولت بفضل أولئك المجاهدين إلى معقل من معاقل العلم، ومصدر من مصادر الإشعاع العلمي والفكري والأدبي، دفع «الإمام أحمد» إلى إرسال برقيته الشهيرة إلى نائبه:

«ولقد اخترنا «القاهرة» داراً للتأديب^(١) لا كلية للآداب!!»

وآثرنا «الشامي» في هذا السجن بجهده ووقته، ومنحنا من علمه وأدبه الكثير الكثير. . ومنذ ذلك الحين وأنا أشعر بالامتنان والعرفان للذين يشعر بهما تلميذ قدّر له أن يشق طريقه نحو أستاذ أضاء له بعلمه ذلك الطريق الطويل، طريق المعرفة.

(١) يقصد العقاب حملاً على «التأديب» والاستقامة كما يراها أي للسجن.

إنها ذات المشاعر التي تملأ النفس نحو كل أولئك الذين علّمونا في معقل المجاهدين، وبدّدوا ظلمات السجن بأنوار العلم والمعرفة.. حتى أولئك الذين التوت بهم الطرق فيما بعد، وانحرفوا عما علّموا وعلموا، ورجعوا عن مواقعهم المتقدّمة إلى مواقع الذين ظلّموا أنفسهم فإننا لم نستطع - بفضل تلك المشاعر - إلا أن ندين منهم الانحراف اللاحق محتفظين في ذات الوقت بالولاء الحميم، والذكر الجميل لذلك الموقف السابق؛ فما كان لمن أضاعت عقولهم المعرفة الحقّة، وعمر قلوبهم الإيمان الصادق، أن يدفعهم الحق على الخطأ إلى العقوق، أو يحملهم الغضب على الانحراف إلى مجانبة الإنصاف.

على أن «الشامي» كان - إذ ذاك - أكثر الأساتذة احتفاء بتلامذته. وأكثرهم نفعا لهم، وبذلاً من علمه وجهده، ومن أكثرهم حرصاً على إبقاء جذوة النضال حيّة مشتعلة في أعماق تلامذته، وتوجيه المعرفة هذه الوجهة.

وضرب الزمن بيننا بعد ذلك، وخرج أستاذنا «الشامي» من السجن وبقينا، وتبعه «الأساتذة» والزملاء، ونحن نودّعهم واحداً بعد واحد، أو نفرّاً بعد نفر، والقلوب يومئذ عامرة بالثقة مفعمة بالحب، مستيقنة بالفرج القريب لا ريب فيه، على يد هؤلاء الخارجين من السجون يحملون رسالة الشهداء إلى أمة تنظر إليهم في إكبار نظرة اليقين بأنهم سيستأنفون نضالهم الدائب حتى ينصرهم الله.

ولكن.. عندما خرجتُ من السجن كان أولئك نفر أنفسهم قد تفرّقوا شيعاً، واختلفوا مذاهب، وقنع من قنع منهم بفتات الباطل، مؤثراً السلامة والعافية، وغرق من غرق في حمأة الفرقة: عنصرية وطائفية. وبقي قليل: ينظرون بأسى شديد، ويواصلون السير على الطريق..

وفي الحق أن هذه الفاجعة كانت قد بلغت ذروتها عام: ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م عندما تناهى إلى أسمعنا في ظلمات السجن أن ساحات الإعدام قد شهدت أفجع ما في المأساة حين كان بعض أولئك نفر تُضرب أعناقهم في الساحات العامة، والبعض الآخر يأخذون مقاعدهم على المنصة يشاهدون ضرب الأعناق! و«الأستاذ» الخطيب المفوه - إياه - يزاول مهمته المتقنة منذ انخرط في صفوف المناضلين الأحرار، محرّضاً للطغيان ومندداً بالمؤمنين، في استدلال مقلوب بالآية الكريمة: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ

المنافقون والذين في قلوبهم مرض، والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً، ملعونين أينما نفقوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً، سنة الله في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً» [سورة الأحزاب: الآيات ٦٠، ٦١، ٦٢].

ولقد كان شاعرنا «الشامي» في قلب الدوامة! ومهما يكن من أمر فقد استطاع أن يحتفظ بينهم بتوازنه إلى حد لم يتجاوز به حدود التأيد الذي كان قد اتخذ للأسف الشديد الكثير من الأحرار في الداخل والخارج، فهو لم يحرّض على أحد، بل جهد لينقذ من يستطيع إنقاذه؛ في حين اندفع سواه - وصولاً إلى مصالح ذاتية ظنوها - يحرّضون ويهيجون شهية الإمام المفتوحة إلى المزيد من الدم. دون اعتبار لقضية، أو وفاء لزميل، ولم يكتفوا بالتأييد وحده - على فداحته - كما اكتفى شاعرنا^(١).

وأنا - في هذه السطور - لا أبرّر موقف الشامي، ولا أدين غيره فذلك من مهمة «المؤرخ» وعمل «التاريخ». ولسنا نهدف إلى ذلك وإنما هو استعراض لوقائع معروفة للجميع اقتضاها سياق الحديث لما له من علاقة بصاحب هذه المجموعة الشعرية التي لا يمكن التعرض لها دون التعرض لصاحبها، وفي حدود الإيضاح لمواقفه التي تأثر بها وأثر، ونجد أصداءها في هذا الديوان، وليس بغرض التاريخ الذي سيتقصى الدوافع وراء الوقائع، ويتولى من ثم التبرير أو التجريم؛ قبل يوم الحساب الذي سيفصل في ذلك كله على نحو قاطع بين يدي الخلاق، على مرأى ومسمع من الخلق أجمعين. «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً»!..

(١) بل إن الشامي وقف في اليوم التالي يحرّض الإمام أحمد على الصفح والعفو ويقول في قصيدته:
 وكم أحاطت بمغرور جرائره فبات في لهوات اليأس محتاراً
 وذاب كل رجاء في خواطره وشاهد الموت ألواناً وأطواراً
 وكاد يلقي بقايا روحه مزقاً يستفها الليل أحزاناً وأكداراً!..
 كشفت عنه ظلام اليأس فانبثقت من حوله الأرض آمالاً وأنواراً
 وراح يقطف حتى من مصائبه وذكريات أساهها الزهر والغاراً
 تعفو وتصفح لا عجزاً ولا حمقاً لكن حناناً وإكراماً وإعذاراً
 كما هو مذكور في ديوان الشاعر.

وهكذا كانت الحياة قد أخذت الأستاذ والزميل بعيداً عنا، وأخذتنا بعيداً عنه :
وما زالت المسافة - بحكم الظروف، واختلاف وجهات النظر - تتسع حتى وجدنا
أنفسنا في اتجاهين مختلفين، ثم في معسكرين متقابلين قد احتكما إلى منطق الحرب
يفصل بينهما! .

ومع ذلك فقد ظلت العلاقة الحميمة السابقة تتمرد على معطيات المواقف
المستجدة، إزاء شخصه لا موقفه أو نهجه : فكأنما كانت تجسد - واقعاً - بيتين
لإسماعيل صبري كان قد لقننا إياهما في الأيام السالفة :

إذا خانني خلّ قديم وعقني وفوت يوماً في مقاتله سهمي
تعرض طيف الودّ بيني وبينه فكسرت سهمي واثنيت ولم أرم

فلما التقينا . . تبين لنا أن شاعرنا الكبير . . لم يكن في ذلك المعسكر يطالب
بعرش، وإنما هو الغضب والرفض للأخطاء في المعسكر الآخر - معسكره المفترض -
فكان ردّ الفعل من جنس الفعل نفسه - حسب تعبيره، وتقبلّ بصدر رحب نقاشنا له
بأن الخطأ لا يعالج بخطأ مماثل، وإنما يواجه بالتصحيح؛ وحركة التاريخ لا تصحّح
أخطاؤها أو انحرافاتنا بالرجوع إلى الخلف وإنما بالتقدم إلى الأمام ! ومن أجل ذلك
كلّه كان هو الذي قاد - داخل معسكره - عملية التقارب المستمرة ابتداءً «بمؤتمر
أركويت» ثم اللقاء الكبير في مؤتمر «الطائف» . . فمؤتمر «حرض» ثم المصالحة الوطنية
عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م التي أنهت الحرب حيث أصبح عضواً في المجلس الجمهوري
إلى جانب رفيقه القديم الرئيس عبد الرحمن الإرياني رئيس المجلس آنذاك .

والحق أن الشهيد «الزبيري» رحمه الله - كان أوّل من عرف من زميله «الشامي»
ذلك؛ فقد ظل يردد عقب عودته من «أركويت» أن «الشامي» لا يختلف عنا . . إنه
معنا . . وهو فقط ضد الأخطاء التي نحن ضدها ونحاربها .

على كل حال؛ لقد كان «الشامي» دائماً رجل المواقف والمفاجآت . . وعنده دائماً
تفسيره الخاص لذلك : تقتنع به أو ترفضه . . فإنه يملكه لنفسه . ويصر على طرحه
مقتنعاً به . ومحاولاً الإقناع! «ما علينا» ! .

وإنما يعيننا الآن جانب الشاعر من الشامي، وليس أيّ جانب آخر من جوانبه

المتعددة: وهو الجانب الذي ينعدم فيه الخلاف ويسهل عليه الاتفاق - كما قلنا آنفاً .

والشامي الشاعر يتسّم مكانةً عاليةً بين الصفوة من شعراء العربية في هذا الزمان: وقوام كل شاعر إنما هو موهبة، يصفقها مران، ترفدها ثقافة تمنح صاحبها القدرة على التخاطب مع أسرار الحياة والنفس؛ تتوافر لها أدواتها الفنية للأداء الرفيع أو الإفصاح البليغ!

وليس من جدال في أن هذه «المكونات» جميعها موفورة لشاعرنا على أفضل ما تتوافر لشاعر من الشعراء؛ فنحن أمام شاعر اتخذ مكانه بجدارة، وأحرز شهرته عن استحقاق. . وسيبقى - على التأكيد - بين الشعراء المعدودين، لأنه الشاعر الذي كونه مقوماته الحقيقية، وليس بالشاعر الذي خلقت طبول الأهواء ومزاميرها. وما أكثرهم في هذا الزمان.

والشعر الذي بين أيدينا شعر كثير لا سبيل إلى دراسته تفصيلاً وإنما تقنع عجالة كهذه بالإشارة إلى خصائصه. . وملاحظه الرئيسية فحسب، وفي الحق أن تلك الخصائص إنما تتضح من خلال وضع هذا الشعر بمجموعه في مكانه من ديوان الشعر العربي المعاصر. .

وقد استهل الشعر العربي المعاصر يقظته قبل قرن من الزمان. بيد أن عودة الروح إليه قد جاءت على يد البارودي في مصر. . الذي لم يزد دوره على أن نفّض عن الشعر غبار القيود التي كبلتها به عصور الانحطاط، وأعاد له رونقه القديم، وبلاغته الزاهية، وكان هذا «القديم» هو «جديد» البارودي، غير أن الجديد الحقيقي إنما بدأ بعملية الإحياء هذه التي كان لسانها العضب الشاعر الفارس نفسه. أي محمود سامي البارودي.

وانتقل الشعر من الإحياء إلى الإبداع، ومن التقليد إلى الأصالة على أيدي شعراء عدّة. . هنا وهناك حتى بلغ ذروته على يد شاعر العربية الأول في هذا العصر: أحمد شوقي.

لقد شغل الشرق كله بشوقي، وتجاوبت أقطار العربية بقصائده الخالدات، ودار في فلكه شعراء عظام كحافظ في مصر، ومطران في الشام والزهراوي والرصافي في العراق، والزبيري - وإن تأخر زمنياً - في اليمن. .

كان شوقي ظاهرة أدبية كبرى، بلغ بالشعر العربي الذروة التي لا مطمح لشاعر فيما وراءها. . ولا قدرة له على ذلك، وكأنما هو بهذا قد حتم على اللاحقين من بعده أن ينهجوا طريقاً جديداً. .

ذلك كان العصر الذهبي للشعر العربي المعاصر حقاً! وقد خيم الصمت بعد شوقي ورفاقه، ثم ما لبث الوادي في مصر أن صحا على أهازيج علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، ومحمود إسماعيل وأضرابهم. وترنحت جنات الشام بالألحان العذاب لأبي ريشة، وبدوي الجبل، وبشارة الخوري وغيرهم^(١). . وارتفع صوت الشابي قوياً برماً من تونس، وتفتحت الأسماع المغلقة على قديمها في اليمن منكراً حيناً وطربة أحياناً، وهي تستمع إلى «الشامي» و«إبراهيم الحضرائي»، يعزفان على ذات الوتر «الرومانسي» الشجي. . وغير هؤلاء في الأقطار العربية كثير!

بين هؤلاء الشعراء إذن يأخذ الشامي مكانه، والخصائص العامة لشعره هي خصائص شعر هذه المرحلة على الإجمال، وهي خصائص وقفت لها دراسات عدّة، أعتقد أن من أهمها وأكثرها نفعاً ما كتب عنها الناقد الكبير محمد مندور في سلسلة محاضراته القيمة عن الشعر المصري بعد شوقي التي ألقاها على طلبة «معهد الدراسات العربية العليا» في القاهرة ثم - إذا لم تخني الذاكرة - صدر في جزءين بنفس العنوان.

لقد تأثر الشامي عموماً بشعراء مجلة «الرسالة» الذائعة الصيت البعيدة الأثر في حياة الأدب العربي والثقافة المعاصرة، وبشعر مجلة «أبللو» الذي استهلّت به «المرحلة الرومانسية» إشراقها. . ولكنه كان أكثر تأثراً بالشاعر المهندس علي محمود طه، والشاعر محمود حسن إسماعيل على وجه الخصوص. وانظر إذا شئت إلى قصائده الأولى: «النفس الأول» و«التقينا» و«بين الصخور» «تأثيراته» اللاحقات في جوانبها الوجدانية.

إن تأثيره لا يعني التقليد أبداً وإنما هو الاقتفاء في الطريقة نفسها: طريقة التناول للأشياء، والإحساس بها، وطريقة التركيب الفني للجملة الشعرية بأسلوب خاص به ومتميز. وهذا في الواقع هو الذي يعطي كل مدرسة طابعها الموحد، القائم على التنوع

(١) لا نعني بذلك الترتيب الزمني؛ فإن كثيرين من هؤلاء قد وجدوا أيام شوقي، ولكنهم لا ينتمون إلى مدرسته وإنما إلى المدرسة التي بعد شوقي وهذا هو المقصود هنا.

المتعدّد والتميز والخاص لكلّ شاعر من شعرائها ضمن إطار من الخصائص المشتركة يجعل منها «مدرسة» كما يُسميها النقاد المعاصرون، أو «طبقة» كما كان يسميها النقاد الأول الذين عرفوا تقسيم الشعر والشعراء وفق مقاييس فنية دقيقة تتناول المضمون والشكل معاً - إلى طبقات - أي إلى مدارس بالتعبير المحدث والتأثير بالتسمية والتقسيم الغربيين.

خصائص شعر الشامي تتجلّى - بوضوح - في شعره الذاتي. . ذلك الشعر الذي تسري فيه الروح «الرومانسية» الشجية. تشف عنها لغة شعرية مختارة بعناية، تمنح تلك الروح أو المعنى إيقاعه العذب والشجيّ!

ونحن نذهب بدون تردّد إلى القول بأنّ كل شعر لا ينطوي على قدر من «الرومانسية» أيّا كان انتساب هذا الشعر مضموناً وشكلاً، هو - على الأقل - شعر غير جيد، ونجد لنا في ذلك سنداً من المرحوم الدكتور محمد مندور الذي ذهب إلى مثل ذلك في بعض دراساته القيمة للشعر المعاصر.

وأنت واجد في شعر الشامي قدراً غير قليل من «الرومانسية» التي يخلّدها أحياناً وضوح شديد في الأداء، ولكنك تظل مأخوذاً بتلك الحيرة القلقة أمام المبهمة في كثير من قصائده ومقاطعته، وفي أشعاره الأولى على وجه الخصوص؛ إن الشعور بالضيق والانسحاق والحزن الشفاف الذي منح «الخياليين» (الرومانسيين) لذة الألم لتسري في كثير من شعره هذا. . اقرأ مثلاً:

وإذا ما رجعت يوماً، ولا عش	ك باق، ولا غديرك جاري
والغصون الجذباء تبكي بصمت	والهزارى هشيمة الأوكار
وبقلب محطّم، وبروح	مثقل بالأوجاع والأسرار
نحت تنعى أهلاً وجيران أهل	وتبكي داراً، وأصحاب دار

وقوله في قصيدة: «والتقينا»:

اشهدي يا نجوم كم بت في مح	راب حبّي أشكوليا لي الفراق
أقلق الليل بالأنين وأبكي	وأناجي أطياف عهد التلاقي
لا أبالي مرارة العيش في سجني	ولا بالقيود تهصر ساقبي

ونسينا ما كان في ساعة الوصل بل كأننا لم ننفصم عن عناق
والتقينا.. لكن.. وكفكفتُ دم عبي وخنقت الأهات في أعماقي
وغير ذلك كثير.

وللحب في هذا الشعر نصيب كبير!

ولن يفوت القارئ المتذوق أن يدرك بوضوح أن شعر الحب هذا ليس من قبيل
«الغزل» الذي تعود الشعراء التقليديون على أن «يزينوا» به أشعارهم؛ بل هو «نبض»
تجربة حقيقية، و«بوح» معاناة تمور بالأسى الشجي الذي يبلغ به الشعر «الرومانسي»
مداه.

ويبدو أن شاعرنا قد مرَّ بأزميتين عاطفيتين قاسيتين ألهمته كثيرًا من هذا
الشعر.. ولكنهما مختلفتان مذاقًا، ومختلفتان نتيجةً كذلك.

تجد عن التجربة الأولى قصائد ليس فيها غضب، وإنما فيها شجى وحب، فيها
ألم كثير وشوق أكثر، وفيها شعور بالحرمان، وتوق لافح إلى تخطيه، وفيها – رغم ذلك
كله – نوع من الرضا لأن الشاعر يعتقد أنه ليس بينه وبينها إلا «هي».

نجد ذلك في «والتقينا» و«تحت صورة» و«هجر ليلة» و«أين صنعاء». وتأتي
قافيته المتأخرة وكأنها سعيدة لهذه التجربة التي استمرت أربعين عامًا وفيها يقول:

لا تعذلي دمعك إن غار، أو شرقا	وبات يشكو إليك الحزن والأرقا
رفيقة العمر رفقا إن بكى.. فله	أشجان من فقد الأحباب والرفقا
وأنت وحدك من واسى شببيته	سيان في القيد، أو حرًا، ومنطلقا
تصغين إن قال تحنانًا: وإن شطحت	ظنونه ذدت عنه الخوف والقلقا
دهرًا يردد أشعارًا.. مكررة؛	لم تسامي منه تكررًا ولا نزقا
تهدهدين الأماني إن غفا؛ وإذا	صحا ابتسمت بلطف يرحم الحمقا

أما الأخرى: فتجربة متفجرة ليس فيها ذلك الحزن «المستطاب». وإنما الحب
اللافح، وليس فيها التوق إلى الخلاص من العذاب، وإنما الغضب الجامع، وإنما
تبدو «معركة حب لا قصة محب»، كما تبدو التجربة الأولى، ويبدو أن ذلك كان

لاقتحام السياسة ودوافعها ذلك المحراب، حيث نرى الشاعر موزع القلب بين الحب الذي يدنيه والغضب الذي يقصيه، فكأنما يشير إلى أنه قد كان دائماً بينه وبينها عارض من سياسة. ألقى ظلاله الكثيرة على هذه العاطفة فحوّنها إلى لهب يشتعل ويخمد.

وشعر هذه التجربة – يدور في فترة زمنية حسب التواريخ التي وضعها الشاعر لقصائده.. تبدأ سنة ١٩٦٣م وتنتهي سنة ١٩٧٣م وهو قد نظمها بين «الرياض» و«بيروت» و«باريس» و«لندن».

والذين يعرفون حياة الشاعر، يعرفون أن هذه مرحلة عاصفة من حياته تميزت منذ البداية باندفاعه في اتجاه لم يكن اتجاهه، واتخاذ موقفاً حسب نفسه مضطراً إليه. وفي خضم ذلك كان حبّ متفجر كهذه المرحلة كان صادقاً فيه ولا شك، ولكن عوامل هذه الفترة قد ألفت بكلّاتها عليه حتى تركته حطاماً أو كالحطام.

واقراً: «حب وسياسة» و«هروب الفارس» و«أذهبي» و«كيف أنساها؟» ولعل «نشيد الهارب» على نحو خاص هي أدل هذه القصائد على ما أشرنا إلى كونها من بدائع الشعر العاطفي حقاً:

انطلق.. انطلق على فرس اليأس إلى حيث لا يعيش غراماً
لا تدر سمعك الغبيّ إلى الخلف؛ فلا موعده، ولا أنعام
الهوى مات، والصبا قد تلاشى، والتعاليل.. كلها أوهام
انطلق.. واسحق التعاليل؛ فالحب قد احتاجه فباد.. الزؤام
إنه البغض.. إنه البغض، لا دمة رجوى تجدي؛ ولا أحلام
أجل «عزرائيل» قد أصدر «الأمر» و«أمضى»؛ وصدّق «الحكام»
فانطلق وانفت الغبار على الأوهام؛ وليأكل الضياء الظلام
فارس الحبّ قد فشلت، وقد عَقَّك فيه حصانه واللجام
فانطلق.. وابتعد.. وللحب في قلبك ما تستلذه الآلام
تنهش العمر كالذئاب؛ ليالي – عيشه تستجير – والأيام

* * *

ويشتغل الشعر السياسي والوطني حيزًا غير صغير من هذه المجموعة الكاملة . .
ولعلَّ أوَّل ذلك «رأيت» التي قالها الشاعر عندما «خرج» هو والشهيد الموشكي إلى
عدن عام ١٩٤٤م: ثم ما قاله في عدن، وبعد فشل الثورة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م في
المعتقل وهلمَّ جرًّا.

ولو ذهبنا نبحث عن «محور» يدور حوله هذا الشعر لوجدنا دون عناء أنه يدور
حول «قضايا» ثلاث:

«الحرية، والدستور، والمساواة»

وحيثما رميت البصر في ثنايا هذا الأفق من آفاق الشاعر فستطالعك هذه القضايا
على نحو يكاد يكون غالبًا على ما قاله من شعر في هذا الصدد . . وحتى عندما يسبق
به غضبه، أو يزَلُّ به قلمه إلى عنجهية المباهاة بالأنساب والأحساب في ردَّة فعل على
الإثارة العنصرية الجاهلية التي جعلته يلتقي أحيانًا مع مشيرها . . فإننا نجده - رغم
ذلك - يرجع إلى نفسه ويخرج بها من تلك الحمأة التي غرق فيها دعاة الإثارة
العنصرية على اختلافهم بمثل قوله في «دامغته»:

«حسين» ليس أفضل من «يزيد» إذا لم نعتبر خلقًا ودينًا
وقوله:

هي التقوى يعزُّ بها ذووها ويخسأ من يجانبها لعينا
ألا ينتسبُ عذا النَّفس إلى قوله القديم:

أيها الظالمون قد مات عهد الظلم فاستشرفوا نهارًا جديدًا
السلالات قد خوت بالمساواة، وأضحى الورى عليها شهودًا
إنها حكمة الشريعة تأبى أن ترى الناس سيِّدًا ومسودًا

مع اختلاف الزمان والمكان؛ فقد قال «دامغته» وهو وزير خارجية للملكيين
يدافع عن قضية كان هو - في الأساس - ضدها - في حين قال «داليت» تلك تحية للثورة
المصرية وهو يومئذٍ في معتقل حجة يبشر بفجر جديد للحرية، وهو من أشد المؤمنين
بمطلع فجرها . .

ونحن نشير إلى هذه المقارنة عن عمد، لأن اختلاف مكان الشاعر أو موقعه، مع اختلاف الزمن أيضًا - ومع ذلك التقاء المعنى متجاوزًا اختلاف الزمان والمكان - إنما هو الدليل على أن هذه القضايا هي «مضمون» شعره الأصيل في كل الأحوال بشكل لا يقبل الجدل من ذي إنصاف.

وتتكرر تلك «القضايا» في شعره كثيرًا وبخاصة في مراثيه للشهداء الذين سقطوا من أجلها. . في سبيل الله، ولرفاقه وزملائه الذين تحطفهم الموت من بعد. . وفي هذه المراثي لا نجد تلك «القضايا» فحسب. بل تكاد أن تسمع بكاءً شجيًا؛ كأنما يبكي به الشاعر نفسه مستبطنًا أو مستعجلًا - سيان - ساعة اللحاق. . ! وهذا هو الذي منح تلك المراثي عمقها الذي جعل زميله الحضرائي؛ يتوقف عندها في إعجاب.

وقد زادته الأيام تعلقًا بقضاياها هذه؛ فلا تكاد تخلو له قصيدة من قصائده الأخيرة - وبخاصة لزومياته - من إشارة إلى واحدة منها؛ كأنما يعتبرها «رسالته» التي استخلصها من حياته الهائجة المائجة، يؤديها إلى الأجيال حتى لا يقع واقع في عنف المراحل التي مرت بها الأمة وتقلب في عواصفها الشاعر نفسه.

وربما يحسن الوقوف قليلاً عند شعر المديح في هذه المجموعة: فالشاعر قد حرص - كما هو واضح - على الاحتفاظ بكل الذي قاله من هذا القبيل؛ على غير عادة الشعراء الذين حذفوا من منشور شعرهم المذائح التي كانوا قد قالوها. . !

أين وجه الصواب في ذلك؟

سؤال قد يجيب عليه البيت في شعر المديح نفسه. . فأولئك الذين يعتبرون هذا النوع من الشعر قد انقرض فيسقطونه، أو يحذفونه من أشعارهم. . قد يسوِّغ لهم اعتبارهم ذاك هذا الصنيع لاعتبارات فنية، أما أولئك الذين يحذفونه ليحذفوا مرحلة من تاريخهم؛ فلا مسوِّغ - فيما أظن - لمثل ذلك؛ فإن هذا الحذف اعتداء على واقع بتعلق بالتاريخ ولا يتعلق بالاعتبارات الفنية وحدها.

وفي هذا؛ فإنني أذكر أن الشاعر الكبير محمد محمود الزبيري قد تعرض لحملة مغرضة تولت كبرها - يومئذ - سفارة اليمن بالقاهرة من جهة - والدكتور البيضاني في مجلة روز اليوسف من جهة أخرى، قوامها مذائح الزبيري السابقة للإمام؛ فأخرج الزبيري رحمه الله للناس ديوانه الرائع «ثورة الشعر» وانشغل في إحدى مقدمتيه

بالحديث عن مبررات ودوافع تلك المداخل! . ويومئذ كتبتُ لمجلة «الآداب» البيروتية بحثاً مطولاً عن هذا الديوان، وذهبتُ فيما كتبتُ عن هذا الموضوع إلى أن المديح في شعر الزبيري هو حجة للشاعر الكبير وليس حجة عليه، فإن ذلك هو دليل «ثوريته»، وآية ريادته في تلك الثورية؛ ذلك لأن الشاعر ابن مجتمعه أولاً، وهو قد فتح عينيه في مجتمع يصلي لله عز وجل بالقرآن، ولإمام بالشعر، فميزة الزبيري هنا أنه «وعى» وتجاوز الواقع فثار، وبانتقاله من مدح الإمام إلى شعر الثورة عليه من أجل الشعب سجل ريادته، فامتيازُه إذن أنه ثار، ولم يثر الحاقدون عليه، وريادته أنه عاش الواقع الذي عاشه الآخرون فتمرد عليه مستشرفاً واقعاً أفضل، ولو أنه قد وجد في مجتمع ثوري لكان له فضيلة الالتزام، ولم يكن له فضل الريادة، فمدائحه هذه إنما هي الدليل التاريخي الذي يكرسه رائداً لثورة الشعر دون منازع^(١). وأذكر أنه - رحمه الله - قد اغتبط لذلك البحث عندما قرأه، وقد روى لي صديقنا الأديب الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح أنه لمس ذلك منه أكثر من مرة!

ولكن الموضوع لا يتسق هكذا مع الشاعر «الشامي»؛ فنحن نجده قد مدح وثار كزملائه، وكان في وسعه مثل الكثير منهم أن يسقط مدائحه تلك ويبقي «ثوريته»، ولكننا نجده يصّر على إثباتها ليس فيما نشر من «دواوينه» الشعرية السابقة فحسب... بل في هذه المجموعة التي يريد لها كاملة وأخيرة، تضم ما سبق أن نشر وما لم ينشر!؟.

أفمردُّ ذلك إلى شجاعة تفرَّد بها فلا يريد أن يتراجع عن شيء قاله؟ أم إلى علاقة خاصة بالإمام أحمد تكشفها مدائحه له من ناحية، وثوراته عليه من ناحية أخرى؟.

يبدو لي (وهذا استنتاج خاص يستطيع الشاعر أن ينفيه أو يثبت ما دام - أمدَّ الله في حياته - ما يزال بين ظهرانينا) أن الشاعر يکن للإمام أحمد عاطفة خاصة لم تغيّرْها حتى السياط التي شوت ظهره في «حجة»! وينطوي على «إعجاب» به، لم يذهب به وقوف الشاعر العنيد ضده؛ فهذا هو السبب الذي جعل من شعر مديحه جزءاً من شعره الذاتي، بما انطوى عليه من حرارة ووجدان... وهو نفسه السبب الذي جعله

(١) ذلك فحوى ما كتبناه... بالمعنى وليس حرفياً لأننا إنما نستعيده من الذاكرة.

يحرص على إثباته والإبقاء عليه . . على غير السنة المعهودة التي درج عليها الشعراء الذين قالوا في الإمام مثل الذي قاله، بل وأكثر بكثير مما قال ! .

ولكن كيف يتفق ذلك الاستنتاج من واقع علاقاته بالإمام . . التي جعلته على بعد خطوة واحدة وقصيرة من سيفه الطائش العجول؟ وجعلت من ظهره مراحاً ومغدى للسياط القاسية ليالي وأياماً قائمة الآفاق والأعماق؟ وفجعت في آماله وأهدافه، وفي أعز رفاقه الذين ذهب برؤوسهم الغالية ذلك السيف الذي لا يرحم؟ . .

زعم لا يتفق والمشهور من ظواهر الأمور! . .

ولكنه قد يتفق وطبيعة الأشياء إذا نحن سرنا معها منذ البدء على سنن المؤلف من جبلة النفوس . .

فمن جبلة النفوس السوية أن تحفظ الجميل، وترعى المعروف . . ومن شيم الإيمان في هذه النفوس أن يتغلب الحق على رعاية المعروف الخاص إذا كانت هذه الرعاية تؤدي إلى إسناد باطل، أو إهدار حق .

لقد نشأ «الشامي» يتيمًا في جو ملائم من قسوة الحكم لتنشئة ثوري مثله . . أعطته الثقافة التي زود بها نفسه في عصامية مدهشة مثله ووجهته . . ! فلما استقر به النوى في مقام «ولي العهد» آنذاك - الإمام أحمد - كما استقر بآخرين كثيرين في تلك الأيام ومنهم «الموشكي» و«الزبيري» و«نعمان» أولاه «ولي العهد» رعاية خاصة، عوضته عن حنان الأبوة التي افتقدها بعمق، وحلت مشاكل أسرته التي كابدت من العناء ما ناءت به فعلاً . . وهكذا وجد نفسه وقد حلت مشاكله، وبقيت مثله: تلك توقظه، وهذه تنيمه . . وكاد ينام على هذا . . حتى هز مضجعه أحب رفاقه إليه، وأكثرهم تأثيراً عليه الشهيد زيد الموشكي رحمه الله . . منبهاً له أن مشاكله ليست هي مشاكل الأمة التي لم تحل . . فاستجاب لنداء الواجب وخرج مع «الموشكي» إلى «عدن» مردداً قصيدته الشجية:

غريب يجوب الأرض والليل سادر	ولا هادياً إلا النجوم الزواهر
وفي قلبه ممّا يكنّ معارك	نوازع يطغى شرها، وخواطر
ومن حوله الأخطار تسري رهيبه	تطارحه أوهامه، وتحاور

وتنشر أشواك الأسى في طريقه فيا ويحه .. كم يتقي ويحاذر ..

هو لم يفر إذن .. ولكنه «خرج» على الظلم .. وهو لم «ينخرج» عن خوف ولا تهديد، ولا نقمة على شيء أراداه فلم ينله، ولا ضيقاً بمشاكله الخاصة؛ لأنها كانت جميعها قد لقيت حلولها السعيدة .. وإنما خرج «استجابة» لنداء «مثله» مهاجرًا من أجل قضية؛ مضحيًا بخصوصياته من أجل شعب في هدى مبدأ، وبرفقة شهيد.

وهذه ميزة له يستطيع أن يجيء بها كلما أصرَّ خصومه أن يعدُّوا عليه كل زلَّة، ويحسبوا كل خطأ من أخطاء اللسان في القول، أو زلات القدم في العمل.

هاجر الشاعر إذن؛ مستشرفًا بفكرة المجهول الذي يقدم عليه مناضلاً ومكافحًا؛ وهو يضرب بقدمه الأرض المزروعة بالصخور والأشواك في ظلام الليل، ولا يدري من أمر يومه ولا غده شيئاً .. وقلبه يتلفت إلى الدفء والدعة والأمن التي خلفها وراءه ويلجّ عليه نداؤها .. فلا يشدُّ من عزمته إلا ذلك النداء القدسي الخالد: نداء المبادئ العليا التي يعلو صوتها الجليل على كل صوت من نوازع النفس وهفوات الأهواء.

وقد امتحن في «عدن» بالمرض حتى أشرف على الموت .. وبالفقر حتى تعثرت رائحة الجوع بين شفثيه، وبالاضطهاد .. حتى لم يجد نوراً ولا ماءً .. ولا سريرًا ينام عليه .. ! وبالخيبة الأقسى من كل ذلك في بعض من «خرج» معهم «لا ناقيًا» و«لا خائفًا» بل مجاهدًا .. فرأى ما رأى .. مما لا يتلاءم ودوافع الخروج والجهاد، فلما فشلت التجربة، وانفرط عقد الحزب الذي كونه .. وعاد نتيجة لذلك عبد الله علي الحكيمي وزيد الموشكي، ومطيع دماج، وعبد الله أبوراس وغيرهم .. عاد الشامي .. وقد عقد العزم هذه المرة على أن يجمع بين مبادئه ومصالحه، بين رعايته لمن أسدى إليه المعروف، وأحسن استقباله بعد عودته، وبين وفائه لمبادئه التي ضحَّى من أجلها^(١).

(١) وأنشد قصيدته المشهورة «رحلة» ومنها هذان البيتان اللذان يصوران موقفه:

خلّه يخلب النّهي ببيانهِ ويناجي آماله بلسانهِ ..

دعه يبكي أحلامه بدموع عصرت من شعوره وجنانهِ

وهي طويلة: وفيها هذه الأبيات التي لا ندري هل تعمَّق الإمام أحمد في معرفة ما وراءها ولكنه

تغاضى؟ أم أن نشوة الفرح بعودة الشاعر وزملائه، وما في القصيدة من تمجيد قد صرفته عن ذلك؟ =

وكأنه قد بدا له أن مبادئه وأهدافه ستتحقق إذاً هو أناطها بولي العهد! وحاول أن يحمل الآخرين على الإيمان بمثل ما آمن به! أي أنه بدأ التجربة التي انتهى منها «الزيري»^(١) وقد اندفع «الشامي» في هذا المضمار «الجديد» سعيًا؛ يجني ثمرة الوثام النفسي الذي صنعه لنفسه لكن حركة المعارضة في الداخل كانت تزحف نحو اليقين الثوري وترجمته إلى عملٍ منظم يوشك أن يزلزل بجلبته أركان الهيكل المتهيئ للتداعي والسقوط.. ثم.. ما لبث أن قدم إلى «اليمن» المجاهد العظيم الفضيل الورتلاني، فنسف ذلك الوثام المصطنع في نفس الشاعر، ووضعه بدفعة واحدة في قلب الثورة الهادرة.

واندفع شاعرنا بكل قدرته وشاعريته وشبابه، وأدّى أدوارًا تتجاوز المأمول من سنه وتجربته، منتشياً كما انتشى سواه.. من شيوخ وشباب بعظمة ما انطوت عليه الثورة الخالدة، ثورة السابع من ربيع سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م. وفشلت الثورة..

وانتهى المطاف بشاعرنا إلى السجن مع العشرات من قادة الأمة وعلماؤها ومثقفها.. وأخذت رؤوسهم الكريمة تتساقط فيرتفع مع سقوط كل رأس عمود من النور يضيء طريق المستقبل لأمة تهيأت للنهوض..

وأيقن أنه مستشهد لا محالة.. ألم يذهب السيف بمن كان أقل دورًا في الثورة منه؟ ألم يكن هو الذي احتل «الإذاعة» وكان هو الذي أعلن نبأ قيام «ثورة الدستور»؟ ألم يكن صوته هو آخر صوت يسمع في راديو «صنعاء» قبل سقوطها بساعات؛ ويعلن النضال حتى النفس الأخير؟ ألم يكن هو — بين أدوار وأعمال أخرى ذات خطر —

=

والأبيات تصوّر موقف الشامي تصويرًا دقيقًا:
 أنا كالعابد الذي هجر الكون وأمدي ولّج في نسيانه
 أثخنت قلبه الجراح فتياً وغرور الشباب في عنفوانه
 كم صروف قاسيتها، كم ظروف كنت فيها كالमित في أكفانه
 كالذي يغسل الظلام عن الأرض بدمع يسيل من أجفانه..!
 أو كمن يعلن الكفاح؛ ولا يملك من قوة سوى إعلانه..!؟

(١) انظر «اليقين الثوري» مقدمة ديوانه «ثورة الشعر».

السكرتير العام لمجلس وزراء الثورة، وناسخ ميثاقها بخطه المعروف؟ ألم يكن رأسه
- بعد كل حساب - هو المطلب الذي أُلحَّ عليه الكثير من الأمراء والوزراء، بل
وبعض الشعراء؟!

بلى...! وأقلُّ من ذلك - في منطق الحكم الفردي - كان كافيًا.. لإرساله إلى
«المقلصة» دون إبطاء! ولم يكن ذلك هو يقينه وحده بل يقين كل من حوله.. ولكنه
لم يرسل..!

صحيح أنه قد ضرب بالسياط أيامًا متعاقبة ليفصح عن أسرار للثورة لم يتمكنوا
من معرفتها، ومفتاحها بيده، فأبى أن يفصح عما يعلم من ذلك مؤثرًا الشهادة..
مرددًا كلما عاد من التحقيق ملتعب الظهر من أثر السياط نشيده الجميل الذي نظمه في
ذلك المعتقل وفي تلك الأيام:

بالأمة نقسم والجمهور	والعزّة والقدر المقدور
وبما في مصحفنا مسطور	أن نطلب «الليمن» الدستور
سنحاربُ كي نحيا سعدا	ونضحّي بالأرواح فدا
بدماء الأحرار والشهدا	سنحقق لليمن «الدستور»
وشباب «الشورى» و«الميثاق»	ملأت أصواتهم الآفاق
كل يشدو جذلاً مشتاق:	تحيا الحرية و«الدستور»

ولكنه - مع ذلك، ورغم يقينه - لم يقتل..!
لقد استبقاه الإمام إذن.. وأسرها الشامي في نفسه.. وحفظها له.. حتى
أفصح عنها بعد سنوات طوال مخاطبًا الإمام:

فدتك نفسي التي أحيتها كرمًا وصنت عزّتُها بالجود مدرارا
بعد هذا أترانا على صواب فيما ذهبنا إليه من رأي واستنتاج في هذا الموضوع.
أم أن شعر المديح هذا إنما كان ك شعر غيره وسيلة يتوسل بها المادحون إلى الخلاص من
السجن وبخاصة، وليس للشاعر إلا قصيدتا مدح فقط بعد خروجه من السجن، على
الرغم من عمله في حكومة الإمام أحمد فيكون إثباته لهذا الشعر على هذا من قبيل
عدم التنكر لشيء قاله؛ تاركًا لمن شاء الهجوم عليه، ولن شاء الدفاع.

وسواء صحَّ هذا أو ذاك؛ فإن ذلك لم يحجب قط ولاء الشاعر الحميم للقضايا التي ناضل من أجلها، ولا حملة على كبح شاعريته عن مواصلة حدائها الوطني الجميل: فإن هذه المجموعة لتزخر بألوان من هذا الحداء تجعل من شعره على الدوام شعراً وثيق الصلة بقضايا مجتمعه كما آمن بها هو.

إن هذا الولاء الفني الرائع قد بلغ عنده الذروة في «إلياذة» كاملة من الشعر كرسها لذكرى الثورة الخالدة ومصارع شهدائها. . أي «إلياذة من صنعاء»، ولم يحشرها في مجموعته الكاملة هذه، لأنها من الضخامة ووحدة الموضوع بحيث تظل «ديواناً» قائماً بذاته. . وهي الوحيدة - فيما نعلم - إلّا ما نشر أخيراً للرئيس - العلامة الشاعر عبد الرحمن الإرياني «ملحمة حجة». . على أن ملحمة الإرياني قد ركزت على مأساة الشاعر نفسه مستعرضاً من خلال ذلك بعض مشاهد المأساة، ومشيراً إلى بعض أحداثها، بينما ركزت «إلياذة الشامي» على الحدث الضخم نفسه؛ واقفة عند مصارع شهدائه؛ مشيراً من خلال ذلك إلى مأساة الشاعر نفسه.

ولأن هذه «الإلياذة» ليست ضمن هذه المجموعة. . فإننا لا نتعرض لها من حيث إنها أثر فني، وإنما نكتفي بالإشارة إليها. . من حيث موقعها من نتاج الشاعر وحياته ودلالاتها على دخائله النفسية ونوازعه الفكرية. ومواقفه التي أفصحت عنها تلك «الإلياذة» فأبلغت الإفصاح. .

إن «الشامي» لا يقبل العزلة على ما عنده، ولا يكتفي بذلك لأنه ذو عقلية مفتوحة؛ لهذا لم يقف من «القصيدة الجديدة» موقف العداء أو الرفض، بل أقبل عليها إقبال المتمكن؛ بل ذهب إلى القول أنه وزميله الحضرائي قد سبقا إلى هذا النوع من الشعر.

ومهما يكن من أمر. فإن المؤكد هو أنه قد استقبل القصيدة الحديثة بحفاوة بالغة بالغة واقتحم حلبتها بثقة ملحوظة في نفسه، وفي هذا الشعر ذاته، و«القصيدة الجديدة»^(١) قد جاءت أساساً مع نشوء «الواقعية الجديدة» في الأدب العربي، وهي

(١) نحن نفضل تعبير «القصيدة الحديثة»: وليس «الشعر الحديث» لأن الشعر الحديث يشمل كل أنواع الشعر، وإنما «القصيدة الجديدة» هي التي تميز مضمون وشكل هذا النوع من الشعر المقصود: فهي تسمية أكثر دقة.

واقعية ذات مضمون اجتماعي بالدرجة الأولى، وشعراؤها البارزون قد حبسوا تخليقهم في هذا الأفق.. إلا ما كان من أمر السياب (شاعر القصيدة الحديثة غير منازع في رأينا) فإنه قد جعلها تتسع لأغراض الشعر عامة وحلق بها في جميع آفاقه.

ونشر شاعرنا جناحيه في هذه الآفاق فوفق أغلب الأحيان، وأخفق أحيانا.. إلا أنه قد استخدم هذا الشعر «رومانتيكيا». وكما نقل صديقنا الشاعر الشهير عبد الله البردوني كثيراً من قاموس «القصيدة الجديدة» إلى القصيدة العمودية بنجاح؛ فإن «الشامي» قد نقل قاموس «القصيدة الرومانسية العمودية» إلى «القصيدة الجديدة» وبإنجاح كذلك، فأثبت الشاعران الكبيران - بذلك - أن الجمود في الفن على نظرة محددة الحكم سلفاً هو أمر لا يتفق وطبيعة الفن نفسه.. الذي هو كالنفس الإنسانية التي لا يمكن «ضبط» أبعادها بدقة الأرقام الرياضية..

على أنني تروعي - في اجتماعياته وسياسياته قصيدته:

«حاملو التابوت».. إنها إحدى «القصائد» المفجعة القليلة. المستوفاة التي

يبرهن بها على صلاحية القصيدة الجديدة:

يا حيرة «التابوت» ضلّ حاملوه..

وضيّعوا معالم الطريق..

وظلمات الليل قد توائمت..

من كل فجّ.. موحش عميق.

والخوف أشباح تحوم..

على مشارف الوادي السحيق،

و «زمرة الأجداث» في انتظار،

للزائر الصديق..

والعفن «المسلول» في انتظار،

يرتقب «التابوت»..

في كهفه العتيق.

وينسج البلى . . على هياكل «الرقيق»!
حتى «وحوش» القفر . . و «عقارب» السهول . .
حتى «الأفاعي» . . و «عناكب» الكهوف . .
الكل في «انتظار»
وفي «احتفال» . . جائعين «للحدث» الجديد . .
للزائر الصديق .
و «التائهون» بين أدغال الظلام . .
حائرون . .
و «حاملو التابوت» . . ضائعون .
في الظلمات يعمهون
والموت والأحداث في انتظار . .
وعناكب الفنا، والعفن «المسلول» . .
ترتقب الطريق ، ، في ملل وضيق .

وما دنا قد تطرقنا إلى هذه الزاوية؛ فتجدر الإشارة إلى أن الشاعر الشامي قد سبق له أن كتب شعراً خاصاً من «القصائد الحديثة» قرأها له في سجن حجة - وما زلت أتذكرها - قبل أن أقرأ مثلها لأي شاعر عربي آخر . . وهي هذا اللون من القصيدة القائمة على «التدوير» بشكل مستمر ومحافظ على الإيقاع . . حتى ينتهي المعنى، دون تقيد إطلاقاً بالبحر مع الالتزام بالروي الذي يحفظ على «المقطع»، وعلى الأداء عامةً «موسيقية» . . دون خروج على هذا الروي في المقاطع التالية . . اقرأ:

مسكين . . ذاب هوى وذاب صباةً . .
في حبٍّ من لا يستجيب، لصوته الباكي . .
ولا يحنو عليه، ولا يرقّ . . لذائب الدمع السخين . .

* * *

في الحبّ . . ضيّع عمره . .

يجري . . وراء فراشة الحلم الغرير . .

ثم استفاق على فحيح اليأس . .

وهو بهوة البلوى . . سجين .

إلى آخرها . . وقد أصبح هذا النوع — على نحو قريب أو مماثل — متداولاً اليوم وفارسه السباق في بلادنا صديقنا الشاعر الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح . .

ولم يكتف الشامي بذلك . . بل اندفع إلى كتابه «قصائد حديثة» «ملتزماً فيها ما لا يلزم» . . ! كأنما قد فرغ هذا النمط الحديث من الشعر من تثبيت وجوده، ولم يبق إلا أن يبرهن على قدرته على مجارة النمط القديم حتى في «لزوم ما لا يلزم» . . ولا أرى في ذلك طائلاً أن تكون رغبة الشاعر في استعراض ثروته اللغوية، وقدرته البيانية، وإلا فإن «القصيدة الحديثة» ليست إلا تمرداً على قيود النمط القديم، ورفضاً للانحباس المطلق في قوالبه؛ بابتداع قوالب جديدة ذات ضوابط فنية ملائمة لدور الشعر كما يتمثله شعراء القصيدة الجديدة. وإذا كانت «القصيدة القديمة» تعتبر «لزوم ما لا يلزم» إيجالاً في تقييد الشعر فترفض «الالتزام» به. أفىكون من المقبول أن يأتي الشاعر الشامي ويجعل من شعر التمرد أكثر خضوعاً للقيود من النمط القديم نفسه؟ .

ما أظن «الشامي» قد أحسن إلى «القصيدة الحديثة» بهذا: عن عمد أو غير عمد، ولعل الناظر في ذلك يذهب إلى أنها «مكيدة» «شامية» لهذا الشعر . . فلا يكون قد أخطأ فيما ذهب إليه. لأنه سيعثر على الدليل على ذلك في اعتذار «الشامي» لأبي العلاء المعري في مسرحيته الشعرية: «محكمة في جنة الشعراء» عن هذا النوع الجديد الذي عزف على أوتاره مع العازفين . . فهل تراه صادقاً في الاعتذار . . أم تراه راجعاً عنه إلى متاب؟ .

لقد قيل: إن الكاتب هو ما يكتب . . والشاعر — على ذلك — هو شعره . . وهذا القول يصدق على شاعرنا تماماً؟ فإن شعره مرآة نفسه يعبر عن أطوار حياته ومواقفه ويتعامل به مع الواقع لحظة مواجهته له، وليس بمقتضى نظرة سابقة ومحددة . . ولهذا تعددت أغراض هذه المجموعة تعدد مناحي حياة الشاعر نفسه: والمهم أنه في كل تلك الأغراض ظل محتفظاً بالسماة والخصائص ذاتها . . فمن حيث «المضمون» ظل مشبّعاً على الدوام بذلك الشجي «الرومانسي» الحزين والشفاف، في كل حالاته

على الإجمال.. ومن حيث «الشكل» ظل محافظاً على اللفظة المنتقاة، والتركيب الفني الملائم للمعنى، والأداء البليغ في وضوح يقترب أحياناً كثيرة من «التقرير». وهو في عموم شعره لا غموض فيه، ولا إبهام، وهو في هذا يعرض قدرة الشاعر اللغوية وثقافته البيانية التي وظفها في خدمة موهبته الشعرية فأحسن التوظيف. واحتل كرسیه المرموق بين شعراء العرب.

في هذا الشعر رصانة ستدركها، وفيه عمق كذلك؛ وفيه استبطان للنفس الإنسانية، وفيه أيضاً نزق وعنف، وفيه عمق كذلك؛ وفيه أحياناً دفاع عن باطل.. ومثل كل شعر غزير.. ومثل كل شاعر عملاق فيه تحليق وفيه إسفاف. نكتفي بالإشارة إلى كل ذلك دون الوقوف عنده.. لأن تلك هي مهمة الناقد الذي سيدرس هذا الشعر ويقوم به.. وما يعيب شاعرنا قط أن تكون له هنات؛ فلقد أحصى النقاد على أكابر شعراء العربية ما يعرفه مثله، وفي طليعتهم «المتنبي» و«شوقي»، ومع ذلك فإن تاريخ الأدب مشغول بجيدهما.

ولست أدري أحسن الشاعر أم أساء بنشر كل ما قاله حتى أشعار المناسبات العابرة التي ليس فيها جديد ولا إبداع؟

إن شاعرنا – كما يعرف قراؤه – يلح في انتقاد الآخرين على ضرورة التنقيح والمراجعة، ويشجع بل يدعو إلى إسقاط ما يجب إسقاطه.. فلم إذن لم يطبق ما يراه إحدى الضرورات الفنية على نفسه؟ أهى الرغبة لديه في أن يقدم نفسه في مجموعته الكاملة – كما هي – كأنما يقول: هأنذا؟ أم هي ثقة مفرطة بالنفس؟ أم تضحية بها حيث يعرض صحيحها وسقيمها على حد سواء؟.

تمنيت لو أنه لم يفعل...

ولكن.. هل إلى الكمال المطلق من سبيل؟

قاسم بن علي الوزير

١٠ محرم ١٤٠٣هـ

٢٧/١٠/١٩٨٢م

تُقدِّمُ المَقْدَمَاتِ

قالوا: أحكم الحكماء، وأشعر الشعراء، كما قالوا: أغفل المغفلين، وأكذب الكذابين، وسميتُ إحدى قصائدي «دامغة الدوامغ» مبالغةً وتباهياً، ولما أردتُ أن أقدمُ لديوان شعري، الأعمال أو «الأثار لكاملة» كتبتُ بعد أن قرأتُ مقدّماته: «مقدمة المقدّمات»، وأنا لا أعني المبالغة، أو المباهاة، بل «الحقيقة».

فهذه «المقدمة» أكتبها بين يدي «مقدمات» دواوين شعري الذي نظمتُه خلال أربعين عاماً، ونشرت معظمه، وجمعتُه، وما لم ينشر في هذا الديوان، وسميته «ديوان الشامي».

لن أستطيع أن أضيف شيئاً عن الشعر والشاعر.. ولن أطرف بجديد إلا إذا قلت: «إنه شعر لا يستحق النشر» لأنّاقضَ ما قلّته في مقدمة. «النفس الأول» منذ ثلاثين عاماً، وهو ما لا يمكن أن أقوله..

غير أن في إمكاني أن أذكر ما ساءلتُ به نفسي، حين قرأتُ قولي في تلك «المقدمة»: «فما أنا براصٍ كلّ الرّضا عن شعري ولا أدري متى سأتمكّن من إبداع الشعر الذي يرضيني.!»؟

«في أعماقي شعراً، ولكنه شعراً جديداً على عالم الشعر المعهود، والجملة البيانية التي في قلبي أسمى من كل تعبير».

«والكلمة الكبرى.. ما برحت مُعشّشةً في حنايا روحي».

لقد ساءلت نفسي: وهل أنت اليوم راضٍ كل الرضا عن شعرك؟
وهل أبدعت شعراً جديداً؟ وهل نفثت بالكلمة الكبرى؟ أم لا تزال معشّشةً في حنايا روحك؟

ولقد كان الجواب: نعم! لا تباهاً، ولا لأنه لم يكن في الإمكان أبدع مما كان، ولكن لأنني حقاً لا أستطيع أن أقول إلا ما قد قلته، وقد حاولت الإجادة جهدي، وأنا راضٍ - كل الرضا - عن «لزومياتي» وما نشرته في «حصاد العمر» و«بنات الخمسين»، أو ما ترغمت به «مع العصافير في بروملي»، أو ناجيت «الأطياف»، ولم يبق مُعْشَعُشاً في حنايا روجي إلا الاستغفار من زلات القلم وشطحات اللسان. أناجي به شفق الأصيل، وتباشير الصباح في دياجي الأسحار.

وأريد أن أنبه إلى أن ما بين دفتي هذا الديوان هو جلّ شعري لا كله، فمن شعر الصبا قد أحرقت ديواناً صغيراً اسمه «دموع وأنات»، خوفاً من الاعتقالات التي طمّت موجتها صنعاء في شتاء سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤٢م، ولكني لا آسف عليه، فكل قصائده حماسية، لم أكن فيها رصيناً بل ناقداً متحاملاً متطرفاً.

وقد أطلع عليه أستاذي الشاعر عبد الكريم الأمير ونقح بعض قصائده، وقرأت بعضها على الشاعر أحمد المعلمي، كما أن بعض المراثي التي أنشأتها في سجن «حجة» قد ضاعت ومنها ما آسف عليه مثل قصيدي في الأمير إبراهيم بن الإمام يحيى حميد الدين ومطلعها:

الله أكبر مات إبراهيمُ فانهذ ركنٌ للفخار عظيمُ

وأخرى في أخيه الأمير يحيى، وثالثة في الإمام عبد الله الوزير. وقصيدة ميمية طويلة في مأساة «الجندي المجهول» علي حمود. وأذكر أنني عندما أملتيتها على الزميل العالم الشاعر عبد الرحمن الإرياني أظهر إعجابه بها، وقال: «يحق لي أن أتوقف الآن عن البتّ فيمن يستحق لقب شاعر اليمن!» ومن الغريب أنني لا أتذكر الآن حتى ولا مطلعها، ولا أدري هل تستحق الأسف أم لا.

ولي قصيدة «رائية» طويلة قتلها قبل ثورة الدستور وأنشدتها في حفلة تكريم أقيمت للأستاذ الفضيل الورتلاني بصنعاء سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م ومطلعها: «أفئ يا فؤادي وانتعش بالبشائر» ومنها:

بني وطني، هذا الفضيل أتت به إلى سفح صنعاء معجزات المقادر
أتى لا ليحظى بالمديح، وإنما ليهدي أرباب النهى والبصائر

ولقد رأيت «الفضيل» يهتز طرباً عندما قلتُ:

ولو علموا ما يتبغي، وهو جلّ أن يُقال ويُسمَى لا هُتدى كلُّ حائر
ولا نتعشتُ بشراً مُنى كلِّ ثائر ولا رتقتُ نصراً جبال «الجزائر»!
وصافح حرّاً في «الرباط» شقيقه «بيغداد» أوفي «مصر» أوفي «المعافر»
وما بيننا من بعد أو شاج ديننا وأنسابنا، إلاّ اتحاد المصائر

وقد ضاعت بين ما ضاع من كتبي وأوراقِي .

ولي «مسرحة» سمّيتها «جحيم الغيرة» وهي مأساة تشبه مأساة «عطيل» فصولها
الثلاثة في خمسمئة بيت، وقد ضاعت في حقيبة «ثياب» ما بين لندن وباريس سنة
١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م وأظنها مما يؤسف عليه، وقد أثبت بقاياها في هذا الديوان .

هذا، وأمّا ما مرّفته أو أحرّفته من أشعار النزق والمجون فلا آسف عليه، لأنّي
فعلتُ ذلك تائباً مستغفراً، وعلى كلّ فهذا الديوان! هو جلّ شعري إن لم يكن كلّهُ،
وقد رتبتُ قصائده حسب تواريخ نظمها وليس حسب المواضيع أو القوافي، فهو
كالغابة الطبيعية تنهدى فيها زهرة الياسمين، في ظلال النخلة السحوق، وشجرة
الطلع، إلى جانب شجرة الزيتون، ولا أعرف ديواناً لوحظ فيه هذا الترتيب ولا
شاعراً توفّق في أن يضع لكل قصيدة تاريخاً عند إنشائها أو نشرها قبل هذا الديوان!
وذلك من الصدف العجيبة، إذ لم أتعمد لها تحسباً لنشرها في مثل هذا الديوان .

ولا شك أن من يهتم بتاريخ اليمن السياسي والأدبي في النصف الثاني من
القرن الرابع عشر الهجري «العشرين الميلادي» سينتفع بهذا الترتيب، ويتعمّق في
معرفة الأسباب وراء الأحداث، ولا سيما إذا قارن ما في هذا الديوان بما ذكرته من
تفاصيل في «كتاب حياتي» . «رياح التغيير في اليمن» .

وأستغفر الله من كل خطأ وقع فيه قلّمي، أو زلل تقحّمتُهُ لساني وأسأله الهداية
والعفو وحسن الختام .

أحمد بن محمد الشامي

بروملي: ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٢هـ

١١ أبريل سنة ١٩٨٢م .

1. 1. 1. 1.

2. 2. 2. 2.

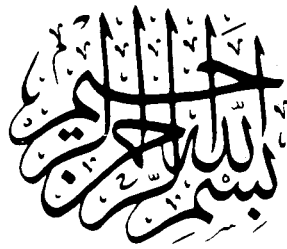
3. 3. 3. 3.

4. 4. 4. 4.

5. 5. 5. 5.

6. 6. 6. 6.

الْحَقُّ لِلَّهِ وَسُ
مَنْزِي



للهفء

إلى شعراء الشباب
من أبناء وطني العزيز

أحمد بن محمد الشامي

مُقَدِّمَةُ الدِّيَّوَانِ

بقلم الشاعر الأريب: إبراهيم بن أحمد الحضرائني

يجدر بي - وأنا أكتب أول مقدمة لأول ديوان يطبع لشاعر عيني حديث - أن أُلِمَّ الإمامة قصيرة بتاريخ أدبنا المعاصر.

إلى ما قبل عشرين عامًا. والفكر اليمني يغط في نوم عميق إذا استثنينا تلملاً لا يكاد يذكر ظهر في أدب الطليعة الأولى كالقاضي يحيى بن محمد الإرياني والقاضي عبد الكريم مطهر رحمه الله والقاضي أحمد الحضرائني الذي لا يزال يساير أطوار الأدب فيتأثر بها ويؤثر فيها. . . ولكن أدب هؤلاء ومن على شاكلتهم بقي مشدوداً شداً محكماً إلى عجلة الماضي، زد على ذلك أنه لم تصحبه دعوة إلى التجديد فبقيت أصواتهم خافته لا تكاد تجاوز آذانهم.

فما هو إلا أن قدم إلى اليمن بعض أبنائها الذين عاشوا مدّة من الزمن في البلدان العربية الأخرى فحملوا إليها ما تأثروا به من الاتجاهات الفكرية الحديثة. كما أن المطبعة من جهة أخرى بدأت تغزو مجتمعات اليمن بالكتب والجرائد والمجلات، فتكوّنت آنذاك طبقة ممتازة يرأسها السيد النابغة أحمد عبد الوهاب الوريث الذي كان رئيساً لتحرير مجلة الحكمة اليمنية رحمه الله ورحمها (توفي سنة ١٣٥٨هـ).

ولكن هذه الطبقة بقيت متأثرة بنوع خاص من التفكير لا يتعدى الناحية الاجتماعية والتاريخية وشيئاً من السياسة قليلاً.

وكنتيجة لهذه الحركة نجم عددٌ من الشعراء يصح أن نسميهم شعراء (العلا والمعالى) - ولن أنسى ما ساهم به جلالة (الإمام الناصر) في تكوين هذه الطبقة، وأذكر مرة أنه برم بما كان يقُدِّم إليه من قصائد المديح، فقال مخاطباً لمن بحضرته من الأدباء والشعراء وهم الصفوة المختارة في البلاد:

ما الشعر إلا ما حوى روحاً به تحيا الشعوب

وبلغ هذا الاتجاه الشعري أوجه على يد الشاعر محمد محمود الزبيري .

وكان الزبيري مأخوذاً إلى حدّ كبير ببطولة جلاله «الإمام أحمد» ورجولته المثالية وصفاته الكريمة، وبهذه الروح جعل ينظم الشعر ويلقيه بين يدي جلالته لا باقات من الزهور، ولكن مواد متفجرة ينخلع لها فؤاد الجبان :

عليّ أن أخلب الألباب محتكماً	كما تحكّم في الأعناق بتّار
وأن أقيم لك الدنيا وأقعدها	حتى تكون كما تهوى تختار
وأن أصوغ لهذا العرش أجنحةً	من القوافي عليها العرش طيّار
فضع دعائم هذا الملك في كلمي	فإنها كالرؤاسي ليس تنهار

كما كان «الزبيري» معنياً بزخرفة الجملة البيانية كقوله يخاطب جلاله الإمام يحيى رحمه الله :

من نور هذا المحيا يشرق العيدُ	ويعبق المجد والعلواء والجود
ما للمحاكم تستفتي أهلتها	وأنت يا «سيد الأقمار» موجود؟
ما أنت إلا «شعاع الله» جاء به	من غرة المصطفى آباؤك الصيدُ
وضعتنا في «يد الرحمن» فارتفعتُ	بنا مكاناً سوانا عنه مطرودُ
صدّيت عنا جحيم الغرب إذ فتحتُ	فما تذوب به الأمصار والبيدُ

ومن الجدير بالذكر - أن كثيراً من النقاد يرون أن شاعرية «الزبيري» فقدت شيئاً من قوتها بعد أن ابتعد عن هذا الوسط .

بينما كان «الزبيري» يستأثر بإعجاب الناس - كان اثنان من الشباب - لا ثالث لهما - ينظران إلى هذا النوع من الأدب نظراً فيه شيء من الريّة والشك، ويعتبران حصر الشعر في هذا النطاق الضيق وحده خنقاً لروحانيته المطلقة وتحديداً لنفحاته القدسية المنطلقة، وكانا قد تأثرا بمطالعات خاصة أهمها ما كان يُكتب في مجلة «الرسالة» المصرية (القديمة) عن الأدب، وما كان يُنشر فيها من الشعر - وراحت نفسيهما تنفتحان لكل ما في هذا الوجود من جمال وجلال .

كان أحد^(١) هذين الشابين صاحب «النفس الأول» صديقي الشاعر السيد أحمد بن محمد الشامي، فلقد كان ينظم الشعر آنذاك على غلط لم يستسغه المجتمع بعد، فلم يُعهد من قبله أن شاعراً يميناً نظم في أغراضٍ مختلفة تحت عناوين خاصة كالآتي:

«أنّة قلب» و «دموع الغريب» و «بين الصخور». إلى آخر ما كان ينظمه صديقي في ذلك الحين.

إذن فصاحب النفس الأول هو في القمة من هذا التدرّج، واليمن إذ تقدّمه تقدم نهاية ما وصل إليه غوها الفكري والأدبي الحديث.

ولنطوّر تاريخ شاعرنا منذ بدأ يقول الشعر إلى الآن – على ما في تاريخه من عظات وعبر – ونكتفي بما قد سنجد في ديوانه هذا من صدق لحياته الصاخبة، ونفسه الملتهبة، وخياله الوثاب.

سنجد ذلك – ولكن بعد لأي ومشقة – في قصيدة «التقينا» وفي «دموع سجين» وفي «النور الشهيد» وفي غير ذلك من الشعر الذي تأتى للشاعر أن ينقل لنا فيه شيئاً من خوالج قلبه، ورعشات نفسه، وما الشعر في نظري إلا براعة في نقل خوالج القلب ورعشات النفس.

على أن في الديوان ما هو من وحي المناسبات والظروف، صاغه عقل سليم – ورأي رصين، وذاكرة هاضمة – وهو صورة ناطقة لاهتمام الشاعر بالقضايا العربية العامة وتجارب روحه مع أمانيتها وقرأ «عيد استقلال لبنان» و «اليمن تكرم لبنان» و «دمعة على الثعالبي» تجد مثلاً حياً للروح العربية المؤمنة.

أما قصائد المديح فهي جيدة الأسلوب، حسنة السبك سامية المعاني، عليها مسحة من التجديد ويُعجبني فيها شعر المناجاة والاستعطاف ذلك الشعر الذي يعلمنا كيف نخاطب القلوب القلوب وتناجي الأرواح الأرواح، وقرأ «ضراعة سجين» و «وحناناً أمير المؤمنين» و «إلى مفخرة العرب» وغيرها.

(١) أما الثاني فهو كاتب المقدمة إبراهيم الحضارني.

أما الناحية الاجتماعية بكل فروعها فإن في نفسه طاقة يعجز الشعر عن حملها، وقد تحدّث عنه حديث المتحكم فيما يقول، لأنه قد عرف الكثير من تقلبات الأيام، فبلا الشدّة والرخاء، وعرف كيف ينقلب الصديق فيصبح عدوّاً وكيف ينقلب العدو. كما عرف الشيء الكثير عن نفس الإنسان وما يكتنفها من ضعف وما يكمن فيها من قوّة، وعبر عن كل ذلك بحرارة وإيمان في قصائده (تحية) و (المعري) و (اعتراف) وفي مراثيه التي أشهد أنه كان فيها رائعاً قوياً، وشاعراً حكيماً.

وبعد:

فخيرٌ من أن أشغلك - أيها القارئ - بإطالة الحديث عن «النفس الأول» أن أقدمه لك فاكهة شهية تجد فيها متعة العقل وغذاء الروح فإلى النفس الأول.

إبراهيم بن أحمد الحضرائي

الحديدة: ربيع الآخر ١٣٧٤هـ

ديسمبر ١٩٥٤م

ديوان في... وشعراء الديوان

بقلم: صاحب الديوان

تعوّد القراء أن يقرأوا في طليعة كل ديوان مقدمات عن الشعر وتراجم للشعراء.. ما شئت من فلسفة شعرية عن الشعر ومثله العليا إن كان الشاعر نفسه هو الكاتب.. وإن كان صديقاً للشاعر أوبه معجباً فما يُلذ من إطراء وما لا يدمي من نقد.. وما يشبع رغبة الصداقة أو شهوة الإعجاب من بيان واستشهاد.

وكانت سنة يندر المتمرد عليها والمتنكب عن نهجها.

وحاولت أن أتمرد فجنبت، وكان لا بد من مقدمة للديوان.

وتكرم صديقي الشاعر إبراهيم الحضرائي فكتب المقدمة، ونفحني مشكوراً بكلمات شاعرة معطرة، وألم إلمامة قصيرة بتاريخ الأدب اليمني المعاصر.

وظلّ الديوان – كما خيل إلي – يتطلّع إلى كلمتي عن الشعر والشعراء ولكني لحسن الحظ أولسوته – أعرف نفسي جيداً فلن أخدعها ولن أخادع الناس، فما أنا براضٍ كل الرضا عن شعري، ولا أدري متى سأتمكن من إبداع الشعر الذي يرضيني.

* * *

في أعماقي شعر. ولكنه شعر جديد.. جديد على عالم الشعر المعهود والجملة البيانية التي في قلبي أسمى من كل تعبير.

الحروف هذه ليس فيها حياة، والمعاني التي في قلبي فيها حياتي، بل وحيوات أخرى.

والكلمة الكبرى ما برحت معشعشة في حنايا روحي:

حروفها مشاعر مكفوفة.

معناها تاريخ ألم طويل .

إن كان الوجود « كلمة الله » .

فهذه كلمة الإنسان !

وإن كانت الطبيعة شعر القدرة الإلهية .

فهذا شعر الوجدان البشري .

* * *

وكم حاولت أن أصوّر معاني قلبي وروحي :

وقلت ما قلته من شعر وقصيد . . ولكني وحدي الذي يعلم أني لم أكن واضح
البيان ، دقيق التعبير ، وقد قرأت الديوان مرّات فكنت أجد التعبير دائماً قاصراً عن
الصور الروحية الكبيرة التي لا تحدّ .

* * *

ويأتي دور الشعراء . .

ولليمن شعر ولها أدب . .

لها ماضيها الأدبي النفيس المغمور . .

ولها حاضرها . . فأين شعرها؟ وأين أدبها؟

تمتّات ، وذبذبات ، تتوثّب وترتكسُ في الألسن منذ ثلاثين عاماً . . هذه هي
الحقيقة . . فكم من شاعر هيأته مواهبه للفن الرفيع . وقال قصيداً بليغاً ، ولكن
سرعان ما تندّب به رغباته أو ظروفه عن « محراب الفن » فيتلاشى وينسى ، وينسى الناس
أنه كان شاعراً .

لقد التهمه الواقع وأصبح إنساناً كسائر الناس .

* * *

أستثني — ثلاثة أو أربعة — ممن يزحفون نحو الكهولة ، وفيهم من أخلص لفنه ،
وظلت عينه تنظر في أعماق روحه ، وفي أعماق فنه ، وفي أعماق الكون .

وبين الخمائل طيور يمنية صغيرة ترسل أنغامها، ساحرة الشدو، رخيمة الإيقاع،
حية الوجدان، أمل أن تظل في رياضها تستنشي من غيرها الطيب وترشف من جداولها
الصافية، وتصل ألحان نهارها بأنغام ليلها.

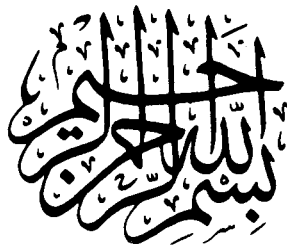
* * *

وأخيراً.. لا بد من أن أرضي كبريائي؛ ولتخرس ألسن: ولتَنحَطِمَ أقلام.
لقد قلتُ شعراً يستحق النشر.
وها هو ذا تحت أنظاركم يا شعراء اليمن وأدباءها.
قرظوة إن شئتم.. بالألسن.. أو بالأنياب..
إنه نفسي الأول..
وربما كان الأخير.

أحمد بن محمد الشامي

الحديدة: ربيع الآخر ١٣٧٤هـ
ديسمبر ١٩٥٤م

خُذْ لَكَ الْبَغْتِ



للهفء

إلى مئة عاتني كيف أُحبُّ السمر والمجد ..
إلى أستاذي الوفي :
الأستاذ محمد بن علي النعماني ..
رمزاً للوفاء والتقدير .

الأخ محمد الشامي

مُتَقَرَّرٌ

لم يعرف الاستقرار، ولا خلدتْ نفسه إلى مستقرٍ منذ أن أعرف الحياة.
دائمًا يصبو إلى هدف، أو يهفو إلى جديد، ودائمًا ينزع إلى مجهول، فلا يقف إلا
على الحيرة والهباء.
يشعر دائمًا بالاغتراب، ويحس بأنه ناءٍ عن كلِّ ما حوله. . بل وعن كل
ما يَنْطوي عليه.

بين أهله وأحبابه، أو تَائِهًا في الآفاق.

بين الناس، أو وحيدًا شريدًا.

في أنْطلاقِهِ وحرِيتِهِ، أو بين الحواجز والأغلال.

دائمًا. . هو المغترب النَّائي.

مغتربٌ في موطنِهِ، مغتربٌ في غربته.

ولا نديمٌ ولا سلوى، ولا مؤنسٌ ولا عُلالة، إلا الشعر، يقرؤه أو يغنيه،
فيخفف آلامه، ويخففُ دموعه، ويَصُدُّ به أشباح العذاب، ويستنزِلُ به الرحمة
والحنان، ويصور خَلجات فكره، ولفحات آلامه، وحنين روجه، ويُعلِّلُ أمانِي قلبه،
ونزعات نفسه، ويهدِّدُ صبايا آماله، وذكريات صباه، ويعوذ به من كلِّ بلاء،
ويعربُّ به عن كلِّ شعور جميل، ويذكي به نارًا ونورًا.

الشعور بالغربة، والإحساس بالخيبة، هو الذي حداه إلى أن يقول^(١) في

«عدن»، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م:

قدرٌ، أو مصيبةٌ، أو شقاءٌ ليس يدري ماذا دهأه فهاماً؟

(١) كل الشواهد في هذه المقدمة من ديوان «النفس الأول» للشاعر.

لَيْسَ فِي وَسْعِهِ الْكَلَامَ، وَمَنْ كَا
كُلُّ مَا فِي لِسَانِهِ أَنَّهُ زَا
نَظَرَ الْعُشَّ فَاذْدَارُهُ مَعَ الذَّل
يَشْرَبُ الْقَيْظَ رَوْحُهُ فِي الْمَفَازَا

نَ مُصَابًا لَا يَسْتَطِيعُ الْكَلَامَا
عَ عَنْ الْأَهْلِ خَشْيَةً أَنْ يُضَامَا
وَوَلَى عَنْهُ يَجُوبُ الظَّلَامَا
تَ وَيَقْتَاتُ الْهَوْلَ وَالْآلَامَا

وَأَنْ يَقُولَ فِي الْفَتْرَةِ نَفْسَهَا، وَفِي الْمَكَانِ نَفْسَهُ:

غَرِيبٌ يَجُوبُ الْقَفْرَ وَاللَّيْلَ سَادِرُ
وَفِي قَلْبِهِ مِمَّا يَكُنْ مَعَارِكُ
وَمَنْ حَوْلَهُ الْأَخْطَارُ تَسْرِي رَهِيبة
وَتَنْثُرُ أَشْوَاكَ الْأَسَى فِي طَرِيقِهِ

وَلَا هَادِيًا إِلَّا النُّجُومُ الزَّوَاهِرُ
نَوَازِعُ، يَطْغَى لَفْحُهَا، وَخَوَاطِرُ
تَطَارَحَ أَوْهَامُهُ وَتَحَاوُرُ
فِيَا وَيَحَهُ، كَمْ يَتَّقِي وَيَحَاذِرُ

وَهُوَ الشُّعُورُ نَفْسَهُ الَّذِي انْتَابَهُ وَهُوَ يُوَدِّعُ «صَنْعَاءَ» فِي سَنَةِ ١٣٦٤هـ /

١٩٤٤م، فَقَالَ:

وَدَّعْتُ تِلْكَ الرُّبُوعَ حَيْرَانًا
وَقَفْتُ فِي سَاحِهَا، أَخَاطِبُهَا
تَحِيرُ اللَّفْظَ فِي فَمِي حَزْنًا
أَنْظَرَهَا خَاشِعًا، وَقَدْ مَلَأْتُ

يَفِيضُ قَلْبِي أَسَى وَأَشْجَانَا
بِالْذَّمِّ لَا أَسْتَطِيعُ تَبْيَانَا
يَعْثُرُ بَيْنَ الشِّفَاءِ حَسْرَانَا
صَدْرِي هَمُومُ الْفِرَاقِ نِيرَانَا

يَا وَيْحَ نَفْسِي! أَكُلَّمَا نَعِمْتُ
وَوَدَّعْتُ صَفْوَهَا وَرَاحَتَهَا
فَصَادَمْتُهَا الْخَطُوبُ قَاسِيَةً

بِالْوَصْلِ.. لَاقَتْ نَوَى وَهْجَرَانَا؟
وَصَادَفَتْ جَفْوَةً وَجِرْمَانَا؟
تَسُومُهَا بِالْعَذَابِ أَلْوَانَا

كَمْ أَذْرَعُ الْأَرْضَ ذَاهِلًا وَجَلًّا
كَشَارِدَ، يَأْسُهُ يُطَارِدُهُ
فَلَيْتَنِي مَا شَهِدْتَ شَارِقَةً

وَكَمْ أَجُوبُ الْبِلَادِ هَيْمَانَا؟
يُريهِ أَيَّانَ سَارَ أَحْزَانَا
وَلَيْتَنِي مَا عَرَفْتُ إِنْسَانَا

وأي شعور، غير الشعور بالاغتراب في هذه الحياة، حين بلغ الخامسة والعشرين وهو في المعتقل سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م، فقال:

مَرَّتْ حَيَاتِي، وَلَمَّا يُقْضَ لِي وَطَرٌ وليس لي غير نيل المجد من وطرٍ
خَمْسُ وَعَشْرُونَ عَامًا، مَا ظَفَرْتُ بِهَا من الحياة بغير الهم والكدرِ
إِمَّا غَرِيبًا أَقَاسِي كُلَّ نَائِبَةٍ أو موثقًا بين سمع الموت والبصرِ
لَوْلَا بَقِيَّةُ آمَالٍ تَهْدِيهَا في قلبي المتعني رحمة القدرِ
فَارَقْتُ دُنْيَا الْوَرَى بِالْهَمِّ مُنْتَحِرًا إمَّا إِلَى جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ، أَوْ سَقَرًا!!

وحين كان يستدرّ عطف جلاله أمير المؤمنين الإمام أحمد، أطال الله عمره، ليصفح عنه في سنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م، فيقول:

دَعَانِي وَحُزْنِي، فِي مُحَارِبِ عَزَلَتِي فَقَدْ سَيِّئْتُ رُوحِي حَيَاةَ الْبَرِيَّةِ
عَشِيقْتُ الْأَسَى مِنْ طَوْلٍ مَا شَفَّنِي الْأَسَى وَهَمْتُ بِالْأَمِيِّ لِسَرْمِدِ شَقَوَتِي
فَلَا تَطْلُبَا عِنْدِي رَقَى السَّحَرِ وَالْمَنَى وَلَكِنْ خُذَا عَنِّي صَدَى كُلِّ خِيَّةِ
فَقَدْ هَرِمْتُ أَيَّامَ لَهْوِي وَبَهْجَتِي وَمَاتَتْ لِيَالِي صَبَوَتِي وَشَيْبَتِي
فَأَمْسَيْتُ فِي أَكْفَانِ سُقْمِي وَنَكْبَتِي أَرَاقِبُ بَعْثِي، وَانْتَعَاشِي وَيَقْظَتِي
وَمَا أَنَا بِالْحَيِّ الَّذِي طَابَ عَيْشُهُ وَلَكِنِّي فِي السَّجْنِ حَيٌّ كَمَيِّتِ
وَلَمْ يَبْقَ فِي كَأْسِ الشَّقَاءِ ثُمَالَةٌ لَغَيْرِي.. فَقَدْ أَفْرَغْتَهُ نَخْبَ حَيْرَتِي
أَعَانِقُ طَغْيَانَ الْمَخَافِ، مُطَبَّقًا جَفَوْنِي، عَلَى أَشْبَاحِ يَأْسِي وَذِلَّتِي
وَخَلْفَ الدِّيَابِجِي يَجْتُمُ النُّورُ مُوْتَقًا يَنْوُو بِأَعْبَاءِ اللَّيَالِي الثَّقِيلَةِ
أَسَارِقُهُ اللَّحْمَ الْمَفْزَعُ خَائِفًا كَأَنِّي رَجَاءُ فِي فُؤَادِ فَرِيْسَةِ
حَنَانًا «أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ»، فَإِنْ فِي حَنَانِكَ مَا يَشْفِي عُضَالَ الرَّزِيَّةِ
وَدَعْنِي أَبَادِرَ حَظِّ عَمْرِي مِنَ الْمَنَى قَبِيلَ احْتِبَاسِي فِي شَبَاكِ الْمَنِيَّةِ
فَقَدْ عَجَمْتُ عَوْدِي الْكُورِاثُ فَاثْنِي مَهِيضًا يَلَاقِي الْمَوْتَ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ
وَغَلَّتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ كَفَّ عَزِيمَتِي وَفَلَّتْ شَبَابُ حَدِّي، وَأَبْلَتْ عَزِيمَتِي
وَلَمْ تَبْقَ لِي خِيَلًا، وَلَا ذَا قَرَابَةٍ يُصَيِّخُ لِقُرْبِي، أَوْ يَفِي لِمُودَّةِ

كان أيضاً يصور حياته وأحاسيسه وآلامه، وقد بلغ المني من ذلك حين قال في قصيدة أخرى من الروي نفسه وفي الموضوع نفسه:

وَنَفْسِي فِي نِيرَانِ يَأْسِي وَخِيَّتِي؟	إِلَى مَنْ أَبْثُ الشَّجْوَى؟ قَلْبِي مَوْجَعٌ
ضُرُوبًا، وَأَشْقَى فِي مَنَامِي وَيَقْظَتِي	قَطَعْتُ حَيَاتِي تَائِهًا أَجْرَعَ الْأَسَى
وَأَسْكَبُهَا فِي شَعْرِ بُوْسِي وَشَقْوَتِي	وَأَنْفَدُ أَيَّامِي بِكَاءٍ وَلَوْعَةٍ
كُؤُوسِ الْفَنَاءِ مِنْ كَفِّ تَيْهِي وَحَيْرَتِي	وَأَجْرِي وَرَاءَ الْوَهْمِ حَيْرَانٌ، أَسْتَقِي
عَلَى جَاحِمٍ مِنْ نَارٍ حُزْنِي وَحَسْرَتِي	وَأَغْذِي مَرَارَاتِ الْخُطُوبِ، وَأَشْتَوِي
وَالْأَبْقَايَا زَفَرَةٍ طَيِّ مَهْجَتِي	وَلَا صَاحِبَ إِلَّا الدَّمْعَ أَذِيلُهَا
وَأَنْقَاضِ نَفْسٍ حُطِمَتْ بِالنَّشْتِ	وَأَشْلَاءِ رُوحٍ مَزَقَتْهَا هُمُومُهَا
وَلَمْ تَغْنِ آهَاتِي، وَلَمْ تُجَدِّ زَفَرَتِي	إِلَى مَنْ أَبْثُ الشَّجْوَى؟ لَمْ يَشْفِنِي الْبُكَاءُ
وَلَا نَفَعَتْنِي فِي حَيَاتِي جَرَائِي	وَلَا عَصَمَتْنِي مِنْ زَمَانِي سَمَاحَتِي
صَغِيرًا، وَأَبْلَى الْحُبِّ رَسْمَ شَيْتِي	خُلِقْتُ شَقِيًّا، مَزَّقَ الِيتِمُ خَافِقِي
وَلَمْ تَرْعِنِي فِي أُسْرَتِي وَأَحْبَتِي	وَأَلَوْتُ بِي الْأَسْفَارَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا

وتفضل الإمام العظيم بعفوٍ عظيم، ومارس الحياة أشكالاً وألواناً خيراً وشرّاً، ونُعْمَى وبُؤْسَى، ولكن القلق الدائم . . . والتَّوَقُّ إلى الجديد . . . واستشفاف المجهول . . . والشعور بالاغتراب . . . إلى هموم وهموم، أبقتُهُ، دائماً صَبَّ الشعر، باكِياً ناعياً، أو صارخاً داعياً، أو مفكراً، أو لاهياً، وقد لا يذكر عنه الناس شيئاً – والجحودُ دائماً مقبرةُ المخلصين – ولكن أحداً لن يستطيع أن يقصيه عن زمرة الشعراء وكفى .

وبعدُ، فهذا الديوان الثاني للشاعر جمع فيه ما قاله بعد أن صدر ديوانه الأول سنة ١٩٥٣ وما لم يتمكن من نشره أو ما كان مفقوداً من شعره القديم . . . فديوان «عُلاّلة المغرب» إذن قديمٌ جديد . . .

فيه شعر: قيل سنة ١٩٤٣م وآخر قيل سنة ١٩٦٣م، ولكن النفسُ نفسُهُ، وطابع الحزن، وميسم الآلام يسود كليهما.

وفي حياة الشاعر «صاحب الديوان» أحداث جسيمة كان لها أعظم الأثر في

توجيهه، وأفكاره، وثقافته، وعلاقاته بالمجتمع والناس، وأهم هذه الأحداث ثلاثة:

١ - فقد نشأ يتيماً، وعرف الحزن صغيراً، وتمرس على مختلف الآلام يافعاً، فأحب الحزن، وقدس الدموع، وأكبر المساكين، وكره القسوة، وعاف الذل، ومقت الدجّالين.

٢ - اعتزل الناس خمس سنوات في «حجة»، فرأى كيف تتغير الأحوال، وتتقلب الأمور، وكيف يتحول العدو صديقاً، وكيف يتحول الصديق . . . وكانت فترة تأمل، ودراسة، واعتبار ففكر كثيراً، وقرأ كثيراً، وازداد فهماً وإيماناً.

٣ - عفا عنه جلالة الإمام أحمد، وكانت قد امترست فيه الأقاويل، وأحدثت به الخزازات، ولكن الإمام العظيم وخلائقه الكريمة تجاوزت وسمت وعرفت الشاعر كيف يُحسنُ الأبطال، كما أنه عرف أيضاً. كيف يتقيد بالإحسان ويعتق الوفاء.

آثار هذه الثلاثة الأحداث، اليتيم والعزلة والوفاء، تتحكم في حياة الشاعر، وتظهر جليلة واضحة في كل ما يأتي وما يدع من خير وشر وقول وعمل.

وفي هذا الديوان بكاء مع الأشقياء، وثورة على القساة، وتمجيد للرحمة، وتفنيد للأدعياء، وتقريع للمنافقين، وإشادة بالأبطال، ودعوة إلى المجد، إلى ذكريات استجرها من ماضٍ باك، أو خيالات استوحاها من أحلامٍ بائدة.

ولقد كان الشاعر في كثير من الأحيان صريحاً في تعبيراته عن خوالج النفس البشرية، وانفعالات الوجدان الإنساني بما قد لا يستسيغه بعض أهل الفضل من المتزمطين، أو من لم يتعمقوا في دراسة الأدب العربي . . . وطبيعة شعره قبل الإسلام وبعده . . . ولن يسلم الديوان وصاحبه من لوم هؤلاء أو أولئك، ولكن من ذا الذي لم يَلَمْ قط؟ ومن ذا الذي قد تفرّد بالحسنى؟

ويحتوي هذا الديوان على قصائد لم يتقيد الشاعر فيها بقافية واحدة أو وزن واحد، وهذه الطريقة ليست جديدة على صاحب الديوان، بل إنه كان من أوّل من مارسها من شعراء اليمن، ولكنه لم يسرف فيها إسراف أولئك الذين هبطوا بلغة الشعر ومعانيه وأوزانه إلى دركٍ سحيق، وتنوعت القوافي، على أنه كثيراً ما يتعمّد أن تكون «التفعيلات» متسقة، متناغمة في تفعيلاتها وقوافيها.

وسيجد القارئ في آخر الديوان رواية شعرية تحت عنوان «في مسرح الحياة»، وقد أنشأها الشاعر في سنة ١٣٦٣هـ أي منذ أكثر من أربعين عاماً، وهي أول محاولة من نوعها لشاعر يمني حديث^(١)، بل إن أحداً من شعراء الشباب لم يُنتج ما يماثلها، أو ينهج نهجها فيطور الشعر القصصي في اليمن، ويخطو به خطوة أخرى.

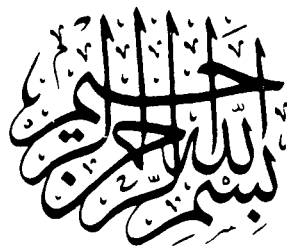
«علالة المغترب»، و «النفس الأول» يضمّان معظم ما قاله الشاعر من قصيد، ومقطوعات شعرية في شتى المناسبات، ومختلف الأغراض ويُعطيان مَعاً صورة صادقة للشعر اليمني الحديث، ومواكبته للشعر في جميع الأقطار العربية الشقيقة.

أحمد الضالعي

لندن: ١٨ ذي الحجة ١٣٨١هـ
٢٢ مايو ١٩٦٢م

(١) أعني في اليمن المستقلة.

من العبد المذنب



للهِ قَوْلٌ

إِلَى الضَّالِّينَ وَالْمُظْلَمِينَ
نَذِيرًا وَبَشِيرًا.

أحمد بن محمد الشَّيْبِي

مُتَقَرَّرٌ

يعرف الناس عن «الشامي» السياسي أكثر مما يعرفون عن «الشامي» «الشاعر»، فأخباره وتحركاته حديث الصحف والإذاعات، خصوصاً منذ اليوم السادس والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٦٢ م / جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ.

وقد امترسّت في اسمه الألسن: خيراً وشرّاً، حقّاً وباطلاً، ومدحاً وقدحاً. ولسنا في موقف الحكم: فنقرُّ حقّاً أو ننفي باطلاً، وفي نظرنا أنه لم يحن الوقت بعد ليقول التاريخ كلمته الصريحة عن «الشامي» وما ساهم به، أو فرط فيه، أو نافع عنه، من أجل وطنه، ومن حقوق أمته، وفي سبيل مبادئه، وسنترك ذلك للتاريخ والناقدين.

ولد السيد أحمد محمد الشامي سنة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م بالضالع وتوفي والده وهو في الخامسة، ونشأ يتيمًا بصنعاء في بيئة علم وأدب ودين، وقال الشعر وهو في السادسة عشرة، ولمع نجمه في سماء الأدب والسياسة وهو لما يتجاوز العشرين.

وفي سنة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م هاجر إلى «عدن» مع السيد زيد الموشكي. وفي سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م كان من جملة من سيقوا إلى سجن حجة وتعرض للموت مراراً، وأطلق سراحه سنة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م ليبقى في الحديدة حتى سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م فنَهَدَ إلى حجة، وانتدبَ إلى «الرياض» ورافق الوفود إلى «تغز»، وكان له دور فعال في أحداثها.

وفي السَّنة نفسها نقل إلى المفوضية اليمنية بالقاهرة، ومثّل اليمن في الجامعة العربية وكثير من المؤتمرات الدولية.

وفي سنة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م، عين وزيراً في مجلس الاتحاد اليمني المصري، ثم

نقل إلى «لندن» في سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م بوصفه وزيراً مفوضاً لليمن لدى المملكة المتحدة.

وفي أكتوبر سنة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، شغل منصب وزير خارجية المملكة اليمنية في ظروف عنيفة لا يزال تيارها يعب ويَجري.

نُشر له ديوان «النفس الأول» وديوان «علالة المغترب» وقد جمعنا في هذا الديوان معظم ما في الديوانين المذكورين ومختارات مما لم ينشر من شعره القديم والحديث.

وقد تعمدنا تجريد شعره من المدح والسياسة وما قد يثير خصاماً، أو ينكىء جراحاً.

ولا بد أن يلاحظ القراء أن «الشامي» قد سجّل في شعره كل خلجات روحه، ونبضات قلبه، وعبر عن آلامه وآماله، ونوازعه وأفكاره في كل فترة من فترات حياته الحافلة التي أوجزناها، ولقد ذكرنا إزاء كل قطعة شعرية اسم المكان والزمان الذي نظمت فيه لِيَسْتَنبِطَ الناقد والمؤرخ الدوافع الشعرية وأجواءها وأسرارها.

أما الحديث عن منزلة الشامي الأدبية فلن نزيد على ما قاله الشاعر إبراهيم الحضارني في مقدمته لديوان «النفس الأول» حيث قال:

«واليمن إذ تقدّمه تقدّم نهاية ما وصل إليه نموها». «الفكري والأدبي الحديث».

وأما الحديث عن نفسية «الشامي» الشاعر فقد صورها في مقدمة ديوانه «علالة المغترب» بقوله:

«لم يعرف الاستقرار، ولا خَلدت نفسه إلى مستقر. منذ أن عرف الحياة».

«دائماً يصبو إلى هدف، أو يهفو إلى جديد، ودائماً».

«ينزع إلى مجهول، فلا يقف إلاّ على الحيرة والهباء».

«يشعر دائماً بالاغتراب، ويحس بأنه ناء».

«عن كل ما حوله. . بل عن كل ما ينطوي عليه».

«بين أهله وأحبابه، أو تائهاً في الآفاق».

«بين الناس، أو وحيداً شريداً».

«في انطلاقه وحريته، أو بين الحواجز والأغلال» .
«دائمًا . . هو المغترب النائي» .
«مغترب في موطنه، مغترب في غربته» .
«ولا نديم ولا سلوى، ولا مؤنس ولا عُلالة إلا الشعر» .
«يقروؤه أو يُغنيه فيخفف آلامه، ويحفف دموعه» .
«ويصد به أشباح العذاب، ويستنزل به الرحمة والحنان» .
«ويصور خلجات فكره، ولفحات آلامه، وحنين روحه» .
«ويعلّل أمانى قلبه، ونزعات نفسه، ويهدّد صبايا» .
«آماله، وذكريات صباه، ويعوذ به من كل بلاء، ويُعرب» .
«به عن كلّ شعور جميل، ويُذكي به نارًا ونورًا» .
«ولقد مارس الحياة أشكالا وألوانا، وخيرًا وشرًا، ونُعمى» .
«وبؤسى، ولكن القلق الدائم . . والتوق إلى الجديد . . واستشفاف» .
«المجهول . . والشعور بالاغتراب . . إلى هموم وهموم أبقتة دائمًا» .
«صب الشعر، باكيًا ناعيًا، أو صارخًا داعيًا، أو مفكرًا أو لاهيًا» .
«وقد لا يذكر عنه الناس شيئًا — والجحود دائمًا مقبرة» .
«المخلصين. ولكنّ أحدًا لن يستطيع أن» .
«يقصيه عن زمرة الشعراء . . وكفى» .

وبعد:

ففي هذا الديوان بكاء مع الأشقياء، وثورة على القساة، وتمجيد للرحمة، وتقنيد للأدعياء . . وتقريع للمنافقين، وإشادة بالبطولة، ودعوة إلى المجد، وتقديس للحق والحرية . . إلى ذكريات استجرها من ماضٍ باك، أو خيالات استوحاها من أحلام بائدة .

ولقد كان الشاعر في كثير من الأحيان صريحاً في تعبيراته عن خوالج النفس البشرية وانفعالات الوجدان الإنساني بما قد لا يستسيغه بعض أهل الفضل من المتزمطين، أو من لم يتعمقوا في دراسة الأدب وطبيعة شعره قبل الإسلام وبعده. . ولن يسلم الديوان وصاحبه من لوم هؤلاء وأولئك: ولكن من ذا الذي لم يَلَمْ قط؟ ومن ذا الذي تفرد بالحسنى؟.

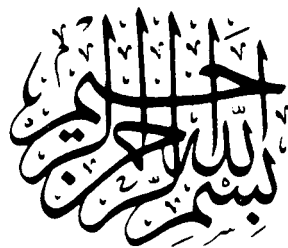
وفي الديوان قصائد لم يتقيد الشاعر فيها بقافية واحدة أو وزن واحد وهذه الطريقة ليست جديدة على صاحب الديوان، بل إنه كان أول من مارسها من شعراء اليمن، ولكنه لم يسرف فيها إسراف أولئك الذين هبطوا بلغة الشعر ومعانيه وأوزانه إلى درك سحيق، بل ظلَّ «محافظةً» على نغمة الوزن العربي، وإن تعددت الأوزان، وتنوعت القوافي، على أنه كثيراً ما يعتمد أن تكون «التفعيلات» متسقة متناغمة في أوزانها وقوافيها.

إن ديوان «من اليمن» يضم معظم ما قاله «الشامي» من قصيد في مختلف الأغراض، ويعطي صورة صادقة للشعر اليمني في العصر الحديث؟.

أحمد الضالعي

الحسين السَّوَّاح

بيروت ١٩٧٠



فرتاش^(١)

لكل لحن من هذه الألحان قصة عذاب مرير وطويل .
عذاب «الحنين» يرهقه «الشوق» ويضنيه الألم .
عذاب «الغربة» يوربها «التوق» ويمزقها «الندم» .
عذاب «الحب» شرده «الوساوس» وقدسته «الأوهام» .
عذاب «الطموح» هبض جناحه فجأراً بالشكوى . ولاذ بالأوزان والقوافي .
الإرهاق، والندم، وشوق الحنين، هي الحصاد المرعب «للموسم السياسي»
الذي ظللت أجهد بمشاعري . وأفكاري . ومطامحي . وآمالي، في حقوله حوالي ثلاثين
عاماً .
ومنذ سنة ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م، لم يطمئن لي أمل في وطني . بل ظللت خائفاً
أترقب بين «الغربة» و «المكاره» و «السجون» .
ومنذ «ثورة» ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م، لم أنعم بسكنى «صنعاء» - مهد شبابي
وأحلامي - بل ظللت بعيداً عنها، معتقلاً، أو منفياً، أوتائها في الآفاق .
ومنذ سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م، واليمن في صراع أليم . . خضت جولاته الأولى
ضد ما رأيته طغياناً عسكرياً وتدخلأً أجنبياً . . ثم وقفت حين أصبح الصراع «معركة»
أطماع، وخلافات يمنية . . أدعو إلى السلام . وأحذر من مغبة تقلبات الأيام . . وأخيراً
استيقظت . وإذا . .

(١) الفرتاش: لفظة يمنية عامية، يعني بها المدخل إلى اللحن حين يحاول المغني ضبط أوتار عوده
وتذكر «تواشيح» ترانيمه .



زيد الموشكي وأحمد الشامي
في عدن . جمادى الأولى ١٣٦٤هـ / أبريل نيسان ١٩٤٥م

وإذا «بالحصاد المرعب» من قلق. وإشفاق. وندم. يحتل كل «خزائن» قلبي وفكري.

وكان الشعر هو «المقر» وبه أحدو مطايا «الأشواق» من رحلة العمر — القصيرة إن شاء الله.

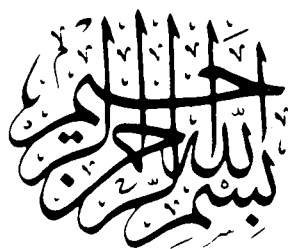
إن هذه هي «أسباب النزول». . . لبعض قصائد هذا الديوان وبعض «الأسباب» قد تعمدت تجاهلها، كما أني أثرت نفسي بالألحان المنتحرة في محراب أشواقي، لأن «الجرثومة» الملعونة التي يسمونها «الإنسانية» لا تزال تمتص دمي، وتأكل أحاسيسي. . .
وصورها «المتحركة» قد ترعب من لا يستسيغون نشوة القلق. حين تسامر «الخيال» على مائدة «الشياطين»؟.

المحمدين محمد الشامي

بيروت: ٩ ذي الحجة ١٣٨٩هـ

١٦ يناير ١٩٧٠م

الموسم



المؤودات

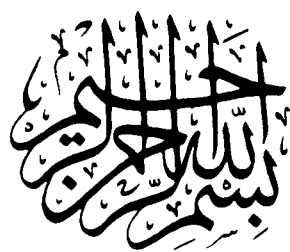
وأدُّهنَّ صبايا ..
بينَ «الوثائق» و«الأسرار» .
ولكنَّ كانت دهنيتي ،
وأنا أنفضَّ عنهنَّ غبار النسيان ،
أنَّ أهدهنَّ
مازلنَّ ينضنَّ بالحياة

بيروت : ٢٢ محرم ١٣٩٣ هـ .
٢٥ فبراير ١٩٧٣ م

أحمد بن محمد الشامي

سِلْسِلَةُ الْأَدَبِ الْيَمَنِيِّ الْمُعَاَصِرِ

حصان ولى عمر



وأحبُّ أن أقول

لا أحب أن أقول إن هذه «المختارات» من أهم قصائدي أو من أجملها، كما أحب أن يقول الشاعر محمد الشرفي في مقدمة ديوانه «معها أبدًا» سلسلة دار العودة عن الأدب اليمني رقم (١)، ذلك لأنني لم أبتكر شيئًا مهمًا، ولا «أبدعت» جميلًا.. أرطضيه كل الرضا، وأنا مع الشاعر الفارس عنتر بن شدّاد في قوله:

ما أَرانا نقول إلّا قديمًا مستعادًا من لفظنا مكروراً

كما أني لا أحب أن أقول: إن القارئ قد يجد في دواويني الأخرى ما هو أهم، وأكثر جودة، كما قال الشاعر الشرفي أيضًا. فقد يكون على حق فيما قاله عن إنتاجه الكامل. أما أنا فسأنصح النقاد والدارسين – إن كان ثمة – بأن يكتفوا بما في هذا الديوان من «مختارات شعري» لأنها أهم أشعاري، و«أجل» قصائدي إن كنت قد قلت شعرًا مهمًا أو أبدعت قصائد جميلة.

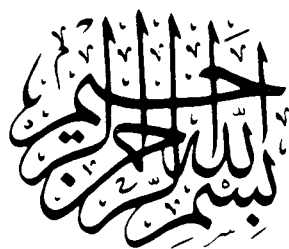
و«أحب أن أقول»:

يا يراعى أعتصر حياتي شعرًا	يُطرب الناس لحنه الرقراق
نغمًا تلجأ الأمانى إليه	إن تأسست – ويفزع العشاق
قدسًا إذا قوافيه تتلى	خشع المؤمنون والفُسّاق
هم يظنونهم ترانيم لهو	أو نشيدًا تبثه الأشواق
وهو أنات عثرة، ومعانا	ة خلاص، ودمعُ روح يُراق
لهمو منه نغمة الوتر اللا	هي، ولي منه النار والإحراق

أحمد بن محمد الشامي

بيروت: ١٩٧٥/١/٤م

لنزويك السعدي



للإمام

إلى مئة غموتي بالحب والحنان ؛
والتزمت معي الصبر والبرهان :
إلى زوجتي ؛
« أمة الله » عبدالرحمن الشامي ..
مع حبي الصادق .

الأخوين محمد الشامي

سبح الله في اليمن

[في صيف سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، وكنت حينذاك سفيراً لليمن في
(لندن) زارني صديق أديب، فأملت عليه «مراثي» كنت أبكي بها
بعض الرفاق، ومقاطع من «بجر الدموع»]:

فقال: هنيئاً لك

قلتُ: بماذا..؟

قال: لأنك تقرض الشعر

قلتُ: وماذا في ذلك؟

قال: موهبة قرض الشعر نعمة لا يحظى بها إلا السعداء.

قلتُ: أو الأشقياء جداً.

قال: كان شقاؤهم سيكون أشدَّ وأنكى بدونه، لأنهم به يُروِّحون عن أنفسهم،
وما أظنك كنت ستطيق الحياة، وتمارس شتى شؤونها..

وبمشاعرك التي أعرفها – لو لم تكن قادراً على نظم القريض.. وقال.. وقلتُ.

وعندما خلوت إلى نفسي، واستعرضتُ قافلة حياتي، ومراحلها المتضاربة،
بؤسى ونعمي، وخيراً، وشرّاً، استعبرتُ وهمستُ في أعماقي: لقد صدق صديقي.

وقصتي مع الشعر هي قصة كلِّ إنسان:

هبط الأرض كالشُعاع السَّنيِّ بعصا ساحرٍ وقلبِ نبي

كما قال «علي محمود طه».

قصة.. هذا المخلوق «المختص». المزود بأحاسيس، ومشاعر عجيبة، يستطيع

بها «تَلْفَزَةً» وتشخيص، واستيكانه، ما لا تستطيع الحواس البشرية المركبة في الإنسان «العادي».

وإذا كانت سليفة الشعر تُورث كما يقول البعض.. فأنا أدلي إليها بسبب عريق عتيد، فقد أنجبت أسرة «الشامي» عددًا مرموقًا من شعراء اليمن خلال العشرة القرون الماضية.. كما أن شقيقي هو صاحب ديوان «ابن الظلام».

ولو عدتُ بذاكرتي «خمسة وأربعين عامًا» لرأيت طفلًا يُناهِزُ العاشرة.. يفتش ركامًا من الأوراق المهجورة، وكان قد عَرَفَ كيف يتهجَّى الكلمات المكتوبة، وحَفِظ السُّور القصار من جزء «عم يتساءلون».. ويعثر على صفحات منشورة من ديوان ابن الفارض. فيأخذه العجب حين يرى ذلك النهر من الفراغ يفصل بين «الأشطار» و«الأعجاز».

وتغمره الدهشة حين يجد حروف أواخر الكلمات مُتناسقة، مُتشابهة: تاء تاء، ولا مًا.. لا ما، وسينًا سينًا، ويحاول القراءة فلا يُتَقْنُها، ويحاول الفهم الفهم فلا يَسْتَطِيعُهُ إِلَّا قَلِيلًا.. ويُسْوِسُ في صدره صوت لا يدري لَهُ مَصْدَرًا، ما هذا.. ما هذا؟ ويتذَكَّرُ مقاطع السُّور القصار.. ثم يخاف ويستعِذُّ بربِّ النَّاسِ، مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَاسِ، ويتَنَشَّلُ تلك الأوراق باحثًا عن أخواتها بين ذلك الرُّكام اليتيم.. ويحاول ترتيبها حسب أرقامها وحروفها.. وما إن يُردها مِنْ جديد، ويكرِّرُ قوافيها المنغومة. وكلماتها المرصوفة، جهراً وهمساً، وطرداً وعكساً، حتى يجد شيئاً من اللذة والمتعة لم يعرفهما من قبل، ويهذي بها مراراً وتكراراً: ويشاركه أخوه لذة السَّماع، ويُنغم معه الكلمات، والقوافي، وخصوصاً «التائية» و«السَّينية»، بل ويتخذان مِنْ ذلك لعبةً ممتعة، ويضعان لها ألحاناً غريبة.. يهمهان بها حين يروحان وحين يَغدوان، ولا يكادان يملَّانِ تَرْدَادَهَا.

كانت هذه هي «البداية».. ولا أنسى فرحتي حين وصلتُ إلى قوله:

أَنْتُمْ فَرُوضِي وَنَفْلِي أَنْتُمْ حَدِيثِي وَشُغْلِي
يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي، إِذَا وَقَفْتُ أَصْلِي

لقد استَسَعْتُ هذين البيتين، وأنسجمت موسيقاهما اللفظية مع مشاعري

الصَّغِيرَة، وفهمتهما، إذ كنتُ أعرفُ معاني «الفرض»، و«النَّافلة» و«الصَّلَاة»، و«الشَّغل»، و«الحديث» فسلوكي اليومي مثل سلوك سائر أبناء ذلك الزمان «فروض» و«نوافل» و«شغل» و«صلاة»، ومجالسُ «المداكي» وحلقات «المساجد»، تضح بمثل هذه الألفاظ، وما يتعلق بها. فكانا، أولى محفوظاتي، قبل أن أعرف أن هذا النوع من البيان يُسمَّى شعراً.

وحين التحقت بمدرسة «الأيتام» وكان السيد الأديب الخطيب على عقبات «خريج الأزهر» يُعلِّم فيها درس المحفوظات. المختارة من الشعر والخطب، للقدمى والمحدثين، شغفت بهذا الدرس وفزت برضا الأستاذ. ثم لازمتُ الشاعر عبد الكريم الأمير فازددت للشعر حباً.

كنت أحسُّ بالمعاني تحيش في نفسي وتتوَّثَّب، غير أنني لا أستطيع التعبير عنها، واكتشفت طريقة أستاذي عبد الكريم الأمير في نظم القصائد، وإذا هو يعمد أولاً إلى انتقاء «الوزن» والقافية، ثم يُحضر، «جدولاً» لكلمات «القوافي» التي تنسجم مع «الوزن»، و«الموضوع» راجعاً إلى محفوظاته و«قواميس» اللغة، ودواوين الشعراء.

فإذا كانت القصيدة التي ينوي نظمها على «وزن» و«قافية»: «أرقُ على أرق، ومثلي يأرق». . . مثلاً. فإنه يحشر ما ينسجم على هذا الوزن من «القوافي» مثل «يُشرق» و«يُحرق» و«يبرق». و«يتحرق»، «ولا يُسبِقُ». . . إلخ، ثم يتحرى في إبداع «المطلع» المناسب للموضوع، مدحاً أو رثاء أو غزلاً وهكذا. . . وقد نصحتني بانتهاج هذه الطريقة، ومارستها فعلاً. . . ولكنني ضقت بها ذرعاً، وشعرت أنها طريقة متكلفة. وسرعان ما نبذتها جانباً وأنسبتُ مع أحاسيسي، وكثيراً ما كنت أرسلُ الشعر منغماً. موزوناً، ولكن بقوافٍ متعدّدة، ثم أجهدت نفسي في التنقيب عن القوافي المتسقة «أو يرفدني بها أستاذي، ولا أذكر أنني أجهدت نفسي في إبداع المطلع الخلاب.

ولا شك أن الطريقة التي أرشدني إليها الشاعر عبد الكريم الأمير قد أفادتني لغوياً، وأثرت قاموسي الشعري، وكم من ليالٍ أفنيتها مُعْتَكِفاً على القواميس اللغوية، والدواوين الشعرية، أختار «القوافي» وأجدوُّها، وأنفهمُ معانيها ومترادفاتِها، وذلك في حدِّ ذاته مفيد. . . وأدركت جدواه فيما بعد. . . وربما أن أستاذي عبد الكريم قد أرادها لي في تلك المرحلة، ولم تكن هي طريقته. عندما يريد أن ينظم الشعر، وقد كان من مجوده.

وعندما أعود إلى الشعر في اليمن قبل أربعين عاماً إلى سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م وأتذكر طرائقه وأغراضه، وألفاظه، ومواضيعه.. لا أجد معظمه إلا فاسد السبك، قليل الطلاوة من مدائح تكررت ألفاظها ومعانيها، إلى غزل متكلف لا يثير وجداناً، ولا يحرك عاطفة، إلى «مراثي» هي، مدائح تنوح، دموعها مثل دموع «النوائح» المأجورة، مع تعسف في الصناعة البيانية، وتكلف في التقليد.. ولذلك ولأمر لا خيار لي فيه لا أستطيع أن أقول إنني تأثرت بأي شاعر من شعراء اليمن في تلك الفترة. وكان من حسن حظي: أني عثرتُ بين أوراق والدي على نتفٍ من ديوان «ابن الفارض» ثم وقع في يدي ديوان «حافظ إبراهيم» فهمتُ به والتهمته، وأما بعد ذلك فقد تتلمذت في علوم البلاغة والأدب على الشاعر السيد عبد الكريم الأمير وقرأت عليه ومعه. «البارودي» ومختاراته و«شوقي» و«مطران» و«الرافعي» و«الجارم» و«الرصافي» و«الزهاوي» و«بدوي الجبل»، و«بشارة» و«جبران» وكل شعراء «المقتطف» و«أبوللو» و«الرسالة» و«الثقافة» و«المهجر» الأمريكي.

أما أول المواضيع التي بدأت مزاولتها نظماً فقد كانت «الوطنية» كما كنا نفهمها حين ذاك. وكان مثلي الكامل شاعر النيل «حافظ إبراهيم» وألفتُ أول مجموعة شعرية: «دموع وأنان» ولما أتجاوز السابعة عشر، ولكني أحرقتها خوفاً حين فتشوا دار جاراننا القاضي محمد الخالدي وسجنوه مع «الشاعر الزبيري» و«محمد الخطيب» وزملائهم..

وكنت قد سمعتُ بيتاً لأبي تمام يقول:

ولولا خللُ سنّها الشعرُ ما درى بغاةُ العُلا من أين تؤتى المكارمُ

فتأكد اعتقادي بأن الشعر أسمى المواهب الإنسانية: وأن صفة «الشاعر» هي أعلى المراتب.

وأيد ذلك الاعتقاد ما قاله الأولون، ولهج به المحدثون، شعراً ونثراً، ونصبتُ نفسي ذائداً عنه، ومحامياً في المجالس والأندية، أجادل الفقهاء والمتزمتين الذين ينالون من مكانة الشعر، أو يحقرون من قيمة الشعراء، وكنتُ لا أزال أحبو على عتبات جنّاته، وأدب في آفاقه بجناح واهن ضعيف، وجعلته غايتي في الحياة، وأخلصتُ له، وهمت به، وهام بي في كل واد.

ولا أنكر أني كنتُ أشعر بالضيق حين أقرأ أو أسمع . . ما يقلل من الشعر، أو يحطّ من مكانة الشاعر، مثل البيت الذي ينسبونه إلى الإمام الشافعي :
ولو الشعر بالعلماء يُزرى لكنتُ اليوم أشعر من لبيد

وتلك الروايات والأخبار من بعض الشعراء الذين تزهّدوا، أو ندموا على ما قالوا: فأحرقوا كل آثارهم الشعرية . . وإن أنسَ فلنَ أنسى حواراً ساذجاً دار بيني وبين المرحوم السيد العالم هاشم المرتضى في مجلس «قات» بصنعاء سنة ١٩٤١م وكان تَرَبّاً وزميلاً لوالدي في مدرسة «شهادة» فقد قال لي: بلغني أنك تقرض الشعر يا أحد؟

قلتُ: نعم، قال: لا خير لك فيه. قلت: لماذا؟

قال: لأنه كما قالوا «أعذبه أكذبه»، وأنت «ابن فلان الفلاني» ولا أريد أن تكون كذاباً، ثم ستبقى طيلة حياتك، إمّا . . مادحاً متسولاً، أو هجاءً تنال من أعراض الناس، أو تهيم في وديان الضلال، وهل تعرف أن «المتنبي» أكبر الشعراء تحاشى دخول الكوفة حين بلغه قول شاعر لا يصل إلى رتبته بلاغةً وبياناً:

أي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيّاً؟
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء المحيا!

قلت: ولكنّ الرسول ﷺ قد أيد «حسن» بروح القدس.

قال: فلقد قال ﷺ: «لأن يملاً أحدكم جوفه قيحاً خيراً من أن يملاه شعراً».

قلت: قد صحّحت الرواية عائشة أم المؤمنين . . بقولها إنّ تَمَّة الحديث «هَجِيْتُ به» فضحك، ربما ابتهاجاً بأن ابن صاحبه يستطيع الجدل!!

وقال: وماذا تقول في قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون: ألم تر أنهم في كلّ وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾، قلتُ: تنمة الآيات: ﴿إلا الذين آمنوا﴾، قال: فلن تأتي بجديد، وقد قال «عنتر» قبل الإسلام:

هل غادر الشعراء من مُتردِّمٍ

وقال آخر:

تأملت في نظم القريض وأهله

إلى قوله:

فلم أرَ إلا سارقاً لَفَظَ غيرِه بلا حشمةٍ، أو مَنْ يُغَيِّرُ على المعنى

قلت: أولاً، ليس في ذلك نيل من قيمة الشعر الأصيل، وثانياً، هل قال أحد
قبل عنتره، والشاعر الآخر ما قالاه؟

قال: لا أذكر، قلت: إذن فقد جاء بشيء جديد، قال: أما سمعتَ قول
الشريف الرضي؟ وهو هو. .

مالك ترضى أن تُعدَّ شاعراً؟ بُعداً لها من عدد الفضائل

وكذلك قوله يخاطبُ أباه:

إنني لأرضى أن أراك مُمدحاً وعلاك، لا ترضى بأنني شاعرٌ

ليس في ذلك دليل على أن «الشريف» وأباه كانا يَسْتَنكِفان عن لقب الشاعر
ويحتقرانه؟

قلت: وهل سمعتم قول «المتنبي»:

وفؤادي من الملوك وإن كا ن لساني يُرى من الشعراء

هذا من جهة، ومن أخرى فلَوْ لم يكن الشريف الرضي شاعراً لما كان من
الخالدين، وأين «علاً» أبيه. . وقد كان كما قال «المعري» يرثيه:

الطَّاهر الأبناء والأبناء، وأل أثواب، والآراب والألاف
رَغِبَ الرَّعوْدُ وتلك هَدَّةٌ واجب جبلٌ هوى من آل عبد منافٍ
هلاً دفنتم سيفه في قبره معه، فذاك له خليلٌ وافي

أين ذلك الجبل؟ لقد نسيه الناس، وبقي شعر ابنه «الشريف» يُعلَى ذكره،
ويعجَّدُ اسمه، حتَّى في مجلسنا هذا بعد مئات السنين.

قال باسمًا: لو كان جدك «عامل شهارة» حيًّا لجزرك عن قول «الشعر».

قلت: وهل كان شاعراً؟ قال كلاً! قلت: فأنتم تعلمون أن جدّه الأعلى هاشم بن يحيى الشامي وابنه محمد بن هاشم قد قالوا الشعر البديع. قال: نعم. . قلت: وأيهما أفضل في نظركم «جدي». «عامل شهارة» أم جده هاشم بن يحيى قال: لقد كان «هاشم بن يحيى» إمام علمٍ، وزُهدٍ، وهو صاحب «نجوم الأنظار».

قلت: وقد كان أيضاً إمام شعر، وقد نسي الناس نجوم أنظاره لكنهم يحفظون بدائع أشعاره، وقوله:

وَإِذَا الْقَلْبُ عَلَى الْحَبِّ انْطَوَى، فَاشْتِرَاطُ الْقُرْبِ وَاللِقَا غَرِيب

يدور على لسان كل يمني أديب، ثمّ أَمَا قَدْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: «إِنْ مِنْ الشُّعْرِ لِحِكْمَةٍ؟ قال: نعم. . قلت: أَوْ مَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ «الشُّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ»؟ قال: نعم. قلت: وَإِذَنْ..؟ فَتَأَمَّلْ قَلِيلاً.. ثمّ أَقْبَلَ عَلَيَّ بِصَوْتٍ خَافَتْ قَائِلًا:

«إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ مِنْ حَصَائِدِ الْأَلْسَنَةِ».

«فإذا كان قد قدر لك أن تكون شاعراً: فأترك المدح، واحذر مغبات القول، ولا تكن هجاء، وكن من الذين آمنوا.. قلت: (وانتصروا من بعدما ظلموا) فضحك وقال: هداك الله»:

لقد شعرت يومها بشيء من الاعتزاز والتباهي، فركبت دولاب الخيال يدور بي في آفاق الشعر الواسعة، ولم يدرك عنفوان طموحي وحماس شبابي عمق ما تعني «مغبات القول» و«حصائد الألسنة» واندفعت متغزلاً، وناقداً ومادحاً، وقادحاً، وبانيّاً طوراً، وطوراً هادماً، وهادئاً حيناً وحيناً ثائراً، وأرضيت وأغضبْتُ، وصادقت بشعري وعاديت، وربما أحسنت ولكني قد أسأت أيضاً.. وهأنذا الآن وبعد الخامسة والخمسين أدرك أن الوالد «هاشم المرتضى» كان ناصحاً براً، وأتذكر بعض ما تفوه به لساني، أو خطه قلبي، بما نُشِرَ وما لم يُنشر فيلسعني الندم، وأفهم ماذا عناه ذلك الشيخ الوقور رحمه الله.

نعم لقد أخلصت للشعر وجعلته عُدي وعِتادي، ورفيق عمري وزادي وزنادي.

وحينَ لَسَعَنِي الهوى رِقاني «الشعر» بِترياق الخيال، فكنت أفيء إلى ظلال الأحلام في رياضه، وألوذُ به من رمضاء الهجر والبعاد.

وحين أنكرتُ ما أنكرتُ، وحاربتُ من حاربت، كان «الشعر» هو السلاح الذي به أصولُ وأجول، وأحدو قوافل الرفاق إلى ميادين الصِّراع.

وحين طَغَت المصائبُ والمحنُ، وأناختْ بكلاكلها على الضُّعفاء، والمضطهدين والمشردين، كان «الشعر» أرقَّ ما استطعتُ أن أواسيهم به، أرسلُ الحانة الحزينة فتكفِّف الدموع، وتبلسم الجراح، وتهدهد الحرقات.

وحين حاول – من حاول – أن يطمس معالم التاريخ «وقال الزُّورَ والبهتان فينا. ! كان «الشعر» حجَّتِي «الدَّماغَة»، وجَلَّجَلت بصوته فارْتَجَفَت أركان، وانهمزمت جحافل..

وكان رفيقي عندما هاجرت.. وكان أنيسي في السجن، وما طاف بي مكروه إلاَّ بدَّدت ظلماته بالشعر، ولا أَلَم بي أسى إلاَّ طردتُه بالأوزان والقوافي.

وهو من قبل ومن بعد كما قلت:

يا يراعى أَعْتَصِرْ حياتي شعراً	يُطْرِبُ النَّاسَ لِحْنُهُ الرَّقْفَرُاقُ
نَغْمًا تَلْجَأُ الأمانِي إليه	– إن تَأَسَّتْ – ويفزَعُ العُشَّاقُ
قَدْسِيًّا إذا قَوافِيه تُتْلَى	خَشَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَالْفُسَّاقُ
هُم يَظُنُّونَهُ تَرانِيمَ لهو،	أو نَشِيدًا تَبَثُّه الأَشْواقُ
وهو أنات عِثْرَةٌ ومَعاناةٌ	خِلاصٍ، ودمعُ رُوحٍ يراقُ
لَهُمُومَةٌ نَغْمَةُ الوترِ اللاهي	ولي منه النَّارُ والإِحراقُ

وقصتي مع الشعر. هي رحلة العمر، أقرؤه أو أنشيه، ولَعَلَّه – وقد أَسْهَبْتُ – يجدر بي أن أذكر أني كنت – قبل البلوغ – أتذوق تلك الأشعار الركيكة في «ألف ليلة وليلة» وقصة «سيف بن ذي يزن» ثم تجاوزت ذلك إلى «البرعي» و«البهاء زهير» و«المستطرف»، وما جاوزت السابعة عشر إلاَّ وقد درست دواوين «أبي تمام» و«البحري» و«المتنبي» و«جرير» و«الفرزدق» و«الأخطل» وكتب «البدر الطالع» و«نيل الوطر» ثم وقع في يدي كتاب «الأغاني» فهمت معه في كلِّ واد.

ولا بد أن أشير إلى تأثري بكتب الدكتور «زكي مبارك» «البدائع»، و«الموازنة بين الشعراء» و«النثر الفني» وبدراسات الدكتور «طه حسين» في «حديث الأربعاء» والأدب «الجاهلي»، وقد قرأت «العقاد»، و«المازني»، و«الزيات»، و«أحمد أمين»، حتى وقفتُ بباب أديب الإسلام «مصطفى صادق الرافعي» فألقيتُ عندهُ عصا الترحال واتخذت من أدبه المنهج والمثال، وقرأتُ بإمعان «حديث القمر»، و«رسائل الأحرار» و«أوراق الورد» و«المساكين»، و«وحي القلم» وأعدت قراءتها، ولم أسأم تكرارها، ودرستُ ودرستُ «تاريخ آداب العرب» و«إعجاز القرآن».

وإن أنس.. فلن أنسى - وليغفر لي القارئ الإسهاب - أي حين أنشدت قصيدتي «الرائية» في مجلس ولي العهد «أحمد» أودع عام ١٣٦١هـ المشؤوم، وأستقبل عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، مهيناً الأمير. متحدّثاً عن «الشعراء»، وكان الشاعر إبراهيم الحضرائي قد وصل من «ذمار» إلى «تعز» لكنه لم يكن في المجلس عند إنشاد «القصيدة»، وفي اليوم التالي هبطتُ إلى «المدينة» مع الأخ الأديب السيّد حسين الويسي، وقصدنا «دكانَ الجُزوي» فأخذ «الويسى» القصيدة وأملاها على الحاضرين وضمنهم إبراهيم الحضرائي وما إن تلا الأبيات:

وشاعرٌ يبعثُ الأناتِ صاحبةً كأنها جَمَراتٌ في حناجرِهِ
إلخ.

حتى قَهَقَه «إبراهيم».. فقلت: ماذا بك؟

فقال «الويسى»: «إنه قد تصوّر نفسه، فقد اشتوى حلقومه بهذه الجمرات..! وضحكت، وطَرَفْتُ عينا «إبراهيم» فمددتُ كَفِّي وتصافحنا، وكان أوّل لقاءٍ لصداقةٍ شعرية عجيبة!

انسجمتُ مع إبراهيم الحضرائي انسجاماً شعرياً إبداعياً، وبدأنا نسلك الجادة التي سلكها شعراء «أبوللو» ونهيم في وديان علي محمود طه، وإبراهيم ناجي و«الشابي» وكنت قد قرأت قطعاً مترجمة من «شكسبير» للأستاذ محمد فريد أبو حديد، وبطريقة لم نألفها من قبل: وفي سرد منغم موزون لا ييالي بالقوافي، كما قرأنا مثل ذلك للشاعر علي أحمد باكثير، والشاعر حسن بن عبد الرحمن السقاف،

«وكلاهما من حضرموت اليمن» وهو ما كنت أصبو إليه ، وأحاوله حينما بدأت مزاولة الشعر وعاصمتي القوافي، فمضيتُ مع إبراهيم في تلك الجادة السهلة: هازلين حيناً، جادين أحياناً، ومن شعر إبراهيم حينذاك قصيدة «بلا عنوان؟ قالها سنة ١٩٤٣م أي قبل أن تُفكر الشاعرة «نازك الملائكة» في نظم «القصيدة الجديدة» بخمس سنوات، يقول إبراهيم فيها:

ما لِقَلْبِي يتَضَرَّم؟
وكياني يتهدَّم؟
أيتها النَّفْسُ . . حنانيكِ . . اهْدئي .
أيتها الآمالُ مَهْ لا تعبسي . . وابتسمي .
لِمَ . . لا أحيَا . . كما تَحْيَا الطُّيُورُ . . وادعا؟
أُغْنِي حينَ أغدو . وأحورُ . . لاهيا،
لا أبالي . هم أمسي ، أو غدي ،
وَاجِدًا في كُلِّ شَيْءٍ مُتَعَتِي ،
في الهواءِ الطَّلَق ، في عَرَفِ النَّسِيم ،
في خَرِيرِ المَاءِ ، في سِحْرِ الأَصِيل ،
لَسْتُ بالمسؤول . . في هذا الوجود!
أنا فيه ذرة في جَبَل . .
أو حصاة في خضم مُزبد . .
إنما جِئْتُ لأحيا
بفؤادٍ كالرَّبِيع ،
لا ترى فيه سوى غُصْنٍ يَمِيسُ ،
وهزاز يَتَغَنَّى فيه . . أوزهرٍ يَضُوعُ .

إلى آخر القصيدة وهي طويلة بديعة، ولقد ألفتِ الشاعرة الكبيرة «نازك الملائكة» كتاباً قيماً عن «قضايا الشعر المعاصر»! وأنا أتفق معها في جلِّ ما افترَضَتْهُ،

وفي معظم دراساتها، وأنظارها، التي ضمنتها الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٤م عن هذا اللون من الشعر، ولكنني أخالفها في تحديد بداية حركة «الشعر الحر وتاريخها» وزعمها بأنها كانت سنة ١٩٤٧م «في العراق، ومن العراق بل ومن بغداد نفسها»! وأنَّ أوَّل قصيدة حرة الوزن تنشر - كانت - قصيدتها المعنونة . . «الكوليرا» ص ٣٥ «قضايا الشعر». لأن هذا الزعم قد جعل مكان نشأة الشعر الجديد «العراق» كما يؤيدها في دعوى فضل ابتكاره سنة ١٩٤٧م، وهي دعوى عريضة . . ، يخالفها الواقع، فالشاعران على أحمد باكثر وحسن السقاف «بن عبيد الله» وهما يمينان، ومن حضرموت موطن أمير الشعراء «امريء القيس» قد مارسا هذا اللون من الشعر في أواخر الثلاثينات، وبطريقة مثيرة، وقبل أن يسمعا باسم «نازك الملائكة»، كما أني وإبراهيم الحضراين قد تعاطيناه قبل أن نقرأ «لنازك، أونزاراً» شعراً مقيداً أو شعراً حراً، ومع ذلك لا أدعي أن إمارته لليمن: وأنها منبعه، مثلما كانت قديماً، متمثلين بقول الناقد القديم: «كادت اليمنُ تذهب بالشعر كله» . . لأنَّ هذا اللون من الشعر قد عرف قديماً، وكانوا يسمونه «البند» وهو أصل من أصول الشعر الجديد.

وقد وجدت بين ركام أوراقى «مَوْوَدَتَيْن» من هذا الشعر قلت الأولى قبل هجرى إلى عدن سنة ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م، وعنوانها: «الحرية»، ومنها:

يا فتى الآلام . . يا ابنَ القَهْرِ . .
 ماذا تتصبَّى ؟
 ما الذي يُضنيك ؟ بل ماذا تريد ؟
 أنت تهواها . . !
 أنت مُضناها . . وتخشأها . !
 ولها «بابٌ» عَتيد . . !
 إنَّها «الحمراء» والكفُّ العنيد . .
 يطرقُ البابَ . . فُكُنْ،
 كُنْ . . وَكُنْ . . أو لا تَكُنْ،
 تلك مأساة جميع العاشقين .

إلى آخرها، وأفكارها مطروقة، ومُضطربة، ولا أستطيع أن أَسْتَجْلِي الآن
ما كان يخامرني من مشاعر، ولكنها تؤكد ما قلته من دَخْص دعوى «نازك»، وتصور
ثورةً مبكّرةً على الهياكل الشعرية المألوفة حينذاك !

وأما «الموؤودة» الأخرى فكان عنوانها «لعنة» في «عدن» وقد أنشأتها هناك سنة
١٩٤٤م، ومطلعها:

«أحبك .. لا .. بل أحب أنفعالي،
بما يلتظي تحت عينيك من !
سُهادٍ، ومن ألمٍ قاهر !
أأنتِ الغريبة .. ؟ لا .. أنتِ في شاطئٍ
بعيدٍ بعيد ..

غريبٍ على العاذل السّاخر،
وفي «عدن» حيث لا مقلة ..
ترانا إذا ما التّقينا .. على نغمٍ ساجِرٍ .
نراقص فيه ظنون الجمال ..
فتعيا .. وقد ثملتُ بالخيال ..
وتغفوا .. وسرعان ما تستفيق»،
على صوتِ شاعرِها الثّائر،
فأرجمُ بالوهم من يخطئون،
ومن يقرأون، ومن يكتبون،
زورًا .. وإفكًا ..
وأشتمُ من يجأرون .
بالدّعوات .. ومن يُحرقون ..
بخور الصّلاة .. على جُثّةِ الشّاعر .

* * *

وحين هاجرتُ إلى «عدن» ولازمت ندوة «نجيم أبي الطيب» وجالستُ
الشاعرين محمد عبده غانم، وعلي محمد لقمان، استعنتُ بهما على معرفة قصائد من
الشعر الغربي، وكنتُ قد قرأت ما ترجمه «خليل مطران» و«الزيات» وغيرهما لشعراء
الغرب وأدبائه، وقرأتُ «طاغور» و«تولوتسوي» و«جوركي» و«شيلي» و«بيرون»
واستوعبتُ ما كتبه أحمد أمين، وزكي نجيب في «قصة الفلسفة اليونانية» و«الحديثة»،
وفي «قصة الأدب في العالم»..

الشعر هو لبابُ حياتي، ولا أستطيع أن أتصور نفسي ناجحاً راضياً.. لو لم أكنُ
قادرًا على قول الشعر – كما قال صديقي – فهو سراجي إذا تدجّت الخطوب،
ووسيلتي إذا انقطعت الأسباب، ومهربي إذا انسدت الطُرقات، لقد حاول البعض
أن يجردني من خصائصي.. وقالوا ما قالوا. ولكنَّ شعري فرض نفسه على أقلامهم،
فلم يستطيعوا له جحودًا.. وودّوا لو استطاعوا..!

والآن.. وقد طغت فوضى اللفظ واختلت موازين الشعر، وتطاول عليه قومٌ
لم يُهَيِّأُوا طبعًا وتكوينًا ليكونوا شعراء.. بل ولم يحاولوا معرفة وسائله وآلاته، ودراسة
علومه، فيُحَسِّنُوا إنشاء تراكيبه، ليكونوا على الأقل من طبقة «النظامين».. كما كانوا
يسمونهم قديمًا، «والشعرُ صَعْبٌ، وطَوِيلٌ سلمه»، وويل له من كاتبه وقارئه، إذا
لم يملك حاسةً ضَبُطِ أوزانه وأعاريضه، ومَلَكَ اسْتِكْنَاه رموزه، وتواريه، وإشارته،
ولقد كتب الكثيرون يحاولون التصحيح والتبيين، ولكن هؤلاء لا يكادون يفقهون
قولاً، وإذا أراد العارفون تبصيرهم، قالوا.. لا.. لا.. هذا شعرٌ جديد، فإذا قيل
لهم: أين نغمه؟ أين موسيقاه؟ أنكروا العروض وقالوا تلك ترهات القدماء، في
الجاهلية الجهلاء، فإذا قيل لهم: على الأقل سموه «نثرًا».. وإلا فلماذا وجدت لفظتنا
«الشعر» و«النثر» في كلِّ لغات البشر، وقالوا «نثرفي» و«قصيدة مشورة» و«معنى
معقود» وقالوا هذا «شعرٌ» وهذا «نظمٌ».. وهذا وهذا، إذا قيل لهم ذلك، تبرموا،
ولاكوا كَلِمَات؛ «الجمود» و«الرجعية» و«التجديد» و«الحرية» إلى آخر الألفاظ التي
لا علاقة لها بالشعر والنثر، والنظم، والبيان، والقديم والجديد.

لقد اعترفتُ – سلفًا – أني كنتُ من أوَّل من زاول هذا النوع من الشعر الذي
يسمونه تارةً «الجديد» وأخرى «الحر»!

ولكني ما كنت أظنُّ أنه سيتهي إلى مصيره الحاضر. ! وفَرَزْتُ بِنَفْسِي وهمومها الشعرية، إلى كنف «أبي العلاء المعري» وبعد عشرة طويلة: توطَّد يقيني، بأنَّ «القافية» «لازمة» ضرورية. . . وليس ذلك فحسب. . بل وأنَّ «التزام» الحروف المتعددة «فنُّ طبيعي» يحتمه الذوق الفني أحياناً، وتفرضه الفِطْرة الشعرية، وتساوق السرد البياني، كما لَهَجَ به «كثير عزة» في تأثيته، و«ابن الرومي» في مطولاته، ووجدتُ لذلك أشباهاً ونظائر في أشعار الفحول خلال العصور؛ وفيه المتكلف البغيض، وفيه الطبيعي الجميل.

ولقد مارست هذه الصناعة الطَّبِيعِيَّة، فوجدتها رياضة فكرية ولسانية وفنية، لأنها تشحذ الذهن، وتقوي ملكة البيان، بل وترهف الذوق الشعري.

وعندما كنتُ أجاري «أبا العلاء» في لزومياته. . قال لي أحد أدباء اليمن، ولماذا تعنتُ وتُجهِد نفسك؟ قلتُ؛ ليس في الأمر إعنات ولا إجهاد؛ ثم أغرقتُ في القول كي ألفت انتباهه فقلتُ: ولو كنتُ من أبي العلاء. وفي قُدْرته ومعرفته، وتمكنه اللغوي، وشاعريته الخلاقة. لسميتُ كتابي «لزوم ما يلزم». . قال: إن «لزوميات المعري» من الشعر الوحشي الغريب المكبل بالقوافي والحروف، والألفاظ المتكلفة؟

قلتُ - غير قاصد إحراجَه - : إن الواقع عكس ما تقول يا صديقي؛ ففي «بعض» ما ورد في ديوان. . «سقط الزند» وهو أول دواوين «المعري» ما هو أكثر وحشية وغرابة علينا نحن المحدثين. . وقواميسنا اللغوية المحدودة، بما وَرَدَ في «اللزوميات» وسأضرب لك مثلاً:

يقول «المعري» في «سقط الزند» [ص ٥٨]:

يا ابن الألى غير زجر الطير ما عرفوا	إذ يعرف العرب زجر الشاء والعكر
والقائديها مع الأضياف تتبعها	ألأفها وألوف الأم والبدر
من كل أزهر لم تأشر ضمائرهُ	للثم خد، ولا تقبيل ذي أشر
لكن يقبل فوه سامعي فرس	مقابل الخلق. بين الشمس والقمر
من الجياد اللواتي كان عودها	بنو الفصيص لقاء الطعن بالثغر
يا غيث فهم ذوي الأفهام إن سدرت	إبلي فمراك يشفيها من السدر

ويقول أيضاً في «سقط الزند» [ص ٢٨٢]:

أضأة يروم السّمهري ورودها فتشرقه منها بأبيض سلسال
وترجع خرصان العواسل هيّا كخرصان رقل، أو مخارص عسال
من البيض فرعونية ليس مثلها بمشتمل خيرى دهر، على حال
إذا كرة كانت لبيضاء نثرة دواء أرت كراً يجيب وأذبال

وهاتان القطعتان من روائع شعر المعريّ في المدح، والوصف في ديوانه «سقط الزند» بينما نسمعه يقول في «اللّزوميّات» [ص ١٦٠] ملتزماً الباء المكسورة مع الذّال والياء:

الحمد لله؛ ما في الأرض من دعة كلّ البرية في همّ وتعذيب
جاء النبي بحق، كي يهذبكم فهل أحسن لكم طبع بتهذيب؟
«عود» يصدق، أو غرّ يكذب أو مردّد بين تصديق وتكذيب
ولو علمتم بداء الذئب من سغلٍ إذن لسامحتم بالشّاة للذئب

ويقول أيضاً ملتزماً الباء المكسورة مع الباء والألف:

بني الآداب؛ غرّتكم قديماً زخارف مثل زمزمة الذباب
وما شعراؤكم، إلّا ذئاب تلصّص في المدائح والسّباب
أضرّ لمن نودّ من الأعادي وأسرق للمقال من الذّباب!
أقارضكم ثناء غير حقّ كأنا منه في مجرى سباب
أذهب فيكم أيام شيبى كما أذهبت أيام الشّباب!
معاذ الله وقد ودّعت جهلي فحسبي من تميم والرّباب؛
ذروني يفقد الهذيان لفظي وأغلق للجِمام عليّ بابي؛

فتأمل أيّ الشعرين أسهل وألطف وأجل، لا قافية وروعة سبك، بل ومعنى وموضوعاً؟ هذا مع أني لم أتعمد الاختيار للأصعب من هناك، أو الأسهل من هنا؛ لأنّ العارفين باللغة لا يجدون صعوبة في تلك الشواهد؛ كما أني لا أنكر أن «اللّزوميّات» قد اشتملت على الكثير من الألفاظ الغريبة والتعابير المتكلفة، وذلك

ما يوجد في الشعر على مختلف أشكاله وفي كل العصور. وكأنَّ الصَّدِيق قد أراد «اختباري» فقال: وهل جاريت هاتين اللزوميتين؟ قلت: نعم. قال: كيف جاريت الأولى؟

قلت:

قلبي لكم؛ فلماذا تعبثون به ماذا جنى كي تجاوزه بتعذيب؟
أنتم يقيني وشكِّي في الحياة، كما كتم جحودي وإيماني وتهذيبي
بالحُبِّ أقسم ما أشركتُ غيركم فيه، ولا فُهِتْ - عَنْ عَمْدٍ - بتكذيب

قال: وماذا عن الثانية؟ قلت: كانت للمجاعة كما يلي:

دعوني أنتحب أسفاً، لأنني وهبتُ اللهو أيامَ الشَّبَابِ
شُغِلْتُ عن المحاسنِ بالمعاصي أجازفتُ بالمدائح والسَّبَابِ
وأقطع بالظُّنون بلا دَلِيل وأرضى بالقشور عَنِ اللَّبَابِ!
وكِدْتُ أهيمُ في فلوات تيهي فتخطفني متاهاتُ التَّبَابِ،
وهل يُعني التلهف؟ أو سيجدي إذا أغلقت دون النَّاسِ بابي؟

وستجد كل ذلك في ديواني، «ألف باء اللزوميَّات» الذي آمل أن يخرج على الناس مع هذا الديوان، إن شاء الله تعالى.

ولأنَّ الشعر موسيقى، وتصوير وتعبير، وله صفات، وقواعد تميزه عن النثر، أردتُ أن أضرب مثلاً لأولئك المتطاولين عليه من يمينين وغيرهم، وليعرفوا أنهم إنما يفرطون، ويتساهلون ويتهربون من الموسيقى، والقوافي، لا تجديداً.. كما يزعمون، وإنما تكاسلاً أو عجزاً.

إن الشاعر ينظر إلى الوجود ببصر خاصٍّ لأنه قد خلقَ مزوداً بقوة إشعاع باطنة ترى ما لا تراه العيون العادية «والجمال والحب، والخير، والشر، والحق والباطل، والعدل والظلم، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاء.. بل والطبيعة بكل ما فيها من هواء وسماء وبحر وبر، وأشجار، وحيوانات، إلى آخره.. كل ذلك حقائق.. لها مدلولاتها في أذهان النَّاس، حَسَبَ قُدْرَاتِهِم الفطرية، وثقافتهم الاجتماعية، وظروفهم المادية والروحية، ولكن الشاعر. يأتي «فيرى يبصره الشعري» أسرار هذه الحقائق

والأشياء فيعبر عنها ويظهر خفاياها. وبين خصائصها. بلّ ويزيدُ فيها وينقص، ويهذب ويلون، ويعبث أحياناً: وبقدر نفاذ بصره الشعري «الموسيقى» يستطيع أن يُضفي على تلك الأشياء المادية، والكائنات الطبيعية، والحقائق الذاتية.. ألواناً سحرية راقصة خلابة تستولي على مشاعر الناس «وتستهوهم»؛ وتسرحُ بمشاعرهم في عالم كلّ لذة وانسجام.

ولذلك قيل: «إن من البيان لسحرا»، ولذلك أيضاً كان للشعر «تفاعيل» موسيقية، وأنغام مطربة، لأنّ «الموسيقى» هي لذة الروح، وشهوة السمع، وموسيقية «التفعيلة» ورنّة «القافية» هي الفرق بين الشعر، والنثر، علماً بأنّ عظماء الكتاب والخطباء والفلاسفة يملكون فطرةً واكتساباً ما يملكه عظماء الشعراء من مواهب، ولذلك فآثارهم النثرية يكون لها نفسُ التأثير على المشاعر البشرية..!

إلاً أن الشعر – الشعر الحقّ – ألطف وألذّ، وأكثر متعة بنغمته، وموسيقاه! ولذلك أيضاً لا يمكن أن نسمي الكلام الذي لا وزن له، ولا تفعيلة شعراً.. حتى ولو كان في أسلوب بياني جميل خلّاب، ويعرب عن حقائق سامية، وأفكار إنسانية نبيلة، ولذلك أيضاً نحاسب الشاعر حساباً عسيراً، على «الإيطاء» و«الإقواء» و«السناد»... إلخ، ولا نسمح له بما نسمح للكاتب والخطيب والفيلسوف من حرية الإسهاب، والتبحر، والتدليل، لأن بصره – الشعريّ إن كان نافذاً – يجب أن يتقيد بنظام الأوزان. بل و«يلتزم» القوافي الطبيعية المناسبة لمضمون ما يريد الإعراب عنه، فتأتي أفكاره موزونة لا خلل فيها، ولا فساد، ولا استرسال، ولا تكرار، ولا نشوز.

إن المعاني هي هي عند «النثر» العظيم وعند «الشاعر» العظيم، لكنها لدى «النثر» حرية وانطلاق، وشرح، وهي لدى «الشاعر» غناء وموسيقى واستيعاب، وهذا هو الفرق بين «النثر» و«الشعر» عند البشر، وهذا المعيار أيضاً يظهر الفرق بين الشاعر «حقاً» و«المتشاعر» عند «النقاد» الذين يملكون وسائل نقد الشعر، من علم، وذوق وإحاطة و«بصر شعريّ» أيضاً.

ولا أعتقد أن «طاغور» كان مخطئاً حين قال: «إن الله يخاطبُ الناس عن طريق الموسيقى»! وإذن فالموسيقى اللفظية «ملتزمة» للقوافي المتعددة، أو غير مُلتزمة، هي ميزة «الشعر» والفارق الفني بينه وبين سائر أنواع «الكلام»..

إنَّ آثارَ عباقرة «النثر الفني» تُسامقُ جمالاً وروعةً آثارَ كبار الشعراء . . في كلِّ العصور ولمن يُريدُ - وهو يَسْتَطِيعُ - أنْ يُعبِّرَ عن أفكاره وأحاسيسه، بعبارات جميلة غير مقيدة بـ «وزن» ولا «قافية» . . فليَفْعَلْ وليُسَمِّ ما يقوله «نثراً» لا «قصيداً» ولا شعراً؟ وله من «نهج البلاغة» للإمام علي، و«أوراق الورد» للرافعي، و«الأجنحة المتكسرة» لجبران، و«الأيام» لطفة حسين أمثلة رائعة خالدة في تاريخ الأدب قديماً وحديثاً.

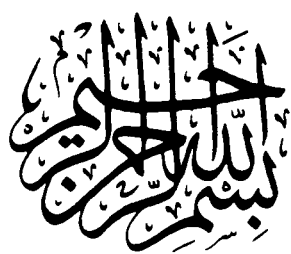
وحانت «نوبتي» الشعرية، حين . . تجتاحُ أعصابي ومشاعري ونهاري وليلي، دوغماً سابق إنذار، أو محاولة، أو إرادة . . ! وقلت لنفسي: «إنها فرصة العمر! فلا ضربَ «المثل»، لا تحدّياً، ولكن حفاظاً على كرامة «الشعر الجديد»، واستسلمتُ «للنوبة» . . في فترة رهيبة بإرهاصات، وأحداثها، وذكرياتها، وترنّمت به مقيداً بالتزامات شاعرنا «المعري» مُنطلقاً في آفاق ذكرياتي حيناً . . وتارة أهيم في ذاتي مصوراً ما تعانيه أوزارنا، وما تكابده أنغاماً.

أحمد بن محمد الشامي

بروملي: ٧ ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ

١٥ مارس ١٩٧٨ م

بنالحمدين
سري



للوفاء

إلى .. قصيدة الحبِّ الخالد ..
إلى .. ابنتي «المحسين» من لحمٍ ودمٍ ؛
إلى .. بَنِيَّتِي «أُمّة الله أحمد السَّامِي»
أُفدي : «بَنَاتِ المحْسِنِينَ» .
وإِذَا مَا .. رَحِمْتَ أَنْفَاقَهَا .
مَعَ أَخَوَاتِهَا ، وَرَفِيقَاتِهَا ، مِمَّنْ الِيَمَنُ .
وَفِي الِيَمَنِ ، وَبَعْدَ عَشْرِينَ عَامًا ..
فَلْيَقُولُوا :
«رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ»

أحمد بن محمد الشامي

٧ ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ

١٦ مارس ١٩٧٨ م

مُفَكِّرٌ

إلى المؤمنين بالحرية قولاً، وتفكيراً، ومذهباً، أقدمُ «بناتِ الخمسين» .
وما هنَّ كلُّ مَنْ أنجبتُ بعدَ «الخمسين» .

فبعض أبكارهنَّ قد تخطَّرن على مسرح «حصّاد العمر»^(١) أما اللواتي توارين
آنذاك استحياء فهاهنَّ «سافرات» مع أخواتهن «الأوروبيات» في هذا الديوان، وفي
«ألف باء اللزوميات» وديوان «لزوميات الشعر الجديدة»^(٢) . . !

«الحرية» «ألف باء»، لغة الحياة . «توراة» و«إنجيل»، و«فرقان» البشر، غايةُ
كلِّ «فلسفةٍ» وهدفُ كلِّ «تشريع» . روحُ «العقود» و«المواثيق»، وناموسُ «الشرائع»،
و«الدساتير» .

لا قيمة لي، ولا . . لك، ولا . . لهم، ولا . . لهنَّ دونها حُرِّيَّة! «حريةُ
الاختيار»، و«حريةُ الرِّفْضِ» أيضاً . قولاً، وتفكيراً ومذهباً . .

أنا لا أقول جديداً . . فباسمِ «الحرية» كم هَتَفَ وتَفَلَّسَفَ، وألَّفَ ونَظَمَ،
وعاش، وتلف، وجار وأنصف، كثير من الأولين .

وباسمها قد شرَّعَ وحكَّم، وعدل وظلم، وشيَّد وهدم، وثارَ وانتقم كثيرٌ من
الآخرين .

وباسمها . . كم تجبَّر الأقوياء لأنَّهم «أحرار»!

وكم تعذَّب الضعفاء . . لأنَّهم «عبيد» . !

(١) حصّاد العمر: نُشر عام: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

(٢) سيخرجان على الناس مع هذا الديوان إن شاء الله وثلاثتهن من وحي «الخمسين» .

وقصة البشرية في كل مكان: شرائع وقوانين، وفلسفة ومذاهب، وحرباً وسلاماً، وخصاماً ووثاماً، هي قصة الحرية في كل زمان؟

وفي حدود زمني - وأنا في عقدي السادس - ومكاني، وهو اليمن^(١) ستغني وتنوح، وتأسى وتمرح، وتجد وتمزح، وتتمتع وتبوح، «بنات الخمسين» تحت لواء المحبة والرحمة.

يا أخي في «اليمن».

لماذا ألومك إذا كنت «زَيْدياً» وأنا «شافعي»؟

ولماذا أكرهك إذا كنت «شافعيّاً» وأنا «زَيْدي»؟ وماذا يضيرك أو يضيرني . . إذا كنت أو كنت «رجعيّاً»، أو «تقدميّاً»، «سنيّاً» أو «شيعيّاً»، «قحطانيّاً» أو «عدنانيّاً»، «يساريّاً»، أو «يمينيّاً»؟

ليس الجميع بشرّاً؟ . . وقد خلقوا «متساويين»؟

ليس لكل حق في الحرية، ونصيب في الحياة؟

وهناك . . «قسطاس» للعدل لا تميل «شوكتة» حين تطغى . . «الأمزجة» أو يؤله «الهوى».

لأن «العدل» . . هو . . «الحرية» . . !

وميزانه . . وبمعاييره الدقيقة . . نعم الوازع، الرادع، والحارس الأمين.

فلنتحاور - يا أخي - بالحجج . . ولنتجادل بالبراهين، ولنغمد السيوف، ولنكتم أفواه «النار والرصاص»، وليكن «المنطق» - نهج حوارنا، وليكن «الحوار» وسيلة تعبيرنا، عماً . . نعتقده خطأ، أو نظنه صواباً، «في الرأي»، تضطغن العقول . . وليس تضطغن الصدور، كما قال «أحمد شوقي»، أو كما قال أيضاً: «اختلاف الرأي» لا يفسد في الحب «قضية».

هذا هو نشيد «بنات الخمسين» اللواتي برزن قبلاً، واللائي أسفرن في هذا

(١) ولدت في «الضالع» في شهر جمادى الأول سنة ١٣٤٢ هـ / يناير سنة ١٩٢٤ م.

الديوان، والصَّبَايا اللواتي.. ما زِلْن وراء الحجاب، والشُّوقُ والحُبُّ لِلصَّبَايا..
اللواتي ما زِلْن وراء الحجاب!!!

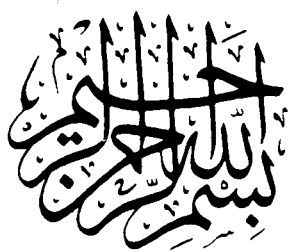
«المحبَّة» ظلُّ «الحرية» الوارف.
«الرحمة» عرضُ «الحرية» المقدَّس.
«الحوار» شعارُ الحرِّيَّة، وحاميها القويُّ الأمين:
فلماذا لا يكونُ نشيدُ الجميع:
المحبَّة.
الرَّحمة.
الجوار..؟
والسَّلام على مَنْ اتَّبَعَ الهدى

أحمد بن محمد الشامي

بروملي: ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٩٨هـ
٣ أبريل سنة ١٩٧٨م

ألف بَاء

اللزوم



للإهداء

إلى: من تحت قدميها
جنتي وصرختي .
إلى: « الأُمِّيَّة »
التي علّمتني
كيف أقرأ وأكتب وأفكر ..
إلى: « أُمِّي » ..
« أمة الله أحمد »
السّامي !

مُقَدِّمَةٌ

لقد سخرتُ من نفسي حين راودني النزوع إلى مجارة شاعر الإسلام أبي العلاء المعري في «لُزومياته»: وَرَدَدْتُهَا بِأَدَى ذِي بَدْءٍ رَدًّا غَيْرَ جَمِيلٍ . . وَلَكِنَّهَا - وَهِيَ الْأَمَّارَةُ - أَعَادَتِ الْكُرَّةَ. وَظَلْتُ تُغْرِينِي، وَتَشْغَلُ يَقْظَتِي وَمَنَامِي، وَتَهْجُسُ فِي خَاطِرِي رَغْمَ أَنْفِي، مُتَمَتِّعَةً بِالْقَوَافِي الْمَصْفُودَةِ، وَكُلَّمَا أَمَعَنْتُ فِي الْإِعْرَاضِ: اشْتَطَّتْ فِي الْإِقْلَاقِ . .

وَاسْتَسَلَّمْتُ . . وَبَدَأَتْ أَسْتَلْقُ ذَلِكَ الْجَبَلَ الْأَشْمَّ الشَّاهِقَ، وَأَرَوْضَ «أَنْفَاسِي» عَلَى اقْتِحَامِ شَنَاخِيهِ، وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ تَخْرُ لَوَاهُثَ فِي سَفُوحِهِ وَمَطَاحِمَهَا تَنْتَظِعُ إِلَى قَمَمِهِ ضَارِعَةً خَاشِعَةً . . ثُمَّ تَهْدَجُ مِنْ جَدِيدٍ . .

و «المعري» في «لُزومياته» شاعر عملاق، ومعارضُهَا عَمَلُ شَاقٍ، ولهذا - في حدود علمي - لم يُحَاوَلْ شَاعِرٌ أَنْ يَحْذُو حَذْوَهُ - الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ - وَبِالْإِتِمَاتِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَى نَفْسِهِ فِي دِيْوَانٍ مُسْتَقِيلٍ: يَحْتَوِي عَلَى أَلْفٍ وَخَمْسِمِئَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ لُزُومِيَّةً: أَخْضَعَ فِيهَا الشَّعْرَ لِلْحَرْفِ بِقُدْرَةِ مَرُوضٍ مَاهِرٍ، كَمَا أَخْضَعَ الْفِكْرَ لِلشَّعْرِ - وَزَنَّا وَقَافِيَةً - بِمَوْهَبَةِ فَيْلَسُوفٍ شَاعِرٍ.

وَمَا قَيْدُ أَوْزَانِهِ بِقَوَافٍ وَحَرَكَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ يَصْعَبُ الْإِتِمَاتُ بِهَا:

فَقَدْ قَيْدَ نَفْسَهُ أَيْضًا بِمَوْضُوعَاتٍ وَأَعْرَاضٍ مُعَيَّنَةٍ، فَهُوَ لَا بَدَأَ أَنْ يُودَعَ فِي كُلِّ مَقْطُوعَةٍ . . فِكْرَةً فِلَسْفِيَّةً. أَوْ نَظْرَةً كَوْنِيَّةً، أَوْ مَسْأَلَةً دِينِيَّةً أَوْ مُشْكِلَةً اجْتِمَاعِيَّةً. وَقَدْ يَسْخَرُ وَيَأْسَى: وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ أَبَدَعَ كَثِيرًا، كَمَا أَثَارَ التَّسَاؤُلَاتِ وَالْإِرْتِبَاكَ أحيانًا . .

إِنَّهُ «دِيْوَانُ شِعْرِ بَدِيعٍ» فِيهِ عِلْمٌ، وَدِينٌ. وَفِلَسْفَةٌ. وَفَنٌّ، فِي صُورٍ رَائِعَةٍ كَأَنَّمَا خَطَّتْ بِرِيشَةٍ شَاعِرٍ إِنْسَانِي، وَلَا يُوجَدُ لَهَا نَظِيرٌ فِي كِتَابٍ مِنْ مِثْلِهِ . .

أما القيمة الأدبية لهذه «الصناعة الفنية» وتاريخ نشأتها، وأول من تحدث عنها، فأحسن من أشار إلى ذلك الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتاب «تاريخ آداب العرب قال في [ج ٣، ص ٣٧٥]:

«هَذَا نَوْعٌ مِنَ الصَّنَاعَةِ يُعَدُّونَهُ مِنَ «الْبَدِيعِ» وَقَدْ سُمِّيَ «الْإِلْتِزَامُ». و«الْإِعْنَاتُ». و«التَّضْيِيقُ». و«التَّشْدِيدُ».

وبهذه الأسماء يدور في كتبهم. والمراد بذلك عندهم: أن يُعْنَتِ الناظم، أو الناثِر نفسه في التزام حرفٍ أو أكثر قبل حرف الروي. وهو إنما يفعلُه صاحبُ الكلام لقوته، ولو تركه لم يَدْخُلْ عليه ضعف! غير أني أرى أن الحروف تتساقط، وأن اللسان «ميزان».. فربما كان موضع لا يجد فيه البليغ المطبوعُ بداً من الالتزام. فيفعل ذلك «طبعاً لا صناعة» لأنه يرى اللسان يتثبت في الكلمات، فإذا لم يقع من كل كلمة على الحرف الملتزم أخل فلم يصب الرنة. ومن أجل ذلك لا يتم حسن هذا النوع إلا في الكلمات المتوازنة بالألفاظ كقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْخَنَسِ. الْجَوَارِ الْكُنَسِ﴾ وهو أكثر ما يتفق. أو بالمقاطع، لأن كلتا الكلمتين التي يلتزم فيها قد لا تكونان على وزن الأحرف بنفسها. ولكنها يتوازنان مع بعض مقاطع الكلمة التي قبلها، أو هما يتوازنان في بعض مقاطعها، لا في مجملتها كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ. وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾. فإن «وسق» لا توازن «اتسق» ولكنها يتوازنان إذا قلت «ما وسق» و«إذا اتسق»، فإذا لم يتفق هذا التوازن كما ترى في «مجنون»، و«مفتنون» مثلاً – فهو حينئذٍ «الإعْنَاتُ» و«التَّضْيِيقُ» و«التَّشْدِيدُ» إذا كان يُحْتَسَبُ «التزاماً» لأنه غير «طبيعي في الكلام» ثم قال في [ص ٣٧٦]: ولا نعرف أول من نبه على «الالتزام»: ولكن «قدامة» و«ابن المعتز» و«العسكري» – وهذا توفي سنة ٣٩٥ هـ لم يُشيروا إليه في كتبهم. ولا ورد ذلك في كلام من نبه على «البديع» ممن قبلهم من الرواة، لأن الالتزام في أكثر مواضعه المستحسنه طبيعي – كما قدمنا – ولكن «أبا العلاء المعري» المتوفى سنة ٤٤٩ هـ نظم هذا النوع في ديوانه المشهور «باللزوميات» وقال في «مقدمته»: «وجمعت ذلك كله في كتاب لقبته «لزوم ما لا يلزم» ومعنى هذا اللقب: أن القافية تلتزم لها لوازم. ولا يفتقر إليها حشو البيت: ولها أسماء تُعرف: وسأذكر منها شيئاً مخافة أن يقع هذا الكتاب إلى قليل المعرفة بتلك الأسماء». اهـ. ففي كلامه رائحة ضعيفة من الاختراع. ولعله أول من نبه عليه: فإن كان كذلك فهو لم يدعه، لأنه نهج مطرود،

وشرعة مؤرودة، غير أنه لا مرأى في أن «المعري» أول من اتخذ هذا النوع صناعة احترفا شطراً من عمره، فتكلف في تأليفه كما قال ثلاث كلف:

● الأولى: أن ينتظم حروف المعجم عن آخرها.

● الثانية: أن يجيء رويه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك.

● الثالثة: أنه لزم مع كل روي فيه شيء لا يلزم من باء أو تاء أو غير ذلك من

الحروف.

ثم قال الرافعي: ولم نعرف بعد «المعري» من تكلف تأليفاً مستقلاً في «لزوم ما لا يلزم»، إلا ما ذكره صاحب «وفات الوفيات» عن عبد العزيز ابن قاضي حماة المتوفى سنة ٦٦٢هـ: إن له في لزوم ما لا يلزم «مجلداً كبيراً»، وما نظمه قبله الوزير محمد بن يوسف التميمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ في مقاماته التي عارض بها «الحريري» فقد لزم في نظمها ونثرها هذا النوع، ولذلك تعرف بالمقامات اللزومية. واحتذاه في الأندلس عبد الرحمن بن محمد المكناسي المتوفى سنة ٥٩١هـ فقد كان ينشئ الرسائل اللزومية». انتهى كلام الرافعي.

وقد أراد «المعري» أن تكون «لزومياته» قاموساً منغماً يحيط بقوافي الشعر العربي ومفرداته، فأقى بالعجب، وبرهن على صدقه حين قال:

وإنني وإن كنت الأخير زمانه لآتي بما لم تستطعه الأوائل

ولا أظن أحداً من الأواخر سيستطيع أن يُصابِر المعاني. والأوزان، والحركات والقوافي كما صابرها..

ومقدمته الطويلة لديوان «لزوم ما لا يلزم» تؤكد ما أقول. وهي بحث قيم في «علم الشعر» لا غنى لأديب عربي عنها.

وقد ذكر «ياقوت» في «المعجم»: أن ديوان «لزوم ما لا يلزم» يحتوي على أحد عشر ألف بيت. وأحصيت ما ورد في «اللزوميات» المطبوعة في «بيروت» - دار صادر - سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م، فإذا هي لا تزيد على عشرة آلاف وسبعمئة واثنى عشر بيتاً.

وقد أنفق «المعري» في نظم «لزومياته» معظم حياته، ولا شك لديّ أن ما بين أول «لزومية» قالها وآخرها قد كانت فترة شعر طويلة لا تقل عن ستة وخمسين عاماً: وهو ما استنتجته من «اللزوميات» ذاتها: كما عرفت منها أيضاً: أنه بعد أن حدّد منهاجته بالنسبة إلى «لوازم» القافية المذكورة في مقدمته، ومن أحرف: كالروي. والردف. والتأسيس. والوصل: والخروج، ومنازلهن الاثني عشرة، ومن حركات: كالرس والإشباع. والحذو. والتوجيه. والمجرى. ومنازلهن الاثني عشرة أيضاً، وبعد أن تثبت من القيود واللوازم التي ارتضى تجشّمها. . قد أعطى نفسه الحرية المطلقة في أن يسجل خواطره. ويقيّد أو أبده. بأية قافية تسنّح. وفي أي وزن يعن، ثم يلحق كلّ «لزومية» بحرفها شأنه شأن سائر الشعراء الذين ترتّب دواوينهم حسب الحروف، فلزوميته «البائية» [ص ١٠٣، ج ١] مثلاً تدل على أنه نظمها وهو في «الثلاثين» وفيها يُعاتب نفسه ويؤنبها. . لانقياده لدواعي الهوى كالجنّيب مع أنه قد تجاوز سنّ الشباب:

إذا هبت جنوبٌ أو شمالٌ فأنت لكل مُنقادٍ جنّيبٌ
رويدك إن «ثلاثون» استقلّت ولم يُنبِ الفتى فمتى يُنبِ؟

والجنّيب بمعنى مجنوب. أي مقود إلى جنب آخر. ولا يمكن الجزم بأن هذين البيتين أولى لزوميات المعري: فلعله قد نظم «لزوميات» أخريات قبل «الثلاثين» وخلق به أن يفعل، ونحن نعلم أنه وُلد سنة ٣٦٣هـ. وتوفي سنة ٤٤٩هـ عن ستة وثلاثين عاماً.

ولزوميته «الهمزية» [ص ٤٤، ج ١]، توحى بأنه قالها بعد أن تخطّى الأربعين:

وما بعد مرّ الخمس عشرة من صباً ولا بعد مرّ الأربعين صباء

كما أنه يحدثنا في لزومية «همزية» أخرى [ص ٥٤] حديث الشيخ الذي سئم

الحياة:

طال الثواء وقد أنى لمفاصلي أن تستبدّ بضمها صحراؤها

كما يُنشدنا في حرف «الألف» [ص ٨٢] لزومية يصف فيها جسمه البالي:

أعائبة جَسدي رَوْحهُ وما زال يَخْدُم حتى ونى؟!

ويعود في لزومية «بائية» [ص ١٣٨] فيخبرنا بأنه قد بلغ «الأربعين» :
إذ المرءُ مَرَّتْ لَهُ «أربعون» فليس يُعْنَفُ إنْ جُنِبَا^(١)

بل ويصرُخُ في لزومية «بائية» أيضاً [ص ١٤٣] صرخةً حزينةً تبكي شيخوخته
الواهنة :

فَقَدْ عِشْتُ حَتَّى مَلَنِي وَمَلَلْتُهُ زَمَانِي؛ وَنَاجَتْنِي عَيُونُ التَّجَارِبِ

وإذن.. فهو قد بلغ «الثلاثين». وجاوز «الأربعين» في حرف «الباء» بل..
وبلغ فيها من العمر عتياً.. كما أنه في حرف «الهمزة»، وفي حرف «الألف» تارة.. في
«الأربعين». وأخرى قد ملّ المقام. وطال عليه الثواء.. وإذن، فقد تقيّد بالصنعة
الشعرية التي سهاها «لزوم ما لا يلزم» وخضع لأغلالها..

ولكنه ظلَّ حُرّاً في اختيار ومزاولة الأحرف والحركات والقوافي. والعروض:
ولا يبالي إذا ما عنَّ له خاطر، أو سَنَحَ معنى ذات صباح أن يسجله في «لزومية»
«بائية»: فإذا جاء المساء وعَنَّتْ له خواطرٌ أخرى. قيدها بحرف «الشين» أو حرف
«الغين» ثم بقدرة الشاعر الماهر يعود إلى حرف «الباء» وإن كان بعد ثلاثين عاماً: علماً
بأن هذا لا يعني أنه لم يمارس أنواعاً أدبية مغايرة خلال هذه الفترة الطويلة ثراً وشعراً.

ولكي يكون استنتاجي جلياً سأنثب بعض ما رود في «اللزوميّات» من أبيات
تُشير إلى فترة إنشائها وكم كانت سِنُهُ وَقْتُهَا:

فقد كان في الأربعين عندما نظم لزوميته البائية [ص ١٧٣]، فقال:
خَبَرَ الحَيَاةَ شُرُورَهَا وَسُرُورَهَا مِنْ عَاشِ عِدَّةِ أَوَّلِ المِتْقَارِبِ
وَافِي بِذَلِكَ «أربعين»: فماله عَذْرُ إِذَا أَمْسَى قَلِيلَ تَجَارِبِ
وَيَحِرُ «المِتْقَارِبِ» مؤلّف من «فَعُولُن» ثماني مرات.

وهو في الأربعين أيضاً حين قال لزوميته «العينية» [ص ١١٨، ج ٢]:
شَرِبْتُ سَنِي الأَرْبَعِينَ تَجَرُّعاً فَيَا مَقْرّاً مَا شَرِبُهُ فَيَّ نَاجِعُ

(١) جُنِبَ: انحنى ظهره.

وفي لزومية «ميمية» يتحدث عن الأربعين [ص ٣٧٨]:
إذا ما تقضى «الأربعون» فلا تُرد سوى امرأة في الأربعين لها قِسْمُ
فإن الذي وفى الثلاثين وارتقى عليهم عَشْرًا للفناء به وَشْمُ

ويقول في لزومية «نونية» [ص ٥٥٦، ج ٢]:
إذا ما الأربعون مَضَتْ كمالاً فما للمرء من أربٍ لِعَيْنِ
والعينُ: بقر الوحش، وأراد المعري جميلات العيون من الحسنات.

ويذكر الأربعين في حرف «الهاء» مع «الراء» فيقول [ص ٦٣٤]:
قد مضت عنه الأربعون بلا حَمٍّ سِدِّ وَذَاكَ الْأَجَلُ مِنْ عُمْرَيْهِ
ويشير إلى أنه في الثامنة والأربعين في لزوميتين: رامزًا بلفظ «الطويل» الذي هو
من بحور الشعر: وعدد حروفه ثمانية وأربعون فقال في الأولى [ص ٦٣٦، ج ١]:
بقائي «الطويل» وعيشي «البسيط» وأصبحت مضطربًا «كالرجز»

وقال في الثانية من لزومية «كافية» [ص ٣٣٧، ج ٢]:
عش يا ابن آدم عدة الوزن الذي يُدعى «الطويل». ولا تجاوز ذلكا
فإذا بلغت وأربعين ثمانياً فحياة مثلك أن يُوسد هالكا

وفي لزومية «خائية» يخبرنا أنه تجاوز الأربعين: فيقول [ص ٣٠٤، ج ١]:
تنسكت بعد الأربعين ضرورة ولم يبق إلا أن تقوم الصَّوارخُ

وفي «دالية» يقول [ص ٣١٥، ج ١]:
حياتي بعد الأربعين منيةً ووجدان حِلْفِ الأربعين فقود

ثم يعود إلى الحرف نفسه بعد أن بلغ العمر عتياً فيقول [ص ٣٢١]:
تجاوزت عني الأقدار ذاهبةً فقد تأبدت حتى ملني الأبدُ

وعندما بلغ الخمسين قال في «لزومية» «سينية» [ص ٣٩، ج ٢]:
أخمين قد أفنيتهَا ليس ناعفي بتأخير يومٍ أن أعض على خمس
نرجي إياباً من غدٍ، وهو آيبُ وكان صواباً لو بكينا على أمس

وكان قد أشار قبل ذلك إلى أنه قد جاوز الخمسين حين قال [ص ٥]:
لعمري لقد جاوزتُ خمسين حجةً وحسبي عشر في الشدائد أو خمس

وأشار في حرف «السين» إلى ذلك فقال [ص ٧٣، ج ٢]:
لا خير من بعد خمسين انقضت كَمَلاً في أن تُمارس أمراضاً وأرعاشاً

وقال في [ص ٧٨]:
خمسون قد عشتها: فلا تعيش والنَّعش لفظ من قولك انتعش

ويؤكد ذلك في لزومية «ظائية» فيقول [ص ١١٣، ج ٢]:
ابن خمسين ضمه عقد تسعين يُرجي له من الموت حظاً
وقد أراد أن حلقة الخمسين تُشبه حلقة رأس التسعة كتابة.

ويقول عن بلوغه الخمسين في لزومية [ص ٢٤٥]:
خمسون جرّت عليك الذيل ذاهبةً تَباً لعقيلك إن شيء مَضَى تَبْلَكَ

كما يؤكد في أخرى «لامية» أنه لا يزال في الخمسين [ص ٢٥٨]:
علقتُ بحبل العُمر خمسين حجةً فقد رثّ حتى كاذ ينصرمُ الحبلُ

أما حين أناف على الخمسين فقد سجل ذلك حين قال في لزومية [ص ٣٢١، ج ٢]:
إذا أناف على الخمسين بالغها فليُضمِر اليأس من سعدٍ وإقبال

ولكنه لزم في أخرى الدال الساكنة مع السين، وقد قالها حين بعثه أهل «المعرة»
مُستشفعين إلى القائد «صالح» الذي حاصر مدينتهم [ص ٤٠٤]:

فلما مضى العُمرُ إلّا الأقلّ وحُمّ لروحي فراقُ الجسدِ
بُعِثْتُ شفيعاً إلى صالحٍ وذاك من القوم رأيتُ فسَدَ
فيسمعُ مني سجع الحمامِ وأسمعُ منه زئير الأسدِ

ونحن نعلم أن هذه الحادثة كانت سنة ٤١٧هـ، أي والمعري في الرابعة
والخمسين، كما أنه قد ذكر «صالحاً» هذا في لزومية «رائية» فقال [ص ٦١٢]:

ما لمتُ في أفعاليهِ «صالحاً» بلْ خلتَه أحسنَ مني ضميرُ
يا قوم؛ لو كنتُ أميراً لكم ذممتُم في الغيبِ ذاكَ الأميرُ

ثم عاد في حرف «اللام» فالتزمها مكسورة مع الضاد وذكر «صالحاً» فقال
[ص ٣٥١]:

نَجَّى المعاشِرَ من بَرائثِ صالح رَبُّ يُفرِّجُ كُلَّ أمرٍ معضلٍ
ما كان لي فيها جناحٌ بَعُوضَةٍ واللهِ ألبسَهُم جناحَ تفضلٍ

ورواية «ياقوت»:

رَبُّ يعافي كُلَّ داءٍ معضلٍ

ولا شك أن كل ذلك وهو بعد الرابعة والخمسين.

وفي لزومية من حرف «الواو» مَعَ «الهاء» يقول [ص ٦٣٧]:

كَأَنَّكَ بَعْدَ خَمْسِينَ اسْتَقَلْتُ لِمَوْلَدِكَ البناءُ دَنَا لِيَهْوِي
وما أَنَا يائِسٌ عَنَ أمرِ رَبِّي على ما كان مِن عَمْدٍ وسهو

أما وهو في الستين؛ فقد نَسْتَشِفُّ من قوله في [ص ١٨٥، ج ١]:

جَنَى ابنُ سَتِينَ على نَفْسِهِ بالولدِ الحادثِ ما لا يُحِبُّ
تَقولُ عِرْسُ الشَّيْخِ في نَفْسِها: لا كُنْتُ يا شَرَّ خَلِيلِ صُحْبُ

أنَّهُ قد جاوز الستين: وإن كَانَ يتحدَّثُ عن أيِّ شخصٍ بَلَغَ السَّتِينَ!! وبالرغم
من أَنَّهُ يُحدِّثنا عن كَهْلٍ وناشئٍ في لزومية: عَيْنُها مضمومةٌ مع الفاء [ص ١١٧،
ج ٢]:

إذا خَطَبَ الزهراءُ كَهْلٌ وناشئٌ فإنَّ الصبا فيها شَفِيعٌ مُشَفِّعٌ
ولا يُزهدنها عَدَمُه: إن مُدَّهُ لأبركُ من صاعِ الكبيرِ وأنفعُ
وما لأخي ستينَ قَدْرَةٌ سائرٍ إليها، ولكن عجزُهُ ليس يُدْفَعُ

فإننا نَسْتَطِيعُ أن نَسْتَشِفُّ منها بأنَّهُ كانَ في نَفْسِ السِّنِ لواقعيةٌ تصويره.. كما

أنه في «اللام» المفتوحة مَعَ الهَاءِ يَحْدُثُنَا عَنْ «ابنِ السَّتين» حديث الواصلين فيقول [ص ١٣٤، ج ١]:

إِذَا مَا ابْنُ سِتِّينَ ضَمَّ الْكَعَابَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَلَّتِ الْبَهْلَةُ
هُوَ الشَّيْخُ لَمْ يُرْضَهُ أَهْلُهُ وَلَمْ يُرْضَ فِي فَعْلِهِ أَهْلُهُ

وقد أشار إلى سن «السبعين» بقوله «في لزومية «عينية» [ص ١٤٠]:
وعقلك يا أخا السبعين وإِ كأنك في ملاعبك ابن سبع
يسرك أن ربع سواك خال إذا مكننت من أهل ورّبع
ولعلي قد سهوت أن أذكر، أن له لزومية «رائية» ذكر فيها «الأربعين» فقال [ص ٤٤٨، ج ١]:

ومتى سرى عن «أربعين» حليفها فالشخص يصغر والحوادث تكبر
وقال أيضًا في لزومية «رائية» [ص ٥٨٥] وهي بديعة:

ورميّت أعوامي ورائي مثلما رمت المطي مهامة الأسفار
وركبت منها أربعين مطيةً لم تخل من عنتٍ وسوء نفار

كما أنه تحدّث عن «الخمسین» في حرف «الراء» فقال [ص ٥١٤]:
إذا طلع الشيب الملم فحيه ولا ترض للعين الشباب المزورا
لقد غاب عن فوديك خمسين حجة فأهلاً به لما دنا وتسورا

وكان قد أشار إلى «السبعين» في حرف «الراء» فقال [ص ٥١٤]:
من عاش سبعين فهو في نصبٍ وليس للعيش بعدها خيرة

نعم . . ثم . . لا نجده بعد «السبعين» يهتم بتعداد السنين . فلا خمسة وسبعون، ولا «ثمانون»! إلا لزومية في بَيِّن من «الدال» المفتوحة مع الدال: ربما أنه قالها عندما تجاوز منتصف عقده التاسع . وربما أراد أن يُصور بها «ابن التسعين» وهي [ص ٣٥٢، ج ١]:

من عاش تسعين عامًا فهو مُعْتَرَبٌ قد زایل الأهل إلا معشرًا جُددًا
وشاهد الناس من كهل ومُقتبلٍ ودالف الخطو لا يُحصي لهم عددا

وكانه قد سئم الحياة، ومل الانتظار للموت. وضاق بتعداد السنين: فنسمعه يقول [ص ٣٢٧، ج ٢]:

إِذَا مَا عَدَدْتُ السِّنَّ عُدْتُ بِتَرْحَةٍ وَأُمَلْتُ رَبِّي أَنْ يَحْلَ عَقَالِي
وَقَدْ صَدَدْتُ نَفْسِي بِجَسْمِي وَلِبْسِهِ فَهَلْ تَصْطَفِيهَا مَيْتِي بِصَقَالٍ؟!

ولقد شكا شيخوخته. ووهن جسمه. وطول ثوائه بلزوميّات كثيرة، وأعرب عن تطلعه إلى الموت. وتشوّقه إلى الرّحيل. وضيقه بالأرض ومن عليها بمختلف الحروف وشقّ القوافي، وما ألطف قوله في حرف «اللام» مع «الجيم» [ص ٣٧١، ج ٢]:

إِنْ كَانَ نَقْلِي عَنْ الدُّنْيَا يَكُونُ إِلَى خَيْرٍ وَأَرْحَبَ فَانْقُلْنِي عَلَى عَجَلٍ
وَلِنْ عَلِمْتُ مَالِي عِنْدَ آخِرَتِي شَرًّا، وَأَضِيقُ، فَانْسَأَرْبُ فِي الْأَجَلِ!

وهو ابتهال رائع؛ خليق بأن يجار به كل إنسان في أية سن كانت.

هذه هي سيرة «المعري» الشعرية في «لزوميّاته»، وقد سبق أن قلت: إنه كان أثناء نظمه لها يمارس أشكالاً أخريّات من الأدب: شعراً ونثراً: وقد ألّف عدة مؤلفات خلال تلك الفترة الطويلة من حياته: وقد ذكر «ياقوت»؛ أن لأبي العلاء كتاباً شرّح فيه ما في ديوان «لُزوم ما لا يلزم» من الغريب في ثلاثة أجزاء: وكتاب «زجر النّابح» يتعلّق باللزوميّات أيضاً، ولا شك أنه قد ألفهما بعد أن قطع «أشواطاً» ومراحل شاسعة في اللزوميّات وانتشرت بين الناس. وتناولوها تمجيّداً وتفنّيداً.

أما شأني مع «ألف باء» لزوميّاتي فهو شأن آخر. فقد تقيدت أولاً بلوازم القافية التي تقيّد بها «أبو العلاء». ثم. . ودونما رغبة ولا اختيار. . وجدتني أقف مع «لزوميّاته» قطعة قطعة: لا أغادر لزوميّة إلى أخرى إلّا وقد عارضتها: وإذا عاصاني البيان ظللت هائماً فيها: مترنماً هاذياً نهاري وليلي، حتى لقد سمّاني صديق كريم «مجنون المعري».

وكانت أولى لزوميّة نظمها هي:

لِيَ اللَّهُ كَمْ لِلْجِدِّ رُوحِي أَرِيقُهَا حَزِينًا، وَحَوْلِي يَعْبُثُ الْأَدْبَاءُ!

في أول المحرم سنة ١٣٩٥هـ، الموافق ١٩٧٥/٤/٥م، ثم توقفت.

ونظمت اللزومية رقم ٧٢ [ص ٦٧]:

إِنْ كُنْتُ ضَيِّعْتُ فَرَصَةً سَنَحْتُ فَلَمْ تُهَيِّءْ لَهَا الَّذِي يَجِبُ!

يوم ٢٤ ربيع الأول ١٣٩٥هـ، الموافق ١٩٧٥/٤/٥م، ثم توقفت.

وَزُرْتُ «القاهرة» و«جدة» ثم عدتُ إلى «بيروت» أتجهزُ للسفر مع أهلي إلى «صنعاء»، ولكنَّ «مجهولين» حاولوا اغتيالِي صباحَ اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٩٥هـ، الموافق ١٩٧٥/٣/٢٢م، فأراد الله لي النجاة، وشملتني أَلْطَافُهُ، ثم انتقلت إلى «لندن» لإكمال «المعالجة». وما كدتُ أتمائل للشفاء حتى استأنفتُ الترنم باللزوميات. ومجاراتها من جديد، وفرغتُ من حرف «الباء» باللزومية رقم ١٧٧:

أَبُولَهَبٍ: وَهُوَ عَمُّ الرَّسُولِ تَبَّتْ يَدَاهُ ضَلَالًا وَتَبَّ
وَلَوْ كَانَ يَنْفَعُهُ قَرْبُهُ لَنَالَ بِقُرْبَاهُ أَعْلَى الرَّتَبِ!

في شعبان سنة ١٣٩٥هـ / أغسطس سنة ١٩٧٥م.

وإذن.. فهي حصيلة ستة أشهر، إذا استثنيت فترة المرض الشديد إثر الإصابة: وعملية إخراج الشظايا من رأسي: وقد قلتُ أثناء تلك الفترة وبعدها شعراً حراً. وشعراً ملتزماً. وشعراً تقليدياً، جاريثُ ببعضه «المعري»، و«البحري»، و«ابن زيدون»، و«شوقي»؛ وناجيتُ ببعضه نفسي، وقد أودعته ديواني «بنات الخمسين» الذي أرجو أن يخرج على الناس مع هذه اللزوميات في شهر واحد.

وإذا كنتُ قد أخضعت الشعر للحرف في «ألف باء» لزومياتي.. وبقية أبي العلاء والتزاماته فقد تعمدت أن أروغَ عَنْ مواضيعه أحياناً، وأعطيتُ لنفسي حُرِّيَّةَ «الهيَّان» في كل أودية الشعر والبيان، وقد يكون هذا هو المبرر الوحيد لثُلْ هذه المجازاة، وكأني إنما أحاولُ بها حَثَّ المعاصرين على العودة المستبصرة إلى آثار «أبي العلاء» الرائعة: وعلى كلِّ أحوالي فَلَسْتُ إِلَّا ظَلاً باهتاً متضائلاً أمامَ جبلٍ من سِلْسِلَةِ جبالِ شامخة شاهقة.!

ولقد أودعتُ في «ألف باء» لزومياتي خلاصة «مجريات» حياتي، فهي سجل

تجاربى . و «نوتة» مذكّراتى . رسمتها في أوزانٍ وقوافٍ . وغنيتها كالطائر الحرّ على
فَنَن . ورتلتها كالعابد البرّ في المحراب . وفيها مقاطع . . تضرّعت بها ، فهي مترعة
بالدموع . مُدلهة بالخشوع ، تائهة في «اللاجوع» وأخرى تماجنت فيها ؛ فهي تضجُّ
لَغَطًا ، وتوجّ سخطًا ، وما كنت في تعبدي — ويا أسفاه — بالأواه المنيب . وإن كنت في
مجوني قد أعربتُ عن طبعتي البشرية ! ! وأستغفر الله . . !
وقد «الترمتُ» الصّدقَ والإخلاص . وذلك شفيعى .

وبعدُ : فقد وقف بي «حمارُ الشعر» في عَقَبَةِ «تاء»^(١) شيخنا «المعري» وأيقنتُ
أنّ تَقَحُّمَ أدغالها ليس من السَّهل ولا بالميسور . . ولكن . . إذا هتفت بي دَواعي
المجارة من جديد . . فقد أَلْيَها . . غير أني لا أتحَيِّلُ كَيْفِيَّةً مَّا ! ولا أَتَصَوِّرُ نَهْجًا مَعِينًا .
﴿وما تدري نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ .

الأخمين محمد الشامي

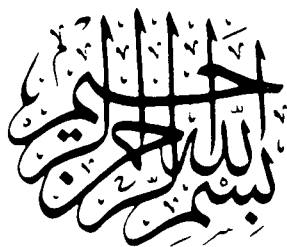
بروملي : صباح عيد «جمعة رجب»

٤ رجب سنة ١٣٩٨ هـ

٩ يونيو سنة ١٩٧٨ م

(١) في ديوان «بنات الخمسين» «لُزوميّات» «تائية» وغير «تائية» .

مع العصر
في بروملي



مُقَدِّمَةٌ

يضم هذا «الديوان» قصائدَ نَظَمْتُهَا بَعْدَ صُدُورِ دَوَائِينِي الثَّلَاثَةِ :

١ - لزوميات الشعر الجديد .

٢ - و «بنات الخمسين» .

٣ - و «ألف بَاءِ اللُّزُومِيَّاتِ» ، وثَلَاثَتُهُنَّ مَعَ رَابِعِهِنَّ هَذَا . . . يُخَوِّنُ مَعْظَمَ مَا قَلْتُهُ مِنْ شَعْرِ . . . وَأَنَا بَعِيدٌ عَنْ وَطَنِي «الْيَمَنِ» . . . اخْتِيَارًا ، أَوْ اضْطِرَارًا . . . وَهِيَ - إِلَى - قَصَائِدِ الْغُرْبَةِ وَالْحَنِينِ . فِي دَوَائِينِي : «مَنْ الْيَمَنِ» . و «الْحَانُ الشُّوقِ» . و «الْحَصَادِ» . تُكُونُ «دِيَوَانُ غُرْبَتِي» . . . وَهُوَ دِيَوَانُ أُعْزُهُ . . . بَلْ وَأَعْتَزُّ بِهِ حِينَ يَأْتِي كُلُّ شَاعِرٍ بِدِيَوَانِ غُرْبَتِهِ ، وَمَا أَكْثَرَ «الْمُغْتَرِبِينَ» مِنْ «الشُعْرَاءِ» مِنْذُ قَالَ «أَمْرُؤُ الْقَيْسِ» :
«بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيَقُنَ أَنَا لِأَحِقَانٍ بَقِيَصْرًا»

إِلَى أَنْ قَالَ «الْمُتَنَبِّي» :

«تَغَرَّبَ» لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا !

حَتَّى قَالَ «الزُّبَيْرِيُّ» :

كُشِفَتْ لِي فِي «غُرْبَتِي» سَوْءُ الدُّنْ يَا وَلَاخَتْ هِنَاتُهَا لِعَيَانِي

دَعَكَ «ابْنَ زُرَيْقٍ» . و «الزُّنَمَةَ» و «الْأَنَسِيَّ» و «شَوْقِي» . و «طَه» و «الجَوَاهِرِيَّ» وَمَا قَالَه «فُلَانٌ» مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَمَا قَالَه «فُلَانٌ» مِنَ الْآخَرِينَ : وَنَادِرٌ هُوَ الشَّاعِرُ الَّذِي لَمْ يَتَغَرَّبْ ؛ أَوْ لَا يَحْسُ بِالْغُرْبَةِ وَيَصْبُو إِلَيْهَا . .

وَكَمْ كَانَ «مُتَشَاعِرًا» . و «مُتَاجِنًا» ذَلِكَ الَّذِي فَتَدَ «الْغُرْبَةُ» بَنَظْمَهُ الرِّكِيكَ . .

بل وَقَالَ عَنْ شعرائها ما يَتَحَاشاه «الأدباء» . . نَثْرًا . (١) .

لقد ترددتُ في «تسمية هذا الديوان الصَّغير؛ وخطرتُ بالبال عدة أسماء . . حتى استيقظتُ فجرَ البارحة على «تساويح» و«ترانيم» عَصَافِير «بروملي» . . وتذكرتُ فضل ساعات استماعي لأنغامِها، وحواري مع بعضها . . وقلتُ «القَصيدة» . . «مَعَ العَصَافِير في «بروملي»: واختَرْتُها اسْمًا للديوان: اعترافًا، وتقديرًا؟

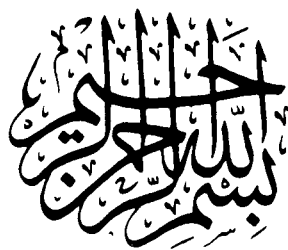
الأحمدين محمد الشامي

بروملي: ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ

٢٣ مايو ١٩٧٩م

(١) يعني «علي بن علي صَبْرَة» في قصيدته التي نشرتها مجلة اليمن الجديد: أبريل ١٩٧٩ ردًا على «لامية» الشاعر الكبير «أحمد المعلمي»: وقد ردَّ «المعلمي» عليه ساخرًا في «بائيته» .

أطراف



تقديم

كل قصائد هذا الديوان استوحاها صاحبها من الغربة وهواجسها ومعاناتها؛ سخطاً ورضاً، وياساً وأملأً. وفيها قصائد لم تنشر، ومنها ما سبق نشره، ثم تناولها الشاعر من جديد فأعاد صياغتها وغير، وبدل، وهذب وشذب، لا سيما تلك التي نشرها بخط يده في ديوان سباه «لزوميات الشعر الجديد». . فقد أعاد للبعض من غاداتها ثياب الوقار والهيبة «العلائية»^(١) بعد أن تبرجت في «بذلات» التجديد! كما أنه قد ضبط و «قولز» إيقاعات بعض «مشوراتها» بتفاعيل الشعر الموزون، و «مبيئات» و «موشحات الحميني» الأصيل، فماست أنغامها راقصة عابرة شاعرة ناثرة. . وبذلك وفي بالوعد الذي قطعه للشاعر «أبي العلاء المعري» عندما التقيا في مسرحيته الهزلية: «محكمة في جنة الشعراء».

إن هذا الديوان: «أطياف» سيكوّن مع الدواوين السابقة «من اليمن»، و «ألحان الشوق»، و «إلياذة من صنعاء»، و «المؤودات»، و «حصاد العمر»، و «ألف باء اللزوميات» و «مع العصافير في بروملي» كل «الأعمال الشعرية» أو جلّها لصاحب «النفس الأول» و «دامغة الدوامغ». ما عدا ما ضاع من أشعاره وهو في معتقلات حجة، أو ما يحتفظ به لنفسه ويسميه «ديوان ما بعد الموت» . .

﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ . .

﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ . .

﴿إن الله عليمٌ خبيرٌ﴾ .

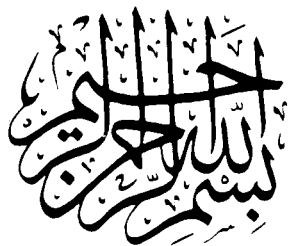
أحمد بن محمد الشامي

(١) نسبة إلى أبي العلاء المعري ولزومياته في مجلدين ضخمين، انظر مقدمة ديوان «ألف باء اللزوميات» .

الأعزى بن محمد الشامي

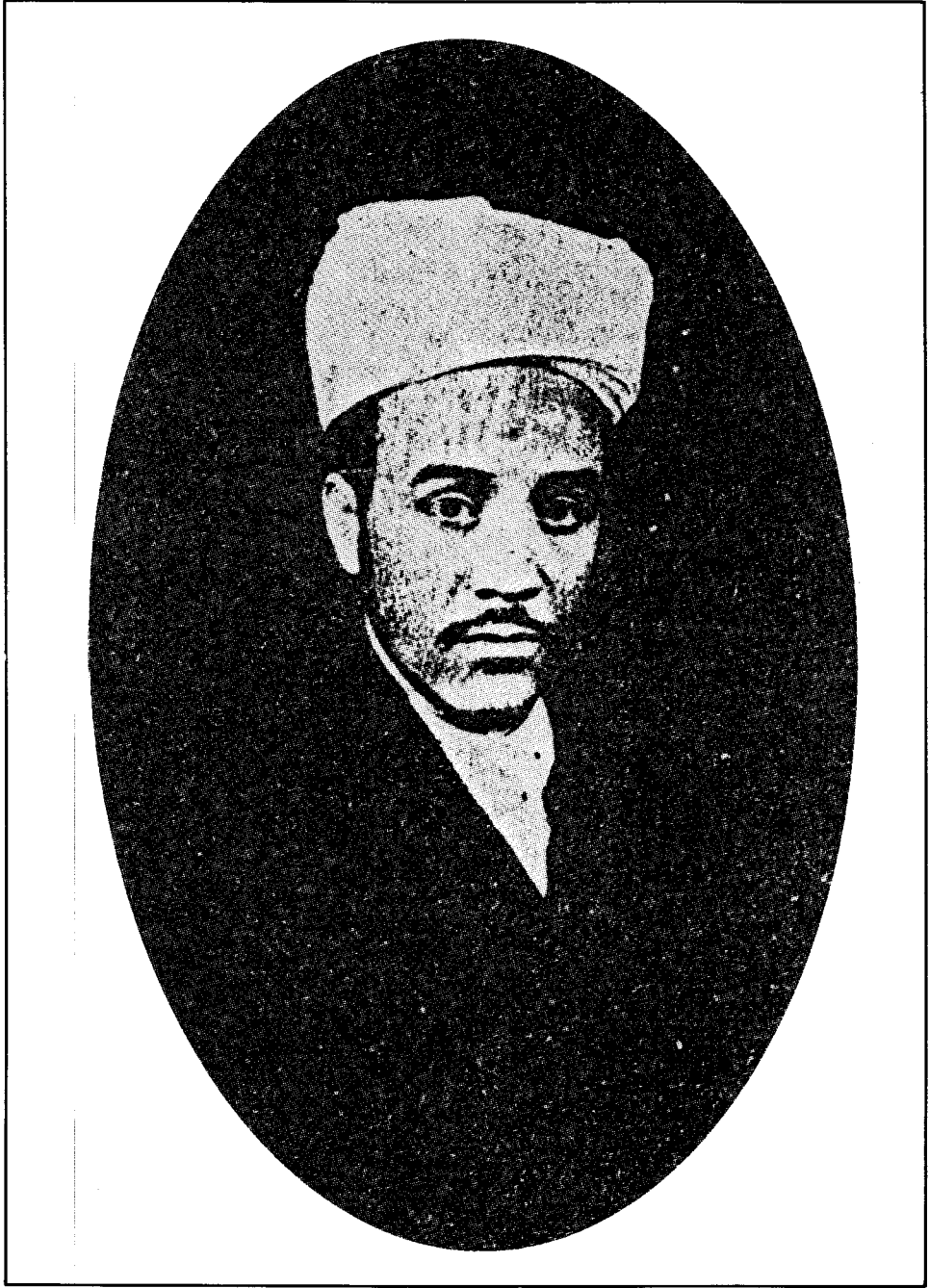
ديوان الأعزى الشامي

للأستاذ الكامل





عندما أطلق سراح صاحب الديوان من سجن حجة إلى الحديدة
في شهر رجب سنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م



أثناء إقامة صاحب الديوان بالحديدة
سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م

١ - السيّد أحمد عبد الوهاب الوريث

[من قصيدة طويلة قالها الشاعر يرثي السيّد أحمد الوريث رئيس تحرير مجلة «الحكمة البيانية» وزعيم النهضة الفكرية الحديثة في اليمن، وقد توفي في سنة ١٣٥٨هـ، وكان الشاعر حينذاك لم يتجاوز السابعة عشر، وهي أول ما قاله من مجموعة هذا الديوان، وتعبّر عما كان يتدفق في قلبه وفكره من آلام وآمال، وتوئب وطموح]:

اليوم حُقَّ البكاء	حُزنا وعزَّ العزاء
فقد فَقَدْنَا عَظِيمًا	آباؤه عَظَمَاءُ
وسيدًا أنجَبَتْهُ	الْفَطاحِلُ النَجَبَاءُ
كانت به تتباهى	على الدُّنَا «صَنَعَاءُ»
مؤرَّخ وأديبٌ	وناقِذُ بَنَاءُ
وفي الحديث إمامٌ	تؤمُّه الفقهاءُ
وكانَ للحق صوتًا	تُصغى له الآناءُ
تهابُه إذ يُدَوِّي	الملوكُ والزعماءُ

* * *

قبل «الثلاثين» ولَّى	وعرَّضَهُ وِضَاءُ
فلم يقارف حراما	ولا ازدهاه ثناء
ولا ثناءً عن الح	ق خيفة أو رجاء

* * *

يا «ابن الوريث» عن الشعر هاك مني الرثاء
لو استطاعت أبانت عن حُزنها الفُضحاء
بالصُّمت دهرًا طويلًا كلامه الإيماء
وارتجَّ كلُّ بليغٍ وأُعيتِ الشعراءُ

* * *

كانت إليك تولي وجوهها الضعفاء
والظالمون يخافون منك والسفهاء
وَكُنْتَ تَزَحْفُ ثَبْتًا وفي يدك اللواء
بحكمةٍ، واتزانٍ وحولك الأولياء
تدعو إلى كل خيرٍ كما دعا الأوصياء
واليوم قد خمد الصِّ موت واستحال الضيَّاء
فَلْيَبِكْ كُلُّ يَمَانٍ وَلْتَحْزِنْ الأذواء
وَلْيَنْفِطِرْ قَلْبُ «بَلْقِيسَ» وَلْتَضِجْ النساءُ
«مُحَمَّدٌ» و «عليٌّ» أخوه و «الزُّهراءُ»
أرضاهمومك فضلٌ وعِفَّةٌ وإباءُ
قد يُستغاثُ صراخُ وقد يُجابُ نداءُ

* * *

يا «ابن الوريث» ابتهاجُ صلاتنا والدُّعاءُ
في الخلدِ فانعم سعيديًا! لنا سيبقى الشَّقَاءُ

صنعا: ١٣٥٨هـ / ١٩٤٠م

جميلة أنت، ولكن
إنسية أنت.. ولكن
وضعتُ عمري في يد
قصرُ آمالي، وأحلا
وقلتُ؛ هاتي أملي
وجدتها.. لكنها
تلوك ألفاظ الغرام

هل جملتُ في الطباعِ
فيك من طبع الأفاعي
يك، وشبابي، ومتاعي
مي، وأنزلتُ شراعي
بعد كفاحي وصراعي
ظلتُ حبيسةَ القناعِ
في نفور أو خداعِ

* * *

ستندمين حين أن
ستعرفين أنني استُشِدُّ
وأُنِّي وحدي الذي
يا مُنيتي، يا أملي،
يا سلوةَ المحروم لا «تس»
ستندمين حين لا يدعو
ستحلمين بخيالي،

يأتي الصباحُ بالشعاعِ
يهدتُ من دون دفاعِ
يهواك من دون انتفاعِ
يا رونق الحُلْم المضاعِ
خينَ بالصَّبِّ.. الشجاعِ
إلى الإحسان.. داعي
وشبابي، وشراعي

صنعا: ١٣٥٩هـ / ١٩٤١م

٣ - لَيْتَ لِي

بالعيونِ السواجرِ	والقدودِ الضوامرِ،
بالقلوبِ المدلّهاتِ،	بما في الضمائرِ،
بالنفوسِ المعذبِ	ات بعُنفِ المقادرِ
بفؤادي، بلوعتي، بشع	وري، بناظري
إنني أعشق الجمال	بقلبٍ مُقامرٍ؛
سحقَ الحبِّ مهجتي	وضميري وخاطري
وسقاني الأسى مريد	رأ، وأذكى مشاعري
آه لو يعلم الأنام	بما في سرائري،
وبأحلامِ صبوتي	ومجالي خواطري
لأساغوا نقائصي	وعفوا عن جرائري

* * *

ليت لي قلب ماردٍ	وإراداتٍ	قادرٍ
واشتهاءاتٍ	وتهاويلٍ	ساحرٍ
لَتَفَنَّنْتُ بالحياةَ	كَصَبٍّ	مغامرٍ
وَلَمَّا عَشْتُ مثقلاً	بالهمومِ	الفواقِرِ

نغز: ١٣٦١هـ / ١٩٤٣م

[إلى أخي عبد الوهاب الشامي]:

كم ذا يقاسي من صروف الحياة؟
تَصَرَّمْتُ آماله في هواه
كأْسًا من الهم بعيدًا مداه
وتلَسَّعُ الروح، وتشوي الشفاء؟
تَوَجُّ؛ والحُبُّ جحيمُ جواه؟
رق، ولا قلب رحيم رثاه.
حيثُ فأحييتُ في فؤادي سناه
يرشف منه الروح أحلى مُناه
فطاوَل الشُّمَّ بذوخاً عُلاه
للشَّعْرِ، واستخلصه، واصطفاه
دَرْبًا، ولا يفهم معنى السَّفاة
وودَّه أصدق منه وفاه
إلَّا انحنْتُ - شكرًا - عزيز الجباه
فدُّ، ومن داعيةٍ لئلاَّه
ويَتَتَضِيهِم لخطوب الحياة

يا مَنْ لقلب ذابلاتٍ مُناه
قلبٌ معنًى سمرديُّ الأسي
قلبٌ شجيٌّ قد سقاه النُّوى
محترق الآهات تكوي الحشا
يا من له..؟ والنَّار مشبوبة
يا من له..؟ أوَّاه لا مشفق
يا من له..؟ ليس سوى نغمةٍ
نشيذ حُبٍّ مائجٍ بالهوى
من عبقرٍ أنجبته العُلا
حرَّ براه الله أمثولة
لا يعرف الشرُّ إلى قلبه
مقوله يحسده عزمه
من سادةٍ ما حضروا محفلاً
من شاعرٍ فحلَّ، ومن قائدٍ
يُفاخر الشعب بهم دائماً

* * *

أخي، لقد نال «نشيد النوى»
هَلْ عَلَيْهِ كَمِذَابِ النَّدَى
فَهَاكَ شَعْرِي بَاكِئًا مِثْلُهُ
من مهجتي ما لم يَنْلُهُ سِوَاهُ
كَالْحُبِّ، كَالسَّحْرِ، كَخَمْرِ الشِّفَاهُ
- هيهات: لَنْ يَسْبِقَ صَوْتًا صِدَاهُ

تعز: ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م

٥ - تَحِيَّةُ الْعِيدِ

[أُنشِدت أُمَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ فِي ١١ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٣٦١ هـ، تَهْنِئَةً بِالْعِيدِ الْكَبِيرِ وَذَلِكَ قَبْلَ ارْتِقَائِهِ الْعَرْشِ]:

وَقَّعَ عَلَى وَتَرِ الْقَصِيدِ	نَغْمًا مِنْ الشَّعْرِ الْجَدِيدِ
وَامْلَأْ فِرَاقَ الْجَوِّ أَنْغَا	مَا تَرْنُ بِغَيْرِ عَوْدِ
تَهْتَزُّ مِنْ طَرَبٍ لَهَا الدُّنَى	يَا وَتَرْقُصُ رَقْصَ غَيْدِ
وَتَكَادُ تَجْذِبُ قَاصِرَاتِ	الطَّرْفِ مِنْ «دَارِ الْخُلُودِ»
وَاسْبِكِ أَزَاهِيرَ الْمُنَى	عَقْدًا مِنْ الدَّرِّ النَّضِيدِ
وَارْفَعِهِ تَهْنِئَةً بِعِيدِ	النَّحْرِ لِلْمَلِكِ الْوَحِيدِ
مَلِكِ كَرِيمٍ صِفَاتِهِ	سَتَظِلُّ رَمْزًا لِلْخُلُودِ
أَحْيَا الْبِلَادَ بِنَهْضَةٍ	طَارَتْ بِأَحْلَامِ الرِّقُودِ

* * *

مَوْلَايَ؛ يَا بَطْلَ الْعَرُوبَةِ	يَا مَلَاذَ مَنِي الشَّرِيدِ
أَلْفَتْ شَعْرًا كَالنَّسِيْدِ	حَمَّ مَبْلَلًا بِشَذَى الْوَرُودِ
أَشْدُو بِهِ فَأَخَالَ أَنْيْ	صَاحِبَ الْوَتْرِ الْفَرِيدِ
وَكَأَنَّمَا أَصْبَحْتُ فِي	جَوِّ السَّمَاءِ بِلَا صَعُودِ
وَكَأَنَّمَا طَارَتْ قَوَافِي الشِّدِّ	عَرَبِي خَلْفَ الْوُجُودِ
الشَّعْرِ هَذَا قِطْعَةً	مِنْ قَلْبِ شَاعِرِكَ الْمَجِيدِ
صَوَّرْتَ فِيهِ سَنَاكَ يَا مَوْلَا	يَ فِي الْعِيدِ السَّعِيدِ

رس ، والمدافع والجنود
قَتَّ لتعصف بالكنود
وُضِعَتْ لأفواه الرُّعود
ترمي كل شيطانٍ مريدٍ
نص كل جبارٍ عنيدٍ
أن يرجعوا مجد الجدود
على الباغي الجحود
ن مشوا بأفئدة الأسود

والأرض تزخرُ بالفوا
متقلِّدين بنادقًا خلد
وكأنما هي صورة
ورصاصها كالشُّهب
إن أبرقت رعدت فرا
قومٌ يؤمِّل فيهم
رحماء بينهم أعزاء
إن شبت الحرب العوا

* * *

وملجأ «الوطن السعيد»
وملك «هارون الرشيد»
بات في طيِّ اللحود
عش همّة القوم الهجود
والأرواح أغلال الجمود
ل ودمت في عيش رغيد

يا أيها الملك العظيم
جدّد عهد «الراشدين»
وأعدْ إلى الإسلام مجدًا
 واجمع شتات العرب وان
وانزع عن الأفكار
لا زلت فردًا في الكما

تعز: ١١ ذي الحجة ١٣٦١هـ

١٩ ديسمبر ١٩٤٢م

٦ - عشرون عاماً

من أين للشاعر أن يستريحُ قبل انطواء الجسم في رسمه
وكيف والشاعر صبُّ جريح ويومه أشأم من أمسه

* * *

عشرون عاماً من حياتي مضتُ كأنها طيف خيال ألم
تصرمت أيامها وانقضت وحلفتني بعدها للألم

تعز: جمادى الأولى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م

٧ - تحية رمضان

[أرسلت من «صنعا» إلى تعز تهنئة لسيف الإسلام أحمد بشهر الصوم
سنة ١٣٦٢هـ، وقد تعرضت للحرب العالمية الثانية وما كان يقاسيه
العالم من مصائبها]:

أشرق على الأرواح يا رمضان	نوراً يفيض شعاعه القرآنُ
واغمر قلوب المسلمين ببهجةٍ	فيها الهدى، واليمن، والإيمانُ
وانثر زهور السعد والبشرى على	ملك بعزته سمت عدنانُ
زرع المكارم في القلوب فأثمرت	وثمارها الإخلاص والشكرانُ
ورأت به الدنيا أعزّ ملوكها	وتفاخرت بزمانه الأزمانُ
هَدَّ الضلال فزلزلت جنباته	وبه استقامت للهدى أركانُ
كم بدعةٍ بالحق أزحق روحها	فقصّت وكانت بالضلال تُصانُ
كم ظالمٍ بالعدل أرغم أنفه	فغدا ذليلاً بالجزاء يدانُ

* * *

إن عمّ شر الحرب أصقاع الدنيا	وأئت على عمرانها النيرانُ
فليكف هذا الشعب أنك حصنه	وملاذه والحارسُ اليقظانُ
أنى يخاف الشعب أي رزية	والسيفُ حرزٌ مانعٌ وأمانُ؟

* * *

عزّ الحضارة: إنها قد أفلست	في أهلها وتقوَّص العمرانُ
عاد الحكيم بها وكل مفكّرٍ	وكأنما في عقله شيطانُ

والعدل ظلم، والتقى طغيان
والفتك بالشعب الضعيف حنان
وبنيه حتى قيل كان وكأنوا
بث السلام يسوقهم وجدان؟
ما مسهم بأس ولا خسران
أن تهلك الأرواح والأبدان؟
نار الحروب على الأنام وخانوا!

فالسلم حرب، والسياسة نقمة
وكان هول الحرب إنسانية
كم أمة هلكت وكم شعب قضى
أين العقول؟ وأين من كانوا إلى
كذبوا فلو كان التمدن قصدهم
ما بالهم ضلّوا السبيل وسوَّغوا
ما بالهم قتلوا السلام وأضرّموا

* * *

الأرواح، أو تشقى به الأوطان
يودي بهم، وهم له أعوان؟
للخير في أوطانه الأركان
يقظ، وقلب كلّه تحنان
وعميدها، ولعينها إنسان
وإذا نهيت فكلنا إذعان
حقاً وأنت لمجده عنوان

ليس الزعيم هو الذي تبنى به
فاعجب لقوم يذعنون لقائد
إنّ الزعيم الحق من قامت به
ترعى الرعايا منه عين مدبر
ولأنت يا مثل الزعامة روحها
فإذا أمرت فكلنا لك طاعة
فاسلم لشعب أنت روح حياته

صنعا: رمضان سنة ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م

٨ - علي الأمير

[السيد علي بن عبد الله الأمير توفي في ١٩ رمضان سنة ١٣٦٢ هـ /
١٩٤٣ م، وكان شاعراً وجيهاً، وصديقاً للشاعر]:

أفَلَتَ، ولكن لا تؤوبُ	شمسٌ مشارقها القلوبُ
أفَلَتَ، فلا صبحٌ يُنيرُ	بها ولا عيشٌ يطيبُ
فالذَّهر ليلٌ موحشٌ	والكون مسودٌ كئيبُ
ما كنت أحسبُ والزَّمانُ	له سهامٌ لا تخيبُ
أن البدور النيَّراتِ	الزُّهر في حُفَرٍ تغيبُ
حتَّى رأيتُ أتمها	يهوي وتصرَّعه شُعبُ
أواه، قد جلَّ المصا	ب، فأَيَّ قلبٍ لا يذوبُ؟
وتقلَّص الظلُّ الظليل	وأجذب المرعى الخصبُ
وبشاشة الدنيا ذوت	فبدا بصفحتها الشحوبُ
وتقوَّضتْ عمد العُلا	وتهدَّم الشرف المهيبُ
فالعِلمُ بالكِ طرفُهُ	والمكرمات لها وجيبُ
وبكلِّ نفسٍ لوعةٌ	وبكلِّ خفاقٍ ندوبُ
وبكلِّ طَرفٍ مزنةٌ	بالدمع ساريةٌ سكوبُ

* * *

أ «علي» يا من كان مشهدهُ جميلاً، والمغيبُ
من كان أثبت منك عز

سَّاءَ، إِنَّ عَتَا الزَّمَنُ الْحَزِيبُ
لَا خُلُقٌ يَشِينُ وَلَا يُرِيبُ
يَحْفَهُ مَجْدُ ذَهَبُ
يَبْكِي عَلَى الشَّفَقِ الْغُرُوبُ
فَإِنَّهُ يَوْمٌ عَصِيبُ
مَ عَلَيْكَ شَبَّانُ وَشَيْبُ
بَيْنَ الضَّلُوعِ لَهُ وَجِيبُ
زَقَّةٌ خُشْعًا، وَلَهُمْ نَحِيبُ
فَوْقَهُ فَلَكَ يَجُوبُ
فِيهِ أَسَى قَلْبِي يَذُوبُ
يُذَكِّيه مِنْ أَلْمِي لَهُيبُ
وَبَدْمَعِ آمَالِي خَضِيبُ
فِيهِ فَأَحْرَفَهُ تَصُوبُ

مَنْ كَانَ أَسْمَحَ مِنْكَ نَفْسُ
مَنْ كَانَ أَطْهَرَ مِنْكَ؛
وَلَّيْتَ فَرْدًا فِي الْكَمَالِ
وَذَهَبْتَ مَبْكِيًّا، كَمَا
بُعْدًا لِيَوْمِكَ فِي الزَّمَانِ
يَوْمٌ بِهِ فَزَعُ الْأَنَا
خَرَجُوا بِصَنَعَا وَالْأَسَى
يَمْشُونَ مِنْ حَوْلِ الْجَنَّا
وَكَأَنَّهُمْ بَحْرٌ وَنَعْشُكَ
أَبْكِيكَ بِالدَّمْعِ الَّذِي،
أَبْكِيكَ بِالشَّعْرِ الَّذِي
شَعْرٌ مَذَابُ مِنْ دَمِي
شَعْرٌ عَصْرَتْ مَدَامَعِي

* * *

سَنَهَا وَإِنْ سَرَّتْ عِيُوبُ
وَعُودَهَا بَرَقُ خُلُوبُ
وَصَالَهَا حُلْمُ كَذُوبُ
حَسَنَاتُهَا إِلَّا ذُنُوبُ
وَوَرْدُهُ مِنْهُمْ قَرِيبُ
كُلُّ لَهُ مِنْهُ نَصِيبُ

مَا أَحْقَرَ الدُّنْيَا، مَحَا
مَا أَخْدَعَ الدُّنْيَا، وَمِیْضُ
مَا أَكْذَبَ الدُّنْيَا لَذِيدُ
بِسْمَاتِهَا زُورٌ، وَمَا
وَالْمَوْتُ حَادٍ لِلْأَنَامِ
كُتِبَ الْفَنَاءُ عَلَى الْوَرَى

صنعا: ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م

٩ - القاضي يحيى الإرياني

[في رثاء القاضي العلامة الأديب يحيى بن محمد الإرياني، رئيس
محكمة الاستئناف بصنعاء، ١٢ من ذي الحجة ١٣٦٢هـ /
١٩٤٣م]:

أصحيحاً هوى منارُ الرشادِ؟	أيقيناً خبا ضياءِ النادي؟
وثوي ذلك الخضمّ على الأعـ	واد وانذك أشمخ الأطوادِ؟
يا لروض العلوم، يا لمنى الأحـ	رار، يا للإسلام، يا للعبادِ!
قد تولّى الندى، وأجذب مرعاه	وغاب التقى، ومات الهادي!
فالأماني مقرّحاتٍ حيارى	يتعثّرن في ثياب الحدادِ
وعيون القريض تبكي فتاهها	فائضات بالدمع فيض الغوادي
ونوادي العلوم تندب من كـ	ان لها خير ناصرٍ و«عمادِ»

* * *

إيه شعري ولست إلا دموعاً	نزفتها مشاعري وفؤادي
أبك من كان كوكباً للمعالي	أبك من كان بهجة للنوادي
أبك من ألبس البطولة تاجاً	من ذكاءٍ، وحكمةٍ، وسدادِ
كان للعدل مصحفاً ينذر الظـ	لم قوى الإنذارِ والإرعادِ
كان للدين ناصراً وأميناً	وسياجاً له من الإلحادِ
كان للشعر والبلاغة روضاً	تجتني زهره شعوب الضادِ
ربّ شعير له تودّ العذارى	لو تقلّذنه على الأجيادِ

زَن نَارًا تَكْوِي شَعُورَ الْفُؤَادِ
رَقَّصَ الْكَائِنَاتُ بِالْإِنْشَادِ
بَسْنَا الْوَحْيَ وَالتَّقَى وَالرَّشَادِ
جَمَرَاتٌ مِنَ الذِّكَا الْوَقَّادِ

إِنْ تَغْنَى بِهِ شَجِيٌّ أَثَارَ الْحَدِّ
أَوْ تَلَهَّى بِهِ طَرُوبٌ خَلِيٍّ
هُوَ آيَاتُ فِكْرَةٍ تَتَجَلَّى
هُوَ آهَاتُ مَهْجَةٍ أَلْهَبَتْهَا

* * *

سَدَّدَتْهَا كَفَّ الزَّمَانُ الْعَادِي
وَالْحَقُّ شَدِيدُ الْمَرَّاسِ يَوْمَ الْجَلَادِ؟
رَغْمَ حُبِّ الْخُلُودِ لِلْكَاسِ صَادِي
وَالْمَنَايَا مَنَاجِلُ لِلْحَصَادِ
وَحَيَالٌ مَعْرُضٌ لِلنَّفَادِ
لِحَيَاةٍ تَكُونُ بَعْدَ الْمَعَادِ
مَـةٌ، وَالْعِلْمُ، يَا رَفِيعَ الْعِمَادِ
خَلَّدَتْ مَجْدًا يَضِيءُ لِلْآبَادِ
وَأُدِّيتَ وَاجِبَاتُ الْبِلَادِ
دُوسَ تَجْنِي ثَمَارَ ذَاكَ الْجِهَادِ

عَجَبًا لِلْمَنُونِ وَهِيَ سَهَامٌ
كَيْفَ أَوْدَتْ بِكُوكَبِ الْحَقِّ
لَا عَجِيبُ! فَالْمَوْتُ كَاسٌ وَكُلُّ
إِنَّمَا النَّاسُ فِي الْحَيَاةِ ثَمَارٌ
وَحَيَاةُ الْأَنَامِ فِي الْأَرْضِ وَهَمٌّ
رَسَمَتْهَا الْأَقْدَارُ فِي الْأَرْضِ رَمَزًا
يَا صَرِيعَ الْجَلَالِ، وَالْمَجْدِ، وَالْحَكِّ
غَبُّ كَمَا غَابَتِ الشَّمُوسُ فَقَدْ
وَتَنَعَّمَ وَنَمَّ فَقَدْ كُلُّ مَتْنَاكَ
فِي نَعِيمِ الْجَنَانِ فِي جَنَّةِ الْفَرِّ

صنعا: ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م

١٠ - تحية عام ١٣٦٣هـ

[كان عام ١٣٦٢م عامًا مشؤومًا فتكت فيه الأمراض بالمواطنين اليمنيين، وأضر القحط بالبلاد، فما إن تقلص ظله حتى بادر الشاعر يشيعه، ويهنئ الإمام أحمد بالعام الجديد سنة ١٣٦٣هـ، قبل ارتقائه العرش]:

قُم شاعر المجد، في أعلى منابرهِ وأرسل الشعر آياتٍ مفصَّلةً واقْدَحْ شعوركِ وأنشر من أشعتهِ حلَّقْ بأجواء آفاق الخيال تجدْ وصُغ معانيك من أزهار جنتهِ وافحص عن الدرِّ في أصفى معادِنهِ وانظم قصيدةً مجدٍ شَعَّ جواهرها وزفها لوليِّ العهدِ مالِكنا تحيةً بقدوم العام مُشْعِرةً	وعَزَّزِ الدين واهتف باسم ناصِرهِ كأنَّها الوحي أو من فيض ماطرهِ على الوجود ليُجلى من دياجرهِ بنات عبقر تلهو في مقاصِرهِ وسرِّح الفكر في باهي مناظرهِ وانقُدْ قوافيك من أغلى متاجرهِ كأنَّها الحسنُ، أو من فنِّ ساحرهِ تحيةً نُحِتَتْ من قلب شاعرهِ بكل بشرٍ دفينٍ في ضمائرهِ

* * *

عامٌ أطلَّ على الدنيا وليس له فكلَّ شهرٍ إلى لقياك في شغفٍ وكل ساعاته ترنو إليك كما كأنما كل قوسٍ من أهلتِه	هادٍ سواك إلى دنيا بشائرهِ وكلَّ يومٍ تجلَّى في خواطرهِ يرنو المحبُّ إلى حبٍّ بناظرهِ إشارةً لك تحكي سعد طائرهِ

رَمَزُ إِلَى أَمَلٍ يَسْرِي بِخَاطِرِهِ
وَأَنْتَ حَافِظُهُ مِنْ كُلِّ ضَائِرِهِ
كَيْ لَا يَكُونَ شَقِيًّا مِثْلَ غَابِرِهِ
وَكَمْ أَسْأَلَ دِمَاءً مِنْ خَنَاجِرِهِ
وَكَمْ رَمَى بِالْمَنَايَا مِنْ مَقَادِرِهِ
وَكَمْ هَوَى بِالْبَرَايَا فِي حَفَائِرِهِ
وَعُذِّبْتُ بِالْمَآسِي فِي مَنَاطِرِهِ
عَلَى الْبِلَادِ فَبَادَتْ تَحْتَ قَاهِرِهِ
مَشْحُودَةٌ وَهُوَ عَاتٍ فِي مَجَازِرِهِ
وَقَلَّمْتُ كُلَّ شَرٍّ مِنْ أَظَافِرِهِ
وَكَانَ مَا هُوَ أَدهَى مِنْ مَنَآكِرِهِ

* * *

نَشْفِي الْأَوَامَ، وَنَغْنَى مِنْ جَوَاهِرِهِ
تَحْشُدُ الرِّعْبَ نَسْتَوْقِي بَعَامِرِهِ
مَا أَجْدَبَ الْغَيْثَ نَسْتَعْنِي بِمَاطِرِهِ
وَلَا أُقِيمُ بِنَاءً مِنْ مَفَاخِرِهِ
نَجْمٌ، وَلَا فَاضٌ خَيْرٌ فِي حَوَاضِرِهِ
وَلَا تَكُونُ فَوْجٍ مِنْ عَسَاكِرِهِ

* * *

كَأَنَّمَا هُوَ طَيْرٌ فِي حَضَائِرِهِ
هَمٌّ سِوَى أَنْ يَغْنَى فِي قِيَاثِرِهِ
كَأَنَّمَا هُوَ مَيِّتٌ فِي مَقَابِرِهِ
كَأَنَّهُ خَائِبٌ فِي سَجَنِ آسِرِهِ
وَيَعْبَثُ الْهَمُّ وَخَزًا فِي ضَمَائِرِهِ

كَأَنَّمَا كُلُّ نَجْمٍ فِي دِيَاغِرِهِ
كَأَنَّمَا هُوَ طِفْلٌ طَائِشٌ جَذْلُ
فَكَنْ لَهُ يَا «وَلِيَّ الْعَهْدِ» مَتَبِّهَا
فَكَمْ أَرَاقَ دِمَوْعًا مِنْ مُحَاجِرِنَا
وَكَمْ أَثَارَ الرِّزَايَا مِنْ عَوَاصِفِهِ
وَكَمْ أَذَابَ نَفُوسًا فِي مَرَابِعِنَا
عَامٌ مَضَى بَعْدَ أَنْ كَلَّتْ نَوَاطِرِنَا
كَأَنَّهُ عَاصِفٌ طَمَّتْ عَجَاجُتُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ قَصَّابٌ وَمَدِيتُهُ
لَوْلَا أَيْادِيكَ فَلَتَ غَضَبُ أَزْمَتِهِ
لَكَانَ مَا هُوَ أَنْكَى مِنْ مَصَائِبِهِ

مَوْلَايَ، مَجْدُكَ بَحْرٌ مِنْ زَوَاخِرِهِ
وَحَدَّ سَيْفِكَ سَوْرٌ لِلْبِلَادِ إِذَا
وَفِيضُ جُودِكَ غِيثٌ وَابِلٌ فَإِذَا
لَوْلَاكَ مَا شَيَّدَتْ لِلشَّعْبِ مَكْرَمَةٌ
وَلَا تَبَلَّجَ فِي آفَاقِ عَزَّتِهِ
وَلَا تَرَفَّرَفَ فِي أَجْوَاهِهِ عِلْمٌ

كَمْ شَاعِرٍ يَتَغَنَّى بِالْهَوَى ثَمَلِ
يَهِيمٍ فِي صَحْرَاءِ اللُّهُولِيسِ لَهُ
وَشَاعِرٍ مَثْقَلٍ بِالْهَمِّ مَرْتَبِكِ
يَرَى بِكُلِّ مَكَانٍ مَا يُنْغِصُهُ
يُعْشَعِشُ الْحُزْنَ فَتَاكًا بِمَهْجَتِهِ

كأنها جَمرات في حناجرِه
من الحنين نشيدًا في مزاهرِه
فؤاده، وتنزَّى في مشاعرِه
كأنما هي شوْكُ في نواظرِه
كهفٌ لكل حزين القلب حائرِه

وشاعر يبعث الأناتِ صاحبة
كأنه عاشق سالت حشاشته
ينوح بالشعر والآلام تعصف في
سخريةُ الدهر من قوم حياتهم
وأنت يا زينة الدنيا وبهجتها

تعز: ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م

١١ - زنبقة في فلاة

[اشترك صاحب الديوان مع صديقه الشاعر إبراهيم الحضرائي في نظم هذه القصيدة وأرسلها إلى الشاعر محمد محمود الزبيري في ٢٥ صفر ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م ، وكان يتحصّل «الزكاة» في «ماوية»] :

يسأل عنه أين ولّى وسار؟
أين هزاري يا ترى؟ أين طار؟
في ساحة بات يناجي مناه؟
ظمان يشكو ليلي صداه؟
فترتوي أكبادنا الظاميه
فتحتسيها فكرٌ واعيه
وأي روضٍ بعد روضي سباه؟
وهل يرى ما كان عندي يراه؟
تَمَلُّ إن غنى شجّي القصيد
لا شيء تهوى غير رجع النشيد
يشدو فيرتدّ إليه غناه
كأنه زنبقة في فلاة
فينصت الليل، ويصغي القَمَرُ
فيفرغ الكأس ويلقي الوترُ
ويستقي أنغامه من سنّاه
كأنما يرمق فيها هواه

تلَفَّتَ الشعرُ إلى الشاعرِ
وأين ربّ النغم الساحر؟
وأي روضٍ فاتنٍ زاهرٍ
يحمل عبء القدر القاهرِ
يا حُسْنَ لحنٍ كان يشدوبه
ويرسل الأنغام عن قلبه
فحدثوني اليوم ما شأنه؟
وكيف إذ يطفح وجدانه؟
من مهجٍ والهة هائمة
وأَنْفَسٍ من حوله حائمة
أظنّه اليوم يغني وحيد
لا سامع من حوله يستعيد
يبث في الليل يناجي النجوم
وتارة يطفئ عليه الوجوم
يستقبل الفجر بقلب عميد
ويرمق الشمس بطرف شريد

والكون باكٍ لفراق الحبيب
هناك تنهل دموع الغريب
في جنة الشعر وأزهى رُباه
ما أعجب الشعر وأحلى مناه؟

يا حيرة الشاعر عند الأصيل
هناك يذكو فيه وجدٌ دخیل
عد أيها الشاعر عُذُّ إننا
نعبث بالدهر ونُزجي المنى

تعز: ١٣٠٤هـ / ١٩٩٠م

١٢ - دُموع الغريب

[إلى أخي عبد الوهاب:]

ومشاعرٌ مشبوبة الآلام
موهونةً مكلومة الأحلام
بحديث صفوٍ، أو بشعر هيام
وسراجهِ الواهي، ووجدٌ نامي
عنه، وقفر تشاؤمٍ مترامي
وفضاء آلامٍ وبحرٍ ضرامٍ

نفسٌ معذبةٌ وقلبٌ دامي
ومنىً مجنحةٌ تدفُّ وتنثني
نام الوجود! فلا سмирَ هامسٍ
لم يبق إلا مغرماً. ويراعه
وحطام آمالٍ تلوح قصيةٌ
ومخاوف خرساء تحلق حوله

* * *

كُرةً مطوحةً على الأقدام
تنزو فيمسكها الهوى بزمَامٍ
هذا الوجود، إلى وجودٍ سامي
محفوفةً بالخير والإنعام
يرمي بشهب النور كل ظلامٍ
والجهل يفضحُه سنا الإلهام
زاهٍ، وحيث الحب غير حرامٍ

صبُّ تقاذفهِ الهموم كأنه
صبُّ يناجي الذكريات، وروحهُ
وخياله المجنون يسمو هاجراً
يسمو إلى حيث الحياة جميلة
يسمو إلى حيث الحقيقة كوكبٌ
والشرُّ يُصرع، والشقاء مجدَّل
يسمو إلى حيث السَّعادة عالم

* * *

غَنيهِ ما يهوى من الأنعام

قيثارتي.. هذا فؤادي خاشعٌ

هاتي ترانيم الصبابة والجوى
يا من «بصنعا» يمرحون تحيةً
أنا بعدكم مضمئاً أذوب من الأسى
لا الصبح ألقاه بوجهٍ باسمٍ
أتلَمَسُ السُّلوى فأعثر دونها
هذي دموع الحبِّ، وهي حشاشةٌ
قيثارتي، شعري، حنين عواطفي،

تعز: ١٥ صفر ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م

هاتي تغاريد الهوى البسامِ
من مهجةٍ حَرَّى، وروح ظامي
الهول يزحف جانبي وأمامي
كلا ولا ألقى الدجى بمنامٍ
والهم يرشق مهجتي بسهام
سالت وزفرةً صبوةً وهيام
خلجات روحي، لوعتي وغرامي

١٣ - نظرة إلى الكون

[أنشدت أمام سيف الإسلام أحمد بتعز في ٢٢ من ربيع الأول
١٣٦٣هـ، قبل ارتقائه العرش]:

يا أيها الشاعر: قُمْ لا تَنْمِ
فالكون غافٍ، ونجوم الدُّجَى
وتسكُّبُ النُّور على عالمٍ
وأسمع اللَّيْلَ شجِيَّ النِّعَمِ
تطلُّ حيرى من وراء الظُّلَمِ
يكاد من شقوته ينحطَمِ

* * *

يا أيها الشاعر: قم صادقاً
وليسَ إلَّا أنتَ تبكي المني
حيران لا خلٌّ، ولا سامرٌ
وأنةٌ تتبعها أنةٌ
وذكرياتٌ لِّليالي التي
ما التفتَ القلبُ إلى ذكرها
فكل حَيٍّ في الورى قد وجَمَ
وتندب الحظَّ، وتذكي الألمِ
إلَّا التِياعُ وشقاء وهَمِ
وزفرة مشبوبة كالضَّرَمِ
مرَّت وأبقتْ للفؤاد الندمِ
مناجياً إلَّا بكى وابتَسَمِ

* * *

يا أيها الشاعر: صبراً إذا
أمسيتَ والآمال مكفوفةٌ
والهَفَ نفسي، أصحیحُ قضى
انظر إلى الكون، تجد مسرحاً
ذابت أمانيك ببحر العدمِ
والدَّهر إن ناديتَه كالأصمِ
حبِّي، وولّى عهده وانصرمُ؟
يمثل اللؤم به والكرمِ

بين ضعيفٍ وقويٍّ ظلمَ
بين فقيرٍ وغنيٍّ غشمَ

تجدُ صراعًا سرمدي الشقا
تجدُ نزاعًا هائلًا ناشبًا

* * *

وجرَّعَ العالمُ مُرَّ النِّقَمِ
تشعره الخير، ولا دينَ زَمِ
أصبح في هذا الوري كالحرَمِ
تغسل عنه كل خوفٍ وغَمِ
عنه الرزايا، والزَّمانُ انهزمُ؟
والموت يطوى في القبور الأمَمُ؟
عزمٌ قويٌّ، وعلاه أشمُ
من أجله كل غوالي القيمِ
الملجأُ الرحبُ وأنت العَلَمُ
إذا تعدَّى دهرنا واحتدم
أنسى هزار الأيك حُرَّ النِّغَمِ
أشرق صبحٌ، أو ظلام هَجَمِ

هذا هو «الغربُ» طغى واعتدى
لا عقل يهديه، ولا رحمة
ليس سوى شعبك في غبطة
جداول الإيمان فياضةً
لأَيِّ شيء يا ترى قصَّرتُ
وكيف والشرُّ يطمُّ الوري
ليس سوى «أحمد» من عزمه
سعى لإسعاد الوري باذلاً
مولاي أنت اليوم في قطرنا
وأنت أنت القائد المرتجى
ألهمني مجدك شعري الذي
وأصبحت تشدو به كلُّما

تعز: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

قف تأمل ذُكَا جَنَحْتُ لِلْمَغِيبِ
 بطلاً مِنْكَسِرُ
 وهجوم الدُّجَى في سكون رهيْبٍ
 ثملاً بِالظَّفَرِ
 واندفاع الظلامِ ووجوم الوجودِ
 منصتاً لِلسَّحَرِ
 واحتشاد الغمام وهزيم الرعودِ
 وانهمال المطرِ
 وطلوع الحبيبِ باسمًا راضياً
 زاهياً كالقَمَرِ
 واختفاء الرقيبِ غافلاً لاهياً
 ما درى ما الخَبَرِ
 وتداني الشفاه وخفوق القلوبِ
 وهدوء النظرِ
 وابتسام الحياةِ لِمُحِبِّ طروبِ
 كان يشكو الضَّجَرِ

وسقوط الندى ورفيف النسيم
عابثاً بالزهر

وهزار شدا بغناء رخيم
ساحر كالوتر
قُدست من صور
كلها رائعه

تعز: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

١٥ - ردُّ التحيّة!!

[ردُّها على أبيات وردت إليه من الشاعر إبراهيم الحضرائي في
١٣٦٣هـ/١٩٤٤م]:

ومنار القريض والعرفانِ	نفحةً من «بديع هذا الزمان»
من كؤوس البیان خمر المعاني	بهر العقل حسنُها، وسقاه
كفُّ إبداعه بدُرُّ الأغاني	أقبلتُ في غلائلِ طرُزتها
بارقات الهوى ودلُّ الغواني	تتهادى كأنها سُبُكتُ منْ
لِ، من السحر من خدود الحسانِ	من فؤاد المحبِّ، من نشوة الوصد

* * *

رَ بآياته على «كيوان»	أيها الشاعر الذي رفع الشُّعْ
ثابت الأسَّ شامخ الأركانِ	لك في مهجتي ودادُ عريقُ
شعري إلّا عواطفِي وجَناني	هاك شعري؛ وإن أجدتُ فما
مهجتي من جوى ومن وجدانِ	كامن في حروفه كلُّ ما في
ومعانيه ملتقى أحزاني	فقوافيه بوتقات شعوري

صنعا: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

١٦ - إحساس الشعب

[ألقيت أمام الإمام أحمد قبل ارتقائه العرش في ١١ جمادى الأولى ١٣٦٣ هـ بتعز، بعد أن أبل من مرض أقعده في داره أيامًا]:

هذه شمس الأماني أشرقَت بالبشرياتِ
وشدَّت في روضة الشعر طيور الأمنياتِ
وزَهَتْ في كل ثغرِ زهرات البسماتِ
وبنات الوحي طافَت بالمعاني الثملاتِ

* * *

قلمي.. خذ عن جمال الفنِّ سحر النغماتِ
وصغِ الأشعار من روض الأماني الزاهراتِ
من شعاع الأمل الزَّاهي، وطيف الذكرياتِ
من رفيف الابتسامات، ودلَّ الغانياتِ
واهدها تاجًا موشى بلّالي التهئاتِ
(لوليَّ العهد) ذي الهمَّة ربَّ الحسناتِ

* * *

يا «وليَّ العهد» يا فجر الأماني الضاحكاتِ
غبتَ عَنَّا برهةً كانتَ مثار الحسراتِ
فترى النَّاس حيارى في دياجي المشكلاتِ
يشعلون الأفق نيرانًا بجمر الزُّفراتِ

كل شخص مطرق الرأس كئيب النظرات
ثائر اللوعة مضنى القلب، جمّ العبرات
رافع الكفّ مذبباً قلبه في الدعوات

* * *

ثم أشرقّت علينا بالمنى والبسمات
فانجلي الليل.. وقد كان كثيف الظلمات
وغدا الأفق كما كان وضيء القسمات
ساطع الأنوار يهديننا شذيّ النسّمات

* * *

يا «ولي العهد» أنت اليوم كنز الأمنيات
أنت للدين ضياء شع في كل الجهات
عظمت فيك صفات لم تسعها كلماتي
أين من شعري ما طمّ فراغ الكائنات؟

* * *

أنا من بالشعر قد فند أوهام الحياة
شاعرٌ تيممه المجد غريب النزعات
شارد اللب حزين الروح مكبوت الشكاة
دائمًا أشدو فتدمي بالأناشيد لهاتي

* * *

إيه عصر النور قد جئت بشتى المهلكات
نكبة الغرب الذي حطّم نبراس الهداة
شدّ بالبؤس على العالم من كل الجهات
وأنا الشاعر يشجيني بكاء الكائنات

شاعرٌ ما الشعرُ إلا نكبةٌ من نكباتي
ضلُّ قلبي في صحاراه وتاهتُ أمنيّاتي
طالما غنيت لكن لم ترقهم نغماتي
آه لو يدرون ماذا ينطوي في كلماتي

* * *

يا «ولي العهد» هذي نفثةٌ من نفثاتي
فتلمسها تجدها قطعةً من عاطفاتي

نغز: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

ما قرَّ يا ليل لجنبي قرار
فأين أين النُّور أين النُّهار؟
لا خلِّ وافاني ولا الفجر لاح!
أين تولَّى يا ترى؟ أين راح؟

* * *

فهاث قُلْ، أين تركت السنا
أم ضلُّ مثلي في شِعَاب العنا
هل حبستهُ في الثغور الملاح؟
وهام في صَحرائها والبطاخ؟

* * *

قد بتُّ حيران حليف النوى
يثزُّ قلبي بجحيم الجوى
كأن قلبي في رؤوس الرماح
فآح من حرِّ الجوى آخ آخ

* * *

متى متى يا ليل يُشفي الغليل
حملني الهجران عبثاً ثقیلاً
متى متى يا ليل تُوسى الجراح
ما زال يُضنِّني مساءً صباح

* * *

الليل مأوى التَّائه الشَّارد
لا.. إنه في قبضة الصائد
يبىء فيه يَسْتَجِمُّ الكفاح
طيرٌ سَجِينٌ قُصَّ منه الجناح

تعز: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

أَوَاه هَأَنَا فِي الظَّلَامِ	أَنُوحُ مُحْتَرَقُ الشُّعُورُ
وَدَمِي يَضْجُ مِنْ الهمو	م وَمَهْجَتِي الْحَرَّى تَفُورُ
وَمَشَاعِرِي مَكْفُوفَةُ الرِّغْبَاتِ تَخْبِطُ كَالضَّرِيرُ	
وَحَوَاطِرِي تَهْفُو وَرَاءَ	أَمَانِي الْقَلْبِ الْكَسِيرُ
وَالْكُونِ غَافٍ لَا ضَجِيجَ،	وَلَا رَقِيبَ، وَلَا سَمِيرُ
لَا مَشْفَقٌ يَحْنُو عَلَيَّ،	وَلَا نَصِيرَ، وَلَا عَشِيرُ
إِلَّا فَوَادُ؛ دَامِي الزُّفَرُ	ات، أَوْ دَمْعُ غَزِيرُ
أَوْ لَجَّةُ النُّورِ الَّتِي	فَاضَتْ مِنَ الْقَمَرِ الْمَنِيرُ
وَكَأَنَّمَا هِيَ بِلَسْمُ	وَالْكُونِ مَجْرُوحِ الضَّمِيرُ
ظَمَانٍ مُسْتَعْرِ الْجَوَانِحِ	وَالشَّعَاعِ لَهُ نَمِيرُ
أَوَاه هَأَنَا مِنْ وَجُودِ	ي كَالْمَكْبَلِ فِي السَّعِيرُ
وَكَأَنَّمَا أَنَا طَيفٌ مَيِّتٌ ضَلَّ	عَنْ دُنْيَا الْقُبُورُ
أَحْيَا وَحِيدًا حَائِرًا	بَيْنَ الْمَخَافِ وَالشُّرُورُ
مَتَأَجِّجُ الْأَحْشَاءِ	أَدْعُو بِالْمَصَائِبِ وَالثُّبُورُ
وَكَأَنَّمَا أَنَا طَائِرُ	فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَسِيرُ
يَشْدُو بِمُخْتَلَفِ اللَّحُونِ	عَلَى أَنْاسٍ كَالصُّخُورُ

تعز: ١٥ جمادى الأولى ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م

١٩ - نشيد المهاجر

[يذكر الشاعر في هذه القصيدة هجرته إلى (عدن) مع السيد زيد الموشكي والتحاقها بالأستاذين أحمد محمد نعيان ومحمد محمود الزبيري في شهر جمادى الآخرة عام ١٣٦٣هـ/مايو ١٩٤٤م، ولم تنشر كاملة في ديوانه «النفس الأول»]:

غريبٌ يجوبُ القفرَ، والليلُ سادرُ	ولا هاديًا إلا النجومُ الزواهرُ
وفي قلبه ممّا يُكنُّ معاركُ	نوازع يطغى شرُّها وخواطرُ
ومن حوله الأخطار تسري رهبة	تطارحه أوهامه، وتحاورُ
وتشر أشواك الأسى في طريقه	فيا ويحه.. كم يتقي، ويحاذرُ
ألا أيها الساري إلى أيّ وجهةٍ	وأيّ بلادٍ نحوها أنت سائرُ؟
لقد عرّكتك النائبات وأنت في	شباب الهوى والقلب بالحبِّ عامرُ ^(١)
ومثلك في دنيا الصبابة والمني	يقارف فيها حظّه، ويعاقرُ
وقرنك بالأحلام هيمان مغرّم،	وأنت بأعباء الحقائق عائرُ
يؤزُّك قلبٌ في قرارةٍ حسّه	طموحٌ إلى المجد المؤثّل طائرُ

* * *

ألا أيها الساري ترفّق: فما السرى	بمجدٍ إذا ما القلب كسلان خائرُ
فما المرءُ إلا بالفؤاد مغامرُ،	وما هو إلا بالفؤاد مخاطرُ؛
إذا كنتَ جبارًا فحظك مُسعدٌ،	واسمُك مرهوبٌ، ونجمك زاهرُ

(١) كان في الحادية والعشرين. وانظر قصة الهجرة في كتابه «رياح التغيير في اليمن».

رهيبٌ، وأنواء الخطوب ثوائرُ
تطلُّ؛ وفيها للأمانى مقابرُ
إلى طريقٍ لا يحتذيها مسافرُ
من الخوف والظلم الذي لا يُصَابِرُ
إلى الموت راعٍ مستبِدُّ وجائرُ
وما هو باسم الدين إلا متاجرُ
ويفعله سرًّا، وحينًا يجاهرُ!

* * *

ووغدٌ، ودجالٌ، وخبٌ، وفاجرُ
إذا ارتبكت يوم النشور البصائرُ
وقالوا «صوابٌ» ما يقول وسايروا
وإن دَلَّسُوا، أو غالطوا، أو تظاهروا
و«عَمَرِيَهُم» يحميهموا ويؤازرُ
بهم همّةً، أو رافّةً، أو مشاعرُ

* * *

وهاجرُ؛ فأنصار الفضيلة هاجروا
فما فاز إلا الألمعيّ المغامرُ

* * *

تؤجّ؛ وهذي أنفسٌ وضمائرُ
تقدّيك يوم الروع؛ والله ناصرُ

سريت، وفارقت الأحبة والدّجى
«كأن نجوم الليل أعين نعمةٍ
تزوج من الأرصاد عن كل مسلكٍ
لترتاد مأوى، أو لتنشد ملجئًا
وشعبك في وادي الرزايا يسوقه
تنزّه باسم الدين عن كل شبهةٍ
يقول لهم: هذا حرامٌ، ومنكرٌ،

وجامله فيما يريد منافقُ
«عصابة بغى» سوف تلقى حسابها
إذا قال «يحيى» كلمةً هلّلوا لها؛
هم الشرُّ في أفعالهم، وصفاتهم،
«مطهرهم» يَسْطُو «كلْطَفِيّ» مكرهم
ولم يرقبوا في الشعب إلا، ولا سمّت

فسر في سبيل الشعب حرًّا مجاهدًا
ولا تخش أحداث الزمان وبطشها

بلادي: هذي أكبد ومشاعرُ
وهبنالك أرواحًا علينا عزيزةً

عدن: ١٣٦٣/٦/٦هـ

١٩٤٤/٥/٢٨م

[أبل من مرضه ونظر فيما حوله . . فلم يجد بدءاً من الشكوى]:

ما لقلبي وللضجر	ولطرفي وللسهر؟
أرقب النجم ذاهلاً	مثل من يرقب الخطر
سأهم الوجه، مطرقاً	حائراً خاشع النظر
وأبث السماء سرّاً	خفياً عن البشر
وأنا الشاعر الشباب	! فتى المحتد الأغر
لا صديق؛ ولا حبيب	يؤاسي، ولا سمر
كل ما في الوجود	لؤم؛ فيا قسوة القدر
فهنيئاً لمن قضى	مستحريحاً، أو انتحر

* * *

آه لولا صبا	في الحشا تقدح الشرر
واستيقاً ومنية	وهوى بالغ الأثر
لجَرَعْتُ الزُّوَامَ لا	هول فيه ولا خطر
وأنا المبعد الشريد	عن الأهل والمقر
عرف الناس لا صديق	صديق سوى الكدر
فقد الحب لا حنان	ولا صاحب أبر
آب من سيره البعيد	بعيب من العبر

بشراءٍ من الكآبة، والهَمّ والضجرُ

* * *

آه.. والآه	زفرةٌ	ليس تُبْقِي ولا تذرُ
تتلظى	كأنما	صاغها الله من سقرُ
ليتني لم أر الوجود		ولم يُقْضَ لي وطرُ
ليتني كنتُ نعمةً		يتغنّى بها وترُ
ليتني كنتُ نسمةً		تثنى على نهرُ
ليتني كنتُ خاطراً		في نهى شاعرٍ خطرُ
ليتني بسمة الصباح		وغيبوبة السحرُ
ليتني.. ما هبطتُ يو		ماً إلى بؤرة البشرُ

عدن: ١٢ رمضان ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

٢١ - استيقظ يا وطني

[ألهاها الشاعر في أحد احتفالات حزب الأحرار بعدن]:

آن أن نرقب الخلاص وحانا ..
فكفانا ذلاً وخسفاً .. كفانا،
ثلث قرن مضى عرفنا به الظلم ..
فنونا .. وعسفَه .. ألوانا،
لم نَشْمُ فيه لمعةً من ضياء ..
أفعمياً .. رب الوجود برانا؟ ..
أبرانا بلا عقول، ولم يخلق ..
لنا عزة .. ولا وجدانا.

* * *

لا .. ولكنها العزائم خارت ..
فأضعنا إباءنا، وعُلانا،
وخليق بمن تهاون ذلُّ
وجدير بخانعٍ أن يُهان! ..
أيُّها الأمة التي عبث الظلم ..
وأودى بمجدها وأهاننا،
تخذتها لها الجهالة رُبعا،
واصطفها له الفناء مكانا! ..

فهي في لجة الزمان غريقٌ ..
لم يجد منقذاً ولا ربّاناً،
والرياح الهوجاء تعصف ..
والبحر غضوبٌ يزلزل الشطّاناً،
والمنايا من حوله تملأ الأفق ..
ضجيجاً، وتُفزع الأكوانا،
هو في ساعة الهلاك فإن لم ..
تنقذوه، فابكوا عليه الزّمانا،

* * *

هذه ساعة الخلاص من الموت ..
إذا رُمْتُم حياةً! وشاناً!
إيه «حزب الأحرار» لا زلت ..
للشعب تؤدّي له الأيادي الحسانا،
أنت من ترتجي البلاد به نفعاً،
و«تبغي» سلامةً وأماناً،
علّقت في «بنيك» آمالها الكبرى ..
وهزّت حسامها «نعمانا»!
ذلك «العبري» من نصر الحق ..
فعالاً. ورغبةً. وبياناً!
وهب الشعب قلبه وحباهُ.
مقولاً صارماً، ورأياً مصاناً.
فهو للشعب روحه الثائر الحي ..
وسيفٌ يمزّق الطغيانا!

وهزارُ إذا شدا، فإذا صال ..
على ظالمٍ .. غدا بركانا! ..

* * *

إيه «حزب الأحرار» حرّ قلوباً ..
وعقولاً تستمطر العرفانا،
أنقذِ الأمةَ «الشقيّة» وانشر ..
علم الحقّ، وانصرِ القرآنا،
وامضِ في حومة الجهاد، وحطّم ..
كل من ناصر الغشوم وخانا،
لا تدع للطاغى مجالاً، ولا تسمع ..
له حجة .. ولا برهانا،
إنها «خدعة» المضلّ الذي ضلّ ..
هداه .. وضيع الإيمان ..

* * *

أيها السادرون في ظلمات الجهل ..
هلاً سئتم الطغيانا؟! ..
حطّموا الأسر والقيود وثوروا ..
«ثورة» .. تعمروا بها الأوطانا! ..
لا تهابوا شيئاً، فما خاب إلا ..
كل من كان خائفاً أو جبّاناً! ..
ما عسى يصنعُ «الغشوم» إذا تُرتم ..
رجالاً، أشاوساً، شجعاناً ..
هو فردٌ يذلّ للحقّ لو قمتم ..

به ، أو يهوى صريعاً مهانا ،
وهو الحق لا يذلّ ، ولا يفنى ..
وإن خاصم الورى والزمانا ! .
فلنغامر وننقذ الشعب ..
أو نفنى ..
وعينُ الإله يقظى ترانا ! .

عدن : ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م

٢٢ - دمعة على الثعالبي

[في ١٥ ذي الحجة ١٣٦٣ هـ أقام «نخيم أبي الطيب» بعدن حفلة تأبين للزعيم المغربي المشهور السيد عبد العزيز الثعالبي التونسي، وألقى صاحب الديوان هذه القصيدة في ذلك المائتم]:

شمس مجدٍ غابت، وغاب سناها	أوحشت أرضها وأبكت سماها
مليت بعدها القلوب ظلاماً	ودهي بعدها النّهي ما دهاها
فالعيون القرّحى تذوب دموعاً	وزفير الأنات يشوي الشفاها

* * *

«عدن» ما لها تضحّ وتبكي؟	أفزع الأرض والسماء بكاهها
ما لزخارها غضوبٌ؟ وما للبيد	حرى؟ وما أصاب ذراها؟
وينوها.. ماذا أصاب بنيتها؟	فقدت رُشدَها وضلت نهائها
لا تسلّها عن خطبها فكفاها	ما دهاها وحسبها ما شجاها
ربّ ذكرى تثير في القلب آلا	مّا، وتذكي فيه جحيم أساها

* * *

مات «عبد العزيز» من كان في	«تونس» أزهى آمالها ومناها
مات «عبد العزيز» يا ليتـه	عاش وماتت زعانفُ نأباها
أفيقضي من كان فداً وتبقى	عصبة محنة علينا بقاها
رب رحماك بالعروبة ضاعت	بين أوباشها وبين عداها

* * *

أريخ مجداً بنبله نتباهي
القد وصنديد غابها وحماها
مثلما تندب الصغار أباهما
جهاد هيهات أن تنساها
شهب يبهز الزمان سناها
ذمة كنت بالوفا ترعاها

يا عظيمًا مضى وخلف للت
فقدت فيه «تونس» سيفها
فهي من بعده تضيّع وتبكي
لك في هذه «الجزيرة» آثار
«عدن» للوفاء دار وفيها
حفظت عهدك المكين وصانت

* * *

آلامك في ربنا تؤجّ لظاها
كل شعب بالخطب حار وتاها
صناديد غابها وحماها
ماتوا ضحايا فخارها وعلاها
كم عظيم قضى ولم يلق... تقديرًا لأعماله، ولا حاز جاها
وحتم بأن تُلاقي فناها

إيه يا «تونس» العزيزة
لست بالحامل المصاب وحيّدًا
تعست أمة تضيّع آثار
لا ترى للأبطال حقًا وإن
كم عظيم قضى ولم يلق... تقديرًا لأعماله، ولا حاز جاها
وحتم بأن تُلاقي فناها

* * *

كنت «عبد العزيز» نور هداها
تداوي جراحها وأساها
كنت في كلّ محنة ترعاها
نهض آمالها وتحيي مناهها
و «بصنعا» تشدّ «نجدًا» أخاها

لبست بعذك السواد شعوب
كنت نعم الطبيب للأمة الفصحي
كنت تبني لها فخارًا ومجدًا
طالما صحت بالعروبة تست
تربط «الشام» و «العراق» «بمصر»

* * *

خلدت مجداً ومحتدًا لا يضاها
فحدث عن «يعرب» وشقاها
بعد ما ضاع دينها وعلاها

غب كما غابت الشمس فقد
وإذا ما لقيت سيد «عدنان»
قل له: أمة العروبة ضاعت

وسادت على البلاد عداها
وغطت موهونةً في كراها
ما صَغَتْ أمة إلى شكواها
وسقاها زمانها ما سقاها
بؤس بكى رحمةً لها، ورثاها

* * *

د» وأين الأسود تحمي حماها؟
طان» فقد خالفت سبيل هداها. .
ن» فحارت على الشفاه لغاها. !
زماناً فأشرقّت لابتاها
جرّعوها جهلاً كؤوس فناها
يملاً الأرض والسماء صداها. .

* * *

واندبي شمس «يعرب» وضحاها
لّت نفوس من الجفون مياها
الشعر لساناً لبؤسها وشقاها
ب، وأسمى شأنًا، وأرفع جاها

وبنو «يعرب» أقاموا على الضيم
سيمت الخسف فارتضته مع الجهل
و «فلسطين» في فم «الذئب» تشكو
جرّعتها الخطوب كأساً مريراً
لو رآها الرّسول في الذل وال

آه أين الأبطال من أمة «الضا
أين «قحطان»؟ سامح الله «قح
أين «عدنان»؟ ضيّعت بنت «عدنا
لغة حُرّة أطلت على الدنيا
ثم ولت ولا رعى الله قومًا
خفتت يعد أن دوت في البرايا

إيه نفسي ذوبي دموعًا وشعرًا
كم قلوب ذابت قريضًا وكم سا
لغة الحزن ليس ترضى سوى
ودموعي أغلى من اللؤلؤ الرطـ

عدن: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

[ألقاها الشاعر في «مخيم أبي الطيب» بعدن سنة ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م، يقرظ ديوان الوتر المغمور للشاعر علي لقمان]:

فاضت ينبوع الحياة الزاخر بالفنّ معجزة الزمان الغابر ويرنّ كالوتر الحنون السّاحر وبأكبدٍ ملتاعةٍ ومشاعرٍ وهفتْ جوانح كل فذّ شاعرٍ وقتلّت وحشة كل صبّ ساهرٍ هو كنز أحلامي، ربيع خواطري تلهو وتسخرُ بالزّمان الغادرٍ ناراً تذيبُ سرائري ومرائري	العبقريّة في فؤاد الشّاعر بالسّحر، بالحب المقدّس عرشه بالشعر يغمر كلّ قلب بالهوى يا شادي الوادي ترفّق بالنّهي غنيت فاهتزّ الوجود صباةً وأثرت كامن كلّ قلب موجع جددت بالألحان عهداً ماضياً كانت به روعي رفيقة صفوها ذكرى أثرت شؤونها فتأجّجت

* * *

فتسيل نفسي من غضون محاجري فيه سوى شبح الهموم الثائر والليل، لا يأتي بوجه زاهرٍ وأهجت في قلبي شعور الذّاكر تورى بشعرٍ من لسانك عابرٍ	مالي ولألمس البعيد إخاله ولقد مضى زمنٌ عليّ ولا أرى لا الصُّبحُ يلقاني بثغرٍ باسمٍ فأثرت بالأنغام كامن لوعتي ما أروع الذكرى لصبّ مولعٍ

أخشى عليك من القصور فحاذر
وخلصة الأدب القديم الغابر
وبكل بيت روح حُبِّ قاهر
سُئِلَ أُمَّتُهُ فحار الشاعر
ويُذَبِّ عنها بالبيان الباتر
ستظلّ رمزاً للغرام الطاهر
تزدان بالفلك الكبير الدائر
ويُبثُّ أسرار الجمال الساحر
نير الجمود المستبدّ الجائر
نهجاً كفيلاً بالنجاح الباهر

* * *

عبئاً على الأدب القديم الدائر
لكنني أهوى الخلود لحاضري
مرآة عصرك كنت أعظم ظافري
للناس أشكالاً لعصرٍ آخر

شعرٌ، حرامٌ يا يراعى وصفه
هو نفحة الفن الجديد ووحيه
في كل بيت ذوب قلب طاهر
أعلّنتَ للدنيا بأنك شاعرٌ
ويذود عنها كل خصمٍ جائر
ديوان شعرك شعله لن تنطفي
سيدوم ما دامت أزاهير السما
يُملي على الأكوان آيات الهوى
شعرٌ جديدٌ حَطَمَتْ نغماته
رفضَ التقاليد الكثيرة وانتحى

تمضي القرون ولا نزال جهالةً
وتراثُ آبائي عظيمٌ خالداً
والشعر مرآة الحياة، فإن يكن
أولاً فلا يجدي سهادك راسماً

عدن: ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م

فتى عاش مشبوب المشاعر مؤلماً
حزيناً شقيّاً، لم ينعم بلذّة
أصيب ولما يقض شرخ شبابه
فهام غريباً في الحياة مشردّاً
ويحمل قلباً بين جنبيه موجعاً
يثور على الدنيا، ويستعطف السما
ومن كان جلفاً أو غيباً تنعماً
بما لو أصاب المشمخر تهذماً
يرى هذه الدنيا ظلاماً مخيماً
ومن حمل العضو الأليم تألماً

* * *

فتى عاش حرّاً لا يذلّ، وسيّداً
ترى فيه خللاً لا يدين بسبّة
وفيّاً - وإن عادى الزمان وأهله -
يفوز الكريم النفس منه بجنة
يرى الذلّ كفرّاً والكرامة مغنماً
وسهماً إذا رمت الكفاح مصمماً
صريحاً وإن قاسى البلاء المحطماً
ويرمق فيه المجرمون جهنماً

* * *

رأى الكون بحرّاً هائجاً فارتمى به
وقاسى الدواهي من ثوائر موجه
وأَمْضى حياةً بين بؤس وشقوة
قضية فنانٍ. ومأساة شاعرٍ
وحيداً - ويا ويح الوحيد إذا ارتمى
ولاقي المنايا ساخرّاً متبسمّاً
وبعدٍ، وهمّ قاتلٍ يشعل الدما
تدلّى إلى هذي الخليفة ملهماً

عدن: ٤ محرم ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

أَحَبَّ فَأَشْعَلَ الْأَفْقَا بَأْنَات أَغَانِيهِ
وَبَثَّ الذُّعْرَ وَالْقَلْقَا بِصِيحَات مَاسِيهِ

* * *

أَحَبَّ فَشَقَّهِ الْوَصْبُ وَمَزَّقَ قَلْبَهُ الْأَلَمُ
فَلَمْ يُوصِلْ لَهُ سَبَب وَلَمْ يَصْدُقْ لَهُ حُلْمُ

* * *

يَبِيتُ مَسْهَدًا قَلْقَا يَثِيرُ اللَّيْلَ أَحْزَانًا
وَيَنْفُثُ رَوْحَهُ مِرْقَا تَقَاطِيعًا وَالْحَانَا

* * *

فَكَمْ نَجْمٍ أَهَابَ بِهِ لَعَلَّ النَّجْمَ يَنْجِيهِ
يَمِيلُ أَسَى بِجَانِبِهِ وَيَصْغِي وَيَعْزِيهِ

* * *

وَكَادَ يَرِيقُ دَمْعَتَهُ حَنَانًا لِمَنَاجَاتِهِ
وَيُرْشِفُهُ أَشْعَتُهُ لَتَطْفِئَ نَارَ آهَاتِهِ

* * *

وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ طَالَتْ وَلَمْ يَهْدَأْ لَهُ بَالُ
وَكَمْ مِنْ عَبْرَةٍ سَالَتْ وَلَمْ يَصْفُ لَهُ حَالُ

* * *

لياليه منغصةً بآلام أمانيه
أمانيه معذبةً بساعات لياليه

* * *

إذا ما طلع البدرُ أثار شؤونه فشكى
وإن ما أشرق الفجرُ أهّاج دموعه فبكى

* * *

هو الحب؛ وليس الـ حب إلا روح بركان
حنين الخافق المجروح ، دمع المغرم العاني

* * *

أحبّ فخانته الحبُّ ولم يظفر بمطلوب
كذاك المغرم الصَّب يُعَذِّبُ أي تعذيب

عدن : ٧ محرم ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

بأناشيد حُبّه وهواه
مثارٌ، ولا أسى يخشاه
وشعرٌ يشجي الوجود غناه
.. وهل ينفع الشقيّ بكاه
حارَ فلا تسألوه عما دهاه
وتطغى على القلوب لظاه

* * *

ليس يدري ماذا دهاه فهاما
كان مصابًا لا يستطيع الكلاما
الأهل خشيةً أن يُضاما
... وولّى عنه يجوب الظلاما
ويقتات الهول والآلاما
.. ولا تأسر الحياة الهاماما

* * *

لم يساعد من قبله عبقريا
من الأعاصير والخطوب فتيا
.. فهل يا ترى يصادف شيئا؟
وإن لم يجد نصيرا قويّا؟

كان في عشّه هزّارًا يغني
هادي النفس، واجم القلب لا همّ
كل ما في الوجود حُبّ وآمال
آه. والآه لا تفيد ولا تجدي
ما دهاه؟ لا لا.. دعوه لقد
كم سؤال يذكي الجوانح آلاما

قدرٌ، أو مصيبةٌ أو شقاء
ليس في وسعه الكلام.. ومن
كل ما في لسانه أنه زاغ عن
نظر العشّ فازدراه مع الذلّ
يشربُ القيظ روحه في المفازات
وفؤاد الأبيّ ينبو عن الضيم

رام شيئا، فلم يساعده دهرٌ
فاجتوى كل نعمة، وارتمى بيـ
ينشد المبتغى غريبا عن الأهل
هل يفوز الغريب يوما بما يهوى

ويحيا بها طروباً رصيا
لينسى به الوجود الشقيا

تلك أمنيّةٌ يجيش بها القلب
شيمةُ الطفل يستكين إلى الوهم

عدن: ٩ محرم ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٢٧ - أَقْبَلَ اللَّيْلُ

أقبل الليل، فهيا يا حبيبي
أقبل الليل فلم لا يا حياتي
نفعم الكأس ونحسوها هناء
ننفد الليل حديثاً وغناء

* * *

أقبل الليل، علينا سدفًا
نحن ما بين دياجيه هوى
حجبت منا لهيبًا وضراما
ثائر بل مهجٌ تهفو غراما

* * *

أقبل الليل فدعني يا حبيبي
علّه يطفىء ما ثار به
أترع القلب بمعسول رضابك
من سعار قاتل بعد غيابك

* * *

أقبل الليل وقد رام الرحيلا
ها هي الأنجم حسري ضلّع
وتولى سحره عنا قليلا
تبعث النور، حنينًا وعويلا

* * *

آه هذا الفجر ينساب إلينا
فتعالى نودع الليل السرورا
مثلما تنساب أفعى في الظلام
والأماني، وتباريح الهيام

* * *

ولنلملم ما تبقى من غرام
فيهما كل تباريح الهيام..
ونواري إثمه في قبلتين
والتصابي وجنون العاشقين

عدن: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

شعورٌ بآلامه نازفٌ وعقلٌ بأوهامه واجف
وطرفٌ بما يرتئي حائرٌ يعدُّ به العالمُ الكاسف
وفكرٌ بأحلامه شاردٌ وقلبٌ بأناته ذارف
خطوبٌ ينوء بها شاعرٌ عن الذلِّ منكبه حائف

* * *

يعيش وحيداً كنجم السما بعيداً يفيضُ بأنواره
يراه الأنام فيخشونه يعوذون بالله من ناره
تمرُّ فترقبه شزباً حواسر أحداق نُظَّاره
كأنَّ جلال السما مشرقٌ على وجهه وبأنظاره

* * *

تطوف الخيالات في رأسه تهاويل يُبدعها حسه
وتجري دماء شرايينه رسيّاً تُسعِّره نفسه
عُصارة آماله دمعهُ ومنبع أحلامه بؤسه
ومصباحه في ظلام الشقا أساهُ، ورائدُه نحسه

* * *

تفلَّت من قبضة الباطلِ ومن ربة العالمِ الخاسر
وحلَّت في ملأٍ لا يرى وغاب عن الفكر والنَّاظر
سما بحقائق إدراكه عن النَّاسِ، والملأ البائر

فما إن له فيهم مَأْرَبٌ سوى رحمة الشَّاعر الحائر

* * *

وقد يُقلِّقُ النّجْمَ - في أفقِهِ إذا ما تغنَّى بأشعارِهِ
وأودعها أنَّهُ مُرَّةً تترجمُ بالوخز عن نارِهِ
وقد يُخجلُ البذرُ في أفقِهِ إذا قصَّ رائع أسرارِهِ
وأفشى معاركه الحاسمات بينَ نهاه وأوطارِهِ

* * *

رأى النَّاسَ غرقى بأوهامهم سُكَّارى بخمرِ شَقَاوَاتِهِمْ
قطيعُ بلا حارس ماهر يسيرُ بهم نحو منجاتِهِمْ
وليس لهم أملٌ يُرتجى سوى موبقات خرافَاتِهِمْ
يَروُدُونَ وادي الشَّقَاظِلِّعَا حيارى أسارى جهالاتِهِمْ

* * *

فكم بسمَةٍ لمَعَتْ كالسنا فيخطفها القدرُ القاهرُ
وأمنية خَطَرَتْ حِيَّةً فأودى بها الزَّمنُ الغادرُ
وكم زورق قد سما للخلا صرَّ فأركسه حظُّه العائرُ
فيا بؤسَهُ ملأَ بائرُ؛ أسيرُ التعاسَةِ، والأسيرُ

عدن: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٢٩ - كم أقاسي العمر

هان بالحبِّ وخابا	وجنى منه العذابا
شاعرٌ لم يلقَ من دذ	يا الورى إلاّ التبايا
أجهدته لذة العي	ش كفاحًا وطلابا
ودعاه الحبُّ جب	سارًا فلبى وأجابا
جرع الكأس ولا يد	ري أصابا أم شرابا

* * *

كم أقاسي العمرات	عبأ، وهمأ، واغترابا
أنظر الكون ظلامًا	وأرى الناس ذئابا
حسرةً أبكي أمانى	وأحلامي العذابا
أسفًا أندب آمالي	.. وما زلت شبابا

عدن: ٢ ربيع الأول ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

[أنشدھا الشاعر في حفلة الذكرى للمولد النبوي الكريم بعدن ١٢
ربيع الأول سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م]:

نورٌ تألَّق في الوجود سناءه	غمر الممالك والشعوب ضيأه
مسحت به الصُّحرا كرى وأهامها	ومحا به الكون الشقي دُجَاهه
في يوم مطلع فجره ولد الهدى	وانبث بين العالمين شذاه
يفشي صفات «محمد» خير الورى	وأجل من تشدو به الأفواه

* * *

كم موقفٍ واللَّيل داجٍ والورى	غافٍ تمتع بالكرى عيناه
وقف النبي بها وحيداً حائراً	النجم سامره الذي يرعاه
الغارُ معبده البعيد عن الورى	والكائنات صلاته ودعاه
والبيد مسبح فكره وخياله	والقفر روض شعوره ورُباه
والوحي منبعه الزُكِّي: فؤاده	ينبوعه، ولسانه مجراه
مسترسل النظرات يطلب ملجأً	يأوي إليه فقد قلى دنياه
حيناً يفكر في السماء وربّها	والكون والملك الذي سواه
يرنو إلى هذا الوجود فيرتي	ما لا يُسيغُ ويرتضي مرآه
ظلم، وإلحاد، وجهل مطبق	وتناحر، وتخاصم، وسفاه

* * *

هو ثورة العصر الجديد تأججت	لهباً تدمدم في العقول لظاه

عهدًا يرى فيه الوجود شفاءً
قد أظلمت أصقاعه وسماءه
أجلافه، والموبقات حجاباً
كلماته، ويهزّه معناه
أيّان شاء، ويستجيد حداثاً

تودي بعصر الموبقات وتبني
كيف الركون إلى الحياة وكونها
أربابه أصنامُهُ، وحماته
والموت شاعره البليغ تروقه
والشرّ حاديه الذكي يسوقه

* * *

بالخير والحق الذي يهواه
هاجّت نوائبه وثارَ شقاهُ
تاهت معاركه وطال مداهُ
ودليل حائرهِ، وكنت سنأه
لله محتسباً تريد رضاهُ
يشقي ويضني بؤسه وضناهُ
وحديث جلفٍ جهلهُ مولاهُ
الرجل العظيم ثباته سيماهُ
والصبر تحمدي في الورى عقباهُ
وأعزّ ما يبكي الفتى مأواهُ
تطوي الفلا ورماله ولظاهُ
يلقى العظيم من الأنام جزاهُ

يا منقذ الإنسان من آلامه
أرسلت والكون الفسيح معذبُ
أفقٌ تضلّ به العقول ومسلِكُ
كنت المخلّق قشعماً في جوّه
أوذيت لما قمت تدعو صابراً
ودهتك أوباش الحياة بكلّ ما
فصبرت لم تعباً بنفثة مجرم
وثبت كالطود الأشمّ وهكذا
وصبرت في وجه الحوادث باسمًا
وخرجت مضطراً تودع «مكة»
هاجرت محتسباً لربك صابراً
كنت الطريد العبقري! وهكذا

* * *

ما نال ما ينبغي ولا واتاهُ
منه، وأين فخاره وهداهُ؟
منه، وأين شعوره ونداهُ؟
الله هدياً للورى أوحاهُ

لولا ثبات «محمد» وصموده
الشمسُ.. ليس الشمس أنقى صفحاً
والبحرُ.. ليس البحرُ أعظم همةً
قد جاء بالقرآن حقاً معجزاً

غراءً تخرس عندها الأفواه
سجدت لخالقها نهى وجباه
زهرٌ يروك حسنه وشذاه
روحٌ تهزُّ الكائنات قواه
ما السحر؟ ما تأثيره ورقاه؟
من نبعه، وتعلُّ من رياه
فكأنما هو قلبه وحجابه!

صوتٌ يرُنُّ على المدى، وحقيقةٌ
سجدت له الأقلام خاشعةً كما
كلماته نورٌ يشعّ: ولفظه
في كل سطر من سطور بيانه
ما الشعر؟ ما إبداعه وخياله؟
وحيٌ تُقدّسه العقول، وتستقي
يحيا به الكون الكبير مفكراً

* * *

حادوا عن الحقّ القويم وتأهوا
والأرض والعيش الذي تحياه
وسفيها المتعبّد الأواه!
الحامي الأمين، وناسها الأشباه!

صفحة رسول الله، إنا معشر
لو قمت راعتك الحياة وظلمها
زنديقها السامي بكلّ فضيلةٍ
وجھولها اللبّ الذكي، ولصها

* * *

الصراح وهديه وسناه
أنا أضعنا دينه وعلاه

كنّا هداة العالمين شعارنا الحق
واليوم.. لو بعث النبي لراعه

عدن: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

عاش في هذه الحياة غريباً نائر الهمم والفؤاد كئيباً
يلمح الأرض والسماء بقلب عبقرى، فيستشف الغيوباً
خفق الكون فيه فالنازح النازح عنه أضحى قريباً قريباً
كرم الله طرفه لم يشم شيئاً ولا منظرًا شويهاً مريباً
ما جنينا من العيون بهذا الكون شيئاً، إلا البلاء الرهيبة
كل يوم نرى المآسى ألواناً ونستعرض الشقاء ضروباً

* * *

أيها العبقرى نَمْ مطمئن النفس واترك لنا الأسى والريوباً
أولا تستعيد ذكرى حياة كنت فيها معذباً مكروباً
كنت تُزجي للناس لحناً فلا تسمع منهم إلا زئيراً مهيباً
هكذا نحن أسوة بك نلقى كل ما يجرح النهي والقلوباً

* * *

عالم الشر لا يزال كما تعرف بل زاد وحشةً وخطوباً
والقوي الغشوم يصرع من كان ضعيفاً، ويسحق المغلوباً.
والحضارات لم تهذب لأهل الأرض إلا المؤكول... والمشروباً..

* * *

كنت تدعو إلى العدالة والنأ س حيارى يُمجّدون العيوباً
لا يُطبقون الحكم غير امتهان ويُسيغون العسف والتخريباً

لَطَّخَتْ مِنْ دُمَائِهِمْ تَعْذِيبًا
سَوِيًّا أَطْمَاعَهُ عَذَابًا رَهِيْبًا
وَقَضَتْ أَنْ يُصَلَّبُوا تَصْلِيْبًا.
أَرْهَقُوهُمْ، وَعَذِّبُوهُمْ ضَرْوبًا...!

* * *

بَيَانُ أَتَقَنَّتْهَا تَرْتِيبًا
وَقَوْمًا يَسْتَعْبِدُونَ الشُّعُوبَا
وَصَبَاحًا يُحَرِّمُ الْمَشْرُوبَا!
خَمْرًا، وَيَعْشَقُونَ الذَّنُوبَا
تَ قَتِيلًا بِالسَّيْفِ أَوْ مَصْلُوبًا
لَمْ تُبَلِّ تَرْغِيْبًا وَلَا تَرْهِيْبًا
عَالَمًا بِأَنْسَاءَ، وَدَهْرًا عَصِيْبًا

وَتَرَاهُمْ يَقْبَلُونَ أَكْفًا
وَيَوَالُونَ مَنْ يَصُبُّ عَلَيْهِمْ
وَيَقُولُونَ، حِكْمَةُ اللَّهِ شَاءَتْ
وَيَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ وُلَاةٍ

أَزْعَجَتْ رَاحَةَ «الْقِيَاصِرِ» آيَاتُ
كُنْتُ فِيهَا تُفْنِدُ الظُّلْمَ وَالْجَهْلَ
وَالَّذِي يَشْرَبُ الْمَدَامَةَ لَيْلًا
وَعُصَاةَ يَسْتَقْطِرُونَ دَمَ الْأُمَّةِ
أَنْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ ضَرِيرًا لِأَعْدِمِ
لَمْ تُحَرِّكْ لِدَرْهَمٍ كَفًّا ذَلًّا!
عِشْتَ حَرًّا فِي «الْمَحْبِسَيْنِ» تُبْكِي

عدن: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣٢ - في سبيل التَّعليم

[قيلت بمناسبة افتتاح إحدى المدارس بعدن ١٣٦٤هـ]:

موكبٌ يملأ الوجود جلالاً وجمالاً. ويبعث الآمالا
زمرٌ من عواطفٍ وقلوب للمعالي هتافها يتعالى
نجتلي عالم السعادة فيها ونرى نور هديها يتلالا

* * *

قل لمن ينشد السلام ويهوى أن يرى الأرض جنة وظلالا
رُمتَ شيئاً إذا وحاولت أمراً ربما عدّه الأنعام محالا
أنا لو كنتُ للوجود طبيباً لأداوي داء الأنعام العضالا
لنشرتُ الحنانَ والخيرَ فيهم ولهذبتُ منهمُ الأطفالا؛
صفحات بيضاء يُطبعُ فيها كُلُّ ما صوّر المرَبِّي وقالا

* * *

يا بناء العقول والأنفس الح رة دمتم تمزقون الضلالا
تخلقون الحياة خلقاً جديداً أريحياً، وتنجبون الرجالا
أيقظوا فيهمُ المروءة والنبْلَ وواروا الخمول والإهمالا
وأमितوا نوازع الشرِّ في كل فؤادٍ وبدّدوا الأوجالا
جملوا للفتى الحياة، وصونوا قلبه أن يصارع الأهوالا
قبل أن يعرف الكفاح ويدري أن فيه حياته والكمالا

كم عيونٍ شقيةٍ رسم البؤسُ عليها شقاءه أشكالا

* * *

راعها حين فتحت أن رأت	كونا قبيحا ولم تُصادف جمالا
رضي الله عن أناسٍ أشادوا	للعلم الأركان والأمثالا
بذلوا في سبيلها كل غالٍ	النهي، والنفوس والأموالا
في حمى هذه «البنية» ينم	والرأي حرا يحطم الأغلالا
فابتنوها عواطفًا وقلوبًا	لا حجارًا تفنى ولا صلصالا
مصنعا للعقول ينتج أفكارًا	صحاحًا، وينجب الأبطالا

* * *

أيها المنشىء العقول تبصر	أنت تبني الأوطان والأجيالا
أنت إن لم تكن رسول سلامٍ	كنت حربًا على الورى ووبالاً
ليس أدهى من المعلم إن كان	— ولا كان — فاسدًا محتالاً

* * *

أنا أسدي إليكم النصح لا أرجو	ثوابًا، أو مدحة، أو نوالا
أرسلُ الشعر عابرًا ليس فيه	كلفةٌ تورث الرؤوس خبالا
وأجلُ القريض ما جاء عفواً	نغمًا صادق الهوى سلسالا
يلمسُ القلبُ لينا مثلما يلم	س قطر الندى الربا والتلالا
أو عنيفًا كزفرة الشوق إذ	تقدح في الروح لوعةً واشتعالا

عدن: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

[ألقاها صاحب الديوان بعد رجوعه من عدن أمام الإمام أحمد حميد الدين في ١٠ جمادى الأولى ١٣٦٤ هـ الموافق ٢٢/٤/١٩٤٥ م، بتعز، قبل ارتقاؤه العرش]:

خلّه يخلب النهي ببيانِه	ويناجي آماله بلسانِه
دعه يبكي أحلامه بدموع	عُصِرَتْ من شعوره وجنانِه
ويغني كما يشاء، ويسقي	ثمرات الأوهام من ألحانه
يرسل الصوت مظلمًا كَمَنْتُ...	فيه... وفي لفظه هموم جنانه
كالشعور الجريح، كالأمل الخ	ائب، كالطير ضلّ عن أفنانه

* * *

دعه. دعه فإنّه الشاعر الصّا	دق في شعره وفي إيمانه
عرف الناس والحياة وجلّا	ها بأنوار فكره وبيانِه
ما رأى غير أوجه كالحات	وقلوب كالليل في طغيانه
تبعث الشر من دخائلها السود،	كصخر ينفضّ عن بركانه

* * *

أنا كالعابد الذي هجر الكون	وأمدى ولج في نسيانه
أثخنت قلبه الجراح فتياً	وغرور الشباب في عنفوانه
كم صروف قاسيتها، كم ظروف	كنت فيها كالमित في أكفانه
كالذي يغسل الظلام عن الأرض...	بدمع يسيل من أجفانه

يملك من قوّة سوى إعلانه
شكواي إلّا بقية من دخانه

أو كمن يعلن الكفاح، ولا
أحرق روحى الهموم، وما

* * *

غرق الطير في شجى ألحانه!
وارتقى ذاهلاً على أفنانه
لقد ظلّ حائرًا في مكانه!
أقبلت ملء قلبه ولسانه
عادهما نادماً على هجرانه
كيف ينبو الهمام عن أوطانه
وفي غابه فخامة شأنه

كيف أنشي قصائدي؟ كيف أشدو؟
شاقه روضه فعاد إليه
أبغني؟ أم يرسل الدمع؟ أم ماذا؟
المعاني التي جفته زماناً
والمغاني التي جفاها زماناً
كيف يرضى الجفاء والبعد صبّ؟
كيف لا يستقرّ في غابه الليث

* * *

أعرف أو يهتدي إلى عرفانه
ودرسنا الكتاب من عنوانه
في عدله وفي إحسانه
عن قطره وعن سُكّانه
المخفى في خاطر الفتى وجنانه
الناس كمن يَسْتَمِد من دِيّانه

ليت بعض الأنام يعرف ما
قد عرفنا ما كان يخفى علينا
وعرفنا بأنك الأمل المرجو
وعلمنا بأنك الحاكم الدّائد
نظرة منك تهتك المضمّر
ليس من يأخذ الكلام عن

* * *

وفي طهره وفي إيمانه
وتعبُ الحياة من فيضانه
ففاضت بالجَمّ من تحنانه
نوابُ مشفق على صبيانهِ
الدين) ومشكاته، وليثُ عوانه

ملك كالملاك، في قلبه الحاني،
منهلٌ للقلوب تشفي صداها
منحته آمالها وأمانها
مشفق بالأنام يحنو كما يح
تشهد العُربُ أنه (ناصر

خلّدت ذكره الوقائع في الت
كوكب يبهر الزّمان سنائه
رمتُ تصويره فطاش شعوري
أين فني؟ وأين سحر بياني
غرقت في أنواره كسفينة البحر
أيها الراكب الخضمّ تمهل

* * *

قد لجأنا إليك من كل ما نخشى
وعرفناك قائدًا وزعيمًا
وإمامًا يحمي الحقيقة، والقرآن
وكريمًا كأنما صاغه الرحمن
دمت للشعب حافظًا وأمينًا

ومن لؤم دهرنا وامتهانِه
وغمامًا نعلٌ من هتّانِه
والدين ذائدًا عن كيانه
من جوده ومن إحسانِه
نتفيا بوارفات أمانِه

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

فِي سِرِّ الْحَيَاةِ

مُفَكِّرٌ

تعتبر هذه المحاوراة الشعرية أول محاولة من نوعها في تاريخ الأدب اليمني الحديث، وحين كتب الشاعر مقدمتها سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م قال:

«في مسرح الحياة قصة شعرية يرويها أبطال الحياة، تُحلُّ
«ما في الكون من مشاكل ومذاهب، وتعبّر عن أفكار الناس»
«ونزعاتهم. ولقد تصور الشاعر هؤلاء الأبطال وجمع بينهم رغم»
«تنافر وجهات أنظارهم، واختلاف عقلياتهم وأهوائهم. وظل معهم»
«ساعات غير قصيرة يستمع إلى ما ينطقون به من حق وباطل،»
«ولكل رأي ومذهب، و «الأكوان عداد العقول» كما يقول»
«الرافعي العظيم»
«ولم يفت الشاعر أن يرسم ويسجل كل ما سمعه، ويعرضه»
«في هذه الصفحات».

أشخاص الرواية:

١ - «علي»، شيخ فيلسوف حنَّكته التجارب والأيام، غزير العلم، جَمّ الأدب، حكيم الرأي، قرأ كثيراً، واستوعب جُلَّ ما أنتجه الفكر البشري من آداب وفلسفة، شغوف بالحقيقة والعلم والمعرفة.

* * *

٢ - «أحمد»، شاعر رقيق الإحساس مشبوب العاطفة، واسع الخيال، يميل إلى

المجون ويحب الله، ولكنه في الوقت نفسه عميق الإيمان، خجول الطبع، يحب معالي الأمور.

* * *

٣ - «فؤاد»، شاب ذكي، نشأ في بيئة دينية متزمتة، لكنه تمرد على بيئته، وإذا به ملحد عنيد، لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا بوحي ولا أنبياء... ولا حتى بأي مثال من مثل الحياة العليا.

* * *

٤ - «محمد»، كهل وقور، تربى تربية خلقية سليمة، فنشأ محافظاً على الصلوات، مقيماً للشعائر، متفقهاً في الدين، غيوراً على محارمه داعياً إلى الحق، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر.

* * *

٥ - «يحيى»، شاب نشأ نشأة مدللة، وفي محيط متحلل، وأسرته غنية مترفة، فأغرق في اقتراف الآثام، وساعدته الجدة وجرة الطبع ورقة المزاج، واندفع وراء الشهوات، لا يتقيد بقانون، ولا يؤمن بشريعة ولا خلق، بل هو إباحي مُستهتر، وخليع فاجر.

* * *

٦ - «محبوب»، شاب متفقه في الدين، يقضي معظم ليله ونهاره في المسجد والعبادة والدرس، يلبس أحسن الثياب النظيفة، ويستقبل كل شيء بشعر باسم، لا يمد نظره إلى دنية، ولا تهفو نفسه إلى هوى، إلى خلق، وسجاجة ضمير.

* * *

٧ - «قاسم»، شاب أديب، اشتغل بالسياسة، ومارسها بدهاء وتقلد عدة مناصب حتى أصبح رجلاً مرموقاً بين قومه، يعلقون عليه الآمال. وكان طموحاً بعيد الأماني، له مقدرة فائقة على اكتساب الناس، ويعرف من أين تغزى العقول والقلوب.

* * *

٨ - «حمود»، شابٌ انخرط في سلك الجنديّة، ورأى فيها كل ما يمجدّه في الحياة، شجاع مقدام يقدر القوة، والطاعة، والنظام.

* * *

٩ - «حسن»، فلاح ساذج، طيب القلب، لا يقرأ ولا يكتب، يقطع سحابة نهاره عاملاً في الحقل، ولا يعرف للحياة معنى، غير العمل والإنتاج، والصبر والإيمان.

[يُكشف الستارُ عن غرفة واسعة مؤثثة على الطريقة اليمنية المعروفة، وتضم الأصدقاء التسعة. والشيخ الفيلسوف «علي» يخاطبهم بقوله]:

نحن قد جئنا إلى هذا الفناء
وتركنا الناس في دنياهم
فلنعش نائين عنهم ساعةً
وليقل كل فتى ما يرتي
فَهْنا حرية الرأي، ولن
أيها القوم، إلى كم نحن في
كلنا يهتفُ بالحق كما
وأرانا في اختلافٍ دائمٍ
ولكلٍ منهجٌ يسلكه
ولكل غاية يسعى لها
خَبِّروني لِمَن الحقُّ؟ وَمَن
وَمَن العاقل؟ هل ذو فطنةٍ
أم جهولٌ مسرفٌ في أمره
أم غوى، ربُّه شهوتهُ
أم غشومٌ قد تعدَّى وطغى
أم ضعيفٌ مستضامٌ ماله

حيثُ نحيا، في صفاء وهناء
بين كد، وخصام، وعناء
دون زورٍ، وخداع، أو هراء
دون أن يرهب سلطان الجزاء
يخضع الرأي لنيِر الأقوياء
هذه الدنيا على غير السواء
يهتف الصب بحبٍّ عنه نائي
وصراع، ونزاع، وشقاء
مُستنيراً، بشعاع من ذكاء
ويُنَاجيها بألحانِ الرِّجاء
منكم أحرى وأجدى بالثناء
نَهْجُه في العيش نهج الحكماء
ضلٌّ لا يدري ظلاماً من ضياء؟
تاه في عالم خمر ونساء؟
مُستهيناً بحقوقِ الضعفاء
من ملاذٍ غير رَحْمَن السَّماء

كيف جئنا؟ وإلى أين؟ وما شأننا قبل! ومن بعد الفناء

وكان ينشد الشيخ الفيلسوف «علي» هذه الأبيات في هدوء ووقار، ثم سكت
واقرب من الشاعر «أحمد» خطوتين وقال:

أنت يا شاعر نبض	من شعاع الأنبياء
لك روح قدسي	يرتقي أيان شاء
لا يصدنك ستر	أو بناء، أو فضاء
ولك العين التي	تهتك أستار الخفاء

* * *

هاتِ حَدَّثنا عن الكو	نِ والغازِ البقاء
وعن الأرضِ وسر	الخلقِ فيهم، والفناء
وعن الناسِ، نشاوى،	وحيارى أشقياء

وتمر فترة صمت قصيرة، ويتجه الجميع نحو الشاعر متطلعين، فينشدهم
بصوت حائر:

هكذا صور لي الشـ	عرُ وجودًا زاهرا
رَبَّةُ الحكمة تشدو	فيه لحنًا ساحرا
يَنشُرُ الفَنَّ على الأفقِ	جمالاً باهرا
ويُذِيبُ الحُسْنَ والفتنة	بحرًا زاخرا
يتعالى الموجُ كالنُـ	رِ شُعاعًا طاهرا
يَنثُنِي طورًا إلى	القَمَرِ ويعلو آخرا
ويذوبُ الكونُ فيه	يتلاشى حائرا
ليس يَدْرِي لِمَ؟ أو	كيفَ أتى؟ أو أينَ ولَّى؟

* * *

قد سألتُ الناسَ عن.. أصلي ومن أين أتيتُ

وسألت النّجمَ من أيّ	مكان قد هَوَيْتُ؟
وسألتُ الروضَ هل يبقى	طَرِيبًا ما حَوَيْتُ!
وسألتُ البِيدَ، هل أرتد	أحُ لَوْفِهَا ثَوَيْتُ؟
وسألتُ البحرَ، هل عمقُك	يرضِي من طَوَيْتُ!
كلُّها صَدَّتْ، ولم تبدِ	جَوَابًا فَاثْنَيْتُ!
حائرًا أبكي، وأستف	هم صوتي أين ولّٰى؟

* * *

قد تولى زمن كنتُ	به طفلًا صغيرا
أنظر الدنيا بشوشًا	لا أرى فيها نكيرا
راضيًا بالعيش، لا أقلو	غنيًا أو فقيرا
وأحبُّ الناس أصنافًا	عظيمًا وحقيرا
أسفي لما أتى اليوم	عبوسًا قَمَطَرِيرا
فعرفتُ الخيرَ، والشرَّ	نعيمًا وسعيرا
وعرفتُ الشاةَ لَمَّا	صَادَهَا الذئبُ ووَلّٰى؟

* * *

ليت شعري، هل يضمُّ	الشاةَ والذئبَ مكانَ
يلتقي فيه جليلٌ	مُسْتَعِزٌّ ومُهانَ
وظلوم لا يبالي	ليس يدري ما الحنانَ؟
وذليل عاش مقتولٌ	المُنَى دامي الجنانَ
ولهيق، وغشوم	ومدين، ومُدانَ
كيف يأتي ذلك اليومَ؟	وفي أيّ زمانَ
أَيكون الكون كونا	أم سرابٌ قد تولّٰى!

* * *

هل سيلقي العبدُ من	مالِكِه ما كان يَلْقَى؟
ويرى المأمورُ من سيده	جَوْرًا وسُخْقا
أم جزاء عادلاً يُنصف	من يَضُنِّي وَيَشْقَى؟
أم هي الأوهام تُبنيها	عُلالاتٍ لَنَبْقَى؟
ليت شعري لِمَنِ الفُوزُ	غداً حظًا وحقًا؟
الْمَغْبُونِ ضَعِيفِ	أم لَجَبَّارٍ تَرْقَى؟
أم لمن عاش كَثِيبِ	القلبِ هيمان.. وولّى؟

* * *

الذي يعلم لا يدري	مِنَ المعلومِ شَيْئًا
وترى الجاهلَ كالعالمِ	مَحْرُومًا شَقِيًّا
كلُّهم يَجْهَلُ ما كانَ	وما يَأْتِي سَوِيًّا
كم تولّى الأرضَ جَبَّار	بِهَا عاتٍ عَتِيًّا
ولكم تعرفُ مَجْنُونًا	وصبًّا، وغَوِيًّا
ولكم مَرٌّ فقيرٌ	ودُّ لو يُمَسِّي غَنِيًّا
أَفَتَدْرِي أنت من ولّى	إلى أين تولّى؟

* * *

أنا الشاعر؟ أم شعري	صوتٌ وصدى!
كان يطوي الأفق	لا يعرف أمسًا أو غدا
صارخًا في عالم الأرواح	من غير مدى
حينما أخرجتُ أستهدي	من النور الهدى
ذاب في قلبي، وفي	روحي، شعاعًا وندى
آه لو لَمْ يَسْقِنِي	كأسَ الأمانِ سرمدًا
ما الذي كان سيبقى	من كياني لو تولّى؟

ويصمت قليلاً ثم ينشد :

حياتي كلها بؤس، وأحزانُ
وآهاتُ وآلا م، وأشجانُ

* * *

رَأَيْتُ النَّاسَ لَا يُضْغُونُ لِلشَّاكِي
رَأَيْتُ الدَّهْرَ لَا يَحْنُو عَلَى الْبَاكِي

* * *

وكل فتى ورغب تهُ قَرِينَانِ
تساوى البر والفاجر، وَالْمَجْنُونُ وَالْجَانِي

* * *

هو الكون أكَا ذَيْبُ، وأوهامُ
أباطيلُ مُزَ وَرَّةُ وأحلامُ

* * *

عرفتُ النَّاسَ، كُلَّهُم مَسَاكِينُ
هُمُ فِي هُوَّةِ الْبُؤْسِ مَسَاجِينُ

* * *

ومالي في الورى هَمُّ سَوَى سِرِّي
ولا خلُّ ولا كأس ولا وطن سَوَى شِعْرِي

* * *

ولن أمُتَّ مخلوقًا، ولن أكره إنسانا
ولن أعشق إلاَّ الحسَّ نَ إِسْرَارًا، وإعلانا

وهنا يسكت الشاعر، ويخاطبه «الفيلسوف» :

لَمْ تَزِدْنَا أَيُّهَا الشَا عَرِ إِلَّا مَشْكَلَاتِ
لِمَ، لَمْ تَكْشِفْ لَنَا بِالشَّعْرِ أَسْرَارَ الْحَيَاةِ
فِيَجِيبُ الشَّاعِرُ:

أَيْنَ أَيْنَ السَّرِّ مِنِّي أَنَا لَا أَدْرِي فَدْعَنِي؟؟
أَنَا حَسْبِي مِنْ حَيَاتِي وَوُجُودِي أَنِ أَغْنِي

وَيَمْتَلِكُ الْوُجُومَ وَالْحَيْرَةَ الْمَجْلِسَ لِحِظَةٍ وَجِيْزَةٍ، فَإِذَا بِصَوْتٍ عَالٍ يَنْبَعِثُ مِنْ أَقْصَى الْمَجْلِسِ هُوَ صَوْتُ «فَوَّادٍ» الْمُلْحَدِ الشَّابَّ قَائِلًا:

ضَلُّ مَنْ قَالَ بِأَنَّ الْكَوْنَ قَدْ أَنْشَأَهُ فَرْدُ
قَادِرُ إِنْ رَامَ أَوْ قَدَّرَ شَيْئًا لَا يُرَدُّ (١)
أَنَا لَا يُعْرِفُ لِي بَدْءُ، وَلَا يُعْرِفُ قَصْدُ
أَنَا حُرٌّ فِي الْمَلَذَّاتِ، وَلِلْأَطْمَاعِ عَبْدُ
أَنَا لَا يَرْهَبُنِي جَوْرُ، وَلَا هَجْرُ وَصْدُ
وَأَنَا الْخَيْرُ الَّذِي يُطِ لَبُّ، وَالشَّرُّ الْمَعْدُ
كَيْفَمَا شِئْتُ فَإِنِّي كَائِنٌ، وَالْجَدُّ جَدُّ
قَدْ تَسَاوَى الْخَلْقُ، إِنْ سَا بَانَ لَهُ عَقْلٌ وَقِرْدُ
كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ يَفْنَى وَمَحَالٌ يُسْتَرَدُّ
لَيْسَ فِي الْأَكْوَانِ أَسْرَا رُ، وَلَا نَحْسٌ وَسَعْدُ
السَّنَا نَوْرٌ يُرَجَّى هَدِيهِ، وَالصَّخْدُ صَخْدُ

(١) من القضايا المسلمة قولهم: حاكي الكفر ليس بكافر. وما يعجبني وأرى السياق مناسباً لإثباته قول بعض المفكرين:

«إن القاريء الذكي الفسيح الأفق له أن يقرأ كل مكتوب دون أن يخشى على بنائه الأخلاقي هدمًا أو تصدعًا، أما أولئك الذين تنقصهم روح «الفكاهة»، كما يعوزهم الذكاء، فهم كذلك في مأمن من أمثال هذه الآثار التي تصور أخلاق المجتمع على حقيقتها، لأنهم لن يقرأوا أدبًا، وإن قرأوه فلن يفهموه».

لِلأَرْضِ فِيمَا بَعْدُ، بَعْدُ	مَالِنَا قَبْلُ، وَمَا
وَهُمْ، وَخِرَافَاتٍ وَخُلْدُ	غَلَبَ الْغَوَغَاءُ
غَادِرْ هَذِي الْأَرْضَ لِحَدٍّ!	يُفْزِعُ الْمَافُونَ، إِنْ
قَالُوا، بَلَايَا لَا تُعَدُّ	سِيرَى فِيهِ كَمَا
حَا، وَآلَمًا تَهْدُ	وَتَهَاوِيلَ، وَأَشْبَا
وَالنَّارَ وَيَحْيَا، وَيُرَدُّ	وِيرَى الْجَنَّةَ
بِالْخِرَافَاتِ اسْتَبَدُّوا	تِلْكَ أَوْهَامُ أَنْاسٍ

ولم يكد يصل «فؤاد» في بيانه إلى هذا الحدّ، حتى ينتفض «محمّد» المؤمن المتدين ويشور كالبركان، ويرسل عينيه نحو السماء كأنما يستنجد بقوة أعدّها لمثل هذه المواقف ويقول:

أَيْنَ أَنْتَ الْيَوْمَ يَا رَبِّي؛ بِمَاذَا سَتَجِيبُ؟	
أَيْنَ قُوتَاتِكَ؟ أَيْنَ النَّارُ وَالْمَوْتُ الرَّهِيْبُ؟	
فَلَقَدْ سَاءَ مَقَالًا	فِيكَ كَفَّارٌ كَذُوبٌ
زَعَمَ الْحَشَرَ مُحَالًا	وَبَأْنَا لَا نَوْوبُ
أَفَلَا يَعْرِفُ، أَنَّ الرَّ	وَحَ حَيٌّ لَا يَذُوبُ
فِي رَحَابٍ لَا تَرَاهَا الْع	يْنَ مَوْجُودٌ مَثُوبٌ
بِاسْمٍ إِنْ أَحْسَنَ الصُّنْدَ	عَ، وَإِلَّا فَكُتِيبُ

ثم يلتفت إلى «علي» الفيلسوف قائلاً:

أَيُّهَا الْفِيلَسُوفُ قَدْ هَالَنِي مَا	قَالَ هَذَا الْمِضْلُّ الْمَغْرُورُ
أَنْتَ تَدْرِي بِأَنْ مَا قَالَ هُجْرًا	وَضَلَالًا، فَأَنْتَ نَدْبُ خَبِيرُ
أَلْنَا مَرْجِعُ نَوْوبُ إِلَيْهِ؟	أَلْنَا خَالِقُ مَجِيدٌ قَدِيرُ
أَصْحِيحُ مَا قَالَهُ الرَّسُلُ؟ أَمْ مَا	قَالَ هَذَا إِفْكُ مَبِينُ وَزُورُ؟
قُلْ، أَبْنِ، أَيُّهَا الصَّدِيقُ فَقَدْ	هَاجَ فُؤَادِي، وَالْغَيْظُ فِيهِ يَفُورُ

وأنا المؤمنُ الموجَّدُ والَّذي من لقلبي إرادةً، وشعورُ
كيف أَسْطِيعُ أن أرى من يَسـ بُ الدِّينِ؟ والدِّينُ للخلِيقَةِ نورُ

فيتسم الفيلسوف ابتسامة خاطفة ويقول:

أيها الصاحبُ مهلاً لا تثر لا تتعجل
إسمعِ الدعوى وفند ها فنونا، وتمهل
لا ينال الفضلُ إلَّا من على الحكمة عوْلُ
دعه يهذي ما علينا إن تحدَّى أو تقوْلُ
حَسْبُه ربك واذفع بالتي، والحقُّ أمثلُ
إن هذا سوف يفنى ويرى الهول المؤجلُ
هات حدثنا عن الدِّين وقل ما شئت واسألُ

يَتَلَاشى غضبُ المؤمن ويتنفَّسُ الصعداء ويقول:

صدق الله وخابت ثرَّهات الملحدين
إنما روجي في جسمي مسجون غبين
سوف أفنى وأواري بين طيَّات السنين
فإذا ما صرعَ الكو نٌ وغالتُه المنونُ
وأراد اللهُ أمراً بالورى سوف يكونُ
فسأحيا.. ويعودُ الروحُ للجسم المهينُ

* * *

أنا لا أرضى سوى الإيمان خلاً وحبِبا
هو إن أدلجتُ نورُ يُؤنسُ اللَّيلَ الرَّهيبا
وإذا أوديتُ سلوى تمسحُ القلبَ الكئيبا
وإذا أرهقني الدُّا ءُ العيا كان الطَّيبا
وبه أعرف ما كا نَ مِنَ الأمرِ غريبا

وبه أرجو من الله غدا؛ عيشاً رَغيباً
وأرى..

ولكن الشيطان لا يسمح بالاسترسال، إذ يصيح فيه الإباحي «يجيى»:
ما ترى؟ يا أيها الشيخُ فقد طال الكلامُ
هذه الأرض لك اليوم مَ وفيها ما يُرامُ
ولماذا تترك الدنيا؟ أيجديك الجَمَامُ!
إنه الموت، وما الموتُ هُجوعٌ أو منامُ
إنه سكتة دَهْرٍ إنه الصمتُ العُقامُ

* * *

أنا حسبي، أنَّ آمال	فؤادي لا تضامُ
لا أرجي الغد، فالكَوُ	نُ اتصالُ وانفصامُ
فتمتع لا يَصُدُّ	نُكَّ حلالُ أو حرامُ
كل شيء ما خلا اللذ	ة إفكُ وأثامُ
إنها دنياي، خمرُ	ونشيدُ وغرامُ
وتهاويل سرور	وملذاتُ تُسامُ
فإذا أسفر يَومي	عن غدٍ وهو جهامُ
لم أودعها حَزِينًا	فلقد طابَ المقامُ
كيف لا أشفي صبابا	تي؟ وفي قَلْبِي هُيامُ
كيف لا أهفو إلى الكأ	س؟ وفي صدري أوامُ
وإذا كنت تُرجِّي	لذةً حينَ تنامُ
فهو حُلُمٌ وخیالُ	لَمْ يصدِّقه الهمامُ
الدعاوي فارغاتُ	مالها عندي مقامُ

وَيُصَوِّبُ نَظْرَهُ نَحْوَ الزَّاهِدِ «مَحْبُوبٍ» وَيَخَاطِبُهُ سَاخِرًا:

أَيُّهَا الزَّاهِدُ الَّذِي	هَامَ بِالضَّائِعِ الْمُحَالِ
وَتَقْضَى زَمَانَهُ	فِي هُمُومٍ، وَفِي جِدَالٍ
يَمُوتُ النَّاسَ وَالْحَيَاةَ	وَيَدْعُو إِلَى الْوَبَالِ
وَالِى الْفَقْرِ وَالضَّنَى	وَالِى الْبُؤْسِ وَالنِّكَالِ

* * *

أَنْتَ فِي كَهْفِكَ الْكَثِيبِ	تَرَى غَيْرَ مَا نَرَى
صَدَمْتُكَ الْحَيَاةُ	حَتَّى تَنْكَرْتَ لِلوَرَى
لَوْ عَرَفْتَ الْحَيَاةَ لَمْ	تُنْفِدِ الْعُمَرَ فِي الْهُرَا
وَلَمَّا عَشْتَ سَاخِطًا	تَحْسِبَ الْبَشَرَ مِنْكَرَا

* * *

عَشْ خَلِيًّا عَنِ الْهَمِّ	مَ بَعِيدًا عَنِ النَّضَالِ
لَا تَكُنْ مَلْحَدًا وَلَا	وَاهِمًا يَعْبُدُ الْخِيَالَ
وَاشْرَبِ الرَّاحَ وَأَتَّخِذْ	لَكَ رَبًّا مِنَ الْجَمَالِ
وَتَمَتَّعْ، فَإِنَّمَا	عُرْضَةٌ أَنْتَ لِلزَّوَالِ

وَمَا يَكَادُ «الإِبَاحِي» يَصْمِتُ حَتَّى تُصَوِّبَ الْأَنْظَارَ نَحْوَ الزَّاهِدِ مُسْتَفْهِمَةً،
فَيَنْدَهْشُونَ حِينَ لَا يَظْفَرُونَ مِنْهُ إِلَّا بِالصَّمْتِ، وَحِينَ يَرُونَهُ مَطْرَقًا مَفْكَرًا كَأَنَّمَا يَتَأَمَّلُ
أَمْرًا رَهِيْبًا وَيَقْطَعُ الصَّمْتَ الشَّيْخُ الْفَيْلَسُوفُ قَائِلًا:

أَيُّهَا الزَّاهِدُ مَاذَا قَدْ دَهَاكَ؟	أَيُّ خُطْبٍ يَا صَدِيقِي قَدْ عَرَاكَ؟
قَدْ سَمِعْنَا عَجَبًا مِنْ مُتَرَفٍّ	تَخِذِ اللَّذَّةَ رَبًّا، وَمَلَكََا
أَنْتَ نَحْرِيرٌ، وَمَنْ حَاوَرْتَهُ	قَدْ رَمَى الزَّهْدَ، وَبِالْجَهْلِ رَمَاكَ
فَتَكَلِّمْ وَأَذَلِّ بِالرَّأْيِ فَمَا	لِلتَّقَى مِنْ نَاصِرٍ فَذُّ سَوَاكَ

هنا يتحرك لسان «محبوب» الزاهد بعد أن تشرغ عيناه بالدمع ويقول:

آه، ما أجهل عُباد الحياءَ همُّهم في هذه الدنيا السَّفاهَ
جهلوا اللب، وعاشوا هَمَلًا ضُيِّعًا شِيمَةً من ضَلٍّ وتَاهَ
لودروا ما يكتُم الغيبُ لَمَّا رشفوا الخَمَر، ولا ريقَ الشفاهَ
إنما الدنيا التي غَنُّوا بها حلُمُ الخابط في وادي كراهَ

* * *

أنا إن عشت حزينًا، فأنا من يرى لذته عين أساهَ
أنظر الدنيا بعيني حاذقٍ عرف الناس وأوهام الحياهَ
لست بالزاري، ولا مَنْ دأبه دأْبُ من يَقفوبلا علمِ هواهَ
ليس نصحي أسهمًا، لكنه حَزَنُ مرٍّ، وآلامٍ، وآهَ
أندب الإنسان في أوزاره وأبْكي معشر القوم الطغاهَ
وأحب الخير روحًا، وسنا وعطاءً، وجهادًا، وصلاهَ
لا فجورًا، ومجونًا، ومُنَى شهواتٍ، وضلالًا، وسفاهَ
أنا لا أعبد دينارًا ولا أبتغي مجدًا، ولا أطلب جاهَ
أنا حسبي جرعة أشفي بها ظمئي أو كِسْرَةَ مما أراهَ

ثم التفت إلى «يحيى» الإباحي وقال:

أنت يا جاهل مغ رور بدنيا زائفه
إنما الشهوة يا مغرور نار لاهفه
وخيال يتلاشى وظنون تالفه
ما الذي أعددتَ للقبرِ ويومِ الأزفه؟
أماذا الكأس؟ أم دمة عين ذارفه؟
أحطام الحب؟ أم نغمة لهوعازفه!
أأماني الصبِّ؟ أم بسمه وصلٍ خاطفه

سوف يُودي بك يومٌ ما له من عاطفة
سوف تَلْقَى أيها الزنديقُ منه عاصِفَه
تنسف اللذة والعمرَ غُضُوبًا قاصِفَه

وَيَتَأَثَّرُ السامعون ببيان «الزاهد»، فَتَقَطَّبُ الوجوه، وتحملق العيون، ويكاد
المجلس أن يرفض لولا أن «علي» الفيلسوف يقول:

قف تمهل أيها الزا هُدُ قد آن السكوتُ
كلنا يعرف، أن الكون هذا سيموتُ
وبأن العمر كالفكرة تأتي وتَفُوتُ
يشغل الناسَ جميعًا في الورى ماءً وقوتُ

* * *

أفلا تدرون أنا قد صَحَبْنَا آمرا
يحكم الناس، مطاعَ القولِ فيهم قَاهرا
فاسألوه: كيف يحيا حَاكِمًا مستأثرا
أله حسُّ؟ ألا يحمى لى قلبًا طاهرا؟

فِيَلْتَفِتُ الأصدقاء نحو «قاسم»، ويصرخ فيه الشاعر «أحمد» قائلاً:

أنت يا صاحب محرو مُ ملذات الحياة
أنت لا تحمل إلا جَشَعَ القومِ الطغاة
تطلب الجاة ولا تعبدُ في الدنيا سواه
أين أنت اليوم من صدِّبٍ يرى الحُبَّ مناه
وإباحي تقضى عُمره فيما اشتهاه
وقنوعٍ يزدري الدنيا ولا يعصي الإله
وكفورٍ ملحدٍ يتبع في الدنيا هواه
كلهم أجمل نفسًا منك، يارأس العصاة

يستمع السياسي «قاسم» لبيان الشاعر فلا يثور ولا يحنق، ولكنه يقول بهدوء:

دعوا الضجيجَ والهرا ء والسبابَ المؤلما
فقد أتيناها هُنا جمهرة لنفهما
نَحْلُلُ الكونَ الفسيحَ والنهيَ والألما
ونسلك الحق، ولا نبغي سواه سلما

* * *

أنا السياسي الذي أنا الذي طاول، لما
أنظّم الحياة كالشد أعاقبُ العاصي وأو
بِمَجْدِهِ تَنَعَّمَا كسب النصر السُما
اعريبني الكَلِمَا لي من أطاع النُعَمَا
نون الحياةِ خدما وقد أثور كالجحيم
مُسْتَهِينًا بالدماء وقد أمزق السلا
م هادماً محطما وأملأ القلوبَ إن
شئتُ أسى وألما وأجعل الوجود في
عين الأنامِ مظلما نعم.. ولا أرحم طف
لأ، أو عجوزاً هرما إذا علمت.. أن ظلد
مي واعتدائي أحزما

* * *

خلقت قانوناً يُند ير للأنام الأَمَما
خلقت كي يسعد بي شعبي، وأحرس الحمى
ويقرب من الشاعر الثائر قائلاً:

ظلمتني يا شاعري ظلمَ غضوبِ ثائر
ماذا جنيت يا صدي بقي فجرحت خاطري؟

يا شاعري جرائري؟
ك من عدو غادر
بأغي وظلم الجائر
فق بالنصير الساهر
تحيا حياة شاعر
ب جارحا مشاعري
غير نير القاهر
واحكم بحكم طاهر
فوضى فساد غامر

أحسناتي كلها
أنا الذي أحمى حما
أدفع عنك صولة الـ
أسهر كي تنام.. فار
لولاي ما كنت هنا
مفندا لي بالسبا
ولا عرفت في الوجود
أيهما أجدى أين
أقسوة النظام، أم

* * *

مي حكمة المقادر
ن وفرند البائر
حياة عيش زاهر

أنا السياسي نظا
ما بين رحمة البيا
أحيا وأبني للورى

ويرى الجندى «حمود» بجانبه فيقول:

فأنت أنت الرجل الهمام
وأنت في يوم الوغى ضرغام

قم، وتحدث أيها القمقام
أنت حسام في الحروب باتر

فيتأثر «حمود» بهذا الإطراء، وتتفخ أوداجه ويصرخ منشداً:

ليث الوغى، ومحطم الشجعان
جبل، وعزمي قد من صوان
سام يطاول شامخ البنيان
مجد، ومن نبيل، ومن إيمان
وتشاد من روحي ومن وجداني
تسعر بغير الذل والخسران

أنا.. ما أنا؟ أنا ثورة البركان
قلبي مجال الحادثات، وهمتي
تزلزل الدنيا، وركني ثابت
في ذمة التاريخ ما أوليه من
تبنى الممالك من دمي ومشاعري
لولاي لم يرفع لها علم ولم

عمري كفاح كله، وكوارث
لا أرهب الموت الزؤام، ومرحباً
الموت أشهى من بقاء موسم
بين الخطوب السود، والنيران
بالموت أستفدي به أوطاني
بالذل تحت كلاكلِ العدوانِ

* * *

تعمساً لقوم ضيعوا أعمارهم
المجد «للجندي» وليس لغيره
كم بين من يفنى بجانب عرسه
وفي اللهو والأحلام والألحان
مجدد، ولا شأن مدى الأزمان
وفتي يسف الموت في الميدان؟
ويصمت الجندي ويحاول زعيمه السياسي أن يتكلم، ولكن الشاعر لا يترك له
الفرصة، إذ يصرخ في وجه الجندي البطل:

خَدِغْتَ	بالأوهام	يا حاملَ الحُسامِ
ماذا ستجني إن رما	كُ الدهرُ بالحمائم؟	
أنتَ سلاحَ البَطْشِ	أنتَ قوَّةُ الإِجرامِ	
تَغَبَّتْ بالحياة؛	والآمال، والأحلام	
وتسفك الدماء كي	تفوز بالوسامِ	
وتذبح الإنسان ذب	حَ الشَّاءِ والأغنامِ	
كيما تزيد الظلمَ إق	ذاماً على إقدامِ	
تموت في المَيدانِ يا	للجورِ والأثامِ؟؟	
وقد أبدت أنفساً	بالنار والحسامِ	
هل أنت إنسان أما	أنت من الأنامِ؟	

ثم يتصفح أوجه القوم كأنما يبحث عن ضائع، حتى يرى «حسن» الفلاح فيشير
نحوه قائلاً:

هذا هو الفلاح ربُّ	الحَقْلِ	والأغنامِ
ركن الحياة، بطل الإِ	يمان	والسَّلامِ

ويقترّب الفلاح الرث الثياب الخشن الملمس، من الشاعر «أحمد» منشداً بصوت مُتهدّج:

إني أنا الفلاح أحيّا	مثل ما تحيا الطيورُ
لا أعبد الدنيا ولا	على بني الدنيا أجورُ
ولا أعيش بالخيال	أو ببهتان وزورُ
لا الشعر يُطربني، ولا	أهوى الخلاعة والفجورُ
والفن: إن الفن أغنامي	وحقلي، والزهورُ
والمجدُ، مجدي عزلتي	وسذاجة القلب الطهورُ
والدين؟ لست بساخر	لبقي، وما أنا بالكفورُ
الله لي أملٌ، وسلطانُ	ومعبودُ ونور
عمري كفاح خالد	تحت المناجم والصخور

* * *

بين المزارع، والمرابع	في المساء وفي البكورُ
عزمي، رفيقي، لا أثورُ	على الحياة ولا أخورُ
أحمي السنابل والבלابل	والفواكه والطيورُ
وأصارع الريح العنيفةَ	والدياجي والدهورُ
ولقد أقضي الوقتَ في	صمتٍ رهيبٍ كالقبورُ
صمتُ السذاجة، والطها	رة والبراءة، والشعورُ
وأنا المبرأ من عيوب	الناس في كلِّ العصورُ

ما يكاد «حسن» الفلاح يسكت، حتى يسود المجلس صمت مخيف، وحيرة رهيبة، وكأن كل أحد يستعرض ما سمعه وما قاله، ويُسائل نفسه ماذا استفاد وماذا استزاد؟ الحيرة هي هي، والشك لا يزال، ثم يتبدد الصمت بصوت الشاعر منشداً:

أيها الفيلسوف قد عيل صبري	لست أدري؟ وكيف بالله أدري
أنا قد جئت حائراً وسأبقى	حائراً لم أفق على أي سرٍّ

قد سلكنَا البيانَ شتى، وهَمْنَا
ما جنينا يا أيها الصَّحْبُ غير
فأبْنُ لي يا «فيلسوف» ومن
وضربنا في كل وادٍ وبحرٍ
الشكَّ شيئاً وذاك أعظمُ خُسْرٍ
غَيْرُكَ يُشْفِي قلبي، ويشرح صدري

ويتجمهر الجميع حول الشيخ الفيلسوف، وبصوت متزن وقور يقول: رحم الله
القاتل:

لو أن كل نفوس الناس رائيةً
وعطَّلوا هذه الدنيا فما ولدوا
كرأي نفسي تَنَاهَتْ عن خطاياها
ولا اقْتَنَوْا، واستراحوا من رزاياها

أتريدون بياناً بعد هذا؟

فيجب القوم: نعم..

فيفكر لحظة ثم يقول بصوت باك:

كلما فكرتُ في هذي الحياه
ما الذي يَجْنِي المعنى من هواه؟
أُتُّ بالهم، وبالحزن الشديد
أين مَثْوَى البؤس والفكر الشريد

* * *

ما مصير الناس في هذا الوجود؟
آه هل للكون هذا من حدود؟
أين يمضي بالورى ركبُ السنين؟
آه مَنْ يدري مصير العالمين!

* * *

قد بكينا وضحكنا، لَمْ نجدْ
الشَّقَا غاية مغرور سعدْ
فرحاً يبقى، ولا حزنًا يدوم
والفنا ساحل مكدود يعوم

* * *

إنَّ عُرْسًا أنت فيه باسمْ
فرحة القلب عناءً واهمْ
مأتم يُصْمِيكَ بالحزن غدا
كل شيء ما عدا الموتِ سُدى

* * *

أنت لللبؤس وللحزن خلقت أنت حوض مفعم بالآلم
سترى الأحزان أيان ذهبَت إنما الراحة باب العدم

* * *

فاقطع الشوط رضيًا هادئًا إنما عمرك ملهأة القدر
كيفما كنت حديثًا طارئًا أو قديمًا إنما أنت بشر

* * *

كان خيرًا لك لو لم تولد أو هجرت الأرض في عهد الصبا
آه ماذا سترجى في غد وبماذا سترد العطبا؟

* * *

ابنة الأيك التي سمعها سوف تَفنى بين أنياب الأبد
جرعة واحدة تجرعها تنقُ الروح، وتودي بالجسد

* * *

طالب الحكمة يفني حائرًا تائهاً بين رشاد وضلال
أجهد الفكر، وأضني الناظر ثم ولى، وتلاشى في الرمال

* * *

آه يا للموت ما أروعه يسحق الكون هباءً ينتثر
فمه المقرؤم ما أوسعُه وحشاه كاللهيب المستعر

* * *

نحن نحو القبر في الدنيا نسير يتلاشى الجسم، والروح يطير
نسلم الجسم إلى الدود الحقيق ويهيم الروح في بحر الأثير

ويصمت قليلاً، ويُشدُّ شُدَّوْهاً غريباً، ثم يرسل أنَّه حزينة، وتمر كفه المرتعشة على جبينه، وينشد بصوت أقرب إلى الشهيق منه إلى الترجيع:

ضَلَلْتُمْ يا أَيُّها الناسُ	وَعَرَّكُمْ وَهَمٌ وَبَرَقُ خَلُوبٍ
العلم لا يجدي ولا يأسو	والجهلُ ينبوعُ الأسى والكروبُ
والأمل المرجو واليأسُ	ونزوةُ العقلِ، ونجوى القلوبِ
والحب والخمرة والكأسُ	يسحقها الغيبُ الرَّهيبُ الغشوبُ

* * *

يهماء لا يُرجى لها آخر	وما لها عندكم أولُ
رهيبةٌ إعصارها ثائرُ	والريحُ في أنحائها تُعولُ
والليلُ نهَاءٌ بها أمرُ	والوحشُ من وَحْشَتِها يَثْمَلُ
ضَلَلْتُمْ فيها، فلا ناظرُ	يرى ولا نورُ بها مشعلُ

* * *

إن ضجَّ غِرٌّ خانَهُ صَوْتُهُ	وراعه رَجْعُ صداه الكَيْيبُ
أو أنَّ محزونٌ فأناتُهُ	مَنْكوبَةٌ، ما إن لها من مجيبُ
راحةٌ من ضاقَ بها موْتُهُ	وظن من يأمل فيها يخيبُ
وحَظٌّ من يعبدها قوْتُهُ	وجُهد من ثار عليها النحيبُ

* * *

فيالهُ من مسرح رائع	وبالها من قصةٍ مؤلِّمةٍ
وبالهُ من مبدعٍ بارعٍ	بديعة آياتهُ محكمةٍ

ويأخذُ عصاه، ويلتحف رداءه، ويتَّجه نحو الباب منشداً:

تفرَّقوا عني فقلبي حزينُ	ومدمعي جارٍ، وفكري شريدُ
خلُّوا سبيلي، فأنا كالسجينِ	وافرجوا عني.. فهَمِّي شديدُ

ويعضي في سبيله، ويتفرق القوم، وكلُّ يشد:
قد عرفنا كلُّ شيءٍ نحن في الدنيا هباءً
مسرحٌ نلعب فيه سوف يطويه الفناء
ويُسدل الستار

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣٥ — أين أنت اليوم؟

[في رثاء القاضي العالم الأديب عبد الله العزب الذي توفي بتعز في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م]:

والشهابُ السَّاطِعُ الأضواء غابُ	الفؤاد الطَّاهر الأهواء ذابُ
والهوى يبكي على القلب المذابُ	فالسَّما تبحثُ عن كوكبها
وتعالَتْ عن جرائيم الترابُ	تلك روحٌ وثبتتْ مِنْ سجنها
بالسَّنا في تاج سلطانٍ مُجابُ	يا لها جوهرة ما سطعتْ
وفم الدهرِ فناءً وتبابُ	أطبق الدهر عليها فمه

* * *

وهفا النُّور ذهبواً واضطرابُ	جمع الدَّمع بعيني فرقاً
يتلَوّ تحت أنياب المصابُ	وانطوى قلبي على حسرتِهِ
مسمعي أعنف من طعن الحرابُ	يا له من نبأٍ كان على
مقولٌ فذُّ؛ إذا قال أصابُ	مات «عبد الله» مَنْ كان له
منطق الحرِّ إلى فصل الخطابُ	ويراع جمع الفن به
ضاق إلا بالخطايا والكذابُ	وفؤادٌ يسع الدنيا فما
إن يكن في وسعك اليوم الجوابُ	أين أنت اليوم؟ بالله أجبُ
طاهر المنطق عن مَيِّنٍ وعابُ	قد عهدناك حكيمًا بارعًا
حالتها إن غادرت دنيا الترابُ؟	هات حدَّثنا عن الرُّوح وما
وثبت راق لها العيش وطابُ؟	أهي في الجسم سجينٌ.. فإذا

أنعيم؟ أم شقاء وعذاب؟
وصف النار وأحوال العقاب
وحي حق؛ بل خيال وارتياب
آه يا ليتك تستطيع الجواب

ما وراء الموت؟ ما عالمه؟
صف لنا الخلد وصف جناتها
«المعري» لم تكن أوصافه
فإذا كنت سميعاً فأجب

* * *

مهجتي بعدك حزناً واكتئاب
يندب الشيخ ملذات الشباب
بلبلاً؛ بل كنت للشعر رباب
وتغنينا الأناشيد العذاب
يفقد الرشد ويودي بالصواب
صادق العزم جرىء لا يهاب

ويح نفسي.. كيف لم تلق الردى
أسفاً أبكيك بالشعر كما
كنت «عبد الله» في عالمنا
ترسل الشعر فتشجينا به
كنت إن فاجأك الدهر بما
تتلقاه بقلب ثابت

* * *

فهفا شوقاً إليه وأناب
طاهر الذيل حميداً لا يُعاب

ليت شعري أي سر شاقه
ترك الأرض احتقاراً وارتقى

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

[اجتمع الشاعر ذات ليلة من ليالي رجب سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، مع زمرة من الأصدقاء بتعز لوداع السيد الأديب الشاعر عبد الله بن يحيى الديلمي، فقال الشاعر مداعباً: «سر على طائر السعد»؛ وأجاب الشاعر إبراهيم الحضرائي: «وعسى الله أن تعود»، وما زال الشاعران يتبادران اللفظة تلو اللفظة، والبيت بعد البيت حتى تمت هذه القصيدة]:

سر على طائر السعد	وعسى الله أن تعود
ونرى ما يسرنا	منك يا زينة الوجود
زورة تذهب الأسى	ويُداوى بها الصدود
سترى في «ذمار» ما	يجلب الأنس والسعود
وغزلاً مهفهاً	ناعم اللّمس والخذود
فاهتصر غصن قدّه	وارتشف ثغره البرود
كُنْ هزّاراً مُغرّداً	فوق رُمانة النهود
والتمس في جماله	نغمة الفنّ والخلود
وأديباً مثقفاً..	هو باق على العهد
تنتشي من حديثه	نشوة المغرم الودود
ما أحلى صفاته	لا حقود، ولا لدود

* * *

يا صديقي إذا وصلت «ذماراً» بعافيه

فاذكرون عهدنا الذي	قد حمدنا لياليه
حين كنا جماعة	من أديب وراوي ^(١)
وصديق تروقنا	نكتة منه غالية ^(٢)
وطبيب، بنائه	للمصابين شافية ^(٣)
وخطيب، وشاعر	مبدع كل قافية ^(٤)
وكريم سحابه	لذوي البؤس هامية ^(٥)
ومحب مُتَيِّم	بين جنبه هاوية
وضلوع حنت على	كبد منه دامية
إن حَفلاً يَضُمُّهم	خير حفل «اليمانية»
فلتُعذَّ نحوهم لكي	ترسل الصوت ثانية

* * *

فالدواع الودع يا	خير من رجَّع النشيد
كنت فينا مغرِّداً	تودع السحر في القصيد
كل يوم يروقنا	خلقك الزاهر الوحيد
ولقد كنت بلبلاً	تتغنى بما نريد
طائراً صادق الهوى	هو في عصره «فريد»
كل قلب من النوى	بعده مكمِّد عميد
إيه لا تنسَ ودنا	لك أو عهدنا العهد

(١) المقصود: القاضي الحافظ أحمد الحضرائي.

(٢) القاضي أحمد الجبري.

(٣) الطبيب حسن الخميسي.

(٤) الخطيب هو الصفي أحمد البابلي، والشاعر هو أحمد عبد الله السالمي.

(٥) المقصود السيد أحمد بن يحيى الهجوه.

وابلغُنْ كل شاعرٍ صادقٍ، ودُّنا الأكيدُ
نحن إخوان كل ذي فطنة شاعرٍ مجيدُ
جمعتُنا عواطفُ ألفتُ شللنا البديدُ

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣٧ - الشيخ العيزري

[في شهر رمضان الكريم سنة ١٣٦٤هـ توفي الشيخ العالم الجليل
القاضي عبد الله العيزري - رحمه الله - بدمار، وكان قد جاوز
التسعين أو كاد]:

كَلَّ يَوْمَ مَصَائِبُ تَتَوَالِي
مَحَنَةٌ إِثْرَ مَحَنَةٍ إِثْرَ أُخْرَى
هَكَذَا الْمَوْتُ، يَصْرَعُ الشَّيْخَ وَالطِّفْلَ
لَا يِرَاعِي أَبَا رَحِيمًا، وَلَا أُمًّا رَوْ
لَا وَلَا عَالَمًا بِهِ تَهْتَدِي الْأُمَّةُ
أَوْ زَعِيمًا يَسْدِي إِلَى النَّاسِ خَيْرًا
كُلَّهُمْ فِي شَرِيعَةِ الْمَوْتِ أَكْفَاءُ
سَنَةِ اللَّهِ كَمْ طَوْتُ مِنْ عَصُورٍ

* * *

وَلَقَدْ رَاعَنِي؛ وَشَرَّدَ لَبِي
وَسَقَانِي مِنَ الْفَجِيعَةِ كَأَسَا
نَبَأٍ مِنْ «ذِمَارٍ» يَنْذِرُ أَنَّ الشَّيْ
وَبَأَنَّ الْخَضَمَ قَدْ غَاضَ، وَالْكَوْ
وَبَأَنَّ الْغَرِيدَ قَدْ هَجَرَ الرُّوْ
وَبَأَنَّ الْخَطِيبَ قَدْ تَرَكَ الْمَنْدَ

وَأَرَانِي وَجْهَ الْأَسَى أَشْكَالًا
نَشَرْتُ فِي فَوَادِي الْأَوْجَالِ
خُحٌ قَدْ فَارَقَ الْحَيَاةَ وَزَالَا
كَبٌ قَدْ غَابَ، وَالْمُثَقَّفُ مَالَا
ضُفُفْتُ زَهْوَرَهُ إِجْفَالَا
بَرَّيْبِكِي خَطِيبَهُ الْقَوَالَا

ب حيران يرقب الإهمالا
لله والعلم والتقى والكمالا

وبأن التقى قد ودّع المحرا
وبأن الأنام يكون «عبد الـ

* * *

كان فذا ندباً يجيد المقالا
كان فيها وسامةً وجمالا
بالهدى قد سقيته سلسالا
صاع وقد كان فاسداً محتالا
تم حقدًا، ولا تضم جدالا

فلتضج الأفواه بعدك يا من
ولتسح العيون بالدمع . . يا من
كم ضعيفٍ آزرته، كم جهولٍ
كم غشومٍ عرّفته الحق فاند
ولكم من نصائح لك لا تك

* * *

رجل ظلّ لثبات مثالا
من تجاريب سيره الأمثالا
صادف العيش نعمةً أو نكالا
طاهرٍ فاض عزةً وجلالا
يحمل زورًا، ولا يقرُّ وبالا
تعاليمه تزين الرجالا
جسم روحًا إلى السما يتعالى
لو تخطت صخرًا غدا أوصالا
ضغ ولا هاب صولةً أو نضالا
زمانًا فنلت ما لن يُنالاً
لب فيها ولا سراب تلالا
تعبد جاهًا، ولا تقدس مالا
ت حُرًّا لا يرهّب الأغلالا
ب، وترضيه مطلبًا وفعالا

يا فقيد العلوم قد كنت أركى
صقل الدهر عقله وحباه
هذب الدين روحه لا يبالي
إن قلبًا تضمه خير قلبٍ
لا يداجي، ولا يماري، ولا
«ولتسعين حجة» خير أستاذٍ
تسبك الترب جوهرًا، وتحيل الـ
قطعةً من حقائقٍ وخطوبٍ
عبرت قلبك الكبير فلم يخ
وتدرعت للحواث بالصبر
وعرفت الحياة لم يسبك الخ
كنت فيها «ابن الحقيقة» لا
إيه «عبد الإله» حسبك أن قد عشد
واثقًا بالإله تخشاه في الغيـ

صادفتَ إلا كوارثاً تتوالى
س غريباً عنهم هوى وخلالا
ش وضلالٍ، وما يشينُ الرجالا
رى لَدُنْ من يقدرُ الأعمالا
س، في رحمة الإله تعالى

لم تجد في الحياة خيراً، وما
وكذاك العظيم يحيا مع النّاس
لا يرى في وجودهم غير غ
سوف تلقى جزاء أعمالك الكب
في جنان النعيم، في جنة الفردو

صنعا: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٣٨ - ذِكْرِي وَحْنِي

أين صنعاء؟ وأين أيام صنعاء؟
ذاب قلبي تلهفًا وحنينًا
كلما لاح بارقٌ وجف القلبُ
وإذا ناح طائر ناحت الذك
الأماني معذبات وآمالي
سوف أبكي بالشعر عهدًا تقضى
ولقد ملت القوافي أنيني
آه لو أستطيع صبرًا على الب
هل لماضي عهودها اليوم رُجعى
وتلاشت نفسي أنينًا ودمعا
وطارت روجي مع البرق لمعا
رى فتدمي طرفًا وتجرح سمعا
مجروحة الخواطر. . صرعى
كان للقلب والمشاعر مرعى
وسئمت الحياة دمعا وسجعا
عد، ولو أستطيع للشوق دفعا

تعز: من قصيدة قيلت سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.

أَمْ حَظُّهُ الْيَوْمَ تَرْوِيعُ وَتَنْكِيلُ؟
عليه؛ والشط ناء عنه مجهولُ
لَهَا ضَجِيجٌ وَتَهْدِيدٌ، وَتَهْوِيلُ
كَلَا وَلَا حَبْلَهُ بِالنَّاسِ مَوْصُولُ
كَأَنَّمَا كُونُهُ مِنْ وَحْشَةٍ غِيلُ
طِفْلٌ قَدْ اخْتَلَطَفَتْهُ فِي الدُّجَى غَوْلُ
وَبَاتَ وَالْقَلْبُ بِالْأَوْهَامِ مَخْبُولُ
بِالْيَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ الْأَقْدَارِ مَقْتُولُ
فَالنَّفْسُ جَازَعَةٌ وَالْقَلْبُ مَتَبُولُ
خَانَتُهُ مِنْ دَهْرِهِ الْقَاسِيِ الْأَبَاطِيلُ
وَالظَّنُّ مَفْتَضَحٌ، وَالْوَعْدُ مَمْطُولُ

هَلْ عَذْرٌ مِنْ يَطْلُبُ الْغَفْرَانَ مَقْبُولُ
هُوَ الْغَرِيقُ الَّذِي طَمَّتْ جَرَائِرُهُ
وَالرَّيْحُ تَعْصِفُ وَالْأَمْوَاجُ غَاضِبَةٌ
فَمَنْ لَهُ الْيَوْمَ؟ مَأْوَى؛ لَا يَلُودُ بِهِ
وَكُلُّ مَا حَوْلَهُ بِالْشَرِّ يَنْذَرُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ، وَالْأَوْجَالُ تَقْلُقُهُ
إِنْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ خَانَتُهُ عَزِيمَتُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي دِيَجُورِهِ أَمْلُ
وَإِنْ أَتَى الصَّبْحُ رَاعَتَهُ حَقَائِقُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي ضَوْضَائِهِ تَعْسُ
فَالْفِكْرُ مَرْتَبِكٌ وَالرُّوحُ مَضْطَرَبُ

* * *

كَحَزْنِهِ، فَهُوَ دَامِيَ الْقَلْبِ مَثْكُولُ
عَيْنِيهِ لِلنَّاسِ لَوْ أَجْدَاهُ تَمَثِيلُ
كُلُّ بَأْعِبَائِهِ فِي الْكَوْنِ مَشْغُولُ
عَلَيْهِ، وَاسْتَبَقَتْ فِيهِ الْأَقَاوِيلُ
سَوَاكُ يَا بَارِيءَ الْأَكْوَانِ مَأْمُولُ

فَحَزَنُ «آدَمَ» لَمَّا عَقَّ خَالَقَهُ
وَرَعِبُ «يُونُسَ» فِي الْأَعْمَاقِ يَمَثُلُ فِي
يَشْكُو وَيَبْكِي فَلَا يَصْغِي لَهُ أَحَدُ
وَكُلُّ غَاشِيَةٍ دَارَتْ بِظُلْمَتِهَا
وَبَاتَ لَيْسَ لَهُ مِنْ بَعْدِ نَكْبَتِهِ

* * *

وخير من وثقت فيه البهاليلُ
وارحم فعبدك منكوب ومخدولُ
ندامة؛ ذكرها وخزُّ وتنكيلُ
وإن عفوت فأحسانً وتنويلُ

يا خير من طمعتُ في فضله ثقةُ
ربّاه خذ بيدي قبل انقطاع يدي
قد اقترفتُ ذنبًا لا أعدّها؛
فإن أخذتَ؛ فعدل لا أضام به

صنعا: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

رّة آمالي وأنسي عاك طرفي؟ كيف أمسي؟ رك.. ما ليس بكأسي...! نك أفراحي وبؤسي...! وجداني وحسي..	أين أنت اليوم يا زه كيف أمسي دون أن ير دون أن أرشف من ثغ دون أن أسكب في حض وأغنني ويغنني لك

* * *

أيها العارف أمسي وذوت زهرة نفسي في ظلمة يأسي شبح زج برمس الدنيا سبيل للتأسي	آه لو تعرف يومي نضبت بهجة قلبي وانطوت آمالي الزهراء فكأنني من وجودي آه ما لي عنك في

صنعا: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٤١ - قانون خير الخلق

[قرظ الشاعر بهذه القصيدة كتاب «الإمام» للسيد العلامة المؤرخ
محمد بن محمد زبارة رحمه الله ، وقد صدر سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م]:

يَهْدِي إِلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ	قَبَسُ مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ
شَقْتُ دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ	أَنْوَارُهُ قَدْسِيَّةٌ
وَضَاءٌ وَمِنْ أَفْقِ الْحَاطِمِ	مِنْ قَلْبِ «مَكَّة» شَع
يَمَانٍ، وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ	هُوَ كَوَكْبٌ لِلْحَقِّ، وَالْإِ
تِهِ وَأَنْوَارِ «الْكَلِيمِ»	أَضْوَاءَ «عَيْسَى» مِنْ أَشْعَ
بِالْحَيَاةِ وَلَا عَقِيمِ	دَسْتُورِ دِينَ لَا جَفِيَّ
كَأَنْتَ رَمِيمًا فِي رَمِيمِ	نَفْخِ الْحَيَاةِ بِأَمَةٍ
وَهْدِي وَنُورٌ لِلْحَيْكَمِ	يُسْرُ وَحُبُّ كُلِّهِ
وَالْمَرْضَعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ	يَحْنُو عَلَى الدُّنْيَا حَذِ
بِهِ «غَايَةِ الشَّرَفِ الْمَرُومِ	بَلَّغْتَ بِهِ «بَنَتْ الْعُرُومِ
عَلَى الْقَشَاعِمِ وَالنَّجُومِ	وَسَمَتْ بِهِ أَوْجًا يَعَزُّ
وَارْتَشَفَتْ مَعْتَقَةَ الْعُلُومِ	صَفَعَتْ بِهِ التَّضْلِيلِ
عَلَى أَبَاطِيلِ الْقَدِيمِ	هُوَ ثَوْرَةُ الْعَصْرِ الْجَدِيدِ
وَشَرَعَةِ الشَّرِكِ الْأَثِيمِ	عَصَفَتْ بِدَسْتُورِ الطُّغَاةِ
ءٍ وَمَبْدَعِ الْكَوْنِ الْعَظِيمِ	هُوَ وَحْيِ جَبَّارِ السَّمَا
حَامِي جَمَى الْحَقِّ الْهَاضِمِ	نَفَثَتْهُ مَهْجَةً «أَحْمَدِ»

الطَّاهِرُ الْمَبْعُوثُ لِلْأَكْ حَوَانٍ بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ

* * *

«أحمد» لِلَّهِ مَا..	أُوتِيَتْ مِنْ ذَوْقِ سَلِيمِ
أَوْضَحَتْ بـ «الإمام»	مَنْهَجَ حِكْمَةِ الدِّينِ الْقَوِيمِ
قَانُونُ خَيْرِ الْخَلْقِ، لَا	قَانُونُ مَلِكٍ أَوْ زَعِيمِ
قَدْ قَمْتُ فِيهِ بِوَاجِبِ	لِلْعِلْمِ وَالْوَطَنِ الْحَمِيمِ
وَلَأَنْتَ وَحْدَكَ حَامِلُ الْمَصْدِ	بِإِحْسَانٍ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
تَهْدِي بِهِ الْجِيلَ الْجَدِيدَ	إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمِ
وَلَأَنْتَ وَحْدَكَ لِلْحَقِيقَةِ	وَالْحَمَى أَوْفَى خَدِيمِ
مَا كَانَ قَلْبُكَ لِلْفُضِيلَةِ	بِالْعَدُوِّ وَلَا الْخَصِيمِ
هَذَا وَكَمْ لَكَ مِنْ يَدِ	فِي الْعِلْمِ خَالِدَةِ النُّعِيمِ
قَدَمَتِهَا لِلْمَجْدِ قُرْبَانًا	عَنِ الشَّعْبِ الْيَتِيمِ
«النَّيْلُ» فِي التَّارِيخِ نِيدِ	لِإِفَادَةِ فَاوِضِ الْعِلْمِ ^(١)
تَجْرِي عَلَى صَفْحَاتِهِ	سُفُنُ الْحَوَادِثِ كَالرُّسُومِ
و «النَّشْرُ» مِنْ نَفْحَاتِهِ	تَنْجِبُ غَاشِيَةَ الْهَمُومِ ^(٢)
أَرْجُ الزُّهُورَ الرَّاقِصَاتِ	عَلَى أَهَازِيْجِ النَّسِيمِ
أَوْدَعْتُ فِيهِ خَلَائِقَ	النُّبَلَاءِ وَالصَّيْدِ الْقُرُومِ

* * *

«أحمد» يَا ابْنَ الْفَخَارِ الْفَذِّ وَالْحَسَبِ الصَّمِيمِ	
يَا صَاحِبَ الْخَلْقِ النَّبِيلِ،	وَحَامِلِ الْقَلْبِ الْكَرِيمِ
يَكْفِيكَ أَنْكَ مَا خَضَعُ	لَكَ لَذْلُ نِيرٍ أَوْ شَكِيمِ

(١) «نَيْلُ الْوَطَرِ»، مِنْ مَوْلاَتِ الْعَلَامَةِ زِيَارَةَ.

(٢) «نَشْرُ الْعَرَفِ» فِي نُبَلَاءِ الْيَمَنِ بَعْدَ الْأَلْفِ، مِنْ مَوْلاَتِ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ زِيَارَةَ.

وبأن نفسك ما صَبَتْ
 أفنيتَ عمرَكَ في سبي
 لا في عبادة درهمٍ
 والناس حولك يرتعو
 يتهافتون على الحُطَامِ
 فأقبلُ تحيَّةَ معجبٍ
 هي نزوة الحسِّ العظيم
 يوماً إلى خلق ذميمٍ
 لـ العلم والمجد الجسيمِ
 أو دجل مجتمعٍ سقيمِ
 ن صغائر المرعى الوخيمِ
 ويزحفون إلى الجحيمِ
 قد زفها لك في النُّظُمِ
 ونفثهُ القلبُ الكريمِ

صنعا: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٤٢ - بُعد الفراق

[عاد صاحب الديوان من «صنعا» إلى تعز في ٥ ذي القعدة
١٣٦٤هـ وألقى أمام الإمام أحمد هذه القصيدة، قبل ارتقائه
العرش]:

يفيض قلبي أسى وأشجانا
بالدمع لا أستطيع تبياناً
يعثر بين الشفاه حسرانا
صدري هموم الفراق نيرانا
بالوصل لاقْتُ نوى وهجرانا!
وصادفت جفوة وحرمانا
تسومها بالعذاب ألوانا
وكم أجوب البلاد هيماناً
منعمًا بالحياة جذلانا
يريه أيّان سار أحزاناً
وليتني ما عرفت إنساناً
قلت له حين حان مسرانا
شأنًا وأعظم بمثله شأننا
إذا رحلنا؟ وأين مأوانا؟
وهل سنلقى هناك سلوانا؟
يسلو ويرتاح مغرم باناً؟

ودعْتُ تلك الربوع حيرانا
وقَفْتُ في ساحها أخاطبها
تحير اللفظ في فمي حزناً
أنظرها خاشعاً، وقد ملأت
يا ويح نفسي؛ أكلما نعمت
وودَّعت صفوها وراحتها
وصادمتها الخطوب قاسيةً
كم أذرع الأرض ذاهلاً وجلاً
ولم أجد موطنًا أقيم به
كشارِدٍ يأسه يطارده
فليتني ما شهدت شارقةً
وصاحب من عشيرتي لبقٍ
يا صاح جدّ المسير إن لنا
قال: وما شأننا؟ وكيف بنا
وهل لنا في الوجود من وزرٍ؟
قلت: تمهل.. فقال كيف؟ وهل

والشوق يذكي القلوب نيرانا؟
تملاً وجه الوجود أشجانا
ولم يشرفي البلاد أسيانا
مفارقاً جيرةً وخلانا

* * *

ومن لنا والنوى تعذبنا
قلت: لقد روعتك أخيلةُ
وأنت من لم يضق به بلدُ
ولم يودّع من قبل أيكته

به ازدهى ديننا ودنيانا
هناك حيث القلوب تهوانا
ما يبتغي إذ يقول بُهتانا
رَبِّ يعم الأنام إحسانا
الضُّراء، حامي البلاد مولانا
يمحوبه باطلاً وخسرانا
لنا وعين الإله ترعانا
لعشت بين الأنام غضبانا
قضيتُ دامي الجنان ظمّانا
قطعت شوط الحياة حيرانا
تَخَذْتُ لي مرتعاً وبستانا
أخاف ممن يخافُ عدوانا
آبَ ذليل الجناب حسرانا
أخشى من الحادثات طغيانا
وكان بعد الفراق ما كانا
صادفت ممن وجدت تحنانا
يأسٍ لأحكام دهره دانا
يرى أطلاب البقاء خسرانا

دعنا نسِرْ يا أخي إلى ملكٍ
هناك حيث النهى مكرمةُ
نحيا فلا فاسد ينال بنا
فقال: والأهل؟ قلت: حَسْبُهُمْ
قال: ومن؟ قلت: والمؤمّل في
(أحمد) من في فؤاده قبسُ
قال: إذن فالزمان مبتسمُ
مولاي لولا سناك يؤنسني
مولاي لولا نداك يطرني
مولاي لولا هداك يرشدني
أنت الذي في ظلال نعمته
أمرح لا أرهب الزّمان ولا
إن كاد لي كائدٌ بمفسدةٍ
ما دمت في حصنك الحصين فلنُ
وقدُ عرفت الأنام قاطبة
لولا حنان منحنيه لما
وربما توهب الحياة لذي
ومن تكن عينه بصيرته

والموت عند الحكيم معرفة
فلا تُبَلُّ بالخطوب إن عصفت
ولا تضق بالحياة إن عبست
وانظر تر الأرض في مشاكلها
وانظر تر الناس في نقائصهم
والناس لا يستوون معرفة
تباينوا منبعًا، وحاشية

* * *

يطلبها كي ينام جذلانا
وكن غليظ الفؤاد أحياناً
فقد يجر السرور أحزاناً
قد طفحت بالسرور أفناناً
غرقي. ولا يطلبون غفراناً
كالناس لا يستوون ألواناً
وغاية ترتجى، وأدياناً

يا من سمت في الفخار دولته
ونال من ربّه مؤمّله
وبزّ أقرانه هدى وندى
الشعب لا يرتجي سواك ولا
كم لي من آيةٍ شذوت بها
شعرٌ تهزُّ القلوب نغمته
يروق من كان ناقدًا لبقًا
والشعر فن يزين صاحبه

* * *

وعزّ بين الأنام سلطاناً
مكارماً جمّة، ورضواناً
وهمةً فذةً وعرفاناً
يرضى مليكاً سواك إنساناً
فمادّ قلب الزّمان نشواناً
كما تهزُّ النسيم أغصاناً
وشاعراً بارعاً وفناناً
كما تزين الفصوص تيجاناً

بكيت في شعري الوجود ومن
والشعر يبكي الحياة مذ وجدت
بكى «امرؤ القيس» دمنة درست
والشيخ «ذو المحبسين» مات أسى
وهكذا كلما أتى رجُلٌ
مشكلة ما تزال غامضةً

فيه وصُغتُ الدموع ألحاناً
والشعر يبكي الوجود مذكّاناً
كما بكى «البحثري» إيواناً
وعاش «كابن الحسين» حيراناً
بكى صروف الحياة ألواناً
كم أجهدت ألسناً وأذهاناً

تضيع فيها العقول خاسئة
وليس كالدين راحة؛ فإذا
تحيا به ناعماً فإن نُضِبَتْ
إذ لا ترى حجة وبرهاناً
ما ضقت صادفت فيه سلواناً
روحك لاقت رضا «ورضواناً»

* * *

يا من إذا خاطبته ألسننا
وأذهلت لا تجيد، قافية
وكيف تقوى وأنت معجزة
فتى تهاب القروم سطوته
فؤاده مزنة مطهرة
تحزبت حوله القلوب؛ فلا
تكاد من حبه تقدسه
لا زلت يا ناصر الشريعة
تعثرت هيبه وإذعاناً
وأخجلت لا تطيق شكراناً
تجسمت للعيون إنساناً؟
وترتجي من نداه إحساناً
صيغت لعطف السماء عنواناً
ترى له في الأنام أقراناً
مخلصة لا تضم شناناً
تهدينا بأنوارها وترعاناً

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٤٣ - وَخِي الْعِيد

[ألقاها الشاعر في حفلة الجيش بميدان عرضي تعز أمام الإمام أحمد
(قبل ارتقائه العرش)، وذلك في ١٢ ذي الحجة
١٣٦٤هـ/١٩٤٥م]:

هو العيد في أثوابه يتجددُ	يطلُّ علينا كل عام فنسعدُ
يفيض على أرواحنا من جماله	فتندى وتحظى بالنعيم وترشدُ
تطير زرافات بجنات بشره	ترجع أنغام الصفاء وتنشدُ
يجيء بما تهوى النفوس كأنما	به عن معاني نقصها تتجردُ
ويبعث في الدنيا حياة جميلةً	سلام وحبُّ كلها وتوددُ
تسود على الناس الطفولة؛ لا ترى	سوى مهج في طهرها تتعبدُ

* * *

هو العيد؛ يرضاه السعيد بأهله	ولا يرتضيه نازحٌ أو مشردُ
يثير الأسى في قلب كل مُتيمِّمٍ	نأى عنه أحباب كرام وأبعدوا
إذا نلت ما تهواه فالكون مشرقٌ	وإلا فوجه الأرض في العين أسودُ

* * *

وما العيد إلا منحة الله؛ ما لها	سوى الشعر ظرف في الزمان مخلدُ
ولولا قوافي الشعر تظهر سره	لظلَّ خفيًا سحبُه تتلبَّدُ
ولولا سناها في الدجى ترشد النُّهى	لضلَّت بلا هاد تغور وتنجدُ
وما الشعر إلا فيلسوف مثقفٌ	يصور للناس الحياة وينقذُ

أمولاي؛ والأرواح حولك حشدٌ
هو العيد نورٌ من جبينك مشرقٌ
وما أنت إلا وحيها وشعاعها
سموت فلا وهمٌ إليك ببالغ
وفكرك للإصلاح والعلم منبع
نطيعك لا خوفًا ولا دفع نقمة
فما أنت جبارٌ تعالي بملكه
وصوتك صوت الحق يخرس من طغى

* * *

وإننا لقوم من «قريش» و «حمير»
مناهجنا في الحكم أسمى مناهج
وقانوننا وحيٌ من الله عادلٌ
ملكنا فلم نظلم، وسدنا فلم نجبر
وكانت لنا في كل صقع معالم
بناء بنته أمة عبقرية
أهاب بها هادٍ إلى النور مصلح
وأرسله صوتًا قويًا دويّه
فأنجبت الفصحى أباءً أعزّة
فمنهم زعيمٌ عادلٌ، ومثقفٌ
وكان لنا منهم «علي» و «خالد»
وجاء على آثارهم قوم اهتمدوا
ولكن أناس مترفون تعجرفوا
فهانوا، وهانت أمة بهوانهم

نمانا إلى العلياء مجدٌ وسؤددٌ
وأفعالنا بالنبل والعدل تشهدٌ
تساوى لديه خاضعٌ ومسودٌ
وحزنا فلم نمنع، ولا خاب مقصدٌ
من الحق تهدي من يضل وترشدٌ
علاها على رغم الزمان مخلدٌ
تعاليمه للحق والخير موردٌ
صدى في صماخ الخافقين مُردّدٌ
لهم في بناء المجد ركن موطدٌ
حكيم، وفنان، وطب، ومرشدٌ
وكان لنا منهم «حبيب» و «معبد»
بهم فبنوا ملكًا عريضًا وشيدوا
ضلالاً، وعاثوا في البلاد وأفسدوا
وباتوا وهم للغرب شاء وأعبد

وتلك لعمر الحق أدهى مصيبة جناها علينا دهرنا المترصد

* * *

وما أنت إلا عبقرى مهذب
تعاليمه استوعبتها بلباقة
فطر في سماء المجد؛ إنا قشاعم
ونحن جنود طائعون شعارنا
وما المجد إلا للقوي، وإنما
غذاه ورباه النبي «محمد»
وأحييتها فينا؛ فأنت المجدد
لنا منك هاد ألمعي مسدد
شعارك؛ لا نخشى ولا نتردد
يحوز العلا من في يديه المهند

* * *

أهنيك بالعيد الذي أنت عيده
وما أنا إلا شاعر صادق الهوى
حياتي حياة البحر آمال مهجتي
ولي من إبائي عاصف إن تجهمت
وأعماق قلبي تهضم الكون كله
أظل وفيًا مخلصًا؛ لا بشاشتي
وكم شاعرٍ والشعر عنه بمعزل
وأنت خير بالقوافي تجيدها
ودمت «ولي العهد» فينا مظفرًا
ولا زال «بدر الملك» نجلك سيدًا
وتهنتي زهرٌ ودر منضد
بمجدك أشدو في الورى وأغرّد
كأمواجه في كل آن تجدد
له حالة يرغي عليها ويزبد
بما فيه غابات وبيد وجلمد
سراب، ولا حبي خداع فيفسد
وما شعره إلا حروف تُردّد
وتنظمها نظم الحكيم وتنقد
عدوك مخذول وشانيك مبعّد
بأفق العلا والمجد يسمو ويصعد

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

ومهجةً وهبتنا العطف ألوانا
تهدي أشعتها من كان حيرانا
على الوجود لما صادفت جذلانا
يعلُّ من حسننها المحروم تخاننا
تمزّق الكون آلامًا وأحزاننا

* * *

ما يدهش اللبّ إتقاناً وإحسانا
وها هنا اليد غزلاناً وكثباننا
تعطيك ما تشتهي زهراً ورمانا
وإن رنت فعباب البحر غضباننا
ما يعجزُ الشعر إعراباً وتبياننا
يذكر إذا أقبلت جاهاً وسلطاننا
أمامها فاقد الأعصاب لهفاننا

* * *

ومجده راضياً بالحظ، فرحانا
كما تشاء. وتبلو الناس ألوانا
وكم محبّ قضى شوقاً وأشجانا
وليس يحمل إحساساً ووجدانا

عينٌ سماويّةٌ باللطف ترعاننا
ونجمةٌ ترسل الأنوار ساحرةً
لولا حنان سماوي تفيض به
حورية خلقت سلوى ومرحمة
لولا عواطفها، لولا مراشفها

هنا الطبيعة فيها من مفاتها
هنا السماء بما فيها تلوح لنا
وها هنا روضة غناء زاهية
والنار إن هجرت، والغصن إن خطر
لغزّ مدى الدهر نلقى من طلاسمة
ترى العظيم وقد خارت قواه فلم
وتنظر الفاتح الجبار مرتعشاً

أضاع في قبلة منها عزمته
معبودة ترفع الدنيا وتخفضها
كم مغرم مات من هجرانها دنفاً
ورب جلفٍ غبيّ نال بغيته

تعز: ١٤ ذي الحجة ١٣٦٤هـ / ١٤٥٠م

[ليوم ١٨ ذي الحجة شأن كبير في البلاد اليمنية؛ تقام فيه الحفلات وتلقى الخطب؛ ذكرى لليوم الذي قام فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم «بغدير خم» منوهاً بالإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، قائلاً: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقد أنشدت هذه القصيدة في حفل كبير رأسه الإمام أحمد، بصالة تعز، في ١٨ ذي الحجة ١٣٦٤هـ (قبل ارتقائه العرش)]:

يوم وحي الشعر، يوم المعجزاتِ
أدب فذ، وآي بيناتِ
يستدر الدمع ذكر المكرماتِ
ربُّما تضحك أدهى الأزمتِ
بالقوافي كالرعود القاصفاتِ
هي أغلى ما حوى من صفحاتِ
وهي أبهى ماله من حسناتِ
عرف الناس بها أسمى الصفاتِ
هديه سارت بعزمٍ وثباتِ
تصغ يوماً لفضول الترهاتِ
طاهر الأنوار قدسيّ السماتِ
فالبطولات مجال العثراتِ
وقفتُ للخلد أبطال الحياةِ

قم فهذا اليوم يوم الذكريات
هات ما عندك من سحرٍ، ومن
واسكب الدمع إذا شئت فقد
أو ترنم ساخرًا أو باسمًا
وإذا شئت فثر محتدماً
والمح التاريخ واقرأ صفحة
وهي أزهى درةً في تاجه
وهي أنقى سيرة خالدة
سيرة ناموسها الحق وفي
لم تزعزع بالأباطيل، ولم
تجعل الحق مناراً هاديًا
يا يراعى قف قليلاً واتئد
ذلك التاريخ في ساحته

«كَعَلِي» عبقري العزماتِ
والورى من حوله في ظلماتِ
فأجابوه بأقسى الكلماتِ
طاهر المنطق حلو النبراتِ
غرّه صاحبه بالترهاتِ!
والهدي يسلقهم باللعناتِ
قنعوا يومئذٍ بالبسماتِ!
في سبيل الله ثبت الخطواتِ
يتداعى صبره للأزماتِ
فتلقاها عزيز العبراتِ

* * *

كلما راجعت تاريخ السُراةِ
وقفات - عظمّت من وقفاتِ
من صفاتِ وأيادٍ خالدياتِ
لم أطق تصويرها في كلماتي
ثائر اللوعة جم الحسراتِ
طفحت أنفسها بالنقماتِ
حوله ينذره بالهلكاتِ
بطل غير «علي المكرماتِ»
فسقى أعداءه كأس المماتِ
وردّت كالسيل من كل الجهاتِ
والصناديد، وأفذاذ الغزاةِ
«يثرب» مأوى النجوم النيراتِ
أمةُ الشرك على جندِ «الصلاة»

فتأمل هل ترى فيهم فتى
عرف الحق صغيراً فاهتدى
حين نادى «المصطفى» في قومه
لم يجد غير «علي» ناصراً
سخر القوم، وقالوا يافع
ومضوا في غيهم. وانقلبوا
لودروا ما يكتم الغيب لما
ومضى الدهر بطيئاً، والفتى
صابراً لا البؤس يُضويه، ولا
ولكم مرتٌ عليه محنة

آه كم يخفق قلبي رهبة
كل يوم ولفكري عندهم
و «علي» كم وعى الدهر له
كبُرت فيه صفاتٌ جمّةُ
يوم ولى «المصطفى» عن داره
و «قريش» تتلظى حنقاً
بات في مضجعه والشر من
يال له من شرف ما حازه
«وببدر» ظهر الحق به
وبيوم الروع و «الأحزاب» إذ
قادة الحرب، وأبطال الوغى
أقبلوا والشرُّ يحدوهم إلى
قسمًا لولا «علي» لطفتُ

وبيوم «الفتح» والصفح ويوم «حنين» وجميع «الغزوات»
تشهد الهيجاء حقاً أنه علم النصر ورب المعجزات

* * *

ها هنا مشكلة الدهر فقد
ما الذي ضرب بني الإسلام لو
لو تولى أمرهم لانتصرت
ولعم الدين أصقاع الدنيا
ثارت الفتنة من بعد السبات
قلدوا أمرهم خير الهداة
لغة الضاد على كل اللغات
ورعى الحق جميع الكائنات

* * *

«يا ابن هند» أنت قد هيّجتها
قمت تهذي باسم «عثمان» وما
قد خدعت الناس بالمكر ولن
ما جنى منك بنو العرب سوى
فتنة عمياء طاحت بالمئات
تبتغي إلا انتقاماً للتراة
تخدع التاريخ نقاد الرواة
ذلة أخنت عليهم وشتات

* * *

«يوم خم» أنت يوم رائع
«يوم خم» بك قام «المصطفى»
قال: من كنت له مولى ومن
«فعلي» هو مولاه الذي
فانصر اللهم من ينصره
بين أيام العصور الخاليات
يرشد الناس إلى نهج النجاة
رام أن يحظى بأوفى البركات
بسنه يهتدى في الظلمات
وأذق أعداء ذل الحياة

* * *

أيها القوم دعوني لحظة
تاه فكري في رحاب واسع
وتصفحت وجوهاً كرممت
شهب المجد، وأنصار الهدى
أتغنّى بالمعاني الرائعات
ضم أبطال السنين الماضية
من وجوه «العلويين» الدعاة
وصناديد الخطوب الثائرات

بهم هوج الدواهي العاصفات
ورماهم بالرزايا الماحقات
و «بنو العباس» عاثوا بالصُّلاتِ
وقعات؛ تَعَسَّتْ من وقعاتِ
من قلوب الأمهات الثاكلاتِ
في فيافي الفلوات الشاسعاتِ
ووحوش البید تأسى في الفلاةِ
يتساقون كؤوس الشهواتِ؟
كيف لا تنهار شم الراسياتِ؟

* * *

من بنيك الأريحين الكماة
تصدح الطير بأشجى النغماتِ
تخذوا آلك سُفناً للنجاة
بسناهم في الدياجي المعتماتِ
شيماً ربُّ السيوف الباتراتِ
ومجلى كربنا في الأزمانِ
فاز من يشنوك يا خير الرعاةِ
صادق الحملة ثبت العزماتِ
«كعلي» بالعظات البالغاتِ
إنه يعجزُ عن تلك الهباتِ
جُمِعَتْ أركى وأسمى العاطفاتِ
في سبيل الله ثبت الخُطواتِ

يا لأبناء «علي» عصفتُ
حشد البغي عليهم جنده
«فبنوا مروان» خانوا واعتدوا
كل يومٍ ولهم من بطشهم
لا يرقون لدمع ذائب
أو لأطفال يتامى شردوا
السما تبكي عليهم رحمةً
«وبنو مروان» في لذاتهم
كيف لا تعصف بالأرض السما؟

«يا أخا المختار» إني شاعرُ
قمتُ أشدو باسمك العالي كما
في بني قومي البهاليل الألى
فاستناروا بهداهم، واهتدوا
حسب قومي «أحمد» أسمى الورى
ابنك الذائد عن أوطاننا
دمت يا مولاي ترعانا ولا
أنت كالمولى «علي» في الوغى
وإذا قمت خطيباً.. جئتنا
وإذا جدت فما ماء السما
ولك القلب الذي في طيِّه
دمت يا مولاي فرداً في العلا

تعز: ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م

٤٦ — الشعر والشعراء (ابن قتيبة)

إذا سئمت نفسي الحياة وظلمها
وما ضُمنْتُ من باطلٍ وشقاءٍ
رجعتُ بنفسي واستعَضْتُ عن الوري
وآلامه «بالشعرِ والشعراء»
أمتّع فكري في رياض بيانه
وأقطف منه حكمة الحكماء

شرعب: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

٤٧ - يوم الاستقبال

[أنشدها الشاعر في حفلة الاستقبال التي أقيمت بتعز في ٨ جمادى
الآخرة ١٣٦٥هـ، بمناسبة عودة الإمام أحمد من «عدن»، قبل ارتقائه
العرش]:

طلعت أجلاً من نور الصباح وما أشرقت حتى اهتزَّ شعب وفاضت بالسرور قلوب قوم رأتك طلعت فاشتعلت حماساً وكانت قبل عودك في عناء تشابه صباحها والليل حتى تطير مع الخيال كأن كفاً وتخبط في الظلام كمستهامٍ وتهفو غير حالمةٍ برشد ولما أن طلعت طلعت نوراً	فأهلاً با ابن سادات البطاح تسير به مع الحق الصراح تحوطك في الغدو وفي الرواح كنارٍ بين معترك الرياح وشوق دونه وخز الرماح كأن الليل دام بلا صباح تطاردها إلى الأجل المتاح تعيس القلب منكوء الجراح كطير بات مقصوص الجناح لكل دجنّة في الشعب ماحي

* * *

إذا رُتلت شعري من جناح ثنائي «لابن يحيى» وامتداحي دهاها الويل من كل النواحي بصادع أمره هوج الرياح له، ويطيعه وحش البطاح	بني وطني؛ سماءاً؛ ما عليكم سأشدو اليوم مزهواً وأزجي ملك لو تحدثه الليالي تضيق بهمه الدنيا وتسري تكاد الشامخات تخرُّ طوعاً

سَمَتْ عَنْ قُدْرَةِ الْقَوْمِ الشَّحَاحِ
 سَتَبْقَى هَـذِي رُؤَادِ الصَّلَاحِ
 وَهَمَّكَ فِي السَّمَوِ فِي الطَّمَّاحِ
 رَكَابِكَ فِي الْمَسَاءِ وَفِي الصَّبَاحِ
 عَلَيْكَ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ وَسَاحِ
 لِكُلِّ حَقِيقَةٍ بِالْجَهْلِ لَاحِي
 حَمَانَا، وَالِدَلِيلِ إِلَى النِّجَاحِ
 وَغَابِكَ لَيْسَ بِالْغَابِ الْمَبَاحِ

* * *

وَكَانَ عَلَى فِرَاقِكَ غَيْرَ صَاحِ
 عَلَى حَزَنِي سِرُورِي وَارْتِيَاحِي
 تَصَوُّرٍ فِيهِ رَمْزًا لِلْفَلَاحِ
 بِذِكْرِكَ نَارَ وَجْدِي وَالتِّيَاحِي
 وَأَشْفِي مَا تَمَزَّعَ مِنْ جِرَاحِي
 أَكَادِ أَغْصَ بِالْمَاءِ الْقِرَاحِ
 وَأَمْعَنَ فِي الشُّكَايَةِ وَالنَّوَّاحِ
 وَتَنْبُضَ بِالْكَآبَةِ وَالتَّلَاحِي
 إِلَى نَهْجِ السَّعَادَةِ وَالصَّلَاحِ
 وَأَسَادِ الشُّرَى يَوْمَ الْكَفَّاحِ؟
 نَمْتُهُ الصَّيْدُ أَرْبَابِ السَّمَّاحِ
 وَأَبْطَالُ الصِّفَائِحِ وَالرَّمَّاحِ
 بِكُمْ مِنْ دَهْرَهَا الْجَشَعِ الْوَقَّاحِ
 لِكُلِّ دَجَنَةٍ فِي الشَّعْبِ مَاحِي

«وَلِي الْعَهْد» كَمْ لَكَ مِنْ أَيَادٍ
 وَكَمْ لَكَ مِنْ صِفَاتٍ رَائِعَاتٍ
 لِكُلِّ فَتَى بِهِذِي الْأَرْضِ هَمٍ
 ذَهَبَتْ مَجَاهِدًا، وَالْحَقُّ يَحْدُو
 وَرُوحَ الشَّعْبِ وَالْأَمَالَ تَهْفُو
 سَيَعْلَمُ كُلُّ خَتَارٍ جَهْلًا
 بِأَنَّكَ «سَيْفُ دَوْلَتِنَا» وَحَامِي
 وَأَنَّكَ ذَلِكَ الْلَيْثُ السَّبْنَتِي

رَأَيْتَكَ بِاسْمًا فَصَحَا فَوَادِي
 وَبَتَ مَجْنَحُ الْأَمَالِ يَطْفِي
 وَمَا فِي خَاطِرِي إِلَّا كُشْيَاءُ
 سَأَشْدُو بِاسْمِكَ الْغَالِي وَأُطْفِي
 وَأَرَأُبُ مَا تَصْدَعُ مِنْ فَوَادِي
 وَقَبْلَكَ كَانَ مَعْقُودًا لِسَانِي
 أَرَى الْآفَاقَ مَظْلَمَةً فَأَشْكُو
 وَتِلْكَ قِصَائِدِي تَرْفُضُ دَمْعًا
 أَهْبَتُمْ بِالْوَرَى يَا «آلَ يَحْيَى»
 أَلَسْتُمْ فِي سَنِيَّ الْجَدْبِ سَحْبُ
 وَمَا إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا نَجِيبُ
 سَلَالَةِ «هَاشِمٍ» وَبَنُو «عَلِي»
 عَنَتَ لَكُمْ الْعُرُوبَةَ وَاسْتَجَارَتِ
 قَدَمَ لِلْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ نُورًا

تعز: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

مُضْنَى الْعَلَا صَعَقَتْ جَهودُهُ فهو؛ ونكبتُهُ تَوودُهُ
عبث الزمان به وطوَّ حَ قبل أن يزور عودُهُ
فانهار تحت حطامه ما كان من أمل يشيدهُ
والدهر لا تنفك قابضة سواعدنا قيودُهُ
تلك الليالي المظلمات وتلك أنجمها جنودُهُ
هيهات.. لا يقوى الفتى للدهر يمنع ما يريدهُ
ما جهد مقصوص الجناح إذا استشاط وما جهوده؟
أكروبه ودموعه وجروح لوعته تفيده؟
ماذا يكون مصيره؟ وشعور خيبته يبيده؟
أيموت يأساً؟ أم يُمَزَّق في أظافره وريده؟
أم يستكين وينحني بالذل كاهله وجيده؟
ما بين مجهولين يحيا المرء مبهمهً حدودُهُ
الأمس؛ في سجن الفنا ء تثنُّ باكيةً عهدُهُ
وغد؛ ببطن الغيب ينبض غير مرتسم وجوده
يمشي مع الأيام وهي إلى نهايته تقوده
ولقد علمت من الزمان بأن جاهله سعيده
وبأن حكم الشر في الدنيا مؤيده بنوده
الخير ليس له حمى ويموت مضطهداً عميده
والحق لفظ في الشفا ه تمرُّ كاذبةً وعوده

وعلمت أنَّ هوى النفس
يمضي ويقضي ما يشاء
س محكَّم فيما تريده
ء وما الورى إلاَّ عبده

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

وقفك كالطيف إذا ما سرى	في وهم حيرانٍ
ظمآن أستسقي غمام الكرى	بقدس أَلحاني
أرى؛ ويا بؤسَيِّ ممَّا أرى	أشباح أحزاني
تصول حولي كأسود الشرى	صيال عدوانٍ
كيف بوجداني	إذا تصبته ذنوب الورى؟

* * *

هناك تلهيه ملاهي الحياه	بالزهر والخمرِ
هناك لا تصدفه عن هواه	قوارع الزجرِ
يمضي ويسترسل فيما اشتهاه	في الخير والشرِ
نشوته الكبرى رحيق الشفاه	وخمرة الشَّعيرِ
يا ليتَه يدري	أن المنايا راصداتُ خطاهِ

* * *

دنياك يا شاعر دنيا الزوالِ	دنيا الأساطيرِ
خوتُ بها من ظلمات الخيالِ	كفَّ المقاديرِ
وصورتها من رُفَاتِ المحالِ	أبدع تصويرِ
وقدَّرت فيها الهدى والضلال	أية تقديرِ
وكالأعاصيرِ	تشور فيها شهوات الرجالِ

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

٥٠ - شَكْوَى الْغَرِيبِ

[وردت إلى الشاعر قصيدة من صديقه شاعر «عدن» السيد محمد عبده غانم، فأرسل إليه هذه القصيدة في سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م جواباً]:

رفقاً بصب مغرم معذب متيم
رفقاً بصبّ مثقل بالحسرات مؤلم
أحرقه الحبّ بنيران الأسى والندم
كأنه مما يقاسي زُخٌّ في جهنّم

* * *

رفقاً بصب جاحم اللوعة نائر الدّم
يبيت مذعور الفؤاد تحت جناح الظلم
يُسائل الأفلاك عن غرامه المحطّم
وعن رفات حُبه الممزّق المهذّم
يبثّها شجونهُ شكوى الغريب المغرم
تكاد رُوحه تذوب في غضون الكلم
والكون مأخوذ بما يبعثه من نغم
يُضْغِي كما تُضْغِي القفار لضجيج العدم
والليل مفتونٌ بسِحرِ لحنه المقسّم
جثا حزيناً عنده كالأبد المطلّسّم

كأنما يَعْبُدُ ما يُزْجى به من حِكمٍ
 والنجم يبكيه ويرعاه بطرفٍ مُكَلِّمٍ
 يضيق من آهاته ودمعه المنسَجِمِ
 يحذر من شرار نار قلبه المضطَّرمِ
 يخافُ أن يُقْضَى على الكونِ بِزَفَرَةِ القَمِ
 يا ويحَهُ كم ذا يُقا سي من ضروب الألمِ
 كم يتلقَى قلبُهُ من أسَلٍ وأسْهُمِ
 وكم يُعاني روحَهُ من كُربٍ ونَقَمِ
 وكم يَظَلُّ كالسجين في وثاق الوهمِ

* * *

يا مرسلَ الألحانِ تَشْفِي غُلَّةَ المَتِّيمِ
 وتغتذي بها النهى وتنقُحُ الروحَ العَظِيمِ
 وتقطفُ الحِياةَ منها بسماتِ النُّعمِ
 أشكو إليك من زما ن كالفناء مُظْلِمِ
 كأنما أيامه ذنوب قلب مجرمِ
 وما شَكَاتِي لافْتقارٍ أو لِعَسْفٍ نَهِمِ
 لكنَّه الحُبُّ الذي أحرق عظمي ودمي
 أجَّجَ في قلبي جحيماً من جوى وندمِ
 وبثَّ في روحي رسيماً من لهيب مضمِ
 وصَبَّ في كأس حياتي جَرَعَاتِ العَلَقَمِ

* * *

يا شاعر الوادي ترنم بالبيان المحكمِ
 كفكف دموعي بالقوافي السَّاحراتِ النُّعمِ

وارأبْ صُدُوعَ الحُبِّ في قلبي ، ويدُّ أَلَمي
واستَلْهمِ الأشعار من «شمسان» عالي القِمَمِ
من القفار الشاسعات، والإكام الجُثَمِ
ومن مجالي «صَيِّرة» ومن جلال العَيْلَمِ
من موجه الصاحب من تياره المُلتَطَمِ
من كل ما حولك مِنْ مباحٍ وظُلَمِ
من «الجواري» السابحات و«النسور» الحوَمِ
من المعاني الثائرات في العيون النومِ
من كل ثغر بارد الظُّلَمِ رقيق المَبَسَمِ
من كل ما في الكون من مصائب ونَعَمِ
من دمة المحزون، من خواطر المَتَيِّمِ
من بسمه المفتون؛ من يأس الفقير المعدمِ
من نسمة الروض الأنيق، والغبار الأَقْتَمِ
فأنتِ.. أنتِ الشاعرُ الفَدُّ النزيه القلمِ
أصبحت في دنيا البيا ن مفردًا كالعلمِ
تعنوله الأفكار من مهابةٍ.. وعِظَمِ

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

[قُرْطُ بها أول دواوين شعره «النفس الأول»]:

هو قلبٌ أذبتُهُ	لهوى قد وهبتُهُ
كان وهماً إذا اتَّبَعُ	تُ ضلالي عبتُهُ
وخيالاً إذا نسي	تُ وجودي وهمتُهُ

* * *

رب ليلٍ بأدمعي	وهمومي لقيتُهُ
ذاب في مهجتي وفك	ري دجاء وصمتُهُ
فزع النجم فيه لما	بطرفي رمقتُهُ
ورماني بنوره	وبوجدي رميتُهُ
وشكاني إلى السما	وإليها شكوتُهُ
وانثنى يَمُقُّ الظلا	م كما قد مقتُهُ
بثني شجوه، وبا	ح بِسَرٍّ أبحتُهُ

* * *

نَفْسٌ من قرار روعي	المعنى بعثتُهُ
في تضاعيفه طويد	تُ وجودي، وصنتُهُ
أودعت فيه مهجتي	ما بها قد كنزتُهُ
ذكريات ألفتها	لزمان فقدتُهُ
ورفاتٌ مبددٌ	لغرامٍ أبدتُهُ

وشظايا	عزيمة	لشباب	هدمته
وقرابين	صبرة	لهوى	ما سلوته
وبقايا	ندامة	لأنام	جنيته
وأباطيل	عالم	ليتني	ما عرفتته
هاهنا	ثورتني	على	عالم
هاهنا	دمعتني	على	أمل
(جنة)	من	قطوفها	أضعتته
كلما	جف	زهرها	أجتني
كم	مثال	لفنها	ما اشتھيته
من	ضميري	ومن	بدموعي
			سقيته
			للورى
			قد نصبتته
			شعوري
			وقلبي
			نحتته

* * *

(وجحيم)	سعيها	من	فؤادي
للھوى	في	قرارها	نفثته
يصطلي	حر	نارها	أقمتته
			مستقر
			من إليها
			حشرته

* * *

هو	دمعي	؛	وليتني
وابتسامي	؛	وليتني	في
لو	تبينت	منتهى	دفنته
			مهيبي
			ما مشيته
			حَبَسْتُهُ

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

[قيلت في حفلة التكريم التي أقامتها هيئة المعارف اليمنية للبعثة الثقافية اللبنانية بصنعا في ٦ رمضان ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م]:

عصف القريضُ بفكرتي وجناني
فطفقتُ أشدو بالقوافي ذاهلاً
وكذلك الغريد يصدق لاهياً
وذهبت في تيه الخيال منقّباً
أتصفح التاريخ معتبراً بما
أجلو الروائع من محاسنه، ولا
وكانما هو عابد كشفت له
فغدا يصورها بسحر بيانه
مترفقاً بشعورهم متلمساً
يا للجلال.. إذا تأمل شاعرُ
وأطل من عليائه مستعرضاً
ورأى العروبة في مطارف مجدها
والناس حول فخارها في روعةٍ
يتخاوصون بأعينٍ مشدوهةٍ
وبنو العروبة في مسالك مجدهم
مدت يدُ العليا إليهم كفّها
وتعاهدا في عزةٍ ومناعةٍ

وأثار سحر يراعتي ولساني
عمّا يساورني من الأشجانِ
عن يقظة الأقدار بالألحانِ
عن غامضات حقائق الإنسانِ
فيه من الحسنات والطغيانِ
أغضي عن الشنآن والنقصانِ
حجب الحقيقة، وانجلت لعيانِ
للناس يلفتهم إلى البرهانِ
أهواءهم ببديعة الفتانِ
في سره المكنون في الأكوانِ
لقوافل الأجيال والأزمانِ
مزهوةٌ تختال كالنشوانِ
يمضي الجلال بهم إلى الإذعانِ
ويتمتمون بمنطق حيرانِ
يمشون دون تكاسل وتواني
فتصافحوا أخوين يبتدرانِ
وتعانقا في لهفةٍ وحنانِ

وأناهم بالحق والقرآن
بالعدل، والعرفان، والإيمان
تيجانهم، ومعقل الأوثان

قوم أثارهم النبي «محمد»
ظهروا على الدنيا غزاة قادة
فهوت عروش الظالمين وحطمت

* * *

من نسل عدنان ومن قحطان
نجني من الذكرى سوى الأحزان؟

هذا هو الماضي البعيد لأمة
لم يبق منه لنا سوى الذكرى وهل

* * *

قد وحدتها طاعة الرحمن
و «عراقها»، والشَّم من «لبنان»
لغةً، ودين، واتحاد أماني
عظمى تسامت فوق كل مكان
يرنو إلى عليائه الثقلان
أو لا فأرواحًا إلى «رضوان»
متضافرين تضافر البنيان
للخير، لا للشر والعدوان
هجمت معاولها على العمران

أبني العروبة؛ والعروبة أمة
لا فرق بين «يمانها» و «شأمها»
و «لمصر» أخت و «الحجاز» يضمنا
إننا نريد بأن ننال مكانة
وننصّ رايتنا بأسمى موضع
ونطير أشباحًا إلى أوج العلا
فلنسع أرسالاً إلى غاياتنا
ولنبني للشرق الكريم حضارة
فالغرب قد شاء الحضارة نقمةً

* * *

قلمي، وأحصر بالبيان لساني
كلمي، وبذت بالشعور بياني
لكم - وأنتم قادة العرفان
وكنانة الأبطال والشجعان
وترفّعوا عن ذلة وهوان
للموت بالأرواح والأبدان

أبناء شَم «الأرز» عفواً إن كبا
فخواتري جياشة قد سابقت
أنى لمثلي أن يقوم بواجب
«لبنان» ينبوع النبوغ وروضه
كم دافعوا الإفرنج عن أوطانهم
بذلوا الدماء عزيزة وتبرعوا

حتى استقلّوا ظافرين أعزّة وودادهم يربو بكل جنانٍ

* * *

سترون في «اليمن السعيدة» موطناً
صنعاء «زحلة» في الجمال، وأهلها
فتنسّموا من سحرها، وتفيأوا
أنتم ضيوف بني أبيكم «يعرب»
لكم، وروضاً وارف الأفنان
لكم غداة البين كالإخوان
في ظلّها. في عزّة وأمان
ومناخهم لكم مناخٌ ثاني

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م

٥٣ - عيد استقلال لبنان

[قيلت بمناسبة حفلة ذكرى عيد استقلال لبنان، التي أقامتها البعثة الثقافية اللبنانية بصنعا في ٢٨ ذي الحجة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م]:

للعلا أم ليومه المشهود؟
أصرخ اليوم بالقوافي، وأشدو
ناطقًا للورى بأسمى بيان
باعثًا ثورة القلوب، مثيرًا
راسمًا للشباب ذكرى جهاد
أسد لبنان جنده يترامو
أطبقوا كالظلام هولاً، وكالأموا
كل ليث مكشّر النَّاب عن قد
إيه يا ثورة أفاقت على الد
نهضت من جمودها نهضة ال
وأطلت على الوجود شعاعاً
بعثت سَوْرَةَ الحياة بشعب
فإذا الأرض بهجة تحلم الأر
وإذا كل بلبل ساحر الأنغا
باكياً أمسه الكئيب بأشجى
حين كانت أنغامه في فم القيـ

أم لشواره أباة القيود؟
خاشع الفكر ممنعاً في السجود
شافهتني به لسان الخلود
ما غفا من تحفزات الجهود
خالد هذّ شامخات الجحود
ن براياتهم ترامي الأسود
ج عزماً، وصوله كالرعود
س حماه يزود كل صيود
نيا بأحلام ليلها الموءود
فجر؛ وشبّت كالنار ذات الوقود
وجحيماً على طغاة الوجود
كان في قبضة الفناء المبيد
واح فيها بكل عيش رغيد
م يشدو بكل معنى فريد
نغم، ذاب من فؤاد عميد
د تقاسي آلام رقّ لدود

كلما همّ بالنشيد طغى الأسد ر على لحنه الكظيم الحريد

* * *

إن يكن مشعل العدالة قد أذ كتُهُ «باريس» مند عهدٍ بعيدٍ
فبنوها همُّ الألى حَطَمُوا ال عدل، وساموا الأحرار سوم العبيدِ
أين «رُسُو» وأين ما حررتُهُ كفُّه من مبادئ و «عقودِ»
أنكرتها «باريس» في سفح «بيرو ت» وعاثت بها؛ فيا للجحودِ

* * *

كان «لبنان» قبل أن يوقظ ال نور بنيه في ظلمةٍ وجمودِ
يطأ الذلُّ مجده ويعاني صلف الرّق والعناء الشديدِ
زمن كان ليله يخنق النُّو ر، ويودي شقاؤه بالسعودِ
يعقد الهول مقولي كلما حا ولت وصفًا لعهدِ المنكودِ
ينعمُ اللصُّ بالمتاع ويُمَني ربُّه بالعذاب والتشريدِ
ذاك في شرعهم حلالٌ يسيمو ن به كل جاهل أو بليدِ

* * *

هو «لبنان» هيكل الفن والمج د، وروض الهوى الشذيّ الورودِ
درج الحب في ثراه صبيًّا واغتذى من جماله المعبودِ
وسيبقى في أفقه يحرس الأح لام حتى تطوى حياة الوجودِ

صنعا: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م

[أنشدت أمام الإمام أحمد بمنزته صالة في ٨ ربيع الأول
١٣٦٦هـ، قبل ارتقائه العرش]:

أضعتُ في وهمي الأمانِي	وهمتُ بالحُسنِ والحسانُ
أفنيْتُ في صبوتي زمانِي	حتَّى أذاقتني الهوانُ
ولم تزل مهجتي تعاني	ما يذهل اللَّبَّ والجنانُ
إذا دجى اللَّيل ضاق شأني	وضقت بالكون والزمانُ
أهيم في مهمه الهوى	وأذكر الدار والحبيبُ
وأشتم الهجر والنوى	والشوق إذ يشعل اللهبُ
وكلَّ ما مرَّتِ الثواني	مَشَتْ على الروح في تَوَانُ
وحركت ميت المعاني	وأشعلت خامدَ البيانُ

* * *

يا من بها طال شجو قلبي	قد ضقتُ ذرعًا من الفراقُ
ما قد مضى من نواك حسبي	العيش بالبعد لا يطاقُ
أوَاه لو تعلمين حَبِّي	وأُنني منه في وثاقُ
لما تمنيت غير قربي	وجُدتِ بالوصل والتلاقُ
فقد وهتُ مني القوى	وصرت في الناس كالغريبُ
وكلمالِج بي النوى	ونحت لم ألقَ من مجيبُ
وكم أفا سي وكم أعاني	في الحُبِّ ما يهدم الكيانُ

وأبعث السحر في الأغاني أبكي بها قلبي المهان

* * *

أشكو جوى الحُبِّ واضطرامه	في قلبي المجمع الخفوق
إليك يا صاحب الزعامه	و (ناصر الدين) والحقوق
ومفخر الملك والإمامه	وباني المحتد السموق
من جوده للورى غمامه	وعزمه الرعد والبروق
أدرك فؤادي فقد ذوى	وخار من شدة الوجيب
وأنت من يعرف الدوا	وليس إلا لقا الحبيب ^(١)
وكيف يرضيك ما دهاني	وأنت مستودع الحنان؟
يا مرتجى قطرنا اليماني	أبقاك ربّي مدى الزمان

تعز: ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م

(١) طلب الشاعر بهذه القصيدة من الإمام أحمد الرخصة له بزيارة أهله بصنعا، وكان حين ذاك يشتغل في ديوانه بتعز.

٥٥ — نشيد يوم يقيم

[من قصيدة قيلت في ثورة الدستور عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م،
وضاعت يوم مات الدستور في جمادى الأولى سنة ١٣٤٧هـ / مارس
١٩٤٨م]:

في موكب الحق والآمال تختلجُ
والدهر في غمرة الأقدار منتفضُ
والناس في الضجة الكبرى قد اندهلوا
وقفتُ في رهبة طمت مشاعرها
والأفق منبلجُ والشعب مبتهجُ
والكون في لجج الأخبار يمتزجُ،
حتى كأنهم للبعث قد خرجوا..
سُلَّ البيانُ لها، وانتابَهُ الرَّنجُ!

* * *

من أين للشعر في يومٍ طوالعهُ
أن يستجيد القوافي أو يحبرها
لقد تكلمت الأقدارُ فانتفضتُ
ودمدم العدل في شعرِ قوارعه
حتى إذا دانت الأهواء وانهمرت
سحَّت على الناس إحساناً ومرحمةً
وادكرت نهج «طه» في عشيرته؛
غراء ساطعة بالسَّعد تنبلجُ..
عميدها الفدُ، أو خريتها اللهجُ
فرائص الشعر، وانهارت له الحججُ
بالحق؛ لا بالهوى والحق قد تنفرجُ
ولم يشب صفوها بغياً ولا لججُ
مثل الغمامة بالخيرات تنبجُ
لسنة العدل والإحسان تنتهجُ

* * *

الحق والعدل في «صنعاء» قد مُزجا
والناس في الفرحة الكبرى قلوبهمُ
كالروح والجسم في الإنسان تمتزجُ
تهتز بشراً، وبالأمال تختلجُ

تَكَادُ تَقْفُزُ شَوْقًا مِنْ صَدُورِهِمْ،
وَالْحُبُّ طَاقَتُهُ الْكِبْرَى تَذُوبُ لَهَا
سِرٌّ مِنَ اللَّهِ فِي الْإِنْسَانِ أَوْدَعَهُ،
وَفِي وَجُوهِهِمْ مِنْ عَزْمِهَا وَهَجٌ
قَوَى الْوُجُودَ فَلَا هَوْلٌ وَلَا حَرْجٌ
وَفِي مِشَاعِرِهِ تَهْفُو وَتَعْتَلِجُ

صنعا: ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

بالأمة نُقسم والجمهور،
والعزة، والقدر المقدور،
وبما في مصحفنا مسطور،
أن نطلب ليمن الدستور

* * *

سنحارب كي نحيا سعدا،
ونضحى بالأرواح فدا.
بدماء الأحرار الشهدا،
سنحقق ليمن «الدستور»

* * *

الظالم قد تبَّتْ يده،
وهوى ما كان يشيِّده،
والباطل ذلَّ مؤيده،
والحقُّ تمجَّد و«الدستور».

* * *

وشباب «الشورى» و«الميثاق»^(١)

(١) الميثاق الوطني المقدس لثورة سنة ١٩٤٨م وقد كتبه الشاعر بخطه ووقعه علماء وأدباء وأحرار =

ملأت أصواتهمُ الآفاقُ،
كلُّ يشدو جذلاً مشتاقُ
تحيا الحرِّيَّة و«الدستور».

سجن نافع: سنة ١٩٤٨م.

اليمن حين ذاك. وانظر قصة الميثاق في مذكرات صاحب الديوان الجزء الأول من كتاب:
«رياح التغيير في اليمن».

٥٧ - ليلة عيد في سجن نافع

أشعلت نار الجوى يا ليلة العيد،
فبتُّ أزفرُ في همٍّ وتسهيد
ذكرتُ سالف أيامي التي قَنَصْتُ
شباب روعي في حُبٍّ وتغريد
ذكرتُ ماضي أعيادي التي أُنِسْتُ
نفسي بها، في رُبَا الغيدِ الأماليد
ذكرتُ «صنعا» وكم بُلُغْتُ من أرب
في «سفحها» دون تنغيصٍ وتنكيد
ذكرتُ عهدًا غمسنّا فيه أنفسنا
في لجة اللّهُوب بين الزّهر والخود
ذكرتُ مجدًا عظيمًا كنتُ غرته
بين المروءة والإقدام والجود!
ذكرتُ معبود أحلامي فكاد دمي
يغلي، وأصبحتُ موجودًا كمفقود!

* * *

لهفي ؛ ولهف الهوى كم بُتُّ منتشيًا
بقربها . . غافلًا عن كل موجود
معانقًا عادة الآمال ؛ مرتشفًا

من ثغر فاتنتي رشف العناقيدِ

* * *

واليوم . . لا نعمة الأفراح أسمعها
ولا صدى سحرها يُجْزى بترديد
تمضي الشهور، وآمالي معذبةٌ
تُسقى الخيال، وتغذى بالمواعيدِ
ورغبةُ الحبِّ لا يَشْفِي تَلْهفها
المحموم إلاَّ وصالٌ غير محدود

* * *

في «السجن» تزحف أيامي مكبلة
بلا حساب، وتمضي دون تعديد
في سجن «نافع» حيث الحقُّ مضطهد
والناس ما بين موثوقٍ ومشدود
وحيث يُحشَدُ «أهل الرأي» في هُزءٍ
مع اللصوص، وأصناف المناكيد!
وحيث لا حُرْمَةٌ تُرعى لصاحبها
بل يَأْلَفُ «الناس» فيه عيشة «الدود»
أشاده الظلم تأييدًا لدولتهِ
والظُّلم — بالظُّلم — قد يحظى، بتأييدٍ!!
تَبًّا لَهُ، ولبانيه، ولا هَطَلْتُ
على ثراه غمام الخير والجود!

* * *

يا عيدُ لولا بقايا مهجةٍ ذُبَلْتَ

وذكريات ودادٍ غير مجحودٍ
لقلت:

لا كنتَ من يومٍ
ولا رجعت بك الشهورُ
ولا بوركتَ من عيدٍ

حجة: ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

٥٨ - في ساعة عتاب

من عذيري للأمة «اليمنيّة»
وهم في الوجود أشقى البريّة
خلقوا للأغلال، والسوط، والجلاد
لا للدستور، والحرية!
يتبارون في «مجاملة» الظلم
وتقديس الجهل . والهمجيّة!
ويوالون من يسومهم خَسَفًا
ويَقْضي على النفوس الأبية
قد عرضنا «صحوا» عليهم؛ فقالوا:
قد أَلَفْنَا الغيبوبة الأبدية
كلّما جثناهم بعلم وفنّ
أقبلوا «بالزّوامل» القبليّة
وإذا رتلنا عليهم بياناً
أعرضوا، يُنشدون «يا دَوْدَجِيّة»!
وإذا قدّمنا «علاجاً» «لمسلول»
أَبَوْهُ واستبدلوه «بكيّة»!
وإذا لوَحنا لهم بكتاب
لوَحوا بالعَسِيب، و«البُنْدقيّة»!
شوّهت في عقولهم صورُ الإسلام

فهي «الخصوع» و«الطائفية»!
وهي «تفريق» الناس «مذهب» هذا
«شافعي»، وذا من «الزيدية»!
هَمْ
على حالهم
ضلالاً، وغياً
واختلافاً
كأمة... وثنية!

سجن نافع: ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

3

ما تبسمت غبطةً	أو نزوعاً إلى ابتسام
أو مروقاً عن الأسى	وعلى رأسي الحمام
إنها برق مزنة	لاح في حندس الظلام
الرزايا تحوطه	من وراء ومن أمام
إنها تاج سيّد	صرعته يد اللثام
لامعاً فوقه وقد	مزقت قلبه السهام
زهرة فوق جثة	حملوها إلى الرغام
نبتت في فؤادها	وتغذت من العظام
ورماد	في الحنايا لها ضرام
من خطوطٍ تأججت	في سهول وفي إكام
المبادي وقودها	وقرابينها الكرام

* * *

كيف أسلو وما ظفر	ت بشأٍ ولا مرأٍ؟
والأمانى دفنتها	وهي لم تبلغ الفطام
أين صَحْبِي وإخوتي	ذروة المجد والسنام؟
أي...؟ لا أين بعدما	كان ما كان في الظلام؟
ومضوا؛ بين باسل	لم يرعه شبا الحسام
عانق الموت باسمًا	واحتسى كأسه الزؤام

وطعينِ بخنجِرٍ وصريع من السُّقامِ
طاب ورد الرُّدى إذا ساد أحرارها الطغامِ

* * *

وأخ لي مشرَّد ملٌّ في أرضه المقام^(١)
بلبل طارده عن عشِّه البوم والهوامِ

* * *

بسمة قد نزفتها وهي تبكي من الهيامِ
سترت ما وراءها من دموع ومن أوامِ
بسمة الموثق الغريب جفا طرفه المنامِ
لم يزل في حياته من فراقٍ.. إلى خِصامِ
من كفاح، إلى أسى وحطامٍ إلى حطامِ

سجن نافع : ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

(١) المقصود هو الشاعر عبد الوهاب بن محمد الشامي شقيق صاحب الديوان..

٦٠ - شُهْدَاءُ

[من قصيدة طويلة في شهداء سنة ١٣٦٧هـ (ثورة سنة ١٩٤٨م)،
قالها الشاعر في «سجن نافع»، وقد ضاعت ولم يبق منها غير هذه
الآيات]:

إلى روضة الغفران، في جنة الخلدِ
مضى وفدهم، بين التهليلِ والحمدِ
بهاليل تُستسقى السَّما بوجوههم
لهم قصبات السبق في الفضل والمجد
يُساقون نحو الموتِ تدمى ظهورهم
وأعناقهم من وطأة الغلِّ والجلدِ
يودّونه. إذ هم به قد تحرّروا
من الخوف، والسَّجان، والسجن، والقيدِ
تولّوا وأبقوا للأحبة بعدهم
بلاءً من الذكرى الأليمة والشَّهدِ
يقضّون ساعات الحياة رهيبةً
قد اهترأت كاللحم في ضررم الوقدِ
يجرّونهم كالشاء للذَّبَحِ جهرةً
وصوت «نفير» الرُّعب يُنذِرُ بالفقدِ

* * *

بنفسي «زيد»^(١) حين لم يتركوا له
 — وقد ساءلوه — فرصة الأخذ والرد
 يزمر جر كاللث الهصور مدافعاً
 عن «الشرع» ؛ والجلاد كالصخرة الصلد!
 يقول لهم ؛ لا تظلموا «الشرع» إنه
 ملاذ لكم من كل ذي نزوة وغد
 إذا ما قتلتم نفس حرّ سفاهة
 بدون قضاء من «ذوي الحل والعقد»
 ستنهض يوماً غضبة لا يردّها
 بكاء ، ولا يغني دفاع ولا يجدي
 سيندم «سفاح» ؛ ويبيكي «خليفة»
 وتقطع أسباب الموالاة والود
 وقد حاوروه بالسيوف تنوشه
 إلى أن قضى ثبت الوفا ؛ صادق العهد
 ولهفي «لعبد الله»^(٢) يُقطع رأسه
 على مشهد من أهله بيد «العبد» !
 يرتل آيات الكتاب كأنه
 هصور ، ولكن في السلاسل والقيد
 وقد كان «عبد الله» «ركن» مروّة
 و «كعبة» إيمان وموئل مستجدي
 رأى الظلم والطغيان قد جاوز المدى

(١) السيد زيد بن علي الموشكي .

(٢) الإمام عبد الله بن أحمد الوزير .

فثَارَ، «استنَادًا» لِلشَّرِيعَةِ و «الحد»^(١)
ونحن أناسٌ لا ندين لظالمٍ
ولكننا «نَعْدُو» عليه و «نَسْتَعْدِي»!
وكم مسلمٍ قد عَذَّبُوهُ وقَاخَةً
وكم سَلَطُوا من ذي غِبَاءٍ ومن وِغْدٍ
تعدُّوا حُدُودَ الشَّرْعِ، والخُلُقِ، والحيا
وجاءوا بما لم يَأْتِهِ قَبْلُ من «فرد»
وعاثوا غرورًا بالبلاد وأهلها
كَأَنَّهُمْ قد «مُلَكُوا» جَنَّةَ «الخُلْدِ»
سَيَعْلَمُ من قد يَسْتَنِيْمُ لشَرِّهِمْ
بأنَّهُم والشعب - يومًا - على وَعْدٍ!

* * *

ومنها:

عصاة شرٌّ دُرِبَتْ لا قِترَافِهِ
وأُرْضِعَت الطغيان في زمن المهدِ!
إذا استَبَقَتْ يومًا لدعوة منكرٍ
تِيَمَّمَتِ الشَّرُّ الصَّرَاحَ على عمدٍ
تهبُّ إلى الآثام حين تسوقها
إليه دواعي البغض والنهب والحقدِ
شريعة «طه» عند مالك أمرها
وسيلة كسبٍ، واحتيالٌ إلى مجد
ونحن بوادي الموت ترقص حولنا

(١) حدُّ الحاكم الظالم عند «الزيدية» - إذا لم يتب، أو ينزل - القتل.

سيوف المنايا، والمكاره، والجندِ
نموت جميعاً حين يُدعى لذبحه
ونحن أسارى حوله - أيما فردٍ
وليس لنا إلا ارتعاد فرائصٍ
وإلا ابتهاج، أو مراقبة الوادِ
نحاذرُ ضوء الفجر كلَّ عشيّةٍ
ونخشى ظلامَ الليل.. في وضح الرّادِ

سجن نافع : ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

٦١ - خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ عَامًا

مرت حياتي ولمَّا يُقْضَ لي وطْرُ
«خمسٌ وعشرون عامًا» ما ظفرتُ بها
إمَّا غريبًا أقاسي كلَّ نائبةٍ
وليس لي غير نيل المجد من وطْرِ
من الحياة بغير الهمِّ والكدرِ
أو موثقًا بين سمع الموت والبصرِ

* * *

لولا بقية آمال تهدهدها
فارقت دنيا الورى بالهمِّ متحرًا
في قلبي المتعنّي رحمةُ القدرِ
إمَّا إلى جنَّة الفردوس أو سقرِ

حجة، سجن نافع : ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

من قلبه المضنى الحزين	نفسٌ يردُّده السجينُ
فَظْ لوعة الألم الدفينُ	في غمرة الظلمات يد
ب بذائب الدمع السَّخينُ	وَيُشَيِّعُ الماضي الكئيب
م بين أحوال السنينُ	ويراه كالشَّبَج المحط
الطفاة المجرمينُ	تنتاشه كالذُّود آثام

* * *

بالأمس وضاح الجبينُ	تلك «السعيدة» مجدها
ير» والأشواوس من معينُ	والملك في سَبَأٍ و«حم
تظم العوالم أجمعينُ	ومطامح الأذواء تند
رة قادرين موفقينُ	كانت حضارتهم حضا
دة والكرامة يمرحونُ	والنَّاس في ظلَّ السَّعا
أمرا، ولا يتظلمونُ	لا يشتكون قساوة الـ
زهت السهولة والحزونُ	والعدل إن عَمَّ الملا
ظل الحضارة والفنونُ	ومشى جلال المجد في

* * *

إلاً دموع البائسينُ	واليوم لا تلقى بها
وذلة المتضرَّعينُ	ومشانق المتجبرين
أغلال آساد العرينُ	ديسَ العرين وشُدَّ بالـ

والأفق يفهقُ بالأسى	والأرض تزخر بالسجونُ
والعدل يبكي ثاكلاً	ويؤنن الحق المبينُ
ومدامع الأيتام تسدُ	تذري المشاعر والعيونُ

* * *

يا أيها المحزون ما	ذا إن تَمُتْ كمدًا يكونُ
كفكف دموعك لا تبُلُ	بمصائب الدهر الخوونُ
تلك الحياة نعيمها	وهمٌ وشقوتها ظنونُ
مذ كانت الدنيا؛ وأهـ	ل الشرف فيها يعبثونُ
اليأس يعتنق المني	والجدُّ يُغرِّقه المجونُ
والنور والظلمات والـ	عقل المفكر، والجنونُ

* * *

من لم يعيش حر الضمير	ر يعيش بخسته مهينُ
من لم يمت بالحق حرًا	مات عبدًا مستكينُ
من باع أمته يبعُ	بالبخس جوهرة الثمينُ
يحيا حقيرًا سافلًا	ويموت مقبوحًا لعينُ
ومن استبدَّ بأمره	وعتاعَتوا المفسدينُ
وأهان كل فضيلة	وأباح حرمة كل دينُ
فأنذرهُ بالشرِّ العظيمُ	م وتلك عُقبى الظالمينُ
واتركهُ للتاريخ	فالتاريخ خير الحاكمين

حجة، سجن نافع: ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م

[من قصيدة طويلة قيلت في معتقل «نافع» بعد فشل ثورة «الدستور» واعتقال واستشهاد علمائها وأحرارها وكان معظمهم من السادة و«الزبود»، وكانت نعرات «القحطانية» والتعصب العنصري قد بدأ ينث سمومها بعض السجناء، وذلك سنة ١٩٤٩م/١٣٦٨هـ، وقد ضاعت ولم يبق منها غير هذه الأبيات]:

خلّوا التغابن والتحامل والمِرى؛	إن المبادئ لا تُباع وتُشترى؛
نحن الأولى أسماؤهم خَلَدَتْ بلا	تاجٍ، ولا قصرٍ، ولا قَبْرِ يُرى،
أشلائهم نهب الطيور، ونعم ما	تُغذى الذئاب به، وآساد الشرى،
وسلِ «الوصي» ونجله وحفيده	واسأل أخاه بيوم «موتة» «جعفرا»،

* * *

نحن الأولى لله نثار إن عتا	عاتٍ، ونزجر من طفى، وتجبّرا،
و«الأمر بالمعروف» مبدؤنا الذي	لا نستطيع به نُعايش منكرًا؛
و«العدل والتوحيد» رايتنا التي	«عمّار» كفّنا بها و«الأشترا»؛

* * *

نرضى بما يجري إذا لم نستطع	دفعًا، ولا نأسى لشيءٍ قد جرى
ونُصابِر الأقدار لا نشكولها	شرًّا؛ ونشكر كلَّ خيرٍ قُدّرَا
ولنا الوفاء شريعةٌ إن لم يكن	طبعًا قد اصطنع الإله وصورًا.
ونُعِينُ من عثرتْ به أخطاؤه	إن جاء يتهج السبيلَ الأنورا
ونصون ما صان الكتابُ، ونقتفي	سنن الرسول «محمد» خير الورى

وإذا دُعِينَا لِلْكَرِيهَةِ لَمْ نَكُنْ
 وإذا ابْتُلِينَا بِالْكَوَارِثِ لَمْ تَزُغْ
 وإذا انْتَخَيْنَا: هَلْ يُسَاجِلُ مُدَّعٍ
 والْمُتَّقِينَ؛ وَلَا نَعَزُّ بِجَاهِلٍ
 أَوْلَى الْوَرَى بِمُحَمَّدٍ مِنْ سَارِ سِيرَتِهِ، وَعَاشَ بِهَا صَدُوقًا خَيْرًا
 وَأَحَبُّ فِي اللَّهِ الْأَنَامَ تَسَامَحًا
 لَا مِنْ يَفَاخِرُ بِالْمَقَابِرِ: «تَبَعَ»
 أَوْ مِنْ تَرَاهُ إِذَا ذَكَرْنَا «أَحْمَدًا»
 مِمَّنْ تَقَاعَسَ أَوْ وَهَى وَتَقَهَّقَرَا
 مِنْهَا الْقُلُوبُ تَثَبَّتَا وَتَصَبَّرَا.
 لِلْفَضْلِ «يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ» وَ«حِيدَرَا»؟؟
 مِنْهَا؛ وَمَنْ ظَلَمَ الْوَرَى وَتَجَبَّرَا..
 وَتَحَنَّنَّا، وَبِمَا يَدِينُ مَبْشَرَا
 أَوْ «هَاشِمٍ» أَوْ مِنْ يَقْدُسُ «جَمِيرَا»!
 نَسِيَ الْإِلَّاهَ وَصَارَ يَحْمَدُ «يُعْفِرَا»!

سجن نافع: ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م

[كان الشاعر ضمن من سيقوا سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، إلى سجن نافع بحجة، وفي شعبان سنة ١٣٦٨هـ أرسل هذه القصيدة إلى الإمام أحمد مستعظماً]:

كيف السلو وأنتَ عانٍ موثقٌ	وحشاك ملتهب، وقلبك محرقٌ
في مستقرِّ الهمِّ نفسك قد ثوثٌ	وبأسهم الآلام جسمك يُرشقٌ
وكلا كل الأحزان قد جثمت على	فكرٍ تدفُّ به، وطرف يرمقُ
ونوازل الأيام أوهتْ مقولاً	لك، فاغتندي متجلجلاً لا ينطقُ
لم يبق منك الدهرُ إلا زفرةٌ	أو حسرةٌ، أو دمعة تترقرقُ
ورجاء مبتهل يؤمل فرجةً	ممن إليه في الشدائد نفرقُ
الكاشف الظلمات وهي كثيفة	والخائض الغمرات إذ تتدفقُ
والمنقذ الهلكى إذا ما أبلسوا	وتمزقت آمالهم وتمزقوا
والهازم الأبطال في ساح الوغى	والموت يخطر والمصائب تحدقُ
والمنصف المظلوم إن عبث به	يدُ ظالم أو نابيه ما يرهقُ

* * *

يا «ناصر الدين الحنيف» ترفقاً	فلقد أضرب بي البلاء المطبقُ
إني لأعتنق الخطوب؛ وفي فمي	من اسمك المحبوب نور مشرقُ
أشدو به فتھون كل مصيبةٍ	ويطأطئ الخطب الأصمَّ ويطرقُ
وتكاد تنحطم القيود مهابةً	وأكاد حرّاً من قيودي أطلقُ
علمًا بأنك ذلك الملك الذي	يوسي جراح المدنفين ويشفقُ

للفظائين، وكوثر لا يرنقُ
كالنور خالدة السنا تتألقُ
تقف القرائح خشعاً لا تنطقُ
وتطيح مقدرة البيان وتصعقُ
تهفو الأماني حوله وتحلقُ
كالشمس تسطع في الشعور وتونقُ
مستحكم، متجدد، لا يخلقُ
يستشعر المعنى البليغ المفلقُ
جبارة وعزيمة لا تُمحقُ

* * *

إلاً منى قلبٍ بحبك يخفقُ
فشعوره بيد الأسي متفرقُ
فيكاد يشهق بالكلام ويصعقُ
فيكاد يُخنقُ بالدموع ويشرقُ
في حلقه نفس يذوبُ ويخفقُ
صمُّ الحجارة رحمةً تتشققُ
منصور من غاياته لا تسبقُ

* * *

إلاً ابنك الفذ الغيور المشفقُ
ومنى النفوس و (بدرها) المتألق
أملأ، ونجلك بالشفاعة أليقُ

* * *

أفضي إليك بها الفؤاد المرهقُ

وبأن قلبك للحنان شريعة
وبأنك الملك الذي حسناته
جاوزت في العلياء حدًا عنده
تفنى البلاغة في لسان عميدها
ولأنت معنى في النفوس مقدس
ولأنت في حرم القلوب حقيقة
ولأنت في الأفكار معنى قائم
تستشعر الأرواح هيئته كما
وكانما هو في القلوب إرادة

مولاي: ما لي في البيان وسيلة
وشعور مسجونٍ توزعه الأسي
وحنين محزون وهت كلماته
ودموع مَفؤود تفرح جفنه
وهموم مؤؤود بقية روحه
ورجاء مكدود تكاد لحاله
من سجن «نافع» يستغيث «بأحمد» الـ

مولاي: ما لي من شفيع يرتجى
ركن البلاد. وملتقى آمالها
فبه ألوذ ولا أريغ بغيره

مولاي: تلك ضراعة مقروحة

وبكل سطر زفرة تتحرقُ
إلا رضاك... وليتني أتوفقُ
فسيطمئن المجرم المتملقُ
من الفتى وهو المغيظ المحنقُ
بل أنت تاج للخلافة يونقُ
بهما تفوز إذا تضايقُ مخنقُ
وكأنما هو في الضمائر موثقُ
والدهر عبدٌ، والإله موفقُ

في كل حرفٍ دمعة مهراقةُ
أودعتها شكواي لا أرجو بها
ولئن قضيت ولم أنل ما أبتغي
(ماذا يضرك لو مننت وربما
ولأنت قلب للعروبة نابضُ
لك في القلوب محبة ومهابةُ
وكان حبك في النفوس عقيدةُ
فاسلم، ودم، واصفح، وسد متفضلاً

حجة، سجن نافع: ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م

٦٥ - رُبَاعِيَّات [١]

يا عابد المال لقد أَقْصَرْتُ نفسك عن شأو الأبيِّ الهمام
المال لا يَبْقَى، ولذاته تَفْنَى، ويبقى وزره والآثام

* * *

من غرَّه الدَّهر ولم يعتبر بما جرى في الكون منذ القِدَم
ضاعَتْ لِياليه وأيامه سدى، ولم يُحَظَّ بغير الندم

* * *

كنت طليق الجسم لكنني كنت سجيناً في خطيئاتي
واليوم في السُّجن على أنني بالروح في أفق السماوات

* * *

ومن يتَّه في ظلمات الخيال في الشعر، والحب، وشرب المدام
يُفِقُّ مع الصبح بوادي الزوال فريسة البؤس ومشوى السقام

* * *

أغرمتُ بالأداب والفلسفة مفتشاً عن خير ما في الحياة
فلم أجد للخير إلَّا الصفة يصوغها العقل وتهذي الشفاه

* * *

المثلُ العُلْيَا التي حولَهَا حام رجال الدين والفلسفة
محبَّةُ الحقِّ، ونبذ الهوى والعدل، والرحمة، والمعرفة

* * *

إن شئت أن تحيا سعيداً فلا تطلق لسلطان هواك الزمام
وراقب الله ودع كل ما يفضي إلى مقتك بين الأنام

* * *

من طوى كشحه عن الشهوات ولوى رأسه عن المنكرات
عاش في جنة الضمير سعيداً ساخراً بالخطوب والأزمات

* * *

جاهد النفس فهي أعدى عدو يتحدأك بكرة وعشيأ
لا تغنها بالشك، والهم، والأط ماع، وانهج بها الصراط السويأ

* * *

الإمام الذي يقود إلى الخ ير ويهدي إلى الصراط القويم
هو عقل مجرب يستمد الن ور من فطرة الشعور الكريم

* * *

أنا بين القيود راض سعيد ليقيني بعدل رب السماء
رحمة الله قد أفاضت على قل بي نورأ محا ظلام الشقاء

حجة: ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م

٦٦ — إِمَامُ الطِّغَامِ

كم مرَّ عامٌ، وجاء عامٌ
ونحن في أرضنا نُضامُ
«شريعة» الظلم في حمانا
«قُضائها» السادة الكرامُ
العلم في عرفهم ضلال
والنور في دينهم ظلامُ:
«إِماننا» كان «مصطفانا»
واليوم . . يختاره «الطِّغامُ»!

حجة، سجن نافع: ٢٩ صفر ١٣٦٩هـ
٩ ديسمبر ١٩٤٩م

وَهَجَّتْ كَامِنَ آلامِي وَأَحْزَانِي
وَكَادَ يَقْفُزُ مِنْ أَحْدَاقِ أَجْفَانِي
لِذَابِ فِيكَ وَخِلَانِي وَجِثْمَانِي
وَمَهْجَتِي، وَصَبَابَاتِي، وَوَجْدَانِي
لِذَاتِ قَلْبِي الْمَعْنَى الْمَغْرَمِ الْعَانِي
لِلْوَجْدِ، بَلْ طَفَحَتْ نَفْسِي بِأَشْجَانِي
خَدَّيْ، كَأَنَّ جَفُونِي جَوْفَ بَرْكَانِ
كَأَنِّي خَاطِرٌ فِي رَأْسِ نَشْوَانِ
بَاقٍ وَلَا أَنَا مَوْجُودٌ وَلَا فَانِي

أَثَرْتُ يَا صُورَةَ الْمَحْبُوبِ أَشْجَانِي
رَأَاكَ طَرْفِي فَهَبَ الْقَلْبَ مُضْطَرِبًا
وَلَوْ تَمَكَّنَ قَلْبِي مِنْ مَفَارِقَتِي
تَمَثَّلْتُ فِيكَ آمَالِي وَعَاطِفَتِي
كَأَنَّمَا أَنْتِ حَدٌّ عِنْدَهُ وَقَفْتُ
لَمَّا رَأَيْتُكَ لَمْ أَشْطَعْ مُصَابِرَةً
وَأَسْبَلَ الطَّرْفَ دَمْعًا كَالرِّصَاصِ عَلَى
وَتَهَتْ فِي عَالَمِ ضَلَّتْ مَسَالِكُهُ
هَنَّاكَ دَلَّهْنِي شَوْقِي؛ فَلَا خَلْدِي

حجة، سجن نافع: ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م

٦٨ - رُبَاعِيَات [٢]

[نظم الشاعر وهو نزيل سجن حجة ما بين سنتي ١٣٦٧هـ و ١٣٧١هـ/ ١٩٤٨ - ١٩٥٢م مئاة «الرُبَاعِيَات»؛ لكن معظمها ضاع ولم يبقَ غير ما سبق نشره في ديوانه «النفس الأول» وما لا يزال بين «الموؤدات»، ومنها]:

أنا لا أشتكي قساوة دهرٍ قد رماني بكل رزءٍ شديدٍ
إنَّ ما ليس منه بدُّ سيأتي رغم خوفي، وعدتي، وعديدي.

* * *

لا تلمني إذا انعزلتُ عن الناس؛ فإنني أدرى بطرق نجاتي
في حنايا نفسي وجدتُ الذي أنشده في الوجود والكائنات.

* * *

لو رأيتَ الذي أراه لدارت بك دنياك واعترتك الشكوكُ
قد تساوى الجميع عندي فالناس سواء؛ أوباشهم والملوكُ؟

* * *

يا أيُّها الباكي لإلام البُكى أقصر؛ فما في الخلق من راحمٍ
كم قبل شكواك بثيسٍ شكا فصُمَّ عنه مسمَعُ العالمِ؟

٦٩ — لولا المروءة...

لم يبق إلا الإفك والآثامُ
نهبًا؛ وكان شعارها الإسلامُ
صعد المنابرَ وارثٌ وغلَامُ
وابن الطريد خليفة وإمامُ

لولا المروءة قلت قد مات الهدى
هي فترة.. قد صيح في حجراتها
لما قضى من أخلصوا لشعارها
فإذا الشريعة لا صراط لحكمها؛

قاهرة حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٧٠ - تَحِيَّةُ سَجِينِ

[عند قدوم الأخ إبراهيم بن علي الوزير إلى القاهرة حجة، سجيناً:]

أشكر الدهرَ رغمَ الهمِّ والألمِ وهل يليقُ بمثلي أن أسرَّ بما
وهل أبشُّ بقلبٍ غيرِ مبتسمٍ قد كنتُ أحسبه ضرباً من الألمِ
وما جزاءُ وصالٍ حُفٍّ موردهُ بالشوكِ إلا بكاءً غيرِ منقصمِ
لكنه الدهرُ قد جَمَّتْ غرائبه حتى قنعنا من الموجودِ بالعدمِ

* * *

لَمَّا طَلَعَتْ علينا أشرقَتْ مهجُ كَانَتْ تَخْبِطُ في بيدٍ من الظلمِ
وعانقتُ أملاً كم طاف مزدهراً كالضوءِ أو كغُروس الطيفِ في الحلمِ
وأذْكَرْتُ عهدَها الماضي فأيقظها إلى الحياة حياةَ المجدِ والكرمِ
تجسَّمتُ فيك آمالٌ تهيم بها قلوبنا، يا ابن خير الناس كلِّهمِ
فرفرفتُ حولك الأرواحُ وانتعشتُ بك الأمانِي ودبَّ البرءُ في السقمِ

* * *

يا كعبةَ المجدِ أنى للقريض بأن يفضي بوْدِي ووْدِي غيرِ منكتمِ
وليس ذاك لما أرجوه من نَشَبٍ كلا؛ ولكن لما أَرعاه من ذِمِّمِ
إنَّ الوفاءَ لعَهْدٍ لا يُضَيِّعُهُ إلا لثيْمٌ؛ وليس اللؤمُ من شِيَمِي

سجن القاهرة حجة: ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م

٧١ - عَرُوسُ تُزَفُّ إِلَى قَبْرِهَا

[عزى بها السيد إبراهيم بن علي الوزير في أخيه التي ماتت بالحديدة
سنة ١٩٥١م وهي في ميعه الصبا، وكان زميلاً للشاعر في «حجة»
وأخاً عظيماً وصديقاً حميماً]:

هو الموتُ تريقاً داءِ الحياةِ	وبلَّسُمُ آلامها الموجعاتِ
وراحةٌ من لم يجد راحةً	بدنيا المآثم والموبقاتِ
وماوى شريدٍ تهاوت به	أكفُ المآسى بييدِ الشتاتِ
هو الموتُ كأسٌ أُذِيبَتْ بِهِ	شكاوى قلوبِ المنى الضَّائعاتِ
إذا ظمىء الروح لم يشفه	سوى راح لذاتها الخالداً
هو الموتُ غاية كل امرئ	وإن غشَّه الدهر بالمغرياتِ
وغالطه ظنه واقتفى	به إثر أوهامه الكاذباتِ
وما المرء إلا خيال الفنا	تجسَّم موعظةً للحياةِ
يعيش بآماله ذرةً	ويُطوى بها رمةً في فلاةِ
وينفذ أيامه غافلاً	عن السرِّ مستغرقاً في السُّباتِ

* * *

عزاءً فتى الصبر؛ ما للأسى	سبيلٌ إلى خافق ذي ثباتِ
عزاءً؛ وإن كان ما قد جرى	من الدهر يفري ذراً الشامخاتِ
لقد خطفَ الموتُ ياقوتةً	زهت كنجوم السما السَّاطعاتِ
غذتها السماء بقدس السَّنا	فعاشت مطهرةً كالصَّلاةِ
وطافت على الأرض مثل الشد	عَاق أو كطيور المنى الحائماتِ

على زهرات الهوى الزاكيات
 لم يشفي أسى المهج الثاكلات
 لم تصغ قسوته للشكات
 مشوباً بأدمعها الذائبات
 بأوهاق أناتها الموثقات
 تُصَلِّي وتدعو عظيم الهبات
 بكلِّ بلاءٍ على الجسم عاتي
 يجرّعها غُصص الموجهات
 وأذهب آلامها بالممات
 ومنه إلى غُرفِ القانتات

* * *

تنوء بأعبائها المرهقات
 وما قد مضى من زمانٍ كآتي
 بعزم الأسود وصبر الأباة
 ولا تبك للنوب القاسيات
 طواه الفنا في دياجي الفوات
 وللصبر، والمجد والمكرمات

* * *

قلوباً مقرحة داميات
 ولا من دواء؛ ولا من أساة
 ضريحٍ غريب شهيد الرُفات
 سناها يفوق سنا النيرات

ورَفَّتْ بِأَفَاقِهَا كَالشُّذَى
 ومَرَّتْ مَرُورَ النَّسِيمِ الْعَلِيِّ
 فَمَا كَانَ أَقْسَى فَوَادِ السَّقَامِ
 ولم يرحم الدَّمْعَ يَجْرِي دَمًّا
 ولا نَفْسًا خَافَتًا مَثْقَلًا
 ولا مَهْجًا وَقَفَتْ حَوْلَهَا
 ولكن دَهَاها - وتَبَّأَ له -
 فَظَلَّتْ، وظلَّ بها عَالِقًا
 إلى أن شفى الله أدواءها
 فَزُفَتْ عَرُوسًا إِلَى قَبْرِهَا

وَلَمُوتُ أَجْمَلُ مِنْ عَيْشَةٍ
 وما المرء فيه سريع الفنا
 فَفَقِفْ ثَابِتًا رَغْمَ أَنْفِ التَّوَى
 ولا تأسَ لِلخُطْبِ مَهْمًا قَسَا
 وهل يَنْفَعُ الْحُزْنَ فِي رَدِّ مَا
 وكن مثلاً كاملاً لِلتَّقَى

فيا ربَّ آسِ بِرُوحِ الرُّضَا
 تَذُوبَ حَشَاشَاتِهَا بِالْأَسَى
 ويا رحمة الله جودي على
 يَضُمُّ دُجَى لَيْلِهِ دُرَّةً

قاهرة حجة: ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م

٧٢ — دُمُوع الصَّدَاقَةِ

[في ذكرى الشهيد زيد الموشكي الثالثة]:

وإِلَامَ يَبْقَى غَارِقًا فِي نَحْبِهِ؟
عَامَانٍ، وَهُوَ مَقْبِذٌ فِي خُطْبِهِ
كَلَا، وَمَا إِنْ كَفَكَفَتْ مِنْ غَرْبِهِ
تَهْمِي، وَمَهْجَتُهُ تَذُوبٌ بِجَنْبِهِ
نَدْمَانٌ يُفْجَعُ فِي أَعْزَةِ صَحْبِهِ

مَا بِأَلِهِ لَمَّا يَفْتَقُ مِنْ كَرْبِهِ
قَدْ مَرَّ عَامٌ، ثُمَّ صُرِمَ بَعْدَهُ
لَمْ تَخْمِدِ الْأَيَّامُ جَذْوَةَ حَزْنِهِ
أَبَدًا يَقْلُبُ كَفَّهُ، وَدُمُوعَهُ
يَا بؤْسَ قَلْبٍ فِي ضُلُوعِي لَمْ يَزَلْ

* * *

عَنْ كُلِّ مَا يُرْجَى، وَمَا يُعْنَى بِهِ
فِي السَّجْنِ خَلْفَنِي وَلَاذَ بَرِّهِ
إِلَّا وَضَقْتُ بِبَعْدِهِ وَبِقُرْبِهِ
الْقَاسِي، وَأَوْنَةً أَغْصُ بِعَتْبِهِ
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَزْدَرِي فِي قَلْبِهِ
وَانْدُبْ إِذَا مَا شِئْتَ سَالِفَ حَبِّهِ
وَسَعَادَةً، مَا إِنْ لَهَا مِنْ مُشْبِهِ
وَيُلَطَّفُ الْمَكْرُوبُ ثَوْرَةَ كَرْبِهِ
يَرْجُوكَ عَوْنًا فَاسْتَعَدَّ وَلَبَّهِ

أَسْفِي عَلَى مَنْ كَانَ لِي فِيهِ الْغِنَى
سَاطِلُ أَبْكِي ذَلِكَ الْمَلِكَ الَّذِي
يَا «زَيْد» مَا صَاحِبْتُ بَعْدَكَ صَاحِبًا
حِينًا يَجْرُعُنِي السُّمُومُ بِعَذْلِهِ
وَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الصُّدِيقِ زَرَايَةَ
فَاجْمَعْ ذِيُولَكَ وَانصَرَفْ مُتَسَلِّلًا
إِنَّ الصَّدَاقَةَ نِعْمَةً قَدْسِيَّةً
يُطْفِي بِهَا الْمَحْزُونُ لَوْعَةَ حَزْنِهِ
فَإِذَا دَعَاكَ إِلَى الْكِرِيهَةِ صَاحِبٌ

* * *

أَعْمَى، قَدْ انْطَفَأَتْ مَشَاعِلُ شَهْبِهِ

إِنْ أُنْسَ لَا أُنْسَى وَقُوفَكَ وَالِدَجِي

ما انبث من كيدِ العدو ورعبه
يُجدِ الدليل، ولا فطانة ركبهِ
ووثقت بالحامي الأمين وذُبِّهِ
كلا ولم نخضع لصولة خطبهِ
ونعلٌ من وهم الخيال، وريبهِ
كالتبر، صفى من حثالة تُربهِ

* * *

كالطفل قد طارت فراشةً لبهِ
بال يغصُّ بأكلهِ وبشربهِ
عنه وغال اليأس حكمة طبهِ
منه الحياة، وأشتفى من عذبهِ
طير تخلف موثقاً عن سربهِ!
شكراء تكشف ما اختفى من حجبه
واه يضيق به الفضاء برُحبه

* * *

لا يغتذي إلا فريسةً كسبه
وابتزَّ جد زمانه من لعبهِ
مهما غلّوا في ثلبه أوسبهِ
من وصمة الطبع اللثيم وعيبهِ
وجميل مشهده كحرمة غيبهِ
أصغى إليك بسمعه وبقلبه
كلا، ولا ثلب الورى من دأبه
وبمالها وجمالها، لم تُصبهِ

حيران تَسْقري السبيل؛ محاذراً
حتى إذا التبست معالمها ولم
نامت جفونك تحت لحظي آمناً
عصف الزمان بنا فلم ندعن له،
نقتات بالآمال في بيد الشقا
والحرّ تَصْهره الخطوبُ فيثنيني

أو أنس؛ لا أنسى وقوفك ذاهلاً
وأنا طريح في الفراش كهيكل
نكرته زمرةً صحبه، وتفرقت
لم يبق لي إلا حنانك؛ أستقي
أواه كم يبكي، وكم يشكو النوى
يرنو إلى الأفق البعيد بمقلة
قد أثختته جراحه، فجنّاحه

قالوا جريء قلت وصف غضنفر
ذاق الحقيقة حلّوها ومريرها
لن يُنقصوا من قدره بجحودهم
نعم الصديق الألمعي مُبرراً
حلّو الفكاهة بشره في وجهه
لبق خفيف الروح إن حدثته
ليس الخيانة من وسائل عيشه
وإذا تَصَبّته الحياة بجاهها

ثَبَّتَ الْعَزِيمَةَ رَأْيَهُ كَفَرْنِدِهِ
يَسْتَقْبِلُ الْخَطْبَ الْأَصَمَّ بِهِمَّةَ
وَلَرُبُّ مُفْتُونٍ إِذَا فَاخَرْتُهُ
وَالْدَهْرُ لَا يَلْقَى الْغَيْبَ بِسَلْمِهِ
مَاضٍ وَمَقُولُهُ الْبَلِيغُ كَعْضِبِهِ
جَبَّارَةٌ لَا تَسْتَكِينُ لِصَعْبِهِ
لَمْ يَفْتَخِرْ إِلَّا بِكَاذِبِ عَجْبِهِ
إِلَّا لِيَبْتَلِيَ الْهُمَامَ بِحَرْبِهِ

* * *

رُبَّاهُ فَاحْفَظْ لِي بَقِيَّةَ خَافِقِ
فِي زَمْرَةٍ أَضْفَى مَوَدَّتَهُ لَهُمْ
وَأَخٍ وَرَاءَ الْبَحْرِ مَا اكْتَحَلَتْ بِهِ
حُلْمٌ يَطُوفُ بِخَاطِرِي، وَعُغْلَالَةٌ
مَا زَالَتْ فِي يَدِ الْحَيَاةِ مُشَرَّدًا
يَا لَيْتَ شَعْرِي أَيْنَ يُلْقَى رَحْلُهُ؟
وَمَتَى يُوَافِينَا الزَّمَانُ بِبِشْرِهِ؟
قَدْ ذَابَ مَعْظَمُهُ بِلَوْعَةِ حَبِّهِ
هَمٌّ فِي الْمَجَالِ الضَّنْكِ خَيْرٌ صَحْبِهِ
عَيْنَايَ إِلَّا مِنْ ثَنَائِيَا كُتْبِهِ
أَبْكِي بِهَِا زَمْنًا وَثِقْتُ بِكَذْبِهِ
هَيْمَانٌ فِي شَرْقِ الْوُجُودِ وَغَرْبِهِ
وَمَتَى؟ . . . وَكَيْفَ أَذُوقُ مِنْهَلٍ قَرْبِهِ؟
وَمَتَى يُكْفِّرُ دَهْرُنَا عَنْ ذَنْبِهِ؟

سجن حجة: ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م

مسكين ذاب هوى وذاب صباية
في حُبٍّ من لا يستجيب لصوته
الباكي ولا يحنو عليه، ولا يرقُّ
لذائب الدمع السَّخين.

* * *

في الحُبِّ ضيَّعَ عُمُرَه
يجري وراء فراشة الحُلُمِ الغريرِ
ثم استفاق على فحيح اليأس
وهو بهوة البلوى سجين

* * *

مسكين؛ غرته الأمانى . . فارتضى
في بحرها الطامي العميق
فهوى غريقاً في قرارته
يغصُّ بلوعة الألم الدفين

* * *

بالأمس حُلِّقَ في سماء الحُبِّ
طيراً، شادياً، غرداً
يردّد أقدس الألحان شعراً

يغمر الأرواح بالسحر المبين

* * *

واليوم ؛ ها هو في مهبِّ الريح
مضطرب الجناح ؛ يطيح في
لجج العواصفِ موثق الأنغام
مجروح الأنين

* * *

مسكين ، كان بحبه ؛ مَلَكًا
يرفرف في جنان البشر قدسيّ الضمير
يجثو على أعتاب أسرهِ
حسير الطرف حانٍ للجبين

* * *

واليوم . . أصبح في صحارى الهَمِّ
يخبط خائبًا . . تاهت أمانيه
وشردَّ ذلك الأمل الحبيب
وبات مطرودًا مهين

* * *

مسكين ؛ أين يَفِرُّ من آلامه ؟
أيموتُ هُمًّا ؟
آه لو يَسْطِيعُ أن ينسى الهوى
ويعيش حُرًّا
بالمحبة لا يدين

سجن القاهرة حجة : ٤ جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ

١٢ مارس ١٩٥١م

لا قد رجعتُ إلى الصواب
وتلك غضبة نائِرٍ
نَزَقَتْ عواطفه فهاجت ثورةً
عمياء طائشة كَبُرَكان غضوبُ

* * *

يا ويحَهَا
لم ترع حرمةَ ذلك الحُبِّ الطهورِ
فطَغَتْ، وأذتْ قدس حرمة
وعاثت بالمشاعر والقلوبُ

* * *

يا للجنون .. أأحمقُ أنا .. ؟
كيف طارَ بي الخيال .. ؟
الجامح المجنون .. بل كيف استفزَّ خواطري
وطغى بي الوهم الكذوبُ

* * *

يا للجهالة .. في مجالٍ مظلمٍ
أرسلت أفكارِي وهمتُ وراءها
أعدو .. ولا أدري المصير
وهل بما أهوى أأوب؟

* * *

رحماك
وارِ خطيئتي
بحنانك الفياض
واقبل توبتي
وارحم فؤادًا في الجحيم
يَعْبُ من ندم الذُّنُوبِ

* * *

رحماك . . فاغفر زلةً
للحُبِّ، وارحم أَبَقًا
قد آب مرتعش الضمير
ندامةً يبكي
ومهجته بلوعتها تذوبُ

* * *

رحماك . . . يا من في دمي
يجري هواه
رحماك . . . يا من في فمي
يهفو صداه
رحماك . . . يا من جبه
خمرُ الذُّبرُوجِها
وأعْبُ نشوتها البليغة
في الشروق وفي الغروبُ

حجة : ٩ جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ

١٧ مارس ١٩٥١م

[قيلت في العدد الأول من مجلة «الندوة الأدبية»، وكان يتناقلها في
سجن حجة خطوطة جمهرة من أدباء اليمن سنة
١٣٧٠هـ/١٩٥١م]:

عن جلال الدُّجى، ووحى النجومِ	وجمال السما وروح النسيمِ
قمتُ أستلهم القصيد كأنى	راهبٌ يجتلي خيال النعيمِ
وكان الظلام روح حزينٌ	يشتكي قسوة العذاب الأليمِ
والدجى خافض الجناحين يصغي	لنشيد الأسى، ولحن الهمومِ
وكان النجوم آمال حُبِّ	تتشظى في قلب صبِّ سقيمِ

* * *

هو صوتٌ أودعته شجو قلب	موجع الحسّ مشخّن بالكلامِ
غمر الكون رهبةً وجلالاً	واقشعرتُ منه عذارى النجومِ
شق صدر الدجى وأوغل فيه	وسرى في عروقه كالحميمِ
وتحرى هياكل الفن يذري	عندها دمع حُبّه المحرومِ

* * *

هو صوتٌ بعثته من وراء الـ	ليل وسط الظلام تحت التخومِ
صعدته نفسٌ تجرعت الهمَّ	كؤوساً مشوبةً بالسومِ
طاف في عالم السموات كالبر	ق ودوى في أفقها كالهزيمِ
مفضياً عن شعور كل حزينٍ	ناطقاً عن ضمير كل كظيمِ

عن وجوم الأسى، عن الليل، عن
باركتها السماء والأرض من صف
صفحة للآداب شئت كمصبا
نظمت قادة الهدى والمعالي
يا حماة البيان في «اليمن الخضرا
فاندبوا الشعب للفضيلة حتى
واخلقوا للعلياء جيلاً جديداً
لا يبالي أخاض بحر دماء
ثم شيدوا على القديم جديداً
ليس سحر الجديد يُنسي الألبا
ذكريات الماضي ألدُّ على النفس

* * *

تكل الوحيدات، عن دموع اليتيم
حة حق دعت لنهج قويم
ح منير في جناح ليل بهيم
ورجال المنشور والمنظوم
«أنتم هداية للحلوم
يرتقي قمة الفخار الصميم
«بابلي القوى» شديد الشكيم
للمعالي، أم جاز روض نعيم
من فنون، وحكمة، وعلوم
«- وهيات - عن جلال القديم
س وأشهى من أغنيات النديم

يا حماة النهي سلام محب
حبكم في ضميره عهد إيمان
أنا لا أستطيع وصفاً لامالي
حسب مثلي إشارة، وقليل الـ

* * *

مخلص ما وداده بسقيم
وبر ومبدأ مستقيم
ولو كنت «مالك بن حريم»
قول مغنٍ لكل ندب حليم

قد وهبتُ الخطار قلبي وأسد
العلا والقريض والحب والإخ
لم أفد من تجارب الدهر إلا
وبأن الثبات أوفى صديق
والأسى بش طابع يطبع النفس
وابتسام الإيمان في ساعة المو

لمت قيادي لكل أمر جسيم
للاص للحق في الحياة همومي
أن يأس الإنسان أدهى الخصوم
وبأن الإيمان خير حميم
س على المقب والشعور الذميم
ت وسام يجزاه كل عظيم

وإذا استحكمت عرا الخطب فاصبرُ
وحياة الفتى سجلٌ وما يأ
إن ذرّات جسمه لشهودُ
يوم لا يرتجي السلامة إلّا
وضمير الإنسان محكمة كب
وادرع باليقين والتسليم
تبه يبقى ليومه المعلوم
سوف تفضي بسرّه المكتوم
من أتى ربّه بقلب سليم
رى تجازي عن كل فعلٍ شتيم

* * *

غرّدي يا بلابل الشعر فالأف
واسكبي في مسامع الكون لحن ال
وأذيني سحر الطبيعة أنفا
في رياض الآداب، في جنة العر
كار عطشى لكل صوتٍ رخيم
حُبّ والحق والشعور الكريم
ماء، وطيري بنا وراء السديم
فان والفن، في ظلال النعيم

حجة: ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م

٧٦ - نغمات التّهاني

[فازت بالدرجة الأولى في مسابقة شعرية في ٢٤ ذي الحجة
١٣٧١هـ/١٩٥٢م، أُجريت في سجن حجة بمناسبة زواج القاضي
الأديب الشاعر محمد بن عقيل الإيراني]:

رَقَصَتْ عليها مهجتي وشعوري
يشدو، وماجت كالصدى المسحورِ
يذكي الشذى في روح كل عبيرِ
ينثي سرائر لحنه المهجورِ
وعواطفًا سَكَبَتْ سنا بضميري
أسراب طيرٍ أو عرائس حورِ
في الجوّ مثل الطائر المذعورِ
وتغلّفتُ بالعالم المغمورِ
وتغوصُ في صبح وفي ديجورِ
والشعر والألحان والتصويرِ
بأرق أنغام الهوى المصهورِ
عذراء تحضنها أكفُ النورِ
أو شاهقٍ متوشح بزهورِ
عرفان والإحسان منذ عصورِ
منها بسفح شواهد وقصورِ
إنصات موسى يوم دك الطورِ

نغمات أفراحٍ، ولحن سرورِ
عزفت ولا وترٌ يُجسُّ ولا فمٌ
تسري مع النسمات عطرًا فائراً
وتجوب صمت الليل، صوتًا هائماً
أحسستها نغمًا مذابًا في دمي
ومنى تطير مع الخيال كأنها
حاولت أمسكها بشعري؛ فارتمت
أتبعتها نظري، فغابت وانطوت
ظلتُ مع الأفلاك تسبحُ في الفضاء
تستفهم الأفلاك عن وطن النهى
حيث الهوى العذري يصدق نايه
حيث الطبيعة عادة فتانةُ
ما بين ماءٍ دافقٍ أو غابةٍ
«إريان» مدرسة البيان وكعبة الـ
حتى إذا اهتدت السبيل وحوّمتُ
هطعتُ لها شم الجبال وأنصت

حر أبَيّ ليس بالمأسورِ
خُلِقَتْ وصيغَتْ من سنا وعطورِ
ومحبَّةً في لذةٍ وسرورِ
زهر الهوى المنظوم والمشورِ
زهراء صيغَتْ من مذاب النورِ

* * *

تنبيك عن حبِّي وعن تقديري
ما سرُّ ما فيه من التأثيرِ؟
من أيِّ ما فيضٍ؟ وأيِّ نميرِ؟
تأثيره في الجسم والتفكيرِ؟
بالحبِّ قلب مجرَّبٍ وغريرِ؟
إلا يراع الشاعر المفطورِ
وابعث مفاتن حسنها المظمورِ
واسبح به في بحرها المسجورِ
واشرح جلال جمالها المغمورِ
فرشته كف ربيعہ بحريرِ
صفراء تمرح في مياه غديرِ

* * *

في البشر في الإشراق والديجورِ
في زغردات الناي والشحرورِ
ناجتك نجوى العاشق المحرورِ
جزل البيان موفق التعبيرِ
سيظل رونقه بلا تكديرِ

هبطت تفتش عن فؤاد طاهرٍ
وفؤاد طاهرة الإزارِ كأنما
وهناك ذابت بهجة وسعادةٍ
تترشف الأنداء والأنوار من
وتزف باقات الجبور تهائناً

يا بلبل الوادي السعيد تحيةً
حدث عن السُّحر الحلال وفعله
من أين يستسقي المقيم لحنه
ما الحبُّ؟ ما سرُّ التجاذب؟ ما مدى
ماذا يكون الكون لو لم يتعش
سرُّ الطبيعة لا ييوح بكنهه
فانعش بفنك موميات جمالها
وارسل خيالك في مجالي سحرها
واغمس يراعك في مظاهر فنها
ما بين روضٍ ضاحكٍ بزهوره
والسحب في لجج الأصيل سفائنُ

في البرق، في الرعد المزمجر، في الأسى
في الحقل ترقص كالملاح غصونه
حكمٌ وأسراً إذا استنطقتها
حدث فأنت بها خبير شاعرُ
واهنأ بعرسٍ مثل خلِّقك باسمٍ

وحبوره، ونعيمه الموفور
وينظرة تفضي إلى التدبير
لا عصر تخريف ولا تزوير
جسم الأفاعي ناعم كحرير
إن لم يُصَبَّ من عزمه بفتور
لا خير في شخصٍ بغير ضمير
بفؤاد جبار، وعقل خبير
مستبشر؛ بعلاك جدُّ فخور

وانعم بصفو سعوده وسروره
واستقبل الدنيا بشعر ضاحك
واعلم بأن العصر عصر معارف
لا يخلبُك زخرفٌ من باطلٍ
والحقُّ أقوى ما يصول به الفتى
فانهض به، واسأل ضميرك دائماً
واجعل لنفسك غايةً تسعى لها
واقبل تحية معجبٍ متفائل

قاهرة حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٧٧ — فلسفة الرضا

[أصل المعنى في أوراق الورد]:

كفكف دموعك واصبر لا تمت جزعاً
فالحزن لم يجد محزوناً ولا نفعا
ويا رواجف صدري؛ أي فائدة
تُرجى، وقد صنع المقدور ما صنعاً؟
وإنما حاجتي ألا أكون بما
قد انصدعتُ به — من قبل — منصدعا
وأي معجزة تُسْطِيعُ قدرتها
دفع الذي كان أو منع الذي وقعا

حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

يا شمس؛ يا أم الحياة وداعا
هجم الظلام على الضياء فضاء
وإلى الصباح دعي المصفد في الدجى
يبكي الحياة معذباً ملتاعاً
ويراقب الفجر الكمين بمقلة
حمراء تنفث في الظلام شعاعاً
ويسائل الأفلاك عن أسرارها
من أين تكتسب السُّنا للماعا؟
ومتى؟ وأين قرارها ومراحها؟
طال الطريق؛ ضلالةً وصراعاً!
سأغصّ بالظلماء حتى تشرقي
يا شمس يا أم الحياة وداعاً

حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٧٩ - قوَّة الرُّوح

قوَّة الروح «طاقة ذريَّة»
تتجلَّى فيها القوى الأزليَّة
قبسٌ من شعاعه انبثق الكو
ن ودبَّت في جسمه الحيويَّة
في خلايا جلالها يكمن الما
ضي وتسجوفي سرها الأبدية
قوة الروح سرُّ ما في البرايا
من علوم، وحكمة عبقرية
إنما الكونُ نبض فكر، وإحسا
س شعور، وخفقةٌ روحية

حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٨٠ - العاطفة الخالدة

[من مقالة يصوّر فيها الشاعر زيارة أمه له في سجن حجة]:

ويا لها؛ من ساعةٍ خالدهُ	فيا له من موقفٍ رائع
و «أمّ» تفانّت في ابنها شاردةُ	«ابن» براه الهم في سجنه
بعد ظنون في اللقا جاحدةُ	قدّر أن يجتمعاً لحظةً
وصدقت أوهامها البائدةُ	رأته فارتابت بإحساسها
أفي منامٍ هي أم شاهدةُ	لم تدرك لَمّا أن رأت شخصه
كالطفل، بل كالجثة الهامدةُ	وهو طريحٌ بين أحضانها
على جوى أنفاسها الخامدةُ	تكاد أن تخمد أنفاسه
للحبّ تذكي المهج الهامدةُ	فيا لها من صورة فذة
لمثل «العاطفة الخالدة»	لو يستطيع الفن إبرازها

حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٨١ - منافق يتلو القرآن

ومنافق لا يستجيبُ ضميره
متفيهقٌ بكلامه، متشدّقٌ
وتراه يظهر للورى متبتلاً
لصّ يُصلّي في الظلام وفكره
إلاّ لصوت الإثم والبهتانِ
ببيانه، متعدّد الألوانِ
متعبداً بتلاوة القرآنِ
يصطادُ من حُسن الكرى بأمانِ

* * *

لو جاء عيسى والكليمُ وأحمدُ
يا عابد الطغيان حسبك خِسةٌ
فاترك كلام الله لا تعبت به
لفرائمُ بخناجر العدوانِ
علمي بأنك عابد الطغيانِ
واغرف بيانك من فم الشيطانِ

قاهرة حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

إن كان ربِّي قد براني كي أكون له «خليفة»!
هلاً حباني «الخلد» كي أقوى على عبء الوظيفة؟
ما دمتُ أخشى الموت سوف تُذلُّني فكرٌ سخيْفه
كيف «الخلافَةُ» تستقيم؛ وروح «نائبها» ضعيفة؟

قاهرة حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

٨٣ - المصلي المرائي..!

من يصليّ يدخل «الجنة» من دون انتقاد
هكذا قالوا؛ ولو عاث فساداً في البلاد!
أبعدوا الصادق، والمتقين ذا الرأي السداد
وأباحوا «جنة الله» لأرباب الفساد!

قاهرة حجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

هذَّبُوهُ؛ جَيْلاً نَشِيطًا فَتِيًّا «يَمْنِيًّا» لَا مَارِدًا أَجْنَبِيًّا
حَصَّنُوهُ بِكُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ إِنْ أَرَدْتُمْ لَهُ مَكَانًا عَلِيًّا

* * *

لَا تَظَنُّوا أَنَّ التَّقَدُّمَ أَنْ نُنْكَرَ دِينَنَا، أَوْ عَادَةً، أَوْ نَبِيًّا
أَوْ تَظَنُّوا أَنَّ الْمَعَارِفَ تَقْلِيدُ ذَمِيمٍ يَمِيتُ مَا كَانَ حَيًّا
إِنَّمَا الْعِلْمُ وَالتَّقَدُّمُ أَنْ تَكْسِبَ عَقْلاً حَرًّا، وَخُلُقًا رَاضِيًّا
عَلِّمُوا النِّشَاءَ كُلَّ مَا يَنْفَعُ النِّشَاءَ.. وَسِيرُوا بِهِ الصِّرَاطَ السَّوِيًّا..

* * *

أَهْ مَا لِي أَرَى الشَّبِيبَةَ لَا يَدْرُونَ عَنْ شَعْبِهِمْ وَمَاضِيهِ شَيْئًا
«جُغِرُفُوا» الْكَوْنَ غَيْرَ أَرْضٍ نَمْتُهُمْ وَسَقَتْهُمْ مَاءُ الْحَيَاةِ نَدِيًّا

معتقل القاهرة بحجة: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

[في رثاء السيد العالم الجليل علي بن حسين الشامي رحمه الله، صفر
١٣٧٢هـ/١٩٥٣م]:

لَمَّا هَوَى «بجمال الدين» لاحدُهُ	تزلزل المجد، وانهارت قواعدهُ
قوائم الدين واهتزت معابدهُ	وقطبت قسّمات الخير وارتعشتْ
مُنَى القلوب، وقد فَحَّتْ أساودهُ	وأطبق الهول كالأمواج مفترسًا
بالحزن قد فنيَتْ مِمَّا تكابدهُ	وأيّقظ الرعبُ أرواحًا مخدّرةً
مذعورةً قلقًا ممّا تشاهدهُ	فساقها نحو وادي الموت ذاهلةً
وفنّدت عالمًا طمّت مفاسدهُ	هناك أفضت بشكواها لخالقها
أمواهه، والشقا تطغى روافدهُ	الخيرُ في قفره ضحلٌ مرثّقةٌ
مبيل اللفظ قد طاشت مقاصدهُ	مشى إلى السجن ناعيه ومقولهُ
عن المصاب فأنكتني فوائدهُ	فجئتهُ في ظلام الليل أسأله
لكنّ قلبي فريد الحزن واحدهُ	ما كان سمعي وحيدًا في مصيبتِهِ
بها أقاربه فيها أباعدهُ	تجسّمت لي حياةٌ ظلٌّ مغترّبًا
كأنّما هي أعداء تطاردهُ	تصطك أنفاسه في صدره حممًا
وإن وَهَتْ فهي إمهالٌ يُعاودهُ	حينًا تحيط به كالنار ضاريةً
والطبُّ مضطرب التقدير فاقدهُ	حتى قضى تحت عين الطبِّ مختنقًا

* * *

مهما قسا الخطب فالقلب الكبير له من صبره قوةٌ كبرى تجالدهُ

والرُّوح طاقةٌ خلدٍ سرُّ جوهرها
 يفنى الزَّمان ويَطوى في مقابرِهِ
 في النجم في الصَّخر في الإنسان في . . .
 والموتُ جسر انتقال الرُّوح من ملأ
 والمرءُ من جسمِهِ في قيد رغبتِهِ
 لغز الوجود فلا تُدرى أو أبدُهُ
 ونورها أبدِي اللَّمَح خالدهُ
 نبضات الزَّهر من سِرِّها فيضُ نشاطه
 فان إلى ملأ تبقى محامدُهُ
 يعاندُ الروح فيها أو تعاندهُ

* * *

يا من على البعد؛ لم أجهل محبَّتِهِ
 أبكيك بالشعر محزوناً قد انتحرتُ
 قد لُذْتُ بالدمع أستسقي غمامته
 فلم أجد غير نيران مُسْعِرة
 أنا الذي لم يدع لي الدَّهر من أملٍ
 شعري إذا ما به غناه ناشدُهُ
 أوزانه وقضتُ همًّا قصائدهُ
 والقلبُ ترجف في صدري رواعدُهُ
 يا ويح دمعِي لقد جَفَّت موارِدُهُ
 حيُّ أحنُّ إليه أو أراودُهُ

* * *

كيف السبيل إلى تلك الربوع وفي
 أريد أسكب شعري في منازلها
 أريد أنفض همي في مرابعها
 هناك أبكي «أبا» كانت إرادته
 أخلاقه روضة تزهو نضارتها
 في فتية من بني عمي شعارهم
 أوَاه لم يبق لي ممَّا أُمْتُ به
 وتمتمات قريض في مذابحه
 طريقها الموت قد بُثَّت مصايدهُ
 دمعاً أذوب فيه ما أكابدهُ
 حيث الشباب نما واهتز مائدُهُ
 تصارع الدَّهر إن ثارت شدائدهُ
 وفكره أفقُ تزهو فراقدهُ
 في الرُّوع صبرٌ وإيمانٌ يُساندهُ
 إليهم غير دمعٍ ذاب جامدُهُ
 أحرقت عمري وأناتي مواقدهُ

* * *

يا من قضى نحبهِ؛ والدار نائيةٌ
 ودَّعت دنياك لم تأسف لفرقتها
 والشوق في المَسِي والإصباح رائدُهُ
 فقد سئمت بها مما تشاهدهُ

ماذا سوى دمة في جفن مكتئب
أو أنة ذبلت في صوت ثاكلة
أو بسة صاغها الشيطان ساخرة
غاض الوفا؛ فقلوب الخلق مجدبة
ومات كل جميل من خلائقهم
وأصبح المرء من دنياه في نفق
يا رحمة الله زوري «القبر» وانتشري
أو زفرة لبئس شل ساعده
أو آهة لیتیم مات والدہ
أو نظرة من لثیم خاب قاصده
منه وآثامهم فیها تطارده
والخیر - یا ویلتا - شامت مشاهدہ
الخوف رائده والجبن قائده
علیه مزنه رضوان تعاوده

حجة، سجن القاهرة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

[عندما هبت «الثورة» المصرية التي أطاحت بالملك فاروق، كان
«الشاعر» زملاؤه — وفي طلبعتهم «عبد الرحمن الإرياني» —
لا يزالون في مُعتقل «حجّة»، فقال يجيئها ضِمنَ قصائد أخرى لم تنشر
حتى الآن]:

أيُّ صوتٍ! دَوَّى فهزَّ الوجودا!
وأنابتْ لَهُ العقولُ سجودا!؟
أيُّ صوتٍ!.
تفزَّعتْ خيفةً منه «عروشُ»
وأوشكتْ.. أن تميدا؟
أيُّ صوتٍ! علَّتْ به صرخةُ الحقِّ،
تشقُّ الدُّجَى، وتفري «البِيدا»؟
أيُّ صوتٍ! أصغَتْ إليه «الأمانى»،
تستقي منه «حُلَمَها» المنشودا؟

* * *

هو.. صوتُ الإيمان، والأمل المنشود
قد.. مزَّق الليالي السُّودا،
فجَّرتُه السماءُ «ينبوع» حقٍّ،
سوف يبقى مقدَّسًا مورودا!
هو: لحنُ الخلود يسْجُو لَهُ الكونُ..

وَيَحْسُوهُ مُعْجَبًا . . «مستعيدا»!
وَقَعْتُهُ «أظافر» الغضب العاري
نشيدًا «مقدسًا»، معبودا!
هو صَمْتُ «الشُّعوبِ»
طَالَ بِهِ «الْكَبْتُ»
فدَوَّى في العالمين حقودا!
«زهر» نافع الأريج زكيُّ
هَصَرْتُهُ يَدُ «الغشوم» وقودا،
فَهَوَى
في «دخان» غضبته الكبرى؛
عليه . . «صواعقًا» و «رعودا»!

* * *

أطرقني يا سماء
هذا «انتقامُ الشعبِ»
هَذَا «الأسوار» جاز «الحدودا»!
هَذَا هُوَ «الشَّعر» طيرُ فنٍّ جديدٍ
يعزف اللحن عبقرًا جديدًا!
فانثري في أجوائه بسمات «الوحي»
آسًا، ونرجسًا، وورودا.
وأذيسي في «صوته» خمرة «الخلدِ»
نشيدًا، وبهجةً، وقصيدا؛
واسكبي، في أوتار قيثاره الشادي،
رُقَى السَّحَرِ تَسْتَذِيبُ الحديدَا؛

وأريقي في عطر أنسامه العذرا
شذى الخلد يستفز «الوجودا» :
واصدحي ، وامرحي ، وميدي انتعاشا ،
واعزفي ، وارقصي ، وذوبي نشيدا!
وانشري في «كنانة» الله
أعلام التهاني
وزخرفي الدهر «عيدا»!
فلقد ودّعت «ضحى السبت» في «تمّوز»
من كان «بالحقوق» كنودا .
«ملك» هام في عبادة «جون بول» ،
وأودى في حبّه . . معمودا!
طبعته أطماعه فتوارى
تحتّها، ينفث الأوار المبيدا؛
ويحلّ العُرى ، ويبعث بالدستور ،
والدين ، ساخرًا . . عربيدا
يصطفي من عناكب الشرّ حكّامًا
قُساةً . . وقادةً ، وجنودا!
يَنسجونَ الفنا شبّاكا
ويصطادون من كان مُخلصًا ، أو رشيدا؛
قلّ «لفاروق» . . وهو في لججِ اليَمِّ
شريدٌ . . يروُدُ مأوى شريدا!
كم رشفت الرّحيق من دمع حرّ
ماتَ عن أرضه غريبًا طريدا
كم سمعتَ النواحَ يومًا فلم تأبّه

جنونا، وخلتة تغريدا

* * *

يا «أبنة النيل»؛ كم تذوقت،
في دنياك مرأ؛ وكم جرعت صديدا؛
لم تزل «حية» السياسة تستغويك
مكرًا.. وحيلة.. وجحودا،
سرّحت في ربا ثراك أفاعيها
تبث الفساد سمًا مبيدا
ورمت رجسها على ذلك الطهر،
وأرخت على سنه البرودا؛
وأولو الأمر من بنيك حيارى
يتفانون خشية وجمودا،
يا لها من سمات بؤسٍ وذُلٍّ
كيف أضحي الأحرار - بغيا - عبيدا؟!؟

* * *

لم تزل «مصر» في الظلام تعاني،
وتقاسي الهوان والتهديدا
في عراكٍ مرّ يصارع فيه الحقُّ
نارًا مشبوبة.. وحديدا.
وترى «الأعزل» الشجاع
يلاقي الخصم يختال في السلاح حريدا!
يرشف الموت باسمًا
وهوى الأوطان ينساب نغمة ونشيدا؛

كَلَّمَا هَبَّ مَجْدَهَا يَغْسِلُ الْعَارَ
فِيُقْصِي الْعَدَا . وَيُحْيِي التَّلِيدَا
خَدَّرُوهَا بَعْدَ مَكْرٍ تَلَوَّى
فِي رِقَابِ الْأَحْرَارِ غُلًّا عَتِيدَا ،
كَمَنْتُ شَهْوَةَ الْمَطَامِعِ فِيهِ
تَأْكُلُ الْحَقَّ وَالْمَنَى ، وَالْعَهْدَا
فَهَوْتُ فِي مَغَاوِرِ الظُّلَمِ تَبْكِي
بِدَمِ الْقَلْبِ يَوْمَهَا الْمَشْهُودَا

* * *

إِيه يَا «ثَوْرَةً» أَطَلَّتْ عَلَى الدُّنْيَا
فَكَانَتْ أَشْعَةً ، وَ «وَقُودَا» ! .
أَرْسَلِي . . مِنْ لَهْيِكَ الْحَرَّ لَفْحَا
نَحْوِ «شَعْبٍ» قَدْ عَافَ عَيْشًا زَهِيدًا ،
وَأَبْعَثِيهِ عَلَى الطَّغَاةِ شَوَاطِلَا
جَامِحًا يَجْعَلُ الْجِبَالَ صَعِيدَا !
هَآ هُنَا أُمَّةٌ تَتَنُّ . وَشَعْبٌ ،
يَقْطَعُ الْعَمْرَ ! مُوثِقًا مَصْفُودَا
وَتَبَّتْ «أَمْسُ» نَحْوَ تَنِينِهَا الْجَبَّارِ
تَبْتَرُ حَقَّهَا الْمَجْهُودَا
فَتَمَادِي فِي غِيٍّ فَسَقَتُهُ
كَأْسُ طَغْيَانِهِ ، فَحَزَّ الْوَرِيدَا ،
وَأَفَاقُ «الْأَحْرَارِ» يَقْتُلُونَ الشَّرَّ
مِنْهَا . . وَيَحْطُمُونَ الْقَيُودَا
وَتَغْنُوا بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَ «الدِّسْتُورِ»

شيخاً، ويافعاً، ووليداً!
 وإذا . . بالزوابع السود تستيقظ
 والأفق يكفرُ . . حریداً!
 وإذا «بالفاروق» يزأر نكرًا
 وإذا «بالشريف» يهذي «وعيدا»
 وإذا بالأحرار،
 في لهوات الموتِ
 صرعى يعانقون الحديداً!
 كم «طعينٍ» بخنجر الظلم لاقى
 حتفه طاهر الدماء، شهيدا
 و«سجينٍ» هوى على الترب
 يستفُ المنايا مصفدًا مشدوداً!
 و«شريد» جاب المهامه كالمشدوه
 يبكي سراجَه المفقودا . . !
 و«قتيلٍ» بالسيفِ فارق دنياه
 سعيدًا، واستلَّ منها الخلودا،
 أنقذوا أمةً تلاشت، وأرواحًا
 تفانت، وأوشكت أن تبیدا،
 رحم «الدين» و«العروبة» يؤوينا
 ويدني ما كان منا بعيداً!

* * *

يا حماة الحمى . لقد نشر الله
 عليكم من الجلالِ برودا
 في «فلسطين» قد سفكتم دماء

سَجَلْتُ في «الثرى» لكم تمجيذا
وأعادت ذكرى فروسية «المصري»
إن كُرَّ في الوغى صنيديدا!

* * *

آه لولا «ثعالب» المكر ما كنتم
تركتم في «تلثيب» اليهودا
سحبوا جيشهم وأبقوكم تصلون
نار العدو - جيشاً وحيداً!
و «السلح المغشوش» عانيتموه،
«ساعة الصفرة» رهبةً، وصموداً!
وإذا كانت القيادة عمياء،
فقد قادت الهزائم سوداً!
غلطة؟ أم «خيانة»، أنا لا أعلم،
إلا الوعيد . . والتهديدا!
وتهاويل «قادة» خنقوا في
«ساعة الصفرة» النصر والتأييدا
و «ملك» البلاد يرشف كأساً
نخب لذاته، ويقرع «عوداً»!
و «الوزير» الرهيب يستعبد الأحرار
من قومه فخوراً . . كنوداً!

* * *

وقف الدهر خاشعاً «لنجيب»^(١)،

(١) الرئيس محمد نجيب، قائد ثورة مصر.

وهو يحدو إلى الخلود الأسود،
وينادي «المليك»
أن يخلع «التاج»
وأن يهجر «البلاد» . . طريدا!
قبل أن يحطم الرصاص ضلوفاً
حبست تحتها فؤاداً بليدا!
فاستطار «المليك» ذعراً وأمضى
ذلك «الصك»، واجفاً؛ رعديداً
وعيون الأقدار ترمق كفاً
كان سلطانها رهيباً شديداً
يا لها همة سمت «بنجيب»،
وحبته حُب البلاد أكيدا،
جسّمته إرادة الله للحق،
زعيمًا وقائدًا صنديداً.

* * *

يا «نجيب» الأبطال لا تنسَ خبياً،
كان بالأمس للضلال عميدا
نصبته إرادة «الشرك» للإسلام
«فخاً» . . ليضرع التوحيداً
فتمطى على العقول ظلاماً،
وتعدى على المحارم «سيدا»
وتحدّى إرادة الشعب والدين،
وغلّ النهى، وأدمى الجلودا
وتلوى في أفق «مصر» ضباباً

يغمر السهل والرُّبا، والنجودا
يلعنُ «الشرق» فيه آثامَ «غرب»
أنسَتِ «الشرق» حُلْمه المنشودا!
كان للإنكليز في «مصر» عبداً
ومُرِيداً، وكان ركناً وطيداً،
هو «عبد الهادي» الخوون فمزَّقهُ
فقد مَزَّقَ الكتاب المجيدا،
حسبه وزرُّ قتله «المرشد العام»
شناراً، لا يستمدُّ مزيداً!

* * *

يا راعي .. أضحَ لذكرى «إمام»^(١)
عاش مستبسلاً وماتَ شهيداً!
خنفته كُفُّ الضلالةِ غدراً،
فمضى سافر الجلال حميدا
حول جثمانه، ملائكة الرحمة
تبكي إحسانه المجحودا!
وقلوب «الأيتام» تهفو عليه
حسرةً تندب السَّنا الموءودا
وخطى «الشيخ» ذاهلات
وعيناه تريقان قلبه المفؤودا!
ناظرًا «نعش» ابنه في أكف الظلم

(١) الإمام حسن البنا.

يُدمي مشاعراً وكبوداً
وارتقى فكره على مغبر الآلام
يسمو نحو السماء صعوداً!
حطمتُ خِسة الطواغيتِ سيفاً
كان في مهجة الخنا مغموداً!
وأراقتُ دماً زكياً، وأبلتُ
مقولاً صارماً، ورأياً سديداً
أيُّها الظالمون قد مات عهد الظلمِ،
فاستبدلوا «شعاراً» جديداً
شرعة «القيد» لم تعد ترهب الناس،
ولكن، يُبلونها تفنيداً
و «القوي» الجبار لم يبق ربّاً
مبدئاً في رقيقه ومُعيداً!
والسلالات قد خوت بالمساواة
وأضحى الورى عليها شهوداً
إنَّها حكمة «الشرعة» تأبى
أن ترى «الناس» سيّداً ومسوداً!
فاهبطوا من عروشكم، واسكبوا الماضي
دموعاً، وحسرةً، وسجوداً!
واجرعوا «الذلّ» من كؤوس عصرتُم
خمرها مرّةً . . وموتوا عبيداً!
لكم في «الفاروق» عبرة جانٍ
ضلّ في أمره ضللاً بعيداً
أسلمته «الحظوظ» للملكِ طفلاً،

فاجتني غصنه الرطيب وليدا
وتوالت أيامه ولياليه
«عرايا» يردنه أن يريد! لا
لا يبالي الحياة . . إلا نعيمًا
وسرورًا، ولذةً، وسعودا
و «الجماهير» حوله يتفانون
هتافًا في حبه، وقصيدا!
والألباء يشعلون الدّم الغالي
لهيبًا . . فيحرقون الوجودا
و «الملايين» من بني «الشعب» في
ضنكٍ يُقاسون البؤس والتنكيد!
أيها الفجر، صغ سناك زهورًا
عطرات الشذى، ودرًا نضيدا،
واسكب النور في ثرى مصر عطرا،
ورحيقًا، وبهجةً، وجُدودا!
أيقظ الأعين التي أسبل الليلُ
عليها جلبابه الممدودا
وتبسّم على القلوب التعيساتِ
وبدّد ظلامها . . المعقودا
واهدِ عنا إلى «النجيب» التحياتِ
ولاءٍ محضًا! وعهدًا عهيدا
قل له: أمة «العروبة» حيرى
تقتل العمر . . غفلةً، وجمودا
رعّشت خطوها الخطوب الثقيلات

فَأَحْنَتْ لَهَا جَبِينًا . . وجيدا!

فاشف آلامها

وسدّد خطاها

واخذُ آمالها

رشيدًا . . حميدا!

معتقل قاهرة «حجة»: ١٤ ذي القعدة ١٣٧١هـ

١٤ أغسطس ١٩٥٢م

[مأساة القاضي محمد بن محمد الإيراني الذي مات بداء السل بعد
عذاب طويل، في القاهرة حجة (٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هـ)
أواخر عام ١٩٥٢ م، ونُشرت في «فتاة الجزيرة» بتوقيع مجهول]:

أمل تبدد كالسراب وطوته أحشاء التراب
وتخطفته مخالفُ الظل مات في فجر الشباب
نزعتَه كف الموت وهويئن في حُسن العذاب
والحق يشهد فيه. كيف تمزّق الخير الذئاب؟

* * *

قف يا يراعي خاشعاً في موكب النور الشهيد
وانضخ بدمعك ضوءه المسفوك، كالشفق البديد
وانظم زهور أساك في نغم من الشكوى جديد
كفن به زور الحياة ولؤم سادتها العبيد

* * *

غص في ظلام السّجنِ وانبش قبر تاريخ رهيب
وابعث هياكل قصّة خرساء تجهش بالنعيب
لم يروها قلم ولم يُلهم مصارعها أديب
هي قصة الحقّ الصر يع، ونكبة الحرّ الغريب

* * *

جاءوا به في القيد مظللو	م المشاعر، من (زييد) !..!
والى متالف (نافع)	قذفوه يعتنق الحديد
فهوى وفي شفتيه بسـ	مة مؤمن حر عنيد
وكانما هو زهرة	في كف إعصار مبيد

* * *

كم ليلة قاسى بها	الأهوال، من وخز الجراح
وكان حشو فراشه	نار تؤججها الرياح
والنجم ضلّ طريقه	والليل مخنوق الصباح
والقيد في رجليه يند	هش حرمة الحق المباح

* * *

كم أنة ناجى بها	من سجنه قلب (ال خليفة)
فأهانها وازور عنها	سمع حضرته (الشريفة) !
وتهاكت في ركن سؤ	دده وعزته المنيفة
وتعسف الجبروت لا	يحنو على المهج الضعيفة

* * *

لما تمرّد عزّمه العاتي	على الظلم الغضوب
دبت إليه عقارب السل	الأكولة للقلوب
وإذا بقوته تهى	وإذا بأعظمه تذوب
وإذا بهيكله يحطم	تحت مطرقة الخطوب

* * *

ظلت قواه فريسة	للسل عامًا بعد عام
يمتص ماء حياتها	ويذيقها جرّع الجمام
وإذا اشتكى المآخوت	شكواه في وحل الأثام

لا القيد يرحمه ولا الزُّ من الكنود ولا (الإمام)!

* * *

حتى إذا هجم السقام	عليه، وانحطت قواه
لم يرتشف كأس المنى	ة قبل أن يصم الطغاة
دوى بلعنته على	دنيا الجبابرة العتاة
وثوى قرير العين يسر	خر من أباطيل الحياة

* * *

وبسفع وادي الموت.. مجّ	ثمالة النفس الأخير
ومضى - وودّع جسمه البا	لي - إلى الملاء النضير
حيث السعادة كونها	زاه، ومنبعها نميز
في عالم الرحمات تحت	رعاية الرب القدير

* * *

وهناك يشكو بثّه	وهناك ينفث بالحزن
وهناك يجأ بالمصائب	والنوائب والمحن
وهناك ينشر بين أيدي	العدل آفات (اليمن)
الظلم، والفقر، المدمر	والجهالة، والفتن

* * *

الناس في أوطانهم	سعداء لا يتبرمون
وشباب (يعرب) في مرا	بع أرضهم يتضورون
يتأرجحون شقاوة	بين المشائق والسجون
أو فوق أجنحة العوا	صف والمخاوف يكدحون

* * *

في موكب الشهداء مشهّد مصرع الظلم الكفور

وأرى الغد الدامي يحيى ط بفجره رعب الدثور!
والصبح يلتهم الدجى والخير يكتسح الشور
ومآرب الأحرار يطرد (جيشها) مُلك القبور. !

* * *

لم يبقَ للمسكين من دنياه إلا دمعتان
حبتا على خديه يستحيان من فقد الحنان
وتمثلان الكبت إذ يطفى، وتنقصد اللسان
يا للجلال، هنا اليراع يخر مصعوق البيان

* * *

طف يا بياني مزنة وطفأ على القبر الغريب
واسكب عليه حزنك المسفوح في الدمع السكب
وانقل روايته إلى التا ريخ في شعر كثيب
تبكي له ظلم الليالي في دجى الزمن الرهيب

حجة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٨٨ - حناناً أمير المؤمنين

[أُرسلت من معتقل القاهرة بحجة، إلى الإمام أحمد في ٨ جمادى
الآخرة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م]:

دعاني ؛ وحزني في محاريب عزلتي
عشتُ الأسى من طول ماشفني
فلا تطلبا عندي رُقى السحر والمنى
فقد هَرَمَت أيام لهوى وبهجتي
وأمسيتُ في أكفان سقمي ونكبتني
وما أنا بالحيِّ الذي طاب عيشه
ولم يبق في كأس الشقاء ثمالةٌ
أعانتُ طغيان المخاوف مطبقاً
وخلف الدياجي يجثم النور موثقاً
أسارقه اللحم المفزع خائفاً

ققد سئمت روجي حياة البرية
الأسى وهمتُ بالآمي لسرمد شقوتي
ولكن خذا عني صدى كل خيبة
وماتت ليالي صبوتي وشبيتي
أراقب بعثي وانتعاشي ويقظتي
ولكنني في السجن حيٌّ كميتٌ
لغيري .. فقد أفرغته نخب حيرتي
جفوني على أشباح يآسي وذلتني
ينوء بأعباء الليالي الثقيلة
كأنني رجاء في فؤاد فريسة

* * *

لَعَا لك ؛ يا عمري ؛ إذا رمت منقذاً
إلى «ناصر الدين» الذي تحت عرشه
أعزَّ ملك من سلالة «هاشم»
توسَّل إليه بالبيان ؛ فإنَّه

فأزج الأمانى نحو حامي الحقيقة
ترفرف آمال البلاد «السعيدة»
وخير إمامٍ من حماة الشريعة
يرق لأنات البيان الذبيحة

* * *

وهذي قوانين الهدى والنبوة
فقد طالما مُزِقْتُم بالتشتت
ورغبته في الخير أقدم رغبة
نشيد سرورٍ أو أغاريد لعبه
أراه مثلاً للعلا والفضيلة
تبكي ملذات العهود الدفينة
أكنُّ له ألا مُصاص المحبة
رأى ابنه قد ضلَّ نهج المحجة
عليَّ أعاصير الخطوب الرهيبة
على الكون لم تترك خيالاً لزلّة
تمزقني أنياب يأسٍ وحسرتي
وهول جزائي قد مضى بجبريتي

* * *

حنانك ما يشفي عضال الرزية
قبيل احتباسي في شباك المنية
مهيضاً يلاقي الموت في كل خطوة
وفلّت شبا جدي، وأبليت عزيمتي
يصيخ لقربي، أو يفني لمودة

* * *

أبيك «رسول الله» خير البرية
رؤوس الأعادي من صناديد «مكة»
بكم ولقد كنتم عداءً لدعوتي؟
وجرعتُموني بالأذى كلَّ غُصة

بني «يَعْرُب» هذي شريعة أحمدٍ
ففيثوا إليها تحت راية «أحمد»
ملك حياة الشعب غاية همِّه
عرفت نداءه والطفولة في فمي
فُنشْتُ مَظُوراً على حبِّ مجده
وهأنَا في كفِّ الكهولة دمعَةٌ
وقلبي مطبوع على حبِّه، وما
وما بطشه بي غير إرشاد والدٍ
وقد طال تدليلي؛ فجُرْتُ فدمدمت
ولم تغن عني توبة لو توزَّعتْ
بلى.. أنا في أغلال ذنبي مصفدٌ
ولكنَّ ذنبي قد تلاشى بتوبتي

حناناً أمير المؤمنين؛ فإن في
ودعني أبادر حظ عمري من المنى
فقد عجمتُ عودي الكوارث فانشئ
وغلّت صروف الدهر كف عزيمتي
ولم تُبق لي خلاً ولا ذا قرابة

تأس أمير المؤمنين «بأحمد»
لقد قام في «البيت العتيق» وحوله
فقال: ألا تدرون ما أنا صانعٌ
وأخرجتموني من بلادٍ مشرداً

وها أنتم في قبضتي ، ورؤوسكم
فقالوا؛ أخ لا يقطن الحقد قلبه
فيا لجلال الوحي ؛ ها هو صوته
يخاطب من كانوا قذى في جفونه
ومن ناصبوه الشرَّ ظلمًا ؛ وألبوا
عفا الله عنكم ؛ فاذهبوا أين شئتم
«وكعبُ» أتاه خائفًا فأجاره
فكيف بنا والدين يجمعنا ، وقد
ونحن الرعايا المخلصون ، وواجبُ
حناننا أمير المؤمنين ورحمةُ
وتلك التي في صدرها شعلة الأسى
وتلك التي لم تلق غيرك ملجأ
وطيرًا غريبَ الدَّار يرقب أوبةً
أغشنا «أمير المؤمنين» وكن لنا
وأنت الذي لا يحصر الوصف مجده
سموت فلم تترك أمامك غايةً
وجاوزتَ جهد الأدمية في العلا
أياديك في جيد الزَّمان قلائد
وفضلك في صدر الحياة تيممة
ورأيك في داجي الكوارث ثاقب
وحلمك لا يشقى به يأسُ مذنِب
عرفناك بحرًا زاخرًا وسحابةً
شديد القوى لا يشني لِرزية
فراسته ميزان حقٍّ موفقٍ

تطأطأء إذعانا لصادق صولتي
سيضفي علينا كل عطفٍ ورحمةٍ
تهزُّ مثانيه كيان «الجزيرة»
ومن هتكوا هزوءا به كل حرمةٍ
عليه جنود البغي من كل وجهة
جزاؤكم صفحي ، ودفعي بالتي
وبائع «هندًا» بل وقاتل «حمزة»؟!
لقينا جزاء الطيش كل مصيبةٍ
عليك بأن ترعى حقوق الرعيةِ
أغث شجني وارحم شبابي وعلَّتي
وفي قلبها قد خيَّمت كل زفرةٍ
تناجيك بالصمت البليغ المفتت
إلى وكره بعد انتعاش بقيتي
ملاذًا فقد همنا بيد التشتت
ولو صاغ فيه كل شعر ونغمةٍ
إلى سؤددٍ أو مسلكًا لفضيلةٍ
وكشفت أسرار المعاني الرفيعةِ
نباهي بها الأبطال في كلِّ أمةٍ
تدافع عنا كل شر وأزمةٍ
يبدد أوهام الظنون الضريبةِ
إليك ولو نيطت به كل تهمةٍ
تفيض على الدنيا شآبيب رحمةٍ
منيع الذرا لا يستنيم لبغتهِ
وخاطره مصباح رأيٍ وحكمةٍ

واسمك يجري في لسان مجبه
رحيق الحجا في كل نادٍ ومحفلٍ
كسلسال عذبٍ في تعاشيب روضة
وسمّ العدا في كل ساحٍ وحومة

* * *

أيا شاعر الأحزان لا تبك حسرة
علام البكا؟ لا الدمع يطفئ حرقه
على ما مضى وامسك بحبل السكينة
ولا ماؤه يشفي غليل البلية
فصنْ دمعك الدامي وكفكف شؤونه
وثق بأمير المؤمنين فإنه
فدهرك قاسٍ لا يرقُّ لعبرة
سيؤويك من جور الخطوب العتية

* * *

أمولاي برّد نار همي بلفتة
دعوتك لا أبغي سوى الصفح والرضا
ونظرة عطفٍ، واغفر لي زلّتي
أقدم في شعري قرايين توبتي
وها هي أشعاري تبثك لوعتي
إذا زدّني بعد ابتهالي وتوبتي
نظمت بها أشلاء روعي ومهجتي
نكالا فقد أسلمتني لمنيّتي

سجن حجة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

[بعد أن بعث الشاعر الثائية الأولى بعشرة أيام لم ينتظر الرد من الإمام أحمد، بل أردفها بهذه الطويلة على الروي والوزن أنفسهما، وذلك في ١٩ جمادى الآخرة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م. . . وقد أمر الإمام بإطلاق سراح الشاعر، حين فرغ من قراءتها للاستشفاء بالحديدة رهن الحراسة والإقامة الجبرية فيها]:

وحُبُّك وجداني ولُبُّ حقيقتي
لأنَّك لآمال أقدس كعبة
لأنَّك في الدنيا سحابة رحمة
لأنَّك قد أوليتَه كل نعمة
لأنَّك مأوى كل همٍّ ومنية
وصرَّفَها طوعاً إلى كل وجهة
فغذَّيتها حُبَّ العلا والفضيلة
يد الله أورته بنور النبوة
تجسدت برهاناً لصدق الشريعة
لأنني عليك الله في كل سورة
لكنت شعار الوحي في كل لحظة
سجلوها بالتاريخ أروع صفحة
صدى قصة تحكي مزايا البطولة
وعُوا من يراعي وصف أفخم سيرة

رضاك مُنى نفسي، وغاية رغبتني
إليك يولي القلب وجه رجائه
ونحوك يهفو شوقه وحنينه
وعندك يرجو خيره ونعيمه
وفيك يرى آماله الغرُّ تلتقي
ملكْت النَّواصي بالرغائب والقرى
ودانْتَ لك الأهواء سرّاً وجهرةً
وهامت بك الأرواح إذ أنت كوكبٌ
تكاد ترى فيك النعيم؛ وإنَّما
ولو كنت في عصر النبوة ظاهراً
ولو كان في الوحي الكريم بقيةً
وحسبك ما خلَّدته من مآثرٍ
أفيقوا؛ أفيقوا يا بني الشرق واسمعوا
خذوا عن فمي تاريخ مجدٍ مؤثِّلٍ

معالم دينٍ سيم كلُّ بليّةٍ
 فشبّ شديد البأس ثبت العزيمة
 على بابه رهن القيود العتيّة
 ظهور المنايا والخطوب المبيدة
 و«سفيان» واستفتوا مشاهد «صعدة»
 أعزّفتي لم يخش طغيان محنة
 إلى أن عنت في أسره واستذلت
 لنشر هدى، أو قائدًا لكتيبة
 كصوت «عليّ» في جلالٍ وحكمة
 هفا العقل مأخوذًا بسحر الصحيفة
 وإن جالِ فالدُّنيا لهأةً منيّة
 مساعير حربٍ، أو براكين ثورة
 وأفعاله من نهج خير البريّة

* * *

بها الشرُّ أعمى من ضلالٍ ورهبة
 فتخط في يهماء خوفٍ وحيرة
 بأعماق بحرٍ من ظلامٍ ووحشة
 نهارًا وأذكى فجرها بالعزيمة
 وكانت له ميدان لهوٍ وسلوة

* * *

وصارمُه مصباحه في الدجّة
 ويرجفُ ذعرًا كل صخرٍ وصخرة
 وتذعن إذعان الرقاب الذليلة

حياة إمامٍ أظهر الله باسمه
 نمته سيوف الله من «آل هاشم»
 تمرّس بالآفات حتى أقامها
 وداس على الأشواك والجمر وامتطى
 سلوا عنه «خولان الطيال» و«حاشدا»
 وتلك رمال البید تشهد أنه
 أقام على حرب «الزرانيق» صابرًا
 وما عرفوه غير حامل راية
 إذا افتزع الأعواد جلجل صوته
 وإن شعّ في طرس شعاع بيانه
 وإن صال فالدنيا مخالبُ أغلب
 وإن صاح في جندٍ مشوا تحت صوته
 وآراؤه من جنة الوحي نبعها

وكم ليلة أقمى بها الهول، وارتمى
 تَضِلُّ النجوم الزُّهرُ فيها طريقها
 ويزورُّ عنها الأفقُ رعبًا فينطوي
 أضاء دجاها بأسه فأحالها
 وطارَ إلى ما يتغي فوق هولها

وربه قفرٍ مجذب الدُّو خاضه
 تفرّ الضواري حين تسمع خطوه
 وتطوى له طوعًا مجاهلٌ بيدها

ونال مناه.. والمكارة حوله تضرُّبُ صرعى كالسخال الذبيحة

* * *

وكم موقفٍ كانت مخالِبُ عزمِهِ مفاتيح نصر في أكف المنيّة
كأن ضجيج الحرب يوم انتصاره أناشيد غولٍ أو تهاويم جنّة
إذا شامت العقبان برق سيوفه توالّت على الأشلاء من كل وجهة
هو الموت؛ أو تأوي إلى رشدّها النّهى هو الخوف أو تُرعى حقوق الشريعة

* * *

كفّفنا به لؤم الزّمان وشرّه وذنا به عدوان كل رزيّة
وصانت به العليا قداسة طهرها وألبسها من مجده تاج عزّة
إذا كان شعري لا يحد صفاته فحسبي تصويري لرسم الحقيقة
وإن كنت لم أقصر بياني لمدحه فليس لغمط؛ بل لخائب غفلة
وما كلُّ ذي لبٍّ بعيدٌ عن التّوى ولو كان.. ما احتاج الورى للنّبوة
برى الله هذا الخلق؛ والنقصُ عنصرُ يذكّر من يهفو بضعف الخليفة
و«آدم» وهو الأصل مال بطبعه هوى ضعفه فاجتره للبليّة
عصى ربّه ثم ارعوى فأقاله وتاب عليه غافراً كل زلّة
و«ذو النون» لَبّى صوته وهويائسُ وفرّج عنه كل همٍّ وظلمة
و(أيوب) آواه وداوى حراجهُ وكشّف عنه كل ضيقٍ وكربة
خذوا سنّة القرآن للخلق فالهدى بسالكها يفضي إلى خير شرعة
يَعْمُ بطامي عفوه كل تائبٍ وتلك لعمر الله أجمل سنّة

* * *

إلى مَنْ أبثُّ الشجوة؟ قلبي موجه ونفسي في نيران يأسٍ وخيتي
قطعت حياتي تائهاً أجرع الأسى ضرورياً وأشقى في منامي ويقظتي
وأنفدُ أيامي بكاءً ولوعةً وأسكبها في شعر بؤسي وشقوتي

كؤوس الفنا من كف تيهي وحيرتي
على جاحمٍ من نار حزني وحسرتي
ولاً بقايا زفرةٍ طي مهجتي
وأنقاض نفسٍ حطمت بالتشتت
ولم تغن آهاتي، ولم تجد زفرتي
ولا نفعتني في حياتي جرأتي
صغيراً وأبلى الحب رسم شبيتي
ولم ترعني في أسرتي وأحبتي

* * *

وأرويه دمعاً عن سلاسل نكبتني
حنانك، أو يطفني تلهب غلتي
سجاجة حلم، أو سماحة رحمة
وإخماد أنفاسي، وتحطيم رغبتني
بشكوى، ولا سحت جفوني بعبرة
بياني على تلك الأيادي الكريمة
أجبر إلا فيك وصفي ومدحتي
أفوز به قبل اندثار بقيتي

* * *

أباطيل مكر، أو أحابيل خدعة
عن الحق فيها والهدى والفضيلة
وإهدار ذمات الحقوق المصونة
على الدين وابتاعوا التقى بالرديلة
وكم تعس ألقوه في قعر هوة

وأجري وراء الوهم حيران أستقي
وأغذي مرارات الخطوب وأشتوي
ولا صاحب إلا الدموع؛ أذيلها
وأشلاء روح مزقتها همومها
إلى من أبث الشجوة؟ لم يشفني البكا
ولا عصمتني من زماني سماحتي
خلقت شقياً مزق اليتم خافقي
وألوت بي الأسفار شرقاً ومغرباً

إليك أمير المؤمنين أبشه
عسى أن يثير الدمع عطفك أو يرى
وقد تنفع الشكوى إذا هبطت على
ولم يُشف بي ياسي إلى كبت أدمعي
ولولا رجائي فيك ما ذاب مقولي
قصرت قريضي في مديحك واقفاً
فلن ترني حتى أوسد في الثرى
ولا أرتجي إلا رضاك؛ وليتني

توق أحاديث الوشاة فإنها
أرادوا بها جمع الحطام؛ ونكبوا
ولم يكسبوا منها سوى الإثم والخنا
لقد نحتوا صخر القداسة جرأة
وكم بئس أودوا به في شباكهم

أبوك تلقى منهم كل طعنة
نكالا وتحذيراً بأخلد لعنة
وقد دُستها موبقات النِّيمة
بوسواس شرٍّ أو بيهتان فرية
بدنيائي، واجتاحوا تُراثي وأسرتي
فلإني فيها موثق كالقنيسة
ولم يبق فيه غير صدق المحبة
وإن طاش فامحق طيشه بالعقوبة

* * *

أغث دمع ربّات الصّلات الوشيعة
تضربُ في فخ الأسى كالفريسة
وتسفك أيام الحياة الشقية
وذكرى مخافاتٍ، وأشباح نكبة
يفور على آهاتٍ وجد كظيمة
وآمالها تهوى حطام شهيدة
فحسبي «خمسٌ من سنين» رهيبة
وقاسيتُ فيها كل هولٍ ووحشة
وحاشاك أن تصغى لداعي السُّخيمة
يُرجّي الرعايل الخير عند الخليفة
من الشعر قد أودعت فيها حقيقتي
قد اضطبغت أوزانه بسريرتي
ملاذاً ومأوى للصفات الجميلة
ثمالة وجدانٍ، وآخر زفرة

وليس ببدع شأنهم «فمحمّد»
وحذر منهم قومَه، ورمَاهُم
فويلٌ لمن يجني الحياة ذميمةً
وويلٌ لمن يؤذي ضمير إمامه
وقد حمّلوني كلَّ وزر، وطوّحوا
فأنقذ حياتي من أحابيل مكرهم
وجرب فتى قد طهر السجن قلبه
فإن كفَّ عمّا لا تحبُّ أعنته

حناناً أمير المؤمنين، ورحمةً
أغث كبداً مصدوعةً لكثيية
تذوب وتغنى لحظةً بعد لحظة
دموعاً، وأنات، وأحلام خيبة،
وفي دمها نارٌ توج، وقلبها
تناجيك في الليل البهيم كأنها
إذا كنتَ قد أخذتني بجريرتي
حملتُ بها الأثقال في السجن صابراً
وإن كان تأديباً، فقد جاوز المدى
وأنت أمير المؤمنين وإنما
رجوتك في الأمس القريب بزفرةٍ
وهأنا في شعري الذبيح مجسّد
أهزُّ بها قلباً يرى الله ذاته
فرفقاً به يا «ناصر الدين» إنه

سجن حجة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٩٠ - دَمعة وابتسامة.. أو: (فرحة الإطلاق)

[في ٢ رجب ١٣٧٢هـ أمر الإمام أحمد بإطلاق صاحب الديوان من معتقل «قاهرة حجة» وبنقله إلى «الحديدة»، فكانت نعمة كبرى تلقاها الشاعر بالشكر، وكان أن لبى الإمام أحمد دعوة «شركة الملح» في الصليف في ٧ شعبان سنة ١٣٧٢هـ. ثم عرج على الحديدة فعبر الشاعر بهذه القصيدة عن آثار كل ذلك في نفسه وقدمها إلى الإمام في ١٣ شعبان ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م]:

عَطَّرَ قَصِيدَكَ بِالنَّسِيبِ	وَانْضَحَ بِهِ حَرَقَ الْقُلُوبِ
وَاسْكَبَهُ خَمْرًا فِي كُؤُ	سِ الْفَنِّ، خَالِدَةَ الطُّيُوبِ
وَاسْبَكْهُ زَهْرًا أَبْدَعْتَ	هُ يِرَاعَةَ الْوَحْيِ الْخَصِيبِ
رِيَّاهُ سَحَرِ الْحُبِّ مَصْدَ	بِوَعًا بِأَخِيلَةَ الْأَدِيبِ
وَاقْبَسَهُ مِنْ أَلْقِ الصَّبَا	ح - سَنًا - وَمِنْ شَفَقِ الْمَغِيبِ
مِنْ بَسْمَةِ الْفَجْرِ الْوَلِيدِ	د وَنَفْحَةِ الرُّوْضِ الْقَشِيبِ
مِنْ كُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ	حَسَنِ وَأَفْرَاحٍ وَطِيبِ
شَعْرٍ تَزْفُّ بِهِ الْحَيَا	ةُ عَرَائِسَ الْفَنِّ الْعَجِيبِ
أَوْزَانَهُ رَعِشَاتِ سَحَرِ	رِ فِي مَزَاهِرِ عِنْدَلِيبِ
وَنَشِيدِهِ سَبَحَاتِ وَحْدِ	يِ فِي مَخِيلَةِ خُلُوبِ
وَرُقَاهُ آمَالُ تَدَا	عَبَ بِالْمُنَى شَغَفَ الْقُلُوبِ

* * *

قد طال شجوك يا «نشيدي» وانصدعت من النحيبِ

وأرقت روحك حسرةً وبكيت بؤس الكون في بالأمس كنتَ أسير هـ جثمتُ عليك كلاكِ الد فرفعت طرفك بالرجا ودعوتَ «أحمد» ناصر الد فأغاث روحك وهو في وتكشفت سحب المخا فامسحُ بفرحتك الجديد واستقبل الدنيا وطُرُ	في ذائب الدمع الخضيبِ نغم من الشكوى مذيِبِ مٌ بين أنياب الكروبِ بلوى، وأثقال الخطوبِ ء وطير صدرك في وجيبِ إسلام ذا الحسبِ الحسيبِ شُناقِة اليأس الغضوبِ وف وانجَلَّتْ ظُلُمُ الريوبِ ددة دمعة الماضي الكثيبِ في أفق بهجتها الرحيبِ

* * *

ما كنت آمل أن أرى إلاً وقلبي في يدي صرخاته تبكي الحياة وكأنما أنا جثة فرأيت وجه المجد يز تاجُ العروبة يزدهي فكبتُ أنفاس القنوط هذي الجلالة لا تضي أطلع بشعرك شمسَه	وجه (ال خليفة) من قريبِ جرحُ تمزُّع بالندوبِ بدمع خيبتها السُكيبِ خرساء في كفن الذنوبِ هو فوق عرشٍ من قلوبِ فخرًا بمفرقه المهيِّبِ وقلت: يا نفس اهدئي بي ق بيوم توبتك الحزيبِ واهتك بها حجب الريوبِ

* * *

ن لتاج مجدك من ضريبِ في عصر فلسفة الخطوبِ	تالله لن يجد الزُما أحييت سنة «أحمد»

لو مجد غابرنّا الذّهيبِ
ن وفي دجى الشك المريبِ
قد شقّ داجية الحقوبِ
ن بثوب فطرته القشيبِ
ة فنحن في زمنٍ عصيبِ
بأ آية الفتح القريبِ

* * *

يمني مفخرة الشعوبِ
م، وبالصناع، وبالطبيبِ
ض عليه بالعيش الخصبِ
وهبوه حَبّات القلوبِ
رم في الشمال وفي الجنوبِ
ية قائد الوطن النجيبِ
إسلام» ذو الحسب الحسيبِ
عي كالغريق وفي وجيبي
جهل وفي حُلُمٍ كذوبِ
مة والتلطخ بالعيوبِ
بين المخاوف والكروبِ
ة تمرُّ بي مرَّ الغريبِ
نتها ومنظرها الخلوبِ

* * *

حرم الأمان من الخطوبِ
تُ أذوب باليأس المذيبِ
أشلاء أحلامي وكوبي

وأقمتها بيضاء تج
والشرق في بيد الظنوب
فكأنَّ عصر «محمدٍ»
وأطلَّ عهد الراشدين
فاسلك بنا نهج النجا
وابشُر فسوف ترى قريـ

سنرى قريباً شعبنا الـ
«فلكّا ترصّع بالحكيـ
شركاته الكبرى تفيـ
ورجاله الأمناء قد
يتذرّجون إلى المكا
نمضي جميعاً تحت را
أسد الجزيرة «ناصر الـ
مولاي؛ هأنّا في دمو
أبليت ماضي العمر في
لم أكتسب إلا النداء
وقتل أيام الصُّبا
آليت أن أدع الحيا
لا أستنيم لسحر فتـ

مولاي خذ بيدي إلى
قد طال تعذيبي، وكـ
فذبحتُ أنغمي على

وجرعتُ حسرةً نادم
 خذني بذنبي إن أرد
 أوفاعتفرها رحمةً
 أنت الحلیم؛ وصدّر حلد
 جاوزتَ حدَّ الوصف فاع
 ستظلّ معجزة البليد
 ورشفتُ إخلاص المنیب
 تَ فلن أكابر في ذنوبي
 بأسى تجسّم في شحوبي
 مك لا يضيق بوزر حوبي
 نذر عجز أخيلة الأديب
 غ الفذ، واللسن الخطيب

الحديقة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٩١ - تهامة في التاريخ

[قيلت بمناسبة رحلة الإمام أحمد إلى حمامات السخنة]، وقُدِّمت
إليه حين عاد إلى الحديدة في ٢١ شعبان سنة
١٣٧٢هـ/١٩٥٣م]:

تنقّل يا أمير المؤمنين تحوطك عينُ ربِّ العالمين
وأرواح الريعايا المخلصين وأُحي قلوبَ شعبك أجمعين
فقد ملكوا بك الكنز الثمينَا

* * *

هبطت على تهامة غيثٌ بر وإحسانٍ وإفضالٍ ويُسرٍ
فبادَ يُسر عطفك كلُّ عُسر وذابَ بخير جودك كلُّ شرٍّ
وهبُ الخلق نحوك شاكرينَا

* * *

تساءلت القفارُ وأنتَ فيها أدار بها القضا وحنا عليها
فصيرَ جذبها عيشًا رفيها أم الفدروس قد أهدت إليها
مثالاً من نعيم الخالدين؟

* * *

أُتفني دهرها قيضًا وجذبًا وتطوي عُمرها سغبًا ورُعبًا
ولا تزدان أزهارًا وعُشبًا فتطلعُ فجأةً فتفيضُ خُصبًا
وتجملُ منظرًا وتطيبُ طينَا

* * *

بعثت اليوم فيها العلم حياً وصيرت المقام بها هنيئاً
فنور «الكهربا» يزهر قوياً وصافي مائها يجري نقياً
وإصلاحاتها تبدو فنونا

* * *

وقد حصدت من التاريخ فقراً وإهمالاً وإعناتاً ونكراً
يعيث بها البلى عَصراً فَعَصراً ولا مَلِكٌ بها قد شاذ فخرها
ولم تعرف سوى المتجبرين

* * *

مضى فيها الملوك «بنو زياد» وهمُّهم الشموخُ على العبادِ
«وآل نجاح» ظلُّوا في طرادِ وحُكْمُهم بعدَهُمُ أهلُ الفسادِ
فنگل «تورنشا» بهم فنونا

* * *

وأضنى الخلقُ جُلَّ «بني رسول» وهل ترك «المجاهد» من سيلِ
لفضلٍ أو ليسرٍ أو جميل وظلَّ الناسُ جيلاً إثرَ جيلِ
لغصَّاتِ الشقا يتجرَّعونَ

* * *

سل التاريخ كم نُثِرَتْ رؤوس وكم خُنِقَتْ بكربتها نُفُوسُ
وكم في ليلِهِ قُبِرَتْ شَمُوس أديبٌ أو حكيمٌ أو رئيسُ
وبأثوا بالمنون مصفدينَ

* * *

و «أهل البيت» في جزرٍ ومَدٍّ يذوقونَ العنا في كل عهدِ
دماؤهم تسيل بكل نجدٍ وأنفسُهم تُباحُ لكل وغدِ
وهم بجِهَادِهِمُ متمسكينَا

* * *

وأشرق جُذُّكَ «المنصور» بدرًا فأحيا نوره الأرواح طُرًا
وجدَّد للهدى والحقَّ ذكرًا وطال «أبوك» طودًا مشمخرًا
وكان بشعبه برًّا أمينًا

* * *

وحين طلعت في الأفاق نُورا كسوت معالم الدنيا حُبورا
وتاه الشعب مختالًا فخورًا وغنى بهجةً، وزها سرورا
وضوُّع ذكرُهُ في العالمين

* * *

وقدَّت الشعب نحو المجد حرًّا تشقُّ أمامه ما كان وغرا
وتحطم دونه الأهوال قسرا ولولا أنت تحرسه لخرًا
صريعًا بين أيدي الطامعين

* * *

إذا شَرُفَتْ صقعا تاه مجدا ونور أفقه فرحًا وسعدا
وكبر أهله شكرًا وحمداً وأصبح إسمك المحبوب ورذا
به يترنمون ويلهجون

* * *

وإن حَلَّتْ ركابُك سوحَ قطر زها وافتر من نَعَمٍ وبشر
وحال ترابُه قبسات تبّر يشع، وصخره ماسات دُر
ووردا كالثُغور وياسمينا

* * *

ونجلك يقتدي بك غير وانٍ ولا يخشى مقارعة الزمان
وحول حياته تثب الأمانى تراه رغبة «الشعب اليماني»
وآمال الشباب الطامحينا

* * *

فَدُم مَوْلَايَ تُمْنَحُ مَا تَرِيدُ وَحِظُّكَ حَسْبَمَا تَهْوَى سَعِيدُ
وَعَمْرُكَ كُلُّهُ فَرَحٌ وَعِيدُ يَذُلْ لَطَوَّلِ عَزَّتِكَ الْعَنِيدُ
وَيَعْنُو الدَّهْرُ رِقًّا مَسْتَكِينَا

* * *

وَدَامَتْ «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» تَحَوُّطُكَ عَيْنُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَأَرْوَاحَ الرِّعَايَا الْمَخْلُصِينَ تَطْوِفُ عَلَى مَرَابِعِنَا أَمِينَا
وَتَهْدِينَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَبِينَا

الحديدة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

[قُدِّمْتُ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي ٢٧ شَعْبَانَ ١٣٧٢هـ، بِالْحَدِيدَةِ]:

خَذِ النَّايَ، وَاصْدَحْ بِالنَّشِيدِ الْمُطْلَسِ
طَحَا بِكَ شَوْقٌ فِي سَمَائِمِ بَرْحِهِ
تَبَيَّتْ تَدَارِي السُّهْدِ أَوْ تَنْشُدِ الْكُرَى
أَحِبًّا وَقَدْ وَلَى الشَّبَابَ؟ وَصَبُوءَ
وَلَمْ تَدْعِ الْأَيَّامَ مِنْكَ بِقِيَّةٍ
فَوَّادِي شَهِيدِ الْحُبِّ؛ لَا تَطْلُبُوا لَهُ
صَبْرْتُ عَلَى هَوَجِ الْخُطُوبِ وَلَمْ أَطُقْ
سَقَانِي سَعِيرًا فِي رَسِيسٍ لَهْيِهِ
وَمَنْ يُعْطِ قَلْبًا مِثْلَ قَلْبِي يَعِشْ بِهِ
إِلَامَ التَّمَادِي فِي الْهَيَامِ؛ وَقَدْ ذَوْتُ
فَدَعَهُ وَلُذَّ بِالرُّوحِ مِنْ عَطْفِ «أَحْمَدٍ»
هَنَا حَيْثُ أَعْلَامُ الشَّرِيعَةِ تَزْدَهِي
هَنَا حَيْثُ قَلْبُ الشَّرْقِ يَنْبُضُ بِالْعَلَا
هَنَا حَيْثُ تَجْلُو رَحْمَةُ اللَّهِ رَفَقَهَا
مَقَامَ «أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» وَلِيَتَنِي
أَلَا... لَا تَلُومُنِي إِذَا صَحَتْ جَهْرَةً
فَفِي قَدْسِهَا رَفَّتْ تَمَائِمُ مِيعَتِي

وَحَرَّكَ صَبَابَاتِ الْغَرَامِ الْمَكْتَمِ
تَذُوبِ حَنَائِيَا كُلِّ قَلْبٍ مَتِيمِ
وَتَصْبَحِ فِي لَيْلٍ مِنَ الْهَمِّ مَظْلَمِ
وَقَدْ صَرَتْ مِثْلَ الْهَيْكَلِ الْمُتَهَدِّمِ
لِنَزْوَةِ حُبِّ وَافْتَتَانِ تَتِيمِ
غَرِيمًا سَوَى ثَغْرِ الْهَوَى الْمُتَبَسِّمِ
عَلَى الْحُبِّ صَبْرًا وَهُوَ يَنْسَابُ فِي دِمِي
فَنَاءً لِعَمْرِي وَاحْتِرَاقَ لِأَعْظَمِي
يَتِيمِ الْأُمَانِي لِلتَّعَاسَةِ يَتِيمِي
حَيَاتِكَ فِي لَفْحِ السَّقَامِ الْمَسْمُومِ؟
مَلَاذِ الْمَرْجَى، بِهَجَةِ الْمُتَأَلَّمِ
هَنَا؛ حَيْثُ آمَالُ الْعُرُوبَةِ تَحْتَمِي
هَنَا؛ حَيْثُ عَرْضُ الْعَرَبِ غَيْرِ مِثْلَمِ
وَنِعْمَتِهَا لِلْبَائِسِ الْمُتَجَهِّمِ
أَطُوفُ بِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ الْمُسْلَمِ
دَعُونِي عَلَى أَعْتَابِهِ الْيَوْمَ أُرْتَمِي
وَفِيهَا عَرَفْتُ الْعِيشَ غَيْرَ مَذْمَمِ

وكنْتُ بها طيراً يرفق لحْنُهُ
وبتَّ.. ولم أحرص على فضل خيرها
خرجتُ طريداً مثل «آدم» باكياً
وروحى تناجي حظها وهو موثقٌ
أمولاي لا تكبتُ دموع تحسري
فقد طهرتها حقبةً نارُ توبتي
فلو رسمتها ريشةُ الفنِّ مثَلْتُ
ولو صُبَّ منها - وهي تنساب - قطرةٌ
ولو طاف في الأفاق ظلُّ حميمها
وجدتك بعد اليأس جنة رحمة
وشاهدتُ من بعدِ أسرةٍ طلعةٍ
فدارتُ بي الدنيا، وطارَت بي المنى
وأيقنتُ أني قد ظفرت ببغيتي

* * *

وحلمك لا يشقى به ذنب مجرمٍ؟
وقد لذت بالركن الوثيق المعظمِ
تدافع عني كل هولٍ مدمدمِ
شُرور زمانٍ سامني كلَّ مؤلمِ
وسوف تراني نابذاً كل مائمه
يبابك أشدو طاهر القلب والفمِ
سوى شخصك الغالي على كل مسلمِ
محبته دينٌ يقدسه دمي

أأحرم من حظ الحياة وخيرها
أأشفق من جور الزمان وبطشه
كفاني وقد شاهدت وجهك نعمةً
فخذ بيدي يا «ناصر الدين» واكفني
وسجل بعفوٍ منك صك سعادتي
وأقطع باقي العمر وهو ثمالةٌ
فوالله ما أبقى الزمان بمهجتي
ونجلك؛ فهو اليوم ذخري وعدتي

الحديده: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

أنا لا أنظم شعراً؛
فلقد أنسيْتُ أوزان القصيدِ
إنما أنثر أشواقاً ودمعاً؛
شوق قلب مغرم
وفؤادٍ مؤلم
ودموعاً عصرتها
لهفة الروح الحزين

* * *

عندما تلتشم الشمسُ
بأكفان المغيب
وتضمّ الكون أستار الظلام
ويغنيّ الليلُ لحن الموت
في سمع الوجود
أذكر الماضي وأنسى حاضري
معرضاً عما أراه من صراع
بين أشلاء الضياء
وجنود الظلمات

* * *

وأناجي حُلماً طاف قديماً
في جفوني ثم غاب
تاركاً أشباحه حولي تحوم
وتغنييني أناشيد الوصال
وتناجينني بآمال اللقا
وتبتّ الحزن في قلبي وروحي
آه أين النور؟
هل ولّى؟
ترى هل سيعود؟
ومتى أصقل روعي بسناه؟

* * *

عندما تنتحب السحبُ
وتشكو وتنوح،
يفزع البرقُ جناني
وأراه قادحاً عن كبدي!
نارها
يحطم الرعد كياني
وأراه موقظاً في مهجتي
نارها
ثم أنسى كل شيء،
لا سحاب؛ لا بروق؛ لا رعود
ليس إلاً ذلك الماضي الجميل
ينضح النفس بدمع الذكريات

آه أين الدّار؟
بل . . أين الحبيب؟
أين من كان بقلبي أملاً؟
وبجفني حلماً . . ؟
أمضى الدهر به؟
أم تراه سيعود؟
ومتى سوف أراه؟

* * *

عندما ينفلق الفجر
ويزهو بسناه
أرشف النّور بروح موجع
جثم الليل عليه
ظلمات مطبقات
طالما صارع أهوال الظلام
دون جدوى

* * *

والسنا خلف الدياجي
موثق الخطو أسير
آه أين الفجر؟
هل مات النهار؟
أم تراه بعد أن ضلّ الدليل
ضلّ عن نهج السبيل؟
أم بأوهاق العذاب .

وتباريج الشباب
صهر الروح وذاب
يا لروحي
يا لقلبي
يا لأحلامي العذاب!

الحديثة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

حطمتُ مصباحي
والليلُ يرزحُ تحت وطأته الوجودُ
وخنقتُ صوتي في فمي
وصهرتُ لحنِي في فمي
وكسرتُ قيثاري
والكونُ يصغى للنشيدُ
ونحرتُ أحلامي الجميلة
وارتميتُ على التراب .

* * *

أبكي بلا دمع . !
وأنوح بالصمت البليغ
وأريقُ سؤرَ الروح
فوق حطام آمال الشباب
وأذيب لحنَ الشكل
فوق رُفاتِ أنغام الرِّباب

* * *

ودّعت أفراحي
والشمسُ تدلف للغروب

والبحرُ ساجي الموج
يرهبُ ظلمةَ الليل العتيدُ
يهفو إلى النورِ الجريحُ
ويودّع الضوءَ الذبيحُ
والأفقُ في شفق الأصيلُ
نشوان كالحلم الجميل
وأنا المعذّب بالدجى والنور
حيران لا أدري
ماذا وراء الليل؟

* * *

الفجرُ.. ؟
لا
الفجرُ مقتول السنا،
خنقته كف الهول
وهو بمهد فرحته وليدُ
يا دمة الأفق الطريد
ذوبي على الفجر الشهيد

الحديدة: ٢٠ رمضان ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

في هوة اليأس . .
 حيث الأفاعي السود تنفثُ بالسُّمومِ
 وهياكل الآمال ترسفُ في الهمومِ
 والخيرُ يجأُرُ موثقًا
 والشرُّ يزأُرُ محنقًا
 أشعلتُ نبراسي
 وجثوثُ . . أوقده بزيت عواطفي
 وأصدُّ عنه مطبقات مخاوفي
 والقلبُ يخفق حائرا
 والروح يصرخ نائرا
 وكما يُطلُّ البدرُ من خلف السحابِ
 ويداعبُ الأفقَ المصفدَ بالضبابِ
 طلَّعتُ تباشيرُ الصباخِ
 فشفَّتْ تباريحَ الجراحِ

* * *

أملُ زها؛
 كالنجم يغمرُه السَّنا
 فقطفتُ من إشعاعه

قُبِلَ الْمُنَى
 ورشفتُ من لمحاتِهِ
 خمرَ الهنا
 وتطلَّعتُ رُوحِي إلى بسماتِهِ
 وتحسَّستُ نفسي صدى نغماتِهِ
 ونسيتُ ماضي شقوتي وتعاستي
 وكأنما ذابَ الوجودُ
 فلا حدود، ولا سدودُ
 أنا كل ما في الكونِ
 من مرحٍ ؛ ومن معنى جميل
 يا للجمال ؛
 الحبُّ يحلُمُ ناعماً
 والفنُّ يرقصُ باسمًا
 يا للجلال ؛
 دارتُ حياتي بي على فلك السرورِ
 فطفقتُ مخمورَ الشعورِ
 كالنورِ
 أو كحفيفِ أوراق الزهورِ
 فامرح فؤادي
 وارثِشفْ كأس الحياة
 ليستَ دموع الياثسينِ
 بل نعمة المتفائلينِ
 هي ؛ لذَّة كبرى تدور على قلوب
 العاشقين

هي ؛ بسمۃ سكرى تطوف على شفاه
الحالمين
فانعم بها . . . قبل الوداع
واستفها قبل الرحيل .

الحديدة: ٢٥ رمضان ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

٩٦ - السيّد عبد الله عبد الكريم

[كانت وفاته - رحمه الله - بتعز في رمضان سنة

١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، وأرسلت عزاء لابنه السيد العلامة

عبد الله بن عبد الله عبد الكريم]:

جفّ لهول الرّزِيَةِ القَلَمُ وانسحقت طاقَةُ البيان فما
حزنًا على من هوت لمصرعه «فخر الهدى» أظهر الأنام هوى
رَمَى فؤادي النعيّ فانتحبتُ وكان شعر الرثاء صاعقةً
قرأته واللسان راعِشةً شعراً تذيب الضلوع لوعته
يرفضُ دمعاً وحسرةً وأسى صور لي هيكَل الفقيد وقد
وطرفه خاشعٌ لخالفه ونجله حوله يذوب أسى
فقلت يا رحمة الإله له لم يرحم الموت خفق مهجته
ولا رعى برّه بوالده هيهات ما للزّوأم مرحمةً
يخضد زرع الحياة منجله وكاد مما عراه ينحطمُ
لها معان، وما لها كليمُ العلياء، والصالحات، والكرمُ
وسيرةً والمبرأُ الفهمُ به الأمانى، وحسّها الألمُ
أمسى بها الصبر وهو منهدمُ والدّمع يهمي، والقلب يضطرمُ
بركانه في الرؤوس يحتدم كأنما فجّرت به الدّيمُ
أضناه ضعف الحياة والسقمُ وروحه بالإله معتصمُ
«والنّفس شجوى والقلب منكلمُ» تداركيه فخطبه عممُ
وحزنها كالخضمّ يلتطمُ وهو الذي تنحني له القممُ
ولا حنو، وما له رجمُ وجوفه للوجود يلتهمُ

والموت شَطُّ الحياة؛ صخرته
والمرءُ مهما تَطلَّ إقامته
خرافةٌ عيشه، ومهزلةٌ
تَعزِّي يا «زينة الشباب»، ولا
وما الذي قد يفيدُه جزعُ
أسوتنا بالنبِيِّ تجبر ما
والدك الصالح العظيم مَضَى
عاش نقيُّ الضمير، مجتهدًا
البرُّ والخيرُ، والسماحة،
غايتهُ أن يطيعَ خالقَه
ومات بعد السقام مغتربًا
حَقُّ لَهُ الأجر والشهادة
رأيتُه قبل موته شَبَحًا
فارتعشتُ في دمي الحياة أَسَى
وكيف لا؟ والأصول تجمعنا
وكان أسمى ندى تجسَّم لي
عناية من «إمامنا» غمرت
و«ناصر الدين» فضلُه عَمَمَ
حياته تكسب الحياة لنا
فقلبه كالسماء متَّسع
وعقلُه كالزَّمانِ متَّسق
ونفسه أنفُس مُشعَّبة
لا برَحَتْ «رحمة الإله» ولا

الحديدة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

بها حياة الأنام تنصدمُ
تمشي به نحو قبره القدمُ
آماله، بل وجوده عدمُ
تأس فما في الحياة مغتنمُ
وما الذي قد يعيده الألمُ؟
يجرُّه دهرنا، وما يصمُ
وروحه بالجلال يتسِمُ
لِرَبِّه بيته له حَرَمُ
والإخلاص فيما أتى، لَهُ شَيْمُ
ويرتجي فضله ويلتزمُ
وشوقه في الضلوع يضطرمُ
بالموت غريبًا يؤوده الهرمُ
قد حَطَّمَتُهُ السُّنُون والسقمُ
وانتشرت في جفوني الظلمُ
ونجلُه لي أخ ومعتصمُ
تخجل من فيض جوده الدِّيمُ
فقيدنا والمنون تصطَلِمُ
وجوده الجَم ليس ينكتُمُ
سعيدةً لا تمسها النقمُ
حنانه للشرور يلتهمُ
لكل ما في الوجود ينتظمُ
خيراتها؛ بل وشخصه أُممُ
زالت لقبر الفقيد تستلِمُ

٩٧ - ليلة العيد... على شاطئ الحديدة

[ألقاها صاحب الديوان ثاني يوم عيد الفطر ٢ شوال سنة ١٣٧٢هـ، في حفل يرأسه سيف الإسلام البدر، ولي العهد، وقُدِّمت إلى الإمام أحمد تهنئة بالعيد]:

(ذهبُ الأصيل على لجين الماء)
وشراع كل سفينة يهفوبه
والموج يغبثُ راقصًا ومصفّقًا
والأفق يغمره الجمال كأنما
والشمسُ في شفق المغيب كأنها
حتى إذا التقم الخضم شعاعها
نثرت على الأفق النجوم كأنها
وتطلّعت زُمُر البشائر تحتفي
هي ليلة العيد السعيد جمالها
هي بسمة في كل قلب وهي...
والعيدُ خلف الفجر بين السحر
يُزجي البشائر للحياة كأنه
أعلى الملوك يدًا وأسماهم أبا
سند المكارم ملتقى حسناتها
في الحلم، في بث الهداية، في التقى

تسبي مفاتنه نُهى الشعراء
شوق النسيم، ولهفة الدماء
والشط يضحك بالثرى الوضاء
نسجت غلالته يد اللألاء
كبد الشجي تضرّجت بدماء
وطغت على الدنيا دُجى الظلماء
زهر يمسُ بروضة غناء
وتزفُ حلم الليلة الغراء
أبدًا وسام الكون والأناء
للأرواح جنة بهجة وضياء
والبسمات والأفراح والأضواء
ملك يسوق الخير للبوساء
وأعزُّ من يمشي على الغبراء
والحجة الكبرى على الزعماء
في عزم تلك الهمة القعساء

عجز البيان، وخيبة البلغاء
بالفعل لا بزخارف الأسماء
بجهاده انتصرت منى الحنفاء
ديني، ونيل رضاه عين شفائي
حَظي يَنْغُص ضحوتي ومسائي

* * *

بله الذي قاسيت من أرزاء
وهو المعاذ لمعشر التعماء
ذاك الجبين المشرق الوضاء
و «وصيه» و «بنيه» و «الزهراء»
وتيممة الزعماء والعظماء
سَيَظُلُّ وُضَاءُ كَنُورِ ذُكَاةٍ
حَسَرَى تَصَابِرُ خِيَةَ الْأَعْيَاءِ
كُبُرَتْ حَقَائِقُهُ عَلَى الشُّعْرَاءِ
ني إن هفا، واعذر قصور ثنائي
يشني سرائر محتتي الخرساء
لولا رقي أُملي وروح رجائي
ندمان أبكي نكبتني وشقائي
هان المطاب ولم أَبْلُ بعناء
سحب المخاوف وهي ملء سمائي
صُهِرْتُ قِيُودِي واختفت أدوائي
فأفقتُ أرشف نسمة الأحياء
وجرت بترياق النشاط دمائي
بُعْلاه في الإصباح والإمساء

أبدًا تسجّل معجزات صفاته
وتُلَقِّن الدنيا بلاغة مجدها
هو (ناصر الدين) الحنيف؛ وإنما
تمجّده شعري، وصدق ولائه
ما زال حزني منذ فارق سوحه

يا ناصر الإسلام حسبي حسرتي
(بالدر) نجلك عذت من شرّ الوري
سر لمجدك أودع الرحمن في
سرّ تألق في جبين «محمد»
ما زال طَلَسَمَ البطولة والعُلا
جحدوه، أو كتموه، أو ضاقوا به
تقف العقول على مطالع نوره
لا تستطيع تعمقًا في وصفه
فاعذر يراعي إن كبا، واعذر لسا
حُبِّي لكم حَسْبِي شَفِيعُ تَحْنُنٍ
سُتُونُ شَهْرًا عَشْتُ فِيهَا مَيِّتًا
ما حدثُ فيها لحظةً عن ذكركم
وإذا انتشيتُ بخاطرٍ عن مجدكم
وإذا ذكرتُ ندى «الخليفة» بُدِّدْتُ
وإذا لهجتُ باسمه متعوِّدًا
حتّى تداركني لطيف حنايه
وسرتُ بأعصابي الحياة لذيدةً
سأظل أحمدُ «أحمدًا» مترنمًا

هو روض آمالي، وكنز سعادتني وشعار إيماني، وسرُّ بقائي

* * *

يا ليلة العيد اغربي عني فما في العيد من أربٍ لصبٍ نائي
الناسُ في بسماتهم قد أغرقوا همُّ الحياة وكربة البأساءِ
وعواظفي في ذكريات تعاستي صرعى كأشلاءِ على أشلاءِ
والحبُّ يغلي في دمي ويؤجُّ في كبدي وتكوي ناره أحشائي
وكأنما أنا - والهموم تحوطني - صوت أحيط بزعزع هوجاءِ

* * *

عيد الغريب الدمع، والآهات والذكرى فيا شجواه للغرباءِ
ويح الغريب به إذا عصفت به الذكرى فبات بليلة ليلاءِ
ورمى بنظرته الوجود فلم يجد سلوى ولم يظفر بأي عزاءِ

* * *

مولاي أنت العيد؛ كل مسرةٍ لولاك لغو خرافةٍ وهراءِ
فهو الجدير بأن يهنأ إذ زهت أفراحه بسماتك البيضاءِ

الحديدة: ٢ شوال ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م

٩٨ — يا قوم بشرى فقد وافاكم الفرج

[في ٢٦ شوال سنة ١٣٧٢هـ شَبَّ في «الحديدة» حريق هائل
أتلف نحوًا من ستمئة بيت، وفي اليوم التالي وصل الإمام أحمد
على الطائرة، وحين وقف على أطلال البيوت المحترقة فاضت
عيناه بالدمع، وأمر بعمارتها من جديد، وقد قُدِّمت إليه هذه
القصيدة في ذلك اليوم]:

من المحلَّق تهفون نحو المهجِّ	ومن أشعته الآفاق تنبلجُ؟
يجتاب شاسعة الأجواء مندفعًا	لا عاصف الريح يلويه ولا الرهَّجُ
أكوكب في الضحى؛ والشمس ساطعة	أم رحمة الله بالآمال تنبشجُ؟
أم «الخليفة» أهدته السماء لنا؟	يا قوم بشرى فقد وافاكم الفرجُ
هذي طوالعه الغراء سافرة	فكل قلب بها ريان منثلجُ
ما كاد يظهر في الآفاق طائره	حتى توئبت الأرواح والمهجُّ
قالوا «الإمام» وهبوا نحو مهبطه	لا وقدة الرمل تُثنيهم ولا الوهجُ
والحبُّ طاقته الكبرى تذوب لها	قوى الوجود فلا هولٌ ولا حرجُ
سرٌّ من الله في الإنسان أودعه	لا منطق العقل يدريه ولا الحججُ
لقد شهدت وجوه الخلق مشرقة	شفاههم بالدعاء والشكر تنفرجُ
يتمتمون باسمٍ ودَّ سامعه	لو أنه لاهجَّ فيهم كما لهجوا
يا قسوة الهجر قد أرضيت منك بما	يُرضي القصيَّ؛ وحسب المدنف الأرجُ
بالأمس شَبَّت لظى النيران عارمة	مؤارة اللفح بالأهوال تترجُ
ظَلَّتْ تعيثُ بأعشاب الأنام ولم	ترحم عجوزًا ولا طفلًا بها يلجُ

تمتدُ سوداءُ أحيانا، وآونةٌ
بحرٌ من اللهبِ المسجور مضطربٌ
صفراءُ بالشعلِ الحمراء تمتزجُ
من تحته لججٌ من فوقه لججٌ

* * *

ما إن رأى (ناصر الإسلام) ما صنعتُ
بكى حناناً وما أزكى الدموع إذا
بالناس حتى كوى إحساسه الوهجُ
جفن (الإمام) بها يهمي ويختلجُ
وأصبح الناسُ في رَوْحٍ وفي دعةٍ
عطف «الإمام» لهم مأوى ومُبْتَهِجُ
دمع (ال خليفة) أطفى ما تسعّر في
تلك النفوس وكانت قبل تغلجُ
هي الفضيلة في أسمى مظاهرها
عنا البيان لها وانتابه الرّنجُ
لا غرو إن خانني شعري وأخرسني
جلال من للهدي والحق يتتهجُ
فلم يدع غايةً يسمولها بطلُ
إلا وحالفه في نيلها الفلجُ

الحديدة: ٢٦ شوال ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

اشهدي يا نجوم؟ كم بتُّ في محـ
راب حُبِّي أشكوليلي الفراقِ!
أقلق اللّيل بالأنين، وأبكي
وأناجي أطيف عهد التلاقي
لا أبالي مرارة العيش في سجـ
ني، ولا بالقيود تهصر ساقـ
حبّها قد طغى على كل شيء
فأنا منه في أشدّ وثاقٍ
والتقينا.. وشوقها مثل شوقي
ملء ما حولنا من الآفاقِ
ونسينا ما كان «في ساعة الوصـ
ل» كأنّ لم ننقسم عن عناقِ
والتقينا.. لكن.. وكففت دمعي
وخنقت الآهات في أعماقي!

الحديقة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

فمن معين واحد أستقي
خمرَ شقائي وعذاب النُّعيمِ
إنَّ يدًا واحدةً؛ عندها
راحة عمري، وعذابي الأليمِ

* * *

وهكذا الحب خِضَمٌ ولا
يعرف من قد خاضه منتهاهُ
فألفَ موت كل يوم يرى
فيه وألفاً من ضروب الحياة

الجديدة: ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م

١٠١ - يا رحمة الله

الصَّريعُ المضرُّجُ .. هو حُبِّي
والطيورُ التي تحوم عليه
ذكرياتي .
والضريمُ المؤجَّجُ .. هو قلبي
والوقود الذي يُكَبُّ إليه ..
رغباتي

* * *

كم تُمِيتُ الليالي
سرَّ حُبِّي الصريع
كم تنير الأمانى
وجد قلبي الصديق
يا لغة السحري أفيضني على
فالحزن قد أوقفها في يدي
يراعني آياتك الخالدة
صامتة كالجثة الهامدة

* * *

أي ماضٍ مُحَطَّمٍ .. لجناني ،
نَثَرْتُ حَوْلَهُ العهود الخوالي ..
حَسَرَاتِي ؟
أي تُكَلِّمُهُم .. لكياني

سَكَبْتُ هَمَّهُ صُرُوفَ اللَّيَالِي
فِي حَيَاتِي

* * *

كَمْ تَنُوحُ الْأَمَانِي
فِي جَنَانِي الصَّدِيقُ
كَمْ تَعِيثُ اللَّيَالِي
بِكَيَانِي الصَّرِيعُ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ إِلَى رَشْفَةٍ
لَسْتُ مُحَالًا . أَنْتَ كُنْهُ الْوَرَى
مَنْكَ تَتَوَقَّ الْمُهْجُ الظَّامِئَةُ
قَدِيمَةٌ مَا أَنْتَ بِالطَّارِئَةِ

الحديدة: ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م

١٠٢ - دَمْعٌ .. وَدَمْعٌ

ليس من يرتجي وصال حبيبٍ
مثل من يبتغي لقاء صديقٍ
ذاك أنكى جرحًا وأدهى، وهذا
جرحه في الفؤاد غير عميقٍ
وأخفُ الدموع؛ دمع رفيقٍ
ذابَّ يبكي به فراق رفيقٍ
هو أسمى .. لكن دمع أسير الـ
حب يغلي في جفنه كالحرّيقِ

الحديقة: ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م

١٠٣ - أنا ظمآن

هَجَعَ الليل، ولم تهجع جفوني
سكن الكون؛ ولم يسكن سكوني
أنا ظمآن إلى كأسِ الهوى
جرعةً تغتال شكي ويقىني
إنَّ آلامي عميق جرحها
كدتُ منها أحتسي كأس المنونِ

الحديدة: ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م

دَعْ ذَكَرَ لَيْلَاكَ وَاحِطِمَ كَأْسَ «دَارِينَا»
 وَعَدُّ عَنْ صِبَوَاتِ الْمُسْتَهَامِينَا
 وَخَلَّ بَيْتَ الْهَوَى فِي لَغْوِ فَتْنَتِهِ
 يَنَادِمُ الشُّعْرَا فِيهِ الشَّيَاطِينَا
 وَارْجِعْ إِلَى الْمَثَلِ الْعُلْيَا وَآسَ بِهَا
 كَرَّبَ الْأَبَاةَ، وَبُؤْسَ الْمُسْتَضَامِينَا
 هُنَاكَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى سَتُشْغَلُ عَنْ
 لُؤْمِ الْأَنَامِ بِنَبْلِ «الْهَاشِمِيِّنَا»
 «فَسَيْدِ» الْخَلْقِ فِي أَنْوَارِ سِيرَتِهِ
 يَمْحُو الضَّلَالِ وَيَهْدِي الْأَدْمِيْنَا
 وَآلَهُ حَوْلَهُ تَزْهَوُ مَفَارِقُهُمْ
 يُمَثِّلُونَ قَدَاسَاتِ «النَّبِيِّنَا»
 طِفَاوَةَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مُحَدَّقَةً
 بِهِمْ، وَقَدْ سَطَعُوا غُرًّا مِيَامِينَا
 هُنَاكَ لَا تُبْقِ إِجْلَالًا تَحْسُّ بِهِ
 إِلَّا وَرَجَّعَهُ تَعْظِيمًا، وَتَأْمِينَا
 هُمُ الْبَهَالِيلِ مِنْ أَبْنَاءِ فَاطِمَةَ
 طَابُوا فَعَالًا، وَأَقْوَالًا، وَتَكْوِينَا

وهبُّهُمْ مُهْجَتِي لَا لَامْتِزَاجِ دَمِي
بِهِمْ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُهُمْ دِينَا
مَنْ غَيْرِ عَتْرَةِ «طَه» حُبُّهُمْ شَرَفٌ
وَقَرِيبَةٌ وَشِعَارٌ لِلْمُصَلِّينَا
أَكْرَمُ بِمَنْ وَهَبُوا لِلْحَقِّ أَنْفُسَهُمْ
فَصَرَّعُوا رَغْبَةً فِيهِ أَفَانِينَا
كَانُوا نَجُومَ الْهَدْيِ فِي كُلِّ دَاجِيَةٍ
وَإِنْ هُمُ حَكَمُوا كَانُوا مُوَازِينَا
الْأَوْفِيَاءَ.. وَإِنْ خَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ
لَا يَقْبَلُونَ لِنَقْضِ الْعَهْدِ تَزِينَا
مَكَارِمَ الْخَلْقِ لَمْ يَنْظَمْ شَمَائِلُهَا
سِوَى «الْأُتَمَةِ» مِنْهُمْ وَالْأَبْيِينَا
أَسْمَاؤُهُمْ فِي فَمِ التَّارِيخِ دَمْدَمَةٌ
عَلَى عُرُوشِ الطَّوَاغِيتِ «الْفِرَاعِينَا»

* * *

لَيْتَ الْقَرِيضَ الَّذِي يَلْهُو الطَّغَامُ بِهِ
لَمْ يُعْنِ إِلَّا بِمَجْدِ الْعَبْقَرِيِّينَا
وَكَانَ مِيزَانُ نَقْدٍ فِي انْتِفَاضَتِهِ
حُكْمُ الْعَدَالَةِ يَهْوِي بِالْمُضْلِيِّينَا
آلَيْتُ أَنْفَذَ شَعْرِي فِي الْوَلَاءِ لَهُمْ
دَمْعًا، وَحَمْدًا، وَتَارِيخًا، وَتَلْحِينَا

الحديدة: ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م

١٠٥ — تحية العيد وعهد الولاء

[لم تحز قصيدة — في تاريخ الأدب اليمني الحديث — من الشيوع والاهتمام ما حازته هذه القصيدة، فقد تناقلها الناس، ونشرتها الصحف في عدن والقاهرة، وأذاعتها المحطات الأجنبية، ونشرتها مجلة «المشرق» بروما، وترجمت إلى اللغة الإيطالية، وجرت بعض أبياتها على الألسن مجرى الأحاديث العابرة والأمثال السائرة عند جميع طبقات الشعب اليمني. وقد ألقاها الشاعر في «حفلة الجيش» ثاني أيام عيد الفطر سنة ١٣٧٣هـ أمام صاحب السمو الملكي سيف الإسلام (البدر) وأعلن فيها مبايعة الشعب اليمني لسموه، وأورد فيها من الحقائق ما لم يدر عام واحد حتى مثلت للعيون؛ وكانت عند قوم من الأماني الضائعة، والأساطير المزعومة]:

يَحِقُّ لِشُعْرِي الْيَوْمَ أَنْ يَتَحَكَّمَا	فتصغي له الدنيا، وتحتفل السَّما
فقد طال — والأفواه تهرف — صمته	وما استطاع قبل اليوم أن يتكلما
وما خانَه وحيُّ البيان؛ وإنَّما	يرى الصمت أحياناً من النطق أحزما
إذا القول لم يظفر بسمعٍ يذوقه	فنوناً فلا تُعَدِّدِ يراعاً ولا فما
وخلَّ رياض الشعر نهباً لبُومه	تُجمجم صوتاً ناشز اللحن أعجما
فلا تنهادي كالحسان غصونها	إذا ما شدا شحرورها أو ترنَّما
ولا تتناغي باللُّحون طيورها	إذا سَحَّ قطرٌ أو شعاعٌ تبسَّما
ودع أيكها يَظْمَى وتظمى غصونها	وأزهارها.. حتى تموت من الظَّما
وقلبي صبَّ الشعر ما زال مغرماً	به لم يخُنْ عهداً له أو تظَلَّما

ودمت له الصبّ الوفيّ المتيما
لما ضاق مخلوق به أو تبرّما
وخير ولم يترك بها متألّما
وأنسي إذا وجه الزّمان تجهّما
وبالشعر أظفي جمرها المتضرّما



عُرِفْتُ به طفلاً صغيراً، وبافعاً
سقاني بكأسٍ لو سقى الدهر مثلها
وفاض على الدنيا شآبيب رحمةٍ
هو الشعر نبراسي إذا الخطب أظلما
وكم محنةٍ بالشعر أخضدُ شوكتها

عن القول فيه ظاهراً ليس مبهما
وبالشّر في أفق البيان مدمما
سهاماً وبقاياتٍ، وزهراً، وأنجما
وأكشف عن سرّ البطولة ملهما
إذا ما نماء ناسبُ عزٍّ وانتمى
(يحيى) الذي أعلى، و (أحمد) تَمّما
لها واصطفّاها الله للدين والحمى
الخلق، وانشق الدُّجى، وانجلي العمى
ومن يرث المعنى الفريد المطلّما
ستنحطم الأعناق مطلولة الدّما
وأقواله سرّ الكمال تجسّما
سوى (البدر) عنها ينثني متحطّما
يطوّق أعناق الرّجال تكرّما
ولم يقترف جوراً ولم يأت مائّما
ولا يجتوي أتعابها متبرّما
تكلف من يولي الجميل تعلّما
تزود ما يهوى وعاد مكرّما

زمانٌ مضى - إن كان عذر تجنّبي
فقد حان هتك الصمت بالشعر صاحِباً
سأرسله من منبر الحق والهدى
وأفرى به قلب الحقيقة مخلصاً
وأنضح عن عرش؛ إلى ذروة العلا
«محمد المنصور» أرسى أصوله و
ثلاثة آسادٍ عنا الدهر خاضعاً
توارثت النّور الإلهي فاهتدى بها
إلى من تُرى تفضي بسرّ جلالها؟
ومن صاحب الحق الذي دون نيّله
هو (البدر) من في فعله وصفاته
عرفناه سباقاً إلى كل غاية
وما زال مذ أهدى لنا الله ظلّه
ولم نره إلا مع الحق والهدى
يسهّد في كسب المكارم جفنه
ويولي جميل الصنع طبعاً فلا ترى
إذا قاصدٌ وافى إلى باب فضله

ثناها، وأعدى من شكا أو تظلما
 فعاش بها صَبَّ الفؤاد متيِّما
 ولم يدَّخر وفراً ولا غلُّ مغنما
 بشوش المحيّا مقبلاً متبسِّما
 ويكشف عن آلامها ما تأزّما
 فلا تخش منه باطنًا متجهّما

* * *

يدافع عنه كلّما حادث طما
 ولا يرتضي إلّاك ملكًا محكّما
 تغلغل في الأعماق واستوطن الدّما
 وتفديك إخلاصًا إذا الشرُّ خيِّما
 بها الشعر وحيًا لا كلامًا منظرًا
 تباع فيك الألمعيّ الغشمشما
 فكيف تجازي فضله المتقدّمًا؟
 فكيف تراعي حقّه المتحكّما
 بقلب شجاع كلّما همّ أقدمًا
 رؤوس الورى والدهر وافاه مسلما
 ويجرف ما يلقي ويرغو مدمدما
 إذا همّ لم يخش الأعادي وصمّما

* * *

وفاءً وشكرًا، بل قضاءً محتمًا
 له رايةً حتى يُكبَّ «جهنّما»
 فتجحد من أسدى الجميل وأنعما

* * *

وإن ظالمٌ جاشت دوافع بغيه
 أحبّ العلّا في قوله وفعاله
 وجاوز جهد النَّاس في كسب مجدها
 تراه إذا وافيتَه لملمةٍ
 ويصغي إلى الشكوى ويشفي جراحها
 صدوق الهوى والرأي في كل موقفٍ

أمولاي؛ أنت اليوم للشعب موثّل
 فلا يرتجي إلّاك في الغد منعّمًا
 وحبك كالإيمان في كل مهجةٍ
 تبائعك الأرواح قبل أكفّها
 بأيّ لسانٍ معجز القول يغتدي
 أصوّر طوفان الشعور لأمةٍ
 أبوك الذي أحيا موات كيانها
 أبوك الذي أقصى عداها وصانها
 أبوك الذي لما دجى الخطب خاضه
 وصمّم في إقدامه فانحنت له
 ولم ينخذل والهول يزحف عاصفًا
 كذاك ينال المجد كل غضنفرٍ

إذا لم تكن أنت «ال خليفة» بعده
 فلا نبضت للشعب روحٌ ولا علّت
 أعين بلادي أن تحيد عن الوفا

مدى الدهر لن يبلى ولن يتصرّما
ودمت ملاذًا للشريعة والحمى

فخذه «ولي العهد» عهدًا مقدسًا
(وهنّث بالعيد الذي أنت عيدُه)

الحديقة: ٢ شوال ١٣٧٣هـ

٣ مايو ١٩٥٤م

سازمان فرهنگی
و هنری
شهرستان

١٠٦ - جُملة قلبي

وهل أستطيعُ أن أعربَ عنها؟
لا .. لا .. إني لا أستطيع ..
وكيف أستطيع أن أفصح ..
عن الجملة التي في قلبي .؟
بأية حروف؟ بل بأيّ لغة؟
هي أسمى من كلّ تعبير .. إنّها فوق اللُّغات ..
هذه الحروف .. أحسُّها ميّنة ..
وجملة قلبي فيها حياتي ..
بل حياة جيلٍ كامل .؟
«ولّع» سيجارة .. أيها الحائر ..
واسترسل في عبّ دخانها ..
آه لو تستطيع ..
أن «تولّع» جملة قلبك ..
وتنفثها .. ولو دخانا .

الحديدة: ١٣ ذو الحجة ١٣٧٣هـ

١٢ أغسطس ١٩٥٤م

١٠٧ - هَمَمَةٌ..

لن أتألم، ولن أثور.
سأصبرُ وأحيد.
وأشاهدُ من على المعركة التي تدور.
أطفالُ.. كلُّ أبطالِ المعركة. نعم أطفالُ.. أطفال!
وهل أنت وحدك الرجل؟
كلّا.. كلّا..
إن الرجل لم يُخلق بعدُ
وفي رِجَمِ الغيبِ تتحرك إرادة.
وفي الأعالي يُنتظر مولودٌ جديد.
والمثل العليا تتخاوص متشوّقة،
والطفيليات ترتع في الحقل خرساء عابثة.
والقَدَرُ يُفهقه ويخطُّ سطرًا..
هكذا هَمَمْتُ جملةً قلبي.

الحديدة: ١٤/١٢/١٣٧٣هـ

١٣ أغسطس ١٩٥٤م

١٠٨ — لست وحدك الباكي

بَشِمَتْ الثعالبُ بالعناقيد ..
والنواطير نائمة!
والصوتُ الخافت يرتدُّ عن الأسماع ..
ثمَّ يتلاشى أنيناً حزيناً!
آه يا «عزيزي». فالصوت الخافت ينجي «مخدَّرين»!
أنا لا أرهب «الخدر» يفتك بالأجسام ..
بل «الخدر» الذي يصيب الأرواح!
أبشعُ من أوجاع جسد الإنسان ..
أطماعه التي تفسد إنسانية الإنسان ..
هياً بنا نجري وراء القطيع ..
إنني أسمع من بُعْدٍ ثغاءَ ورغاء ..
وأسمع أيضاً عواء ..
لكنه خافت متقطَّع لا يصدِّ الذئاب ..
أتبكي يا «عزيزي»؟ لا تأسف .. فأنا أبكي أيضاً!
امزج دموعك بدموعي إن شئت ..
فلست وحدك الباكي ..
ولست وحدك الحزين!

الحديدة: ١٤/١٢/١٣٧٣هـ

١٣ أغسطس ١٩٥٤م

١٠٩ — من ليالي «آب» على شاطئ الحديد!

إنها ليلة باهتة . من ليالي «آب» .
امتزجت حرارة الجو المختنق . .
برطوبة البحر الراكد . . بأضواء القمر والنجوم .
ولا مُفتح لنسمة عابرة . .
واختنقت أنغام البلبل في جوفه . فصمت يرتعش .
وأشعة القمر تتساقط على صفحة البحر وتغني .
والسفينة الرابضة . . قد أضناها الانتظار .
وأغمض «العزیز» عينيه على طلائع حُلُم .
وأنا أطلع قصة . . ولا أرى أبطالاً . .
المسرح فسيح . . ولكن أين الممثلون؟
والرواية رائعة . . ولكن أين الأبطال؟
والمأساة دامية . . لكن أبطالها أقزام .

الحديدة: ١٥/١٢/١٣٧٣هـ

١٤ أغسطس ١٩٥٤م

أملٌ . . هل يتحقق؟
أم تراه من أكاذيب الأحلام؟
مُسَكَّنٌ مَوْقَتْ . . كلّ ما يهدّي «العزیز» .
مصلٌ ساجرٌ فتاكٌ . جلبه «المتاجرون»؟
آه إلى متى يا «عزیزی»؟
هذا المخدّر هو الدّاء الطویل العُمُر . . ؟
ماذا أصنع . . . ولا أطباء؟
وماذا يصنع «العزیز» المسکین؟
رحمتک یا رب؟
وأدرتُ مفتاح «الرادیو» . .
فسمعتُ صوتاً رهیباً:
«یا یحیی خذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ . .
وطارت رُوحی . . لا شعاعاً . . ولكن خشوعاً . .
وسبحتُ فی آفاق مشرقة . .
واستغرقتُ فی صلاة خاشعة . .
الماضي والحاضر والمستقبل . .
رأيتها كلّها فی جهةٍ واحدة .

في لحظةٍ واحدة..
في كلمةٍ واحدة.. «القوّة».

الحديدة: ١٦/١٢/١٣٧٣هـ
١٥ أغسطس ١٩٥٤م

١١١ — الجدة القديمة

شاهدتُ شمسَ الأَمْسِ وهي تَغِيبُ .
فبكِيتُ في أعماقِ نفسي . . وهي لا تدري .
ورأيتُ شمسَ اليومِ طالعةً . .
فتطلَّعتُ رُوحِي إليها . . وهي لا تدري .
وتذكرتُ قولَ العربي القديمِ
«مَنَعَ البقاءَ تَقَلُّبُ الشَّمْسِ» .

ما هي الفائدة؟

شمسُ تطلُعُ بالحياة والجمال والنور .
وشمسُ تَغِيبُ فيسودُ السكون والظلام .
لا فائدة . . أيها العزيز . .
تطلُعُ شمسٌ أو تَغِيبُ .
ما دامت «الأميا» تفتكُ بكيانك وكياني .
«الأميا» الجدة القديمة . .
تعبثُ بكلِّ شيءٍ وتجعلُ الحياةَ كُلَّها آلاما .
وقالوا: مريضُ الدكتور . .

و «عزيري» مريض!

وأنا أيضًا مريض!

فكيف الخلاص؟

آه... العزيز، النائم يجرّ أنفاسًا طويلة .
أكاد أحس لزوجة مصلِ «الخدر» في أنفاسه،
أنفاسه الثقيلة المتعثرة..
هل تراه سيفتح عينيه ويرى جمال الحياة؟
لا بد.. لا بد.. أن يرتشف الصحو؛ و «يقذف» «الخدر» .
لا بد أن تستيقظ روحه..
والجرح العميق سيلتئم..
والكبد المقروحة ستشفى..
و «الأميا» ستبيد.
ونرشف كأس الحياة السعيدة.. ،
ونصحو طويلاً.. وطويلاً سنصحو.

الحديدة: ١٧/١٢/١٣٧٣ هـ
١٦ أغسطس ١٩٥٤ م

١١٢ — الجزّار.. والجراح

أغبياء؟ نعم أغبياء
أولئك «الفضوليّون»..
أولئك الذين يمسون «المباضع»
ويجارحون «المصابين» وهم لا يفقهون..
لا.. لا.. ليس المطلوب «مبضع» الجراح.
ولا «المقصّ» و «المرهم»، و «الشاش» المعقم..
ولنما المطلوب قبل كلّ شيء؛ خبرة الجراح..
وفن الجراح وتجارب الجراح..
تلك التي يعرف بها كيف يجارح.. لا كيف يطعن..
تلك التي تفرّق بين السكين في يد «الجزّار»
و «المبضع» في كفّ الطّبيب..
الخبرة، والفنّ، والتجارب..
تميّز المواضع السليمة من السقيمة..
فتعالجها دون ارتباك ولا ارتجاف..
الجزّار يذبح فقط، والجراح يعالج ليشفي..
فما لكم و «مجارحة» المرضى..
أيها «الجزّارون»؟ وأين أين الأطباء؟

الحديدة: ١٨/١٢/١٣٧٣هـ

١٧ أغسطس ١٩٥٤م

١١٣ — أفهمني ولا تظلمني!

حياتي تتأرجح على حبال الأحلام..!
وأنت.. يا مَنْ قَصَصْتُ عليه حلمي..
يا مَنْ ينظر إليَّ مشفقًا ساخرًا.. بأحلامي..
أفهمني أولاً.. وقل لي.. هل تحلم؟
ولا تظلمني.. ثانيًا.. وقل لي: لماذا لا تحلم؟
لا تقل إنني خرافي.. لأنني أحلم..!
وإذا كنت بواقعتك معتزًا.. ولا تحلم..!
فدعني للمعاني والأحلام..!

الحديدة: ١٨/١٢/١٣٧٣هـ
١٧ أغسطس ١٩٥٤م

وعُدْتُ .. وتناولت «الصباح» ..
وقالت : هل تريد قهوة ؟
لا . لا . لا أريد الآن هكذا أجبت .
وماذا تريد؟ قالتها عاتبة!
يقولون لي . . . وما تبتغي؟
ما أبتغي . . جلّ أن يُسمَى؟
تحطّم مفتاح النور.
فتشتُ طويلاً عن بديل . .
وأخيراً وجدته . .
كنتُ أخشى إن نبيتَ في الظلام . .
قبل أن نُحظى بمفتاح جديد؟
يجب أن نستعدّ دائماً كعجائزنا؟
فالمفاتيح معرضة للكسر بأيدي الجهلة .!
أتريد مفتاحاً لا يتحطّم . . لنورٍ لا ينطفئ .؟
إنه في متناول يدك . . وأنت لا تدري .
هو بين جوانحك . . وأنت لا تعلم .؟
إنّه بعيد عن أيدي الجهلة والأجلاف .!
مفتاح نور رائع أبدي .

فُتِّشَ عَنْهُ فِي أَعْمَاقِكَ .
وَاسْتُغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ مِفْتَاحٍ .

الحديدة: ١٨/١٢/١٣٧٣هـ
١٧ أغسطس ١٩٥٤م

١١٥ — الثعلبُ .. وكبدي.

الثعلبُ الكبير.. يرقص في الحظيرة.
وعناقيد العنب صرعى حواليه؛
وموسيقى «النهاية» تعزف في رهبوت.
وكحشرجة «المحتَضِر» تبعث أنغامها.
وصغارُ الثُعالب البَشِمة.. تتمايل وتصفق!
و«الخلية الأولى» تتضاغى.
تريد أن تؤدِّي واجبها القديم:
نظام «المعدة» يجب أن يرتبك؛
«الهضم» عليه أن يسوء؛!
ودورة «الدم» يلزمها التكاسل،!
فيحار «المخ» ويضطرب «القلب»،
ويؤول كل شيء إلى الفساد...
خاضعين لسيطرة «الأميبا»!
الجددة القديمة..
تفتك بالكبد.. بالدم والأمعاء.
ثم ماذا؟ لقد تحكَّمت «الجددة القديمة»...؟
سأولع سيجارة، وأعب دخانها بنهم؛
وأتيه مع خيالاتي..

أُمِّي . أَخِي . عَزِيزِي .
و «الأمييا» و «العزيز» أيضًا .
والجرح الدامي ، والكبد المحروقة .
آه .. أحسب أن كبدي تحترق ..
أشم رائحتها تمازج دخان «الدخينة» !
ستنتهي هذه بين أصابعي وفمي في لحظات ..
ثم أرمي بعقبها بلا أسف ؛
لكن كبدي ستظل تشتوي ..
وستبقى تحترق حتى ..
حتى .. أختنق بدخانها .
أين أنت أيها «العزيز» ؟
أقبل .. أسرع .. أدركني .
فقد تستطيع أن تطفئ لهيبَ كبدي ..
وأنتَ . أنتَ .. وحدك الذي يستطيع !

الحديدة : ١٩/١٢/١٣٧٣ هـ
١٨ أغسطس ١٩٥٤ م

يريد القلم أن يفرّ من بين أصابعي .
 ليتخلّص من مناجاتي . ! لينجّو من محاباتي . . !
 يريدني أن أفصح بجملّة قلبي .
 وأن يخطّهما بحروفٍ صريحة !
 وكلّما حاول . . وقفتُ أناملّي به جامدًا . .
 خورًا وضعفًا ؟ نعم . . بل وخوفًا ورعبًا !
 ماذا يريد « قلمي » ؟
 ألحبّ ؟ لا . . ليس وحدّه ؟
 ألجمال ؟ لا . . لا يكفي بلا حب !
 ألخير ؟ لا . . ليس له طعم بلا جمال ولا حب .
 هي . . ما هي . . التي يريد أن يكتبها ؟
 لست أدري . . فاحسأ أيها القلم .

الحديدة : ١٩/١٢/١٣٧٣ هـ

١٨ أغسطس ١٩٥٤ م

١١٧ - فرحة!

ترنمي أيتها السماء .
وأنت يا أرض ارقصي .
فإن فرحة قلبي تشدو .
ونشوة روحي تصفّق .
والدمعة . . سأجفّفها .
والأنّة . . سأخنقها .
وسأتوجّه إلى «عزيزي» في صلاة خاشعة .
وأستمدّ الغفران . .
ترى هل سيرضى ؟
وهل ستقبل الصلاة ؟

الحديدة : ٢٠/١٢/١٣٧٣هـ
١٩ أغسطس ١٩٥٤م

١١٨ — صن دموعك.. يا مسكين.!

انتهت مراسيم الصلاة.
صلاة من نوع جديد.
لا ركوع.. لا سجود.
لا دعاء.. لا نشيد.!

فقط.. تمتعات.. ودموع.
إنها عواطف تنتحب، ومشاعر تتضرع!
صن دموعك أيها المسكين...
إنها ليس لها أصوات!
فلن تفيد.. ولن تُجدي.
إنك تبعثرها بين أقدام العتاه.
وأسماعهم لن تتفتح إلا للصاخة!
إنهم لن يفيقوا إلا على صوت القارعة،
ليشاهدوا «الفصل الأخير».

أهي فترة «تبه»؟
فالكفر بالواجبات الإنسانية صحراء.
والمجتمع التائه فيها مصيره الفناء.
لا عطشاً ولا إعياء بل.. وذلةً وهواناً.!

الحديدة: ١٣٧٣/١٢/٢١ هـ

٢٠ أغسطس ١٩٥٤ م

أيتها الرياح التي تقول من بعيد ..
تعالى .. تعالى .
واحملى دموعي وأناثي ..
إلى الشواطىء البعيدة ..
وزعيتها هناك حيث الشهداء .
وانثرها على الثاوين تحت التراب .
وثمة قبر مجهول لحاج كريم .
لا تضم أحشاؤه رفاتاً .. ولكن أملاً .. !
إنه قبر أبي .. الحاج «محمد» ..
طوفي بباقة من دموعي حوالئه .
وارفديه بحفنة من أناثي الذابلة ..
قولي له خاشعة :
هذه هي بقية الإنسانية في أرض الحرمان .
وثمالة الصديق في قلب إنسان ..
وقولي .. وقولي .. ما شئت أن تقولي .
قولي له : إن العهد باق ..
وهناك من يُخلص للميثاق !

الحديدة : ٢١/١٢/١٣٧٣ هـ

٢٠ أغسطس ١٩٥٤ م

١٢٠ — متى تندلع الشرارة؟

توشك السماء أن تحتجب بالغيوم .
إنها غيوم ثقيلة مظلمة .
ترى ماذا تحمل في جوفها؟
كأنني بالبرق النائم بين أحشائها . .
وقد استيقظ شرساً مجنوناً . . !
سيهبّ مذعوراً . ! ويفرقع كل ما يحيط به .
والرعد الواجم سيصخب . ويهدر هديرًا مرعبًا .
ولكن . . المطر لن يهطل ماءً . .
بل . . سيتحدّر لهبًا وسعيرًا . وربما دماءً !
آه . . الرعب يكمن في جوف السحابة «الشرقية» .
إن الشرارة الكبيرة تتلظى في أحشائنا .
متى متى تندلعي؟
أيتها «الشرارة» الكبيرة؟

الحديقة: ١ محرم ١٣٧٤هـ
٣٠ أغسطس ١٩٥٤م

رأيت اليوم عجبًا .
سربًا من البغال يأكل العشب بنهم .
يزدرده بلذّة . . ولا يبالي رداءة الماء الذي يشربه .
«البغل» لا يخاف الجراثيم .
هل لأنه لا يفكر فيها؟
أم أن جهازه الهضمي قوي جدًا؟
لعله يحول الجراثيم غذاءً؟
إنه يجد في كل ما يتقّمه غذاءً لذيذاً .
ومثله الكثير من الحيوانات . .
هل لأنها لا تفكر؟
أم لأن أجهزة هضمها قوية؟
ولكن لماذا أرى بعض البشر يتقّمون كالبغال؟؟
آه . . يا عزيزي . . !
دولاب الساقية يدور ويُعول .
و «الناعورة» تدور أيضًا «بقمامها» .
وتغترف الماء الملوّث . . من «الحالي»^(١)!

(١) بئر معروفة «في الحديدة» تسمّى «الحالي» .

ويزيده «السقاؤون» تلويثًا.
آه.. إني أهذي بما لا أدري.

الحديدة: ١٣٧٤/١/٦ هـ
٤ سبتمبر ١٩٥٤ م

١٢٢ - مناجاة...

[من رسالة إلى أخي عبد الوهاب الشامي]:

في هذه السّاعة ..
والكون هادئ ساكن،
والليل مخيمٌ خاشعٌ،
ولا يبذد الصمت الرهيب .
إلاّ عواء متقطّع يأتي من بعيد .
ووشوشة أمواج البحر .
ترقص على تمتاتها أشعة القمر .
التي تساقط عليه في بهاء وحنان .
في هذه السّاعة أناجيك .
ولعلّ القمر والبحر يصغيان .
لقد سئمتُ من كل شيء ..
وكل مجهوداتي تذهب سدى .!
لقد فسدت الطباعُ ،
لم يعد الإنسان هو ذلك الذي عرفته ..
قبل أن تكتسحني «العاصفة» ..
وترمي بي في «قعر نافع» ؟
ذلك الصّدوق المخلص .

تحولَ إلى متذمّر شكوك ..
وتلك «الغزاة» المطلّة من وجه القمر.
ألها قصّة؟ ما هي؟ وهل عرفها أحد؟
و «الريحاني» حين قال:
«أنا الشرق عندي فلسفات وديانات،
من يبيعي بها طيّارات؟»
هل كان موفّقاً؟
وهل يوجد غربيّ يقول:
«وأنا الغرب عندي طيّارات،
من يبيعي بها ديانات؟»
وما هي الغاية من كل ذلك؟
وذرة الرمل أتحمّس أنها تحتل مكاناً في الكون؟
وأسفاه؛ إن هذه الدنيا الرائعة ..
ليست مائدة خلود ..
فلماذا لماذا، لماذا كل هذا العناء؟
يا ربّ. إنها كلمة كبيرة يندمج فيها الوجود.
هل الإنسان وحده هو الذي يعرفها؟
أم هو وحده الذي يستطيع أن يجحدها؟
وأنت وأنا من نكون؟
وكيف؟ ولماذا؟ وإلى أين؟
وحين تخلو الأرض من الإنسان.
من سيناجي القمر ويفكر في غزائه الجميلة؟
لقد قرأت أن الإنسان يفكر في الطلوع إلى القمر ..
فهل تراهم يستطيعون؟

إن الإنسان إذا فكر في شيء ..
فإنه يستطيع أن يفعله .
أظنهم سيفعلون .
وأنهم إلى الكواكب سيطلبون .
ولكن ماذا سيكون ؟
إن مجرد التفكير يرعبني .
خذها يا أخي مناجاة ..
شاهدًاها البحر والقمر .
أحسّ أنني أتنفس من ثقب ضيق .
أتكلّم من تحت الأنقاض .
لا أنقاض جدار هُدم ..
بل أنقاض روعي ..
أنا لم أعرف «أوروبا» .
لكن هذا الذي ينبض في «صدري» ..
أحسّ أنه أكبر من قارة «أوروبا» !
والصّماخ الذي في رأسي .
يضجّ ويدور .. وليس حول الشمس ..
بل حول منبعث الشمس .. !
هل هذا عقل ؟ أم جنون ؟
لا .. لا .. يا أخي ..
لا تصدّقني لعلّ يراعي يهذي ويخرف ..
لعلّ الحقيقة تلغنه !
فالقطة التي تنبض في صدري ..
لا تكاد تحسّ بمكانها في حناياها .

إلاً إذا كانت ذرة الرُّمل . .
تشعر أنها تحتل مكاناً في الوجود.
وحقيقة صماخ رأسي بكماء . .
لا تدور إلا حول تابوت فنائها.
والشرق ليس في حاجة إلى «طيارات» . .
والغرب لا تنقصه «الديانات» . .
والقوم لن ينفذوا من أقطار السُّموات إلاً بسلطان!
ومشكلة الإنسان أينما كان . ومهما كان . .
جرعة واحدة من الإيمان .
أو رشفة واحدة من كأس الموت . ؟
لا . . لا . . قد رجعت عن هذا الرأي . .
الإنسان فقط في حاجة إلى «دخينة» تأمل .
ينفث مع دخانها ما تراكم في صدره من حقد ،
وما تلبّد في صماخه من خوْفٍ ،
كما أفعل الآن .
والليلُ والبحرُ والقمرُ .
ووحدي شهودي !
إنني أتذوّق بذلك الراحة الكبرى . .
إذا رفعت صوتك بكلماتي . .
فستسمع معها حيرتي . وحبي !
وتعلم سر مناجاتي لك بهذا الهذيان .
وصلّ – إن شئتَ معي – بفكر خاشع .
وقل تلك الكلمة الكبيرة «يارب سبحانك» .
إنها تُغني عن كل فلسفة وعن كل هذيان .

آه يا أخي ، إنني جدّ حزين ..
إنني أتصوّر العاصفة الكبرى !
وأحزن حين لا أجد حولي من يفكر فيها .
بل حتى ولا يتخيّلها .. ! وإنها لمأساة .. !
إنهم سامدون ! سامدون لا يشعرون .

الحديدة : ١٤ جمادى الأولى ١٣٧٤هـ

٧ يناير ١٩٥٥م

[في شهر شعبان سنة ١٣٧٤هـ دُبِّر انقلاب عسكري في «تعز» كان إمامه سيف الإسلام عبد الله الذي أعلن تنازل أخيه الإمام أحمد عن العرش.. وحين بلغ سمو الأمير «البدري» ولي العهد النبأ وكان في «الحديدة» فحَصَّنْها ثم غادرها ومعه صاحب الديوان إلى «حجة»، حيث جَهَّزَ الجيوش وعبَّأها للزحف على «تعز»، ولكن والده الإمام أحمد استطاع أن يفك عن نفسه الحصار، وقبض على من دُبِّر الانقلاب، فقال الشاعر يَحْتِ الإمام أحمد على العفو عن المعتقلين، وهي آخر ما أنشأه من قصائد المدح:]

واخفِض جبينك إذعانياً وإقراراً
آياته الغرَّ أنعاماً وأشعاراً
من المعاني، وما يطويه أسراراً
وأشرف الخلق أقوالاً وآثاراً
وحارس الشعب ممن عاث أو جارا
ومن رمى كبد الطغيان فانهارا
فبادلته بها حُباً وإكباراً
في منهج الحق أنى شاء واختاراً
ولا تركت لقلب المجد أوطاراً
إلاً وجاوزتها جاهاً ومقداراً
حرباً وسلماً، وإعساراً، وإيساراً

قف خاشع الطرف إجلالاً وإكباراً
واغمس يراعك في قلب البيان وُصِّغْ
واستلهم الفنَّ، أعلى ما يضمن به
وحي مفخرة الدنيا وواحدتها
حامي حمى الشعب باني صرح عزته
«ناصر الدين» والهادي لشرعته
ومن لأُمته أصفى مودته
وملكته نواصيها.. يصرفها
مولاي؛ لم تبق للعلياء من أرب
ولم تدع غايةً يسمولها بطلُ
وقد تمرست بالأقدار قاطبةً

تشع في صفحات الخلد أنوارا
ولا ضللاً، ولا غدرًا، ولا عارا
لدعوة الحق إعلانًا وإسرارًا
بها ويقتحم الأشواك والنار
عنه، وكم تنشد الكثران أشعارا
تحكي صداها نجوم الليل أسمارا
وصافح الموت والأرزاء بتارا
(إن كنت ربحًا فقد صادفت إعصارا)
إلا سقاه بكأس الشر تكرارا
إلى الجحيم، ويلقى الخزي والعارا
فيه ولكن حباه الله إيثارا
وجاحد الفضل لا يستطيع إنكارا

* * *

عليًا تساميت همات وأوطارا
يموج جهلاً، وتضليلًا، وأوزارا
بالعلم واهد به من ضلّ أو حارا
فأصبح الناس في «الخضراء» أحرارا
على الصواب، وقلم ظفر من جارا
إلى الجحيم بها كيدًا وإضرارًا
لأمة العرب أمجادًا وأعمارًا
طغيان من كان بالمعروف أمارًا
عزمًا لو انهارت الأفلاك ما انهارا
مجال عون، ولا استنجدت أنصارا

مواقف لك في التاريخ حاسمة
لم تحو بغيًا، ولا ظلمًا، ولا سرفًا
لكن جهاد زعيم روحه خلصت
يطوي ويفترش الغبراء مغتبطًا
والييد كم خبر تروي زوابعها
وكم له ذكريات في مفاوزها
إذا دجا الخطب شق الهول صاعقة
ويصفح الهول إن لاقاه مرتجزا
ولم يدع أملًا للشر أو وطرا
ما زال من رامه كيدًا يكب به
حظ من الله لا رأي لمجتهد
لا ذو المحبة يجلو سر عصمته

مولاي أنت ملاك في حقائقه الـ
تطل من ملأ عال على ملأ
فارحمه مولاي، وانعش قلب جاهله
وتلك دعوتك الكبرى صرخت بها
واكبت مزاعم من هانوا بأنفسهم
أنقذت أمتك الكبرى وقد زحفوا
وقفت وقفه ليث أغلب وهبت
علمت كل زعيم كيف يثبت للـ
ثبت وحدك في الميدان ممتطيًا
وفزت وحدك لم تترك لمجتهد

ودمدم الأفق أهوالاً وأخطارا
وبعث الأسد من قحطان ثوارا
إليك يقتحمون الشرّ موارا
وكنت أنت الذي رباه مغوارا

وكانت الأرض قد قامت قيامتها
وأسرع «البدر» بالأجناد يحشدها
وصاح في القوم صوتاً ساقهم قُدماً
و «البدر» ليثٌ وغى إذ أنت والده

* * *

وضنت عزّتها بالجود مدرارا
لكن حناناً وإكراماً، وإعذارا
فبات في لهوات اليأس محتارا
وشاهد الموت ألواناً وأطوارا
وصارع الهول أسقاماً وأفكارا
يستفها الليل أحزاناً وأكدارا
من حوله الأرض آمالاً وأنوارا
وذكريات أساهها الزهر والغارا
إلاً ولاؤك إخلاصاً وإقرارا

فدتك نفسي التي أحيتّها كرمًا
تعفود وتصفح لا عجزاً ولا حمقًا
وكم أحاطت بمغرور جرائره
وذاب كل رجاءٍ في خواطره
وذاق كل عناءٍ من مخاوفه
وكاد يُلقي بقايا روحه مِرْقًا
كشفت عنه ظلام اليأس فانبثقت
وراح يقطفُ حتى من مصائبه
فاقبلُ تحية قلب لا يخالجه

تعز: شعبان ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م

فهرست الحجل للهدوء

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
مقدمة الطبعة الأولى: بقلم قاسم بن علي الوزير	٢٧
مقدمة المقدمات	٥٧
النفس الأول	٦١
الإهداء . . إلى شعراء الشباب من أبناء وطني العزيز	٦٣
مقدمة الديوان: بقلم الشاعر الأديب إبراهيم بن أحمد الحضرائي	٦٥
ديواني . . وشعراء اليمن، بقلم صاحب الديوان	٦٩
علالة المغترب	٧٣
الإهداء . . أحمد محمد الشامي	٧٥
مقدمة	٧٧
من اليمن	٨٣
الإهداء . . أحمد محمد الشامي	٨٥
مقدمة	٨٧
ألحان الشوق	٩١
فرتاش	٩٣
الموءودات	٩٧
سلسلة الأدب اليمني المعاصر - حصاد العمر	١٠١
وأحب أن أقول	١٠٣
لزوميات الشعر الجديد	١٠٥
الإهداء	١٠٧

١٠٩	مع الشعر في اليمن
١٢٧	بنات الخمسين
١٢٩	الإهداء
١٣١	مقدمة
١٣٥	ألف باء اللزوميات
١٣٧	الإهداء
١٣٩	مقدمة
١٥١	مع العصافير في بروملي
١٥٣	مقدمة
١٥٥	أطيفاف
١٥٧	تقديم
١٥٩	ديوان الشامي : الآثار الكاملة
١٦٣	١ - السيد أحمد عبد الوهاب الوريث
١٦٥	٢ - إليها
١٦٦	٣ - ليت لي
١٦٧	٤ - الصدى
١٦٩	٥ - تحية العيد
١٧١	٦ - عشرون عامًا
١٧٢	٧ - تحية رمضان
١٧٤	٨ - علي الأمير
١٧٦	٩ - القاضي يحى الإرياني
١٧٨	١٠ - تحية عام ١٣٦٣ هـ
١٨١	١١ - زنبقة في فلاة
١٨٣	١٢ - دموع الغريب
١٨٥	١٣ - نظرة إلى الكون
١٨٧	١٤ - صور رائعة
١٨٩	١٥ - ردُّ التحية

الموضوع	الصفحة
١٦ - إحساس الشعب	١٩٠
١٧ - يا ليل	١٩٣
١٨ - بين الصخور	١٩٤
١٩ - نشيد المهاجر	١٩٥
٢٠ - زفرة	١٩٧
٢١ - استيقظ يا وطني	١٩٩
٢٢ - دمعة على الثعالبى	٢٠٣
٢٣ - الوتر المغمور	٢٠٦
٢٤ - شاعر	٢٠٨
٢٥ - عندما أحب	٢٠٩
٢٦ - الغريب	٢١١
٢٧ - أقبل الليل	٢١٣
٢٨ - إنسان	٢١٤
٢٩ - كم أقاسي العمر	٢١٦
٣٠ - محمد رسول الله ﷺ	٢١٧
٣١ - المعري	٢٢٠
٣٢ - في سبيل التعليم	٢٢٢
٣٣ - اعتراف	٢٢٤
في مسرح الحياة	٢٢٧
مقدمة	٢٢٩
أشخاص الرواية	٢٢٩
٣٤ - الرواية	٢٣٣
٣٥ - أين أنت اليوم	٢٥٣
٣٦ - وداع صديق	٢٥٥
٣٧ - الشيخ العيزري	٢٥٨
٣٨ - ذكرى وحنين	٢٦١

٢٦٢	٣٩ - مناجاة إلى الله
٢٦٤	٤٠ - هجر ليلة
٢٦٥	٤١ - قانون خير الخلق
٢٦٨	٤٢ - بعد الفراق
٢٧٢	٤٣ - وحي العيد
٢٧٥	٤٤ - المرأة
٢٧٦	٤٥ - يوم الغدير
٢٨٠	٤٦ - الشعر والشعراء (ابن قتيبة)
٢٨١	٤٧ - يوم الاستقبال
٢٨٣	٤٨ - مضى العلا
٢٨٥	٤٩ - وقفة
٢٨٦	٥٠ - شكوى الغريب
٢٨٩	٥١ - النفس الأول
٢٩١	٥٢ - اليمن تكرم لبنان
٢٩٤	٥٣ - عيد استقلال لبنان
٢٩٦	٥٤ - نشيد النوى
٢٩٨	٥٥ - نشيد يوم يتيم
٣٠٠	٥٦ - نشيد الأحرار
٣٠٢	٥٧ - ليلة عيد في سجن نافع
٣٠٥	٥٨ - في ساعة عتاب
٣٠٧	٥٩ - بسمة أسير
٣٠٩	٦٠ - شهداء
٣١٣	٦١ - خمسة وعشرون عاماً
٣١٤	٦٢ - نفثة سجين
٣١٦	٦٣ - نحن والعنصريون
٣١٨	٦٤ - ضراعة سجين
٣٢١	٦٥ - رباعيات [١]

الموضوع	الصفحة
٦٦ - إمام الطغاة	٣٢٣
٦٧ - تحت صورة	٣٢٤
٦٨ - رباعيات [٢]	٣٢٥
٦٩ - لولا المروة	٣٢٦
٧٠ - تحية سجين	٣٢٧
٧١ - عروس تزف إلى قبرها	٣٢٨
٧٢ - دموع الصداقة	٣٣٠
٧٣ - مسكين	٣٣٣
٧٤ - ندم	٣٣٥
٧٥ - تحية	٣٣٧
٧٦ - نغمات التهاني	٣٤٠
٧٧ - فلسفة الرضا	٣٤٣
٧٨ - يا شمس	٣٤٤
٧٩ - قوة الروح	٣٤٥
٨٠ - العاطفة الخالدة	٣٤٦
٨١ - منافق يتلو القرآن	٣٤٧
٨٢ - خليفة	٣٤٨
٨٣ - المصلي المرائي	٣٤٩
٨٤ - الجيل الجديد	٣٥٠
٨٥ - دموع سجين	٣٥١
٨٦ - ثورة مصر	٣٥٤
٨٧ - مأساة شهيد	٣٦٦
٨٨ - حناناً أمير المؤمنين	٣٧٠
٨٩ - إلى مفخرة العرب	٣٧٤
٩٠ - دمة وابتسامة أو: (فرحة الإطلاق)	٣٧٩
٩١ - تهامة في التاريخ	٣٨٣
٩٢ - ضراعة روح	٣٨٧

الموضوع	الصفحة
٩٣ - صلاة	٣٨٩
٩٤ - النور الشهيد	٣٩٣
٩٥ - أمل	٣٩٥
٩٦ - السيد عبد الله عبد الكريم	٣٩٨
٩٧ - ليلة العيد .. على شاطئ الحديد	٤٠٠
٩٨ - يا قوم بشرى فقد وافاكم الفرج	٤٠٣
٩٩ - والتقيننا	٤٠٥
١٠٠ - الحب	٤٠٦
١٠١ - يا رحمة الله	٤٠٧
١٠٢ - دمع .. دمع	٤٠٩
١٠٣ - أنا ظمآن	٤١٠
١٠٤ - أهل البيت	٤١١
١٠٥ - تحية العيد وعهد الولاء	٤١٣
- من الديوان الغربي	٤١٧
١٠٦ - جملة قلبي	٤١٩
١٠٧ - مهمة	٤٢٠
١٠٨ - لست وحدك الباكي	٤٢١
١٠٩ - من ليالي آب على شاطئ الحديد	٤٢٢
١١٠ - القوة	٤٢٣
١١١ - الجدة القديمة	٤٢٥
١١٢ - الجزار .. والجرّاح	٤٢٧
١١٣ - افهمني ولا تظلمني	٤٢٨
١١٤ - مفتاح النور	٤٢٩
١١٥ - الثعلب .. وكبدي	٤٣١
١١٦ - الحرية	٤٣٣
١١٧ - فرحة	٤٣٤
١١٨ - صُنْ دموعك يا مسكين!	٤٣٥

٤٣٦	١١٩ - قبر الحاج محمد!
٤٣٧	١٢٠ - متى تندلع الشرارة
٤٣٨	١٢١ - في ساعة ضيق
٤٤٠	١٢٢ - مناجاة
٤٤٥	١٢٣ - للتاريخ
٤٤٩	- الفهرست

الأعز بن محمد الشامي

فوائد الشامي
للعمالة الكاملة

الجلد الثاني

الطبعة الثانية

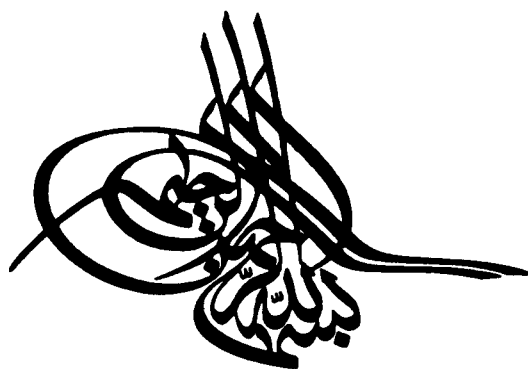
الناشر

عبد المقصود محمد سعيد خوج

جدة

الطبعة الثانية
حقوق الطبع محفوظة
١٤١٣هـ ~ ١٩٩٢م

ذِي نَوَافِلِ الشَّيْ
لِلْعَمَلِ الْكَامِلِ
الْحِجَلِ الْكَافِي



أنا لا أنام وفي السما نجمٌ يُتَمَتِّمُ بالضياء
أنا لا أنام وللهوى حُلْمٌ يَنَاجِيهِ المساء

* * *

نم ملء جفنك أنت وات رك لي سهادك يا قمر
عندي سهاد العالم ين وهم أبناء البشر

* * *

لا.. لن أنام، ولن تنا م جراح قلبي الداميه
لا.. لن أنام وفي فؤا دي لن تنام الهاويه

* * *

أينام من في جفنه حسك، وفي دمه ضريم؟
أينام من في جوفه تصطُّك أنفاس الجحيم؟

* * *

أنا لن أنام وموطني في قبضة المتملِّقين
وبنوه بين مضلِّلي ن وجاهلين ، ونائمين

* * *

وطني ينادي لا تنم والصوت يقلقني صdah
لبَّيك يا وطني ، حيا تك كل شيء في الحياه

الحديدة: ٢٥ رجب ١٣٧٦هـ

٢٤ مارس ١٩٥٧م

١٢٥ - بلا دمع

بکیت حزناً، والبُکا راحةً
لکن دمعی مثل قلبی اشتوی
لو ترکت لی نکبتی أدمعاً
بنار آلامی فجفأ معاً

روما: ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧هـ

١٢٦ - زَهْرَة فِي الْفَلَا

[قِيلَتْ فِي شَابَةِ تَعْمَلُ مَرشِدَةً فِي بَادِيَةِ، «مَدِيرِيَةِ التَّحْرِيرِ»]:

يَا شَعْرَهَا الْأَشْقَرُ؛ إِنَّ الَّذِي
يَا ثَغْرَهَا الْوَرْدِيَّ! إِنَّ الَّذِي
يَا صَدْرَهَا النَّاهِدُ! إِنَّ الَّذِي
يَا خَصْرَهَا النَّاحِلُ؛ إِنَّ الَّذِي
لَهْفِي لَهَا، وَاللَّيْلُ قَدْ لَفَّهَا
قَدْ زَرَعُوهَا زَهْرَةً فِي الْفَلَا
وَسَكَبُوا أَيَّامَهَا فِي الثَّرَى
شَبَابَهَا، عَزَلْتَهَا، حَسُنْهَا
فِي مَيِّعَةِ الْعَمْرِ، وَسَحَرِ الصَّبَا

سَوَّاكَ قَدْ سَوَّى زَهْوَرُ الْأَقَاخِ
صَاغَكَ قَدْ صَاغَ وَرُودَ الصَّبَاخِ
يَهْوَاكَ؛ قَدْ عَذَّبَهُ الْإِلْتِيَاخِ
يَغْشَاكَ: لَا يَخْشَى رُؤُوسَ الرَّمَاخِ
بُوحْشَةِ الْبِيدِ وَلَوْمَ الْبَطَاخِ
وَوَقَّعُوهَا نَغْمَةً لِلرِّيَاخِ
دَمُوعَ حَرْمَانٍ وَشَكْوَى كَفَاخِ
يَا قَلْبَ... مَا أَبْلَغَهَا مِنْ جَرَاخِ
يُبَيِّحُ مِنْهُ الْفَقْرُ مَا لَا يُبَاخِ

القَاهِرَةُ: ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م

١٢٧ - النِّيل

النَّيْلُ؛ كم ذابت على شطِّه
ما ضاقت الأرض على هائمٍ
ولا قسا الدهر على بائسٍ
النَّيْلُ صنو الدهر منذ الصبا
أقصوة الدنيا على طولها
تُروى على أمواجه أدمعاً
يا نيلُ هذا شاردٌ آخر
جاءك يبكي حظه مثلما
ألا يزال الدوحُ مستشرفاً

أرواحُ عُشاق الأسي والغرامِ
إلا وبثَّ النِّيلَ سرَّ الهُيامِ
إلا وناجى موجهُ في الظلامِ
من قبل أن يُعرف يوم وعامِ
من أبؤسِ الحربِ ونُعمى السلامِ
حيناً؛ وطوراً بهجة وابتسامِ
قد غربتْهُ شهوات «الإمام»
جاءك من قبلُ الأباة الكرامِ
لمِثله؟ أم قد أفاق اللُّثامُ؟

القاهرة: ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م

١٢٨ - أحمد شوقي

[ألغاه الشاعر في مهرجان أمير الشعراء أحمد شوقي، الذي أقيم
بالقاهرة سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م]:

خُذْهُ من مهجتي، ومن آهاتي
خُذْهُ شعراً يبكي على الشَّعر مجرو
«يومَ شوقي»؛ وانشِ قصيدي عليه
ضُمَّخْتُهَا رُوحِي بأشواق رُوحِي
باقية نَضَّدت أَزاهير قلبي

واروِّه عن دمعِي، وعن عبراتي
حَ القوافي، مضرَّجَ الكلماتِ
زهرات بالحُب منصهراتِ
وحَبَّتْهَا ذاتي أحساسيس ذاتي
واستشَفْتُ عِطْراً أريجَ حياتي

* * *

خُذْ تحيَّات الشَّعر عن منبع الفُضْ
عن مغاني «صنعا» وسحر رُباهَا
ولذكراك في حماها حينئذٍ
و«اليمانون»، حافظوا كل عهد

حى قديماً، وموطن البَيِّناتِ
ومجالي سفوحها النُّضراتِ
بصداه تَفَتَّحتَ كلماتي
للعلا، والقريض، والحسناتِ

* * *

ربة الشَّعر في صباحك يا «شو»
أخذتها ارتعاشة الفنِّ لما
والليالي القمرء تسكَّب في النَّيِّ
وعلى كلِّ زورق تتلظى
وشراعٌ يجري على لحن حُبِّ

قي» تبكي القصائد الشاكلاتِ
ذكرتُ إلْفَ الفنِّ والصبواتِ
ل نجاوى العُشَّاقِ والنَّيَّراتِ
مهج المدنفين والمدنفاتِ
ألفُ آه فيه، وألفُ شكاةٍ

«ل» وأشواق «دجلة» و «الفرات»
كل ما في الضلوع من زفرات

* * *

حين يزجيه الحيُّ للأمواتِ
موتٍ؟ وما شأننا وراء الحياة؟
رَفَت شوقًا في آخر اللحظاتِ؟
كَ ويطوي أنفاسك الأخرياتِ؟
وساعات لهوها الثملاتِ؟
والغواني يمرحنَ في الغرفاتِ
بك في موكب من الهمساتِ؟
فرص الحبِّ فيه من صفحاتِ
يا، وتهفو الأيامُ مُنصعقاتِ
نَكَ طورتها إلى كلماتِ
نَكَ حورتها إلى نغماتِ

* * *

ساحر الرجع صادق النبراتِ
في ليالي الأفراح، والأزماتِ
ونذيرًا بأروع الذكرياتِ
راء» حينًا، وعن «عصور» الرُّعاةِ
ل المغيرين، والغزاة الطُّغاةِ
ث وتروي مآسي الكائناتِ
لام روضًا مضمَّخ الجنباتِ
قبل «شوقي» ولن تكون لآتي

* * *

تلتقي في أنغامه لهفةُ «النيـ»
لحنُ حب أفاض «شوقي» عليه

شاعر الخلد، والثناء جميلُ
كم تساءلتَ في الحياة عن الـ
ليت شعري لأيِّ معنى قد استشـ
أي سر شافهتَ، والموتُ يغشا
أحنينا إلى مفاتن دنياك
والأغاني يصدحنَ في كل ركن
أم تمادى بك الدُّهول، وولَّى
فنسيتَ الماضي، وما خلفته
كنت تشدو بها فتُصغي لك الدُّنـ
كم تمنَّت قلائد الغيد لو أنـ
وتمنَّت أزاهر الروض لو أنـ

أي شعر صداه في كل قطر
تتغنَّى به الحياة وتبكي
ويُطلُّ التاريخ منه بشيرًا
عن «أبي الهول» تارة وعن «الحمـ»
وعن «الليل» وهو يجرف أهوا
وعن «الشمس» وهي تحكي الأحاديـ
وعن البید، كيف حولها الإسـ
جَكم ما سَمَا إليها بيانُ

* * *

للال يمضي مفزَع الخطوات
حَوْ دَهْرًا، فاستغرقت في السَّباتِ
بالرجاء، بالأنين، بالدعواتِ
بالأغاني تَضجُّ، بالعبراتِ
دي» فكانت من أَرْهَبِ اليَقْظَاتِ
مر جريحًا مفزع اللفاتِ
هَلْ فيها الصعاب والهلكاتِ

* * *

قُمْ تَرِ الشَّرْقَ مَارِدًا حَطَمَ الأغـ
نفض النوم عن جفون جفاها الصـ
كنت «شوقي» تستنهض الصُّحُو فيها
بالقوافي، تكاد ترفض دمعًا
وعلى صوتك الرهيب صحا «الوا
وثب الليثُ للخلاص من الأسد
وتوخي طرائق المجد يستسـ

سَلِ بل بالقلوب مؤتلفاتِ
للاص، بالنَّصر، بالعلاء، بالحياةِ
هو في الأرض لعنة اللعناتِ
يه يرمي بالويل والنقماتِ
حُرُمَات تهيم في الفلواتِ
والعجوز الثكلي بلا مشكاةِ
الذُّلُّ تبكي أيامها التَّعَسَاتِ
ض فمن عشرة إلى عشراتِ
رُور في أنفُسِ الطُّغَاةِ البَغَاةِ
هَضُّ ما في القلوب من عزماتِ
ثم باءوا بالخزي واللَّعناتِ

* * *

«بَرْدِي» لم يَعْدُ يُصَفِّقُ بالسَّلْدِ
بالأمني العذاب، بالحُبِّ، بالإخـ
ووراء الحدود يجثم هولُ
يتلظى كالصَّلِّ والشرُّ في عَيْنِ
وحقوق صريعة، وضحايا
اليتيم المريض من دون مأوى
وبقايا الأبطال بين جراح
تتهادأهم الزوابع في الأر
ضيَّعوها شهيدة الجشع المغـ
ضيَّعوها وفرصة النَّصر تَسْتَنُّ
حسبوها غُنى وإرثًا فخابوا

رى يناجي أيامه السالفاتِ
جور، أو للأطلال والعَرَصاتِ
ضاق ذرعًا بلوم هذي الحياةِ

دَعْ نجى الهموم في خلوة الذكـ
للحبيبِ المفقود، والمنزل المهـ
إن بكى؛ لن يكون أول باكٍ

خجلي أني أخطب بالشُّع
ر مع العجز صاحب المعجزات

* * *

وأناجي من علِّم الطير في الأحـ
أيقظ النُّورَ في قلوب الحيارى
فأطلت على الحياة وفيها
فإذا بالظلام يسحقه النُّو
إنه الشعر روح كلِّ مثالٍ
ما مضى مصلحٌ إلى المجد إلا
ولكم أمة براها يراعٍ
ولكم ثورة شرارتها شُع
رُبَّ بيتٍ يصدُّ جَحْفَلَ بغيٍ
و «لشوقي» مواقف سجّلت في
حين كان الظلام يلتهم الأخـ
والدُّجى في فؤاد كلِّ صريعٍ
والغدُّ المرتجى يفيض عليه
تترامى به غواشي العوادي

رأش أشجى الألحان والنغمات
والأمانى في الأنفس القانطات
من معاني الإقدام ألف حياةٍ
رُوباليأس ضائع الخطوات
للُعلا ، والجمال ، والخيرات
والقوافي دليله للنَّجاة
بعد دهرٍ قاس من العثرات
رأبى ، أفضى عن المأساة
وبيانٍ يُغني عن الباترات
صفحة الخلد أروع الذكريات
لام ، والنُّور واهي اللمحات
كحنين على بقايا رُفاتٍ
روح سلوى بليلة النسمات
كشراعٍ محطَّم الجنبات

* * *

أيها الفجر وقفة خاشع النُّو
واسكب النُّورَ في ثرى مصر عطرًا
واهدي «شوقي» في يوم ذكراه أذكى

ر وبارك أرواحنا الخاشعات
ورحيقًا مؤرَّج النَّفحات
ما تجود الذكرى من الصلوات

مصر: ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م

١٢٩ — خليل مطران

[أُلقيت في مهرجان الشاعر خليل مطران، الذي أقيم بالقاهرة
سنة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م]:

قِفْ لَحْظَةً بِالشَّعْرِ حِيرَانَا	أَبْكُمْ، لَا يَسْطِيعُ تَبْيَانَا
وَاسْتَوْحِ «مَطْرَان» بَيَانًا؛ إِذَا	أَرَدْتُ إِجْلَالًا «لِمَطْرَانَا»
إِنْ كُنْتَ لَمْ تُضْغِ إِلَى صَوْتِهِ	يُزْجِي فَنُونَ الشَّعْرِ أَلْوَانَا
فَقَدْ تَمَرَّسْتَ بِآدَابِهِ	وَعَشْتَهُ حَرًّا، وَفَنَانَا

* * *

غَنَى بَلَحْنَ مَا تَغْنَى بِهِ	مَنْ قَبْلَهُ فِي دَوْحِهِ طَائِرُ
فَانْتَفَضَ الْفَجْرُ عَلَى لَحْنِهِ	وَقَدْ شَجَاهُ صَوْتُهُ السَّاحِرُ
وَاسْتَيْقِظَ الْوَادِي، وَكَمْ لَيْلَةٍ	مَرَّتْ، وَلَا شَادَ وَلَا سَامِرُ
إِلَّا الْأَسَى، وَالْخَوْفُ تَبَالُهُ	وَالْقَيْدُ، وَالظُّلْمَةُ، وَالْأَسْرُ

* * *

هَامَ وَفِي أَحْشَائِهِ جَمْرَةٌ	تَنْبُضُ بِالْأَنْفَاسِ نِيرَانَا
وَوَائِبُ الدَّهْرِ وَأَرْزَاءُهُ	مَفَارِقًا أَهْلًا وَجِيرَانَا
يَثُورُ كَالْبَرْكَانِ أَحْيَانًا	وَتَارَةً يَبْسُمُ جَذْلَانَا
وَقَدْ يَدْوِي صَاحِبًا مَزِيدًا	يَخْطُرُ لَا يَرْهَبُ سُلْطَانَا

* * *

«سَبْعُونَ» عَامًا عَاشَهَا شَاعِرًا	مَرَزًّا بَيْنَ الْأَسَى وَالْجِرَاحِ

يتابها الموج وهوج الرياح
والهَمُّ في أحشائه كالرماح
رق، ولا ملّ الأسى والنواح

كم بثّ شكواه إلى «صخرة»
والسَّقْمُ في أعضائه ناهش،
فما وعى الصَّخر، ولا دهره

* * *

قد قَفَلَ الرَّائد حيرانا
وأن يقول الحق إعلانا
وَيَنْتَضِي «نيرون» عنوانا
ويملاً الأنفس إيماناً

في صدره شيء؛ وعن كُنْهه
يرهبُ أن يُفْضَى بأسراره
فيخلُق الرَّمَزَ؛ على زعمه
ويدمغ الظُّلَمَ، ويُذكي النُّهى

* * *

ومن صَوَى آثاره الشاهدة
ومن ليالي غدها الشاردة
في لهفة للوثبة الخالدة
فهو شعار الأمة الواحدة

من وحي «لبنان» وجناته
ومن ذُرَا «الشام» وآلامها
و«النيل» إذ تزار أمواجه
وحَدَّ «مطران» أحاسيسه

* * *

شاد بها لَفَنَ أركانها
يَسْتَنْزِل الحكمة أَلحانها
فَيُلْبِسُ الألوانَ ألوانها
فيرتبي في الكون أكوانها

«مطران» ربُّ الشعر، كم وقفة
يراعه محرابُ أحلامه
يَسْحَرُ ما يَلْمُسُهُ فنه
وتخلب اللَّبَّ تهاويله

* * *

والشرّ في حكم «السلاطين»
أو في تمائيل «الفراعين»
نُصِّلَى بأسواط «المجانين»
سوم المواشي والمساكين

كم حارب «الفرد» وآثامه
وأنكر الطغيان؛ «مستعمراً»
تُرى أيدي أننا لم نزل
والمستبدون يسوموننا

* * *

ينفث فيها الحقّ تبياناً
ولا يبالي فيه عدواناً
لود أن الكون ما كانا
رأياً، ولا قولاً، ولا شأننا

قد كان يلقي «صفحة» حرة
ويرشد الشعب إلى حقّه
واليوم؛ لو عاد به دهره
فالجور لم يترك لذي حكمةٍ

مصر: ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م

في «أثينا» بين أطلال قصورٍ دائره
 وأساطير ملاحٍ وقلاعٍ قاهره
 وتهاويل تصاوير حياةٍ وافره
 وقفت نفسي تناجي نفسها.. كالحائره
 أو كطيفٍ يندب الماضي ويبكي حاضره

* * *

الألى عاشوا هنا.. كانوا يخافون الفناء
 فاستعاذوا ينحتون الصخر رمزًا للبقاء
 أترى كانوا سراة؟ أم عصاةً أغبياء؟
 ما ترى يجدي الذي يَفْنَى نحيبٌ أو دعاء؟
 أترى يُخزیه قدحٌ؟ أو سينجيهِ ثناء؟

* * *

قلْ لِمَنْ أسرف في العمران نقشًا وفخامه:
 نلتَ ما تهواه، لو أنك في دار إقامة!
 لم يُشدَّ «هومير» قصرًا، لا ولم يبن دعامة
 قد جبا التاريخ شعرًا فروى الدهر كلامه
 وسيبقى صوته حيًّا إلى «يوم القيامة»!

* * *

بعد أن يطوي البلى هذي المباني والقصور،
والأساطير ستَنهار وأطلال الصخور
غير ما أودعه «هومير» في تلك السطور
من بيانٍ وأمانٍ، وخيالٍ وشعور
سوف تبقى سلوة الإنسان في كل «العصور»

أثينا: ٨ شوال ١٣٧٨هـ

١٦ أبريل ١٩٥٩م

١٣١ - لعنة المعركة

جريمة .. يزحف نحوي وحشها الكثيب
في ليلة رهيبة، كاسفة النجوم
تبرج الحرمان للشباب
للغضب .. للشهوة .. للجمال
لطبعها العريد .. لما يضج في دمي :
من شغف الجنس اللعين .

* * *

واحتدمت معركة
الخوف، والشهوة، والحياة
وانتصر الضعف، وانكمش الوحش ونام
وخلدتها . حسرة في قلبي الكليم
ولعنة أبكي بها، للكأس والنديم
ولعنة على ملذاتي تحوم ؛
تجلو مع الشمس، ولا تغفو مع النجوم

روما : ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م

١٣٢ — استعطاف ونصح

[قَدَّمَهَا الشَّاعِرُ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي ٢٦ مُحَرَّمِ سَنَةِ ١٣٧٩ هـ،
الْمُوَافِقِ ٣١/٧/١٩٥٩ م، وَجَلَّالَتُهُ بِرُومَا مُسْتَشْفِيًّا، وَكَانَ قَدْ
أَوْشَى بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ بَعْضَ حَسَّادِهِ وَنَقَلَ عَنْهُ مَا لَمْ يَقُلْهُ]:

وإن كنت الذي أعطيتنيها	أمير المؤمنين فدتك نفسي
وزدت كرامتي فوهبتنيها	حياتي قد وهبت بغير من
وعطفك كل ما أرجوه فيها	وما الدنيا لدي سوى حظوظ
بنظرتك التي عودتنيها	فتق بي واكتنف عملي وقولي
يعادون المبرز، والنبیها	ولا تركزن إلى أقوال قوم
ووازر منهم «الشيخ» الفقيهها	وإن قد أظهروا الإخلاص مكرًا
وقد بلغوا المدى بطرًا وتيها	فهم لا يبطنون سوى فساد،

روما

١٣٣ - حَيَاتِي

ما حياتي؟ دمعٌ وشوقٌ ووجدٌ
وتهاويلٌ تستحيلُ حُطامًا
أصطليها مشاعرًا وأغنيها
غرامًا، وأحتسيها مدامًا
كأسها المرُّكم عكفت عليه
في الليالي وحدي أناجي الظلاما
ودمي مارج يضجُّ اشتياقًا
وفؤادي جرح يؤجُّ هياما
كل يوم أرجو غدًا؛ فإذا
سُئمتُ سناه أحاط بي آلاما
ما سئمتُ الحياة خيرًا وشرًا
بل سئمتُ الأحلام والأوهاما

القاهرة: صفر ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م

١٣٤ - رسالة وداع

رُبَمَا لَنْ يَكُونَ آخِرَ لَحْنٍ تَتَغَنَّى بِهِ حَيَاتِي الْكَئِيبَةَ
رُبَمَا، بَلْ بَدَايَةُ لِعَذَابٍ فِي فُصُولٍ مِنَ اللَّيَالِي رَهَيْبَةَ

* * *

رُبَمَا، لَنْ يَكُونَ آخِرَ سَطْرٍ لِيَرَاعَى إِلَيْكَ يَا كُلَّ حَبِّي
رُبَمَا، بَلْ نَهَايَةُ لَشَبَابٍ عَشْتُ أَحْلَامَهُ بِقَلْبِي وَلُبِّي

* * *

فَإِذَا لَمْ يَجِدْ كَلَامِي طَرِيقًا نَحْوَتِكَ الْمَسَامِعَ الْمَشْتَاقَةَ
فَإَذْكُرْنِي بِمَا مَضَى مِنْ قَصِيدِي وَاذْكُرِي الْحُبَّ فِي دُمُوعِي الْمَرَاقَةَ

* * *

وَاعْلَمِي . يَا حَبِيبَةَ الْقَلْبِ أَنِّي مَا مَلَلْتُ الْحَيَاةَ عِنْدَكَ دَهْرًا
بَلْ تَعَذَّبْتُ بِاللَّيَالِي طَوَالًا كُلَّمَا غَبْتُ عَنْكَ غَضَبًا وَقَهْرًا

الحديدة: صفر ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م

١٣٥ - حرية الرأي..

[إلى الزميل السيد إحسان الجابري، رئيس مجلس اتحاد الدول العربية]:

«إحسان»؛ هل حقاً رجعت إليها
وجنيتَ من روض المنى زهراته
فاهناً بوصل خالدٍ لك خيره،
ووجدت ما تهواه بين يديها؟
وقطفت ورد الحسن من خديها؟
وانعم بما نُؤلّت من شفّتيها!

* * *

من ذا ترى تعني بأنك لم تزل
أهْيَ التي ظلّت على طول المدى
تلك الحقيقة؛ أنت مالك سرها
حرية الرأي التي من أجلها
يسعى العظام الخالدون إليها؟
وعميدها الحاني وإبنُ أبيها
تَهْنَأُ نُجَاهِدُ مشفقين عليها

القاهرة: ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م

أبكي على الأيامِ	في كل مطلع عام
على شباب الغرامِ	على الهوى والتَّصابي
للحُبِّ والأنغامِ	على ليالٍ تعرَّتْ
يُطفي ضريم أوامي	أبكي.. ويا ليت دمعي
وجفَّ حُبِّي، وجامي	أبكي.. وقد جَفَ دمعي
يَبكي معي في وئامِ	وكل ما هو حولي
ومن جميع الأنامِ	تعبتُ من كل شيء
ولا المُقام مقامي	فلا الزَّمانُ زمانِي

روما: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

١٣٧ - وداعاً أيُّها العام

وأهلاً أيُّها العام الجديدُ
تداعبنا وأيامُ تعودُ
وأحلامُ وأوهامُ تبيدُ
ولا خمرٌ ولا جامٌ يجودُ
سرائرنا فيهتز الوجودُ
ويسعدُ بالمنى زمنُ كنودُ
حياتي .. هل تعود بها العهودُ
تُراها هل تجود بها الوعودُ
عليها، واستبدَّ بها الجحودُ

وداعاً أيُّها العامُ، الطَّريدُ
كِلَا زمنيكَ ساعاتُ نشاوى
ولذاتُ تجاذبنا، غروراً
وقد تأتي ولا نغمٌ يُسلي
فنبكي ثم نستبكي وننثي
تُرى هل أستطيب العيش يوماً
وساعاتي التي أودعت فيها
وما قدسُته من أمنيّاتي
أم النسيانُ غولُ الدهر أخنى

روما: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

١٣٨ - لحن غربي

يا حياتي ..
يا حبيبي ..
وأنت نحوي تَسْعَى تَلَوَّى كالأفعى
وتغنِّي .. يا حبيبي
وتلاقَتْ نظراتُ
وأفاقَتْ صبواتُ
وتشَّتْ عطفاتُ
وتعالَتْ آهاتُ
وتغنَّتْ .. يا حياتي

* * *

يا حلوه يا شقرا
أفدى العين الخضرا
بهواي ، وما أجرا
وشذاك ؛ وما أغرى !
غنينا ..

يا حبيبي
قالت بعيوني
ودمي ، وفنوني

وهوای و دینی
أفدیک، و غنت
یا حبیبی یا حیاتی

بون: ۱۳۷۹ هـ / ۱۲ فبرایر ۱۹۶۰ م

قبل انبلاج الصُّبح بالأضواء في غبش السَّحَرِ
والفجر روحٌ يستشفُّ العِطْرَ من مهجِ الزَّهْرِ
والليل، جثمان ترنح بين أحضانِ القَدَرِ

* * *

ناجيتها؛ يا حُلْمَ عَمٍّ ري هالكٍ عن حُبي خبرٍ
لَمَّا يزل أقصوصة تُروى بأنديّة السَّمَرِ
يحكيه مفتون ومحزون، ومن فقدَ الوطرَ
ومعدَّب عاف الحيا ة ولم يجد فيها مَقَرَّ
ومشرَّد يطأ الثُّرى هَوْنًا ويلتمس المَفَرَّ

* * *

خبرٌ رواه «آدم» من قبل أن يلدَ البَشَرُ
للريح للغابات، لُدَّ أنسامٍ تمرحُ، للنَّهَرِ
بالدمع، والأنات، بالـ عثراتٍ في تلك الحُفَرِ
أغوته «حوّا» بالجما ل؛ ونوّلته من الثَّمَرِ
وجنى «الحرام» ولم يُفِقْ إلّا على صوتِ القَدَرِ
هذي الخطيئة لا يطهرُ إثمها إلّا سَقَرُ
فاهبطُ إلى الدنيا اللّعي نة وارتشف منها الأَمَرُ
من كل ما يُذكي الحشا من كل ما يُدمي البَصَرُ

عِشْ عِبدِها المحروم لا أربُّا قَضَيْتَ ولا وطَّرُ

* * *

وأنا ابنُه وحكايتي هي قصَّة القوم الآخرُ
من عاش مصطبرًا، ومَنْ فقد العزيمة وانتحرُ
حُبًّا. . ومن خَلَعَ العِذا ر، ومن تكتَّم واستترُ
«حوّا» غوايتها تطا ردني، ترى أين المفرُّ؟

بون: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

ولع؛ ولي قلب مغامر
روحي، وعربدت المشاعرُ
بُ ومهجة في كف طائر
لأ طاف في أحلام شاعر
عُ الكأس في لهب المجامر!
يا يقظة في جفن ساهر
والشوق يهتف أن أقامر
قلت: الصبابة لا تُصابر
صا بين تجار الجرائر
وكأنما أنا طيف حائر
بل نظرة من طرف ساخر
وذنوب خداع وعاهر
يا بين أنياب الضمائر
والحسن من رجس الكبائر

لا تعبثي يا عبْل، بي
بالنظرة الأولى انتشت
وتركتني نفساً يذو
وسألت مَنْ..؟ قالوا خيا
والبسمه السكرى..؟ شعا
والنظرة النشوى..؟ بقا
قلت الجراح تصيحُ بي
قالوا: الملامه والحياء
هذا الجمال يُسام رُخ
وهفوت نحوكِ شاخصاً
ورشفتها.. لا قبله
تحكي خيانة فاجر
وتقصُ آلام الضحا
قلت: السلامة لِّلْهُوى

بون: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

مَنْ أَنْتِ . . يا مَنْ كَخَنْجَرٍ
 دَخَلَتْ قَلْبِي ؟
 مَنْ أَنْتِ . . يا مَنْ لِحْسِنِهَا
 أَخْلَصْتَ حَبِّي . . ؟
 سُلَالَةُ الطِّينِ أَنْتِ . . أَمْ مِنْ الْجَحِيمِ ؟
 أَمْ جِئْتَ مِنْ جَنَّةِ النِّعَمِ
 بِالشَّعْرِ كَاللَّيْلِ فَاحْمَأْ
 وَالْجِيدِ كَالْمَرْمَرِ الْكَرِيمِ

* * *

مَنْ أَنْتِ . . ؟ يا فِتْنَةَ الْهَوَى ؛
 يَا زَهْرَةَ الْحُبِّ وَالشَّبَابِ
 عَنَصْرُ قَلْبِي مِنَ التَّرَابِ . وَأَنْتِ نَارُ ،
 يَخَافُ إِنْ مَسَّهُ لَظَاكُ . . مِنَ الدَّمَارِ ،
 فَابْتَعْدِي يَا ابْنَةَ الْأَثِيرِ . . عَنِ الْكَلِيمِ
 فَلَيْسَ يَقْوَى عَلَى الضَّرِيمِ
 وَفِي حَنَائِيهِ لَمْ تَزَلِ . . جَرَّاحُ إِخْفَاقِهِ الْقَدِيمِ
 جَنِيَّةُ أَنْتِ فَاعْرَبِي
 فَالنَّارُ لَا تَعْشَقُ التَّرَابَ

* * *

الحُب، والحُسْنُ، والشباب . . وصبوتي
قد عَبَدْتُ فيكَ رَبُّهَا . . وروحها!
والوجدُ، والشَّوْقُ، والعذاب . . ونكبتني
أدميت . . يا لعنة السَّما . . جروحها.
وأنتِ «دنيا» من الفُتُونِ،
والعَبَقْرِيَّاتِ، والفنونِ،
من الصَّبَابَاتِ، والشَّجُونِ،
والشَّعَرِ، والسَّحَرِ، والجنونِ.

بون: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

[أُقيمت في مهرجان الشعراء بدمشق سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م]:

الصريعُ المضرجُ الأشلاء	تتنزَّى فيه بقايا حياةٍ
خلَّفتها معارك الهيجاء	للسَّوافي والليل، والحسراتِ
بسيوف الأعداء والدخلاء	وانتفاضات البغي والثَّاراتِ
وتلاشي العقيدة الغراء	في ظلام الأوهام والشبهاتِ
وانصهار العزيمة الخرساء	في ضجيج الأحلام والترَّهاتِ
وطواغيت الحُكم والإفتاء	ودعاة الإلحاد، والشبهاتِ
حَطَّموها.. وبالكلام الهراء	والدعاوى والزور. والإعناتِ
والشباب الموزع الأهواء	الرقيع، المخلَّع العطفاتِ
يَتَزَيَّ بصبغةٍ شوهاء	ليس فيها لقومه من سماتِ
تلك قوميتي، وذلك دائي	

والصريع المضرج الأشلاء في جمودي، في حيرتي، في شتاتي
هو في ساحة المطامع ذاتي

هَزَنِي هزة الأسير وسوط أَلْ
 حارسِ الْفِظْ يَسْتَحِثُّ خَطَاهُ
 هَزَنِي هزة المحب وقد وا
 فاه وعدُّ من شادن يهواه
 هَزَنِي هزة النَّبِي وقد فو
 جىء بالوحي قلبه وحجاء
 لَسْتُ أَنْسَاهُ، صَوْتُهُ وَفَحِيحُ
 لَحْدِيدٍ غَلَّتْ بِهِ قَدَمَاهُ
 صَوْتُهُ وَالظَّلَامُ وَالرَّعْبُ وَالْيَأْسُ
 س.. وشيء تخيفني ذكره
 حين ساروا به إلى حيث.. ياللد
 قَدَرُ التَّعَسُّ مَا جَنَّتُهُ يَدَاهُ
 قَالَ لِي: يَا أَخِي وَدَاعًا وَوَلَّى
 لِيَتَنِي مِتْ قَبْلَهُ أَوْ فِدَاهُ

القاهرة: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

عرفته صبا وفنانا
معذباً في جوفه جمرة
الخوف قد أوثق أسرارَه
يَعْبُدُ في الحان زجاجاته
مُوَحِّدٌ في صُبحه مشرك
وقد تراه مطرقاً خاشعاً
لو كان ما في الغيب من شأنه
لا تظلموه، وارحموا دُمْعَه

وشاعراً فذاً وإنساناً
تنبض بالأنفاس نيراناً
والهمُّ قد يُلزمه الحاناً!
ويحسب السَّاقين أوثاناً
في الليل؛ لا يعرف برهاناً
كأنه يَطْلُبُ غفراناً
ما مَسَّ ريب الدهرِ فناناً
ونولوه العطف.. إحساناً

القاهرة: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

مدنس العيش، موبوء الدياناتِ
مُبَرِّز الاسم، موفور الكراماتِ
مُرَزَّأ القصدِ مدحور الإراداتِ
لَيْلًا، ومُصْطَبحي ذكرى هزيماتي
بث الشجى والأمانى والصباياتِ
دَمِي، وفي سفحها هامت خيالاتي
حَزْنًا بحزن وآهاتِ بآهاتِ
ونخبه والندامى، والنَّدِيماتِ
ولا بصدري يَسْري لفحها العاتي

أخي، وحيد أنا، في عالم شرسٍ
زنديقه بَطْلُ فردٍ، وخائنه
والحرُّ فيه مَذالُ العيش مُضْطَهَدُ
أُسْتَف من ذكريات الأمس مُغْتَبقي
فلا الوجوه التي أهوى أطارحها
ولا الديار التي من عطر تربتها
ولا نديم سوى الذكرى أحاورها
وأحتسى الكأس أقلو كف مازجها
فلا يطير بفكري نور نشوتها

القاهرة: ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م

١٤٦ - تحية قلب

[بين رُكام أوراقِي وجدت أبياتًا هنأت بها صديقًا^(١) عزيزًا عندما تزوج في بيروت سنة ١٩٦٠م، إنها قديمة.. ولكن صدق مشاعرها جعلها تُصرُّ على أن تظهر مع أخواتها «بنات الخمسين»]:

التَّهَانِي تُزَفُّ لِلْإِخْوَانِ مِنْ بَعِيدٍ عَنِ الْهَوَى أَوْ دَانِي
وَالْتَّهَانِي إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمُهْنَا جَذَلَاتٍ يُطْرِبْنَ كَالْأَلْحَانِ
وَتَكَادُ الْحُرُوفُ تَرْقِصُ شَوْقًا
لَأَمَانٍ تَشْتَاقُهَا فِي الْمَعَانِي
عَجَزَ الشَّعْرُ أَنْ يُصَوِّرَ بُشْرَى
سَحَرَهَا شَلٌّ مَقُولِي وَبَيَانِي
أَنْتَ عَيْنِي فَكَيْفَ أَبْصُرُ عَيْنِي؟
وَجَنَانِي؛ فَكَيْفَ أَطْرِي جَنَانِي؟
أَنْتَ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ» رَمُزُ وَفَاءٍ
وَإِخَاءٍ وَقَبْلَهُ لِلْأَمَانِي
خُذْ تَحِيَّاتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، وَاسْلَمْ مِثْلًا رَائِعًا لِكُلِّ «يَمَانِي»

بيروت: ١١ من جمادى الآخرة ١٣٨٠هـ

٣٠ نوفمبر ١٩٦٠م

(١) هو الأمير عبد الرحمن بن الإمام يحيى حميد الدين.

سرٍ بطرفٍ باكٍ، ووجه حزينٍ
هـ تراءى أحلام يأسٍ دفينٍ
وازدراءٍ لجنسي الملعونٍ
نبي بما في قرارتي من حنينٍ
واستغرمت دواعي المجونٍ
وتلظى شوقي، وجُن جنوني

وكما ينظر الغريب إلى النا
وعلى كلِّ لمحّةٍ في مُحيا
نظرتني في لهفةٍ وحياءٍ
وتفشّت براءة الصدق في عي
وأفاق الشيطان في دمي الفؤار
وتمادى وهمي، وضاع صوابي

* * *

من أسير الهوى، وصَبَّ الفنونِ
التحيّات للكريم الأمينِ
لي فيها، فلا تهيجُ شجوني
طال تهيأته بوادي السنينِ
ن شبيهان في الأسى والأنينِ
والصبابات لا تدين بدينِ

قلت: يا زهرة الحياة سلامًا
شاعر الحبِّ والجمال، فقالت:
لستُ من هذه الديار، ولا أهـ
قلت: مهلاً فقد وجدتِ غريبًا
والغريبان.. في الهموم نسيان
والمؤاساة في المصائب فضل،

* * *

م بعيدين عن دواعي الظنونِ
والبرايا غدًا تراثُ المنونِ
أنت دنيا من المنى والفتونِ

فلتكن هذه الديار لنا اليو
الصبا ذاهبٌ، وعُمري يَفنى
فامرحي، وارقصي، وتيهي دللاً

فإذا ما أتى الصُّباح فلا دَر
سوف تَسْتَفُنَا الحِياةُ رَحيقًا
بك دَرَبِي ، ولا هَواك خَديني
ونَشِيدًا مُلَوَّنَ التَلحينِ

لندن: ١٣٨١هـ / ١٩٦١م

ك باقٍ ولا غدرك جاري
والهزاري هزيمة الأوكارِ
مثقل بالأوجاع والأسرارِ
وتُبْكِي داراً، وأصحاب دارِ
كيف عاثت به يدُ الأقدارِ

وإذا ما رجعت يوماً، ولا عُش
والغُصُونُ الجدباء تبكي بصمتٍ
وبقلبٍ محطَّمٍ، وبروح
نُحِتَ تنعى أهلاً وجيران أهلاً
فاذْكُرْنَ عهدنا وميثاق حُبٍّ

* * *

قد تَحَمَّلْتُه من الأوزارِ
كلَّ ما قد لقيته من بوارِ

رَبِّ. ماذا جنت يداي؟ وماذا
أنا في العُصاة فذُّ فألقى

لندن: ١٣٨١هـ / ١٩٦١م

ما الذي أهواه؟
لا أدري
ولا يدري فؤادي
ما الذي يهواه. في هذي الحياه؟

* * *

عندما أخلو إلى نفسي
وأترسل في الصمت
وفي أحشائه أسري
بأفكاري
ولا أدري إلى أين.؟
وأسأل ما الذي أهوى؟
ولا أدري
ولا يدري الهوى أن الذي أهواه
لا يمثل في الدنيا
ولا في المجد مرهوبا
ولا في الثروة الكبرى
ولا في الحبّ مشبوبا
ولا في النعمة السكرى

ولا في الحُسن محبوبا

* * *

ويطوي الليل أسراري ؛ فأنشرها بقيثاري
وأنثرها بآهاتي ، وأفشيها بأشعاري
وتلمسُ زفرة البؤس التي تغفو
ويحضنها ضمير الكون . . منذ تبرعم الكونُ
وتسأل : ما الذي أهوى ؟
فلا أدري

ولا صمّتي ، ولا سِرِّي ، ولا شعري
ولا قيصارتي الثكلى

* * *

سلامًا . . يا هواي الضائع المجهول
وحين تُداعِبُ الأنغام
أسرارَكَ
وحينَ تصابِرُ الآلام
أقدارك

وحين تهدهد الأوهام
أشعارك
تُدَحْرِجُ دَمْعَةَ التيه . . على خَدِّي
وأستيقظ . . والبسمة في ثغري
ولا أدري . ولا يدري فؤادي
ما الذي يهواه في هذي الحياة

لندن : ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م

١٥٠ - لا تَسَلْنِي

لا تَسَلْنِي : كيف أَشتاق إليها؟
فهي حُبِّي ؛ وأنا ملكٌ يديها
والسَّنا بعض معاني مقلتيها
والهوى سرُّ ينجي شفيتها
والصَّبَا . . . والحسنُ موقفٌ عليها
وهي «دنيا» وحياةٌ أجتليها

* * *

لا تَسَلْنِي ، واسأل الدَّمعَ يُكيِّها غزيرا
واسأل الشُّعرَ يناغيها عبيراً وحريرا
والضنا، والسُّهد، والشوق المريرا
لا تَسَلْنِي ؛ فهي دنيا؛ وحياةٌ أجلتِها
والشَّذى، والحسنُ، والفتنةُ أسراري لديها

* * *

لا تَسَلْ ؛ كيف ابتلانا الدهرُ بالبُعدِ طويلا؟
كيف أشقانا ظلوماً؟
كيف أظمأنا بخيلا؟
كيف . . لم يُبقِ إلى اللُّقيا سيلا
كيف لم يرحم جراحاً؟

كيف لم يُسعدْ غليلاً؟

لا تسَلني واسأل الأوراق منها . . وإليها
هي تحكي ما تُعاني ، وأنا قد ذبت فيها

* * *

لا تسَلني ، واسأل الليل وقد ملَّ اكتتابي ؛
وحُميًّا الكأس قد غصَّت من الدمع المذاب ؛
والأمانى ؛ وهي صرعى بارتياحي ؛
والأغاني ؛ وهي نشوى بعذابي
لا تسَلني ؛ فأنا صَب أسيرٌ في يديها
ما صبا عنها فؤادي بل صبا شوقاً إليها

* * *

لا تسَلني ، واسأل الأنسام كم ذابت بليلاً
بتحياتي ، وأشواقِي ، وأحلامي الجميلة
والهوى تفضُّحه ؛ والسُرُّ لا تُخفي قتيلاً
والشذى كم حَمَلت عني وأهدتني عليه

* * *

أنا أهواها وأشتاق إليها
وإلى قُدسِ السَّنا في مقلَّتَيْها
وإلى خمر الهوى في شفتيها
وإليها . . وهي «دُنيا» أجتليها
والصِّبا ، والحسنُ موقوفٌ عليها

لندن : ١٣٨١هـ / ١٩٦١م

١٥١ - عبد الرحمن الشامي

[كان السيد العالم عبد الرحمن بن حسين الشامي - رحمه الله - هو الذي ربى الشاعر وأدبه، وغمره بالبر والحنان والتأييد وهو طفل يتيم، وشاب يتطلع إلى الحياة وأمجادها، وسجين يقاسي الأهوال؛ ولذلك فقد حزن عليه حزناً بليغاً، وبكاه بكاء مرّاً حين بلغه نبأ انتقاله إلى جوار ربه، في شعبان سنة ١٣٨١هـ / يناير ١٩٦٢م، فقال يرثيه:]

مُصابنا فيك غير منفصمِ	وجرحنا فيك غير ملتئمِ
جلُّ عن الوصف هولُه، وطَمَى	على الأسى، والدموع، والكَلَمِ
وأضرم الحزنَ في الحشا لهباً	وأشرب الدمع حَسْرَةً بَدَمِ
مُصابُ آل «الشامي» بسيِّدهم	هيهات يُسْطاع نَعْتُهُ بَفَمِ
بالسيِّدِ النَّدب خير متزِرِ	بالعلم، بالصالحات ملتئمِ
الباسمِ الثُّغر، دون ما ملق	الشامخ الأنف دون ما ورمِ

* * *

تبلُّجي يا سماء، وابتسمي	أو دمدمي بالخطوب والنِّقَمِ
وأطريها بما تؤمُّله	أو ضرَّجِها بلاهبٍ ضِرمِ
فمن به الرِّبعُ كان مزدهراً	بالخير، والطيبات، والنِّعمِ
قَضَى؛ فلا بهجَةً، ولا أَمَلُ	ولا شعاعٌ لثغر مبتسمِ
وكلَّ قلبٍ بالحزن منصدعٌ	وكل نفس تضجُّ بالألمِ
وكل طرف بدمعِهِ شَرِقُ	عن كل شيء في الكائنات عمي

فانفطري مهجتي أسي، وكفى بالدمع عيني؛ ودُمت يا ألمي

* * *

أنا الذي قد عرفته سَنَدًا	لكل ذي حاجة وذِي عُدْمٍ
أنا الذي ما حضرت مجلسه	إِلَّا كَأَنِّي فِي حَضْرَةِ الْحَرَمِ
أنا الذي ما سمعت نبرته	إِلَّا . . تَلَقَّفْتُهَا مِنَ الْحِكَمِ
يا ويح نفسي لقد فقدت به	أبا غَذَانِي بِالْبِرِّ وَالْكَرَمِ
وكان لي كل ما أوْمَلُهُ	وَمَا أَرْجِي مِنْ دَهْرِي الْبَرَمِ
وكان لي موئلاً ومدَّخرًا	وَمَشْعَلًا فِي حَوَالِكَ الظُّلَمِ
كان مثالاً للخير يصنعه	بَطْبَعِهِ صَنَعَ طَاهِرٍ فَهَمِ
لا يرتجي غير ربِّه أحدًا	وَلَا يُحَابِي لِمَقْصِدٍ وَخَمِ
وعلمًا ما سما إلى شرف	إِلَّا وَقَدْ كَانَ حَامِلَ الْعَلَمِ
لسانه طاهرًا، ومهجته	تَشْمُلُ بِالْحَبِّ سَائِرَ الْأُمَمِ

* * *

بأي شعر أبكيك يا أبتِي	وقد تلاشى بحسرتي نَغْمِي
ولا فؤادي معي، ولا خَلْدِي	ولا لسانِي يندى، ولا قَلْمِي
بأي دمع أبكي وقد نفذ الد	مع ولم يبق منه غير دمي

* * *

أخي ^(١) وأنت النجيبُ من نُجُبِ	من سَادَةٍ يُعْرِفُونَ بِالشَّمَمِ
الشَّمُّ تهوي لما أَصَبْتُ	وَالزُّهْرُ تَخْبُو لِلْحَادِثِ الْعَرِمِ
لكنَّ قَلْبًا تَضُمُّهُ جَذَلًا	بِطَاعَةِ اللَّهِ عَنْكَ لَمْ يَرِمِ

(١) المخاطب هو نجل الفقيه السيد أحمد عبد الرحمن الشامي الذي استشهد في شهر سبتمبر سنة ١٩٦٢م، رحمه الله، بصنعاء.

فاضِرٌ وصَبْرٌ أَهْلًا قُلُوبُهُمْ عَلَى الْفَقِيدِ الْعَظِيمِ فِي ضَرَمٍ
أَنْتَ مَلَاذٌ لَهُمْ، وَمُعْتَصِمٌ وَنَعَمَ أَهْلٌ، وَنَعَمَ مُعْتَصِمٌ

* * *

وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلْفَقِيدِ غِنَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَرْجَى مِنَ النِّعَمِ
قَدْ عَاشَ بَرًّا، وَمَاتَ مَفْتَقِدًا ذَكَرَاهُ حَمْدٌ يَسْرِي بِكُلِّ فَمٍ

لندن: ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م

ماذا أصبحتُ أحسُّ به
للناس جميعاً؛ من فذمٍ
حتى الحسنات اللاتي
حتى من كان له عندي
حتى.. نفسي ونوازعها
والكأس تناجي شاربها
بالرقاصين وقد نسلوا
شهواتهم تغلوا شبقاً
لصبايا تمرح سابحةً
ماذا أصبحتُ أحسُّ به
للحُبِّ؛ وآهة مدنفه
لمجال كنتُ أقدمها
ماذا..؟ يا ليت الحب غفا
يا ليت الجدة قد عقلتُ
يا ليت حياتي قد نضبتُ
ماذا قد نلتُ..؟ سوى فشل
أرثي نفسي أبكي وطني

لندن: ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م

من مَلَلٍ يزحفُ في قلبي؟
لا يعقل شيئاً؛ أو ندبٍ
تباهى في حُللِ العُجبِ
ما ليس لآخر من قربٍ
حتى.. الأذنين من الصُحْبِ
والحانة تفهقُ بالشربِ
من كل صراطٍ أو حدبٍ
لضحايا الفتنة والكذبِ
في الحسنِ وفي عطر الحبِ
من بغض يغلي في القلبِ
للشعرِ يتمتم؛ للأدبِ
للشعرِ كانت تحفلُ بي
يا ليت الفتنة لم تُصبِ؟
يا ليت الوالد لم يهبِ
يا ليت سؤالي لم يُجبِ!
ماذا قد حزتُ سوى التعبِ؟
أشكو قومي، أقلو صُحبي!

وَيَمْشِي الْهُوَيْنَا . . عَلَى الشُّوكِ حِينَا
وَحِينًا عَلَى الدَّمْعِ ؛ قَدْ نَثَرَتْهُ عَيُونُ الْيَتَامَى
عَيُونُ الثُّكَالَى
عَيُونُ الَّذِينَ أَطَاحَتْ بِهِمْ ، وَمَا يَرْتَجُونَ دَوَاهِي الْقَدَرِ

* * *

وَيَمْشِي الْهُوَيْنَا
فَلَا صَرَخَاتِ الدَّمْعِ الْمُدَّالَةِ عَبْرَ الطَّرِيقِ
وَلَا زَفَرَاتِ الضَّلُوعِ
وَلَا الْأَنَّةُ الْبَاكِئَةِ
وَلَا النُّظَرَاتِ الْكَسِيرَةِ
تَطَاطَىءُ مِنْ صَلَفٍ عَاهِرٍ تَمَثَّلُ فِيهِ ذُنُوبُ الْبَشَرِ

* * *

وَيَمْشِي الْهُوَيْنَا . . وَلَكِنْ إِلَى الْمُسْتَقَرِّ
وَحَيْثُ النَّدَامَةُ تَكْوِي الْحُشَا
وَحَيْثُ الْجَزَاءُ عَلَى مَا غَبَرَ
وَحَيْثُ بَنُو آدَمَ يُحْشَرُونَ
لَا مُتَعَالٍ ، وَلَا مُحْتَقَرٍ
فَيَجْنِي دُمُوعَ الْيَتَامَى

وَيَصْلَى هُمومَ الشَّكَالِي
وتَخْنَقُهُ زَفْرَاتُ الضَّلُوعِ
وتَشْنَقُهُ صَرَخَاتُ الدُّمُوعِ
ويعوي كذئبٌ يَضِجُ السُّعَارُ
فلا يُسْتَعَاثُ، ولا يُسْتَجَابُ
بأَحْشَائِهِ ظَمَأٌ لِلْخَدَرِ
ولا يُسْتَعَاذُ، ولا يَنْتَظَرُ

لندن: ٤ ربيع الأول ١٣٨٢هـ
٤ أغسطس (آب) ١٩٦٢م

١٥٤ - دَمْعُكَ دَمْعِي

أبكي مع الباكي على عمره
وأشتكي الدهر مع الشاكي
وما شفى دمعٌ صدى غلَّةٍ
لكن حنا باكٍ على باكي
دمْعُكَ دَمْعِي يا رفيقَ الأسي
إنَّ كانَ إدراكُكَ إدراكي

لندن: ٦ ربيع الأول ١٣٨٢هـ
٦ أغسطس ١٩٦٢م

كيف استجبتَ إلى السَّرَابِ وحِذتَ عن نهج الصُّوابِ؟
 كيف اضمَحَلْتُ فيك آمالُ الزمالةِ والطلاّبِ؟
 والحقّ والخلقِ الكريمِ، وكل أحلامِ الشبابِ
 بل كيف عُذتَ؛ وفي جبينك وصمةُ المتملّقين؟
 ووسام من ضلّوا السبيل وأنكروا الحق المبين
 ويراعك المسعورُ يرْعُفُ بالشبورِ
 ولسانك المذعورُ ينفثُ بالفجورِ
 والزُّورُ. . يا من كنتَ لي أملاً ونورَ
 كيف استجبتَ إلى الشرورِ؟
 كيف استنمتَ إلى الغرورِ؟

* * *

هلاً ذكرتَ وأنتَ في فُخِّ المصائبِ كالسَّجينِ
 تبكي حياتك فيك بلوى بائسين مُشرّدينِ
 ورعيتَ فيك أمانةً لرفيقِ آمالٍ ودينِ
 ماذا دهاك فَصِرتَ تنفثُ بالشتائمِ والسَّبابِ؟
 وأنا الذي عنه اسْتَقَيَّتَ الصدق والقول الصوابِ
 يا خنجر الغدر الظّلومُ. .
 لو عاد — مولاك — العظيم

لبكى . . وقال : أهكذا يُجزى الكريم . . ؟
أنكرته وهو الذي
في عنقه آمال كل الخالدين
لولاه ما وُضِحَ السَّيْلُ ، ولازها نور اليقين .
ألأنهم قد ساوموك على السراب ؟
ألأنهم باعوا عمارك بالخراب ؟
لا . . لا . . لقد أبعدت . . عن نهج الصواب .
فاخفض جبينك ، وارتعش ، ندماً وتُـبَّ قبل التباب .
وارع الأخوة والزمالة ، والأبوة والجهاد
وُصِنِ الوداد ولا تَعِثْ حمقاً بأسباب الوداد .

لندن : ١٣ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ

١٢ سبتمبر ١٩٦٢م

في حنينٍ دائمٍ
 وأدكارٍ واجمٍ
 في زفيرٍ وشهيقٍ
 ونحيبٍ لا يفيقُ
 ضلٌّ عن مأواه لا يعرفُ نهجًا أو طريقًا
 والأمانى حوله صرعى ؛ ولا يدري رفيقا

* * *

كان بالأمس ربيبَ الصبواتِ
 وهو اليوم نديم الحسراتِ
 ورفيق العبراتِ
 وصريع الذكرياتِ
 وخيالات نشاوي وظنون خائباتِ
 ورؤى تلهتْ كألهم بوادي العثراتِ
 وحنين وأنين، ودموع، وشتاتِ

* * *

كلما أمعنَ في السكرِ صحا القلبُ الجريحُ
 أو أفاق الشوقُ، واستغرم وجدانٌ ذبيحُ
 وتراءتْ كخيوط العنكبوتِ

ذكرياتُ نَسَلْتُ من كهفِ ماضٍ موحشٍ
حَسراتُ البؤسِ في أرجائه
تتعاوى كَذِئابٍ جائعات ؛
والمنايا تتلوى كالأفاعي ؛
والرزايا كالوحوش الضاريات
ودموعٌ ونجيع ، وحنينٌ وأنين ،
وسهادٌ واضطهادٌ ، وعذابٌ لا يلين
كلُّها ترجُفُ خوفاً . . بين تلك الظلمات
وفناء غامض يفغرُ فاه
وكيان شاحبٌ يرسف في أغلاله
وهلاكٌ ودمارٌ .

* * *

وغدٌ . . يا ويحَ نفسي من غدٍ
إنَّه لفحةُ نارٍ ، إنَّه وثبةُ نارٍ
إنَّه وصمةُ جرحٍ في جبينٍ
إنَّه غضبةٌ حقدٍ لا يلين
إنَّه وحشٌ كمينٌ
وبقايا خمرٍ عاقرها شيخُ عقورٍ
أغمض العين على نشوتها وهي تفورُ ،
فهي موتٌ وحياةٌ وهي إظلامٌ ونورٌ

لندن : ١٥ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ

١٤ سبتمبر ١٩٦٢م

يا خَيْرَةَ «التَّابُوتِ» ضَلَّ حَامِلُوهُ
 وَضَيَّعُوا مَعَالِمَ الطَّرِيقِ
 وَظُلُمَاتِ اللَّيْلِ قَدْ تَوَاتَبَتْ
 مِنْ كُلِّ فَجٍّ مَوْحِشٍ عَمِيقٍ
 وَالْخَوْفُ أَشْبَاحُ تَحُومٍ
 عَلَى مَشَارِفِ الْوَادِي السَّحِيقِ
 وَ«زَمْرَةُ الْأَجْدَاثِ» فِي انْتِظَارِ
 لِلزَّائِرِ الصَّدِيقِ
 وَالْعَفْنُ الْمَسْلُولُ فِي انْتِظَارِ
 يَرْتَقِبُ التَّابُوتَ
 فِي كَهْفِهِ الْعَتِيقِ
 وَيَنْسِجُ الْبَلَى عَلَى هَيَاكِلِ الرَّقِيقِ
 حَتَّى وَحُوشُ الْقَفْرِ . وَعَقَارُبُ السُّهُولِ
 حَتَّى الْأَفَاعِي . وَعَنَاكِبُ الْكَهْفِ
 الْكُلُّ فِي انْتِظَارِ
 وَفِي احْتِفَالٍ ؛ جَائِعِينَ . . لِلْجَدِثِ الْجَدِيدِ
 لِلزَّائِرِ الصَّدِيقِ
 وَالتَّائِهُونَ بَيْنَ أَدْغَالِ الظَّلَامِ

حائرون

وحاملو «التابوت» ضائعون
والموت، والأجداث في انتظار،
وعناكب الفناء، والعفن المسلول
ترتقبُ الطريق، في مَلَلٍ . . وضيق

لندن: ١٦ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ

١٥ سبتمبر ١٩٦٢م

١٥٨ - تحية الشاعر للشاعر

[إلى الصديق الوزير الشاعر محمد أحمد محبوب، إثر إطلاق سراحه من السجن ووصوله إلى «لندن للاستشفاء»]:

حيّهِ اليومَ طليقا
مثلما حيّيته أمسِ سجيناً
مثلما . . حيّيته من قَبْلُ حرّاً
ثائراً يدعو إلى الحقِّ . . أميناً
حيّهِ بالشعرِ من أغلاله حرّاً طليقا
والتحيّات به تزكو . . عبيراً ورحيقاً
حيّ «محبوب» الذي عزّ فخارا،
وسما مجداً، وذكرّاً، وشعاراً،
وهو الشاعر والثائر حقّاً
وهو الشَّهْمُ أبو الأحرار؛ صدقاً

* * *

كم شدا؛ والقوم في أوهامهم
يتفانون عويلاً،
ليس يدرون مجالاً، لا يبينون سبيلاً
كم أثار النّقع في وجه الطّغاة الظالمين
حين كان الوطن الغالي بأيدي الغاصبين

وبنوه في متاهات التّواني حائرين
صوته كان منار الحقّ والهدى المبين
كان كالرّعد يدوي في صماخ العالمين
لا يبالى عائق الهول، شهيداً أو سجين

* * *

يا أخي ما بال دنيا
قد بلونها فنونا . . ؟
أين آمالُ رعينها، سنينا
وشدونا بالقوافي
في مغانيها الجميلة
للعلّاء، لِلْحَقِّ، للحرية البيضاء . . ندعو . . لِلْفَضِيلَةِ
أين . . آمال غرسناها بِرَاعِمٍ؟
كيف بالله . . حصدناها . . مظالم؟
وجنينها علاقم
قد كسبناها انتصارات دموع ومآثم
فأباحوها سبايا
واستجازوها مغانم

لندن : ١٦ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ

١٥ سبتمبر ١٩٦٢م

[أطلق العنان لقلمه الطائش سباً^(١)، وقذفاً وتهريجاً فاستعبر
الشاعر، وقال]:

لم أقترف ذنباً؛ لمعرفتي بما	يُجدي بني وطني وما لا ينفعُ
لكنّه جهلُ المريض بدائه	ودوائه والسَّقم فيه يرتعُ
يُمسي الطبيب يروض شامس فكره	ليقبله، فيصدُّ عنه ويجزعُ
والشرُّ قد نتأت رؤوس صلاله	والخير تنهشه الرماح الشرُّعُ
والدين مُنصدعُ الجوانب ضارعُ	والحقُّ مضطهدُ النصير مضيعُ
وهراء كلُّ مُدجّلٍ ومخرفٍ	ينكي القلوب وللرؤوس يُصدعُ
ومنابر التّضليل يفترعونها	جهرًا فتتهزّ الجهات الأربعُ

* * *

سأظلّ أهتِفُ بالحمى وأسوده	وأذود عنه، وأفتديه، وأمنعُ
في مهيعي أمضي؛ وحولي عصبه	«يمنيّة» طابت وطاب المهيعُ
ما إن حنوا يوماً لذلّ جبهة	مذ كان فيهم «ذو نواس» و«تبعُ»
و«العبقريّون» الأئمة من بني	«حسن» و«يحيى» من إليهم أرجعُ
في «العدل والتّوحيد» في ديني وفي	غضب الأسود إذا استثيروا أو دُعوا
لا يجبنون إذا تضايقٌ مخنق	أو ينكصون مخافةً أن يُصرعوا

(١) المقصود يومها هو الدكتور عبد الرحمن البيضاني.

بدم «الحسين» و «زيد» والشهداء من «آل الرسول» تثقفوا، وتطبّعوا

* * *

واطرق؛ فمثلك رُمُحُه لا يُشْرَعُ
ماضيكَ معروفٌ ويومك أبشعُ
تحنو جبينك للأنام وتركعُ
والجوع ذل في الجفون وأدمعُ
وتقول جدي «حمير» أو «تُبْعُ»
دهراً وأنت لكل شر منبُعُ
هذا وجود، وآخر يتبرّعُ
جادوا عليك بمالهم، وتبرعوا
جلّت و«قحطان» أعزُّ وأمنعُ
خابا، وما خافا، ولن يتمزّعوا
والدين يكفلُ، والمبادئ تجمعُ
مالٍ جمعتِ وأنت عبدٌ طيّعُ
أوراق البنوك إلى العدالة تضرعُ
عمّا يُشين؛ وبالمعالي مَوْلَعُ
حيناً؛ وقد يَسْتَسْلِمُ المتسرّعُ
هيهات لن يتغيروا، أو يُخدَعوا
في وجه من يُملي له أو يطمعُ
أبشر بطول سلامة يا «مربع»

فَتَنَحَّ يا خدن الجهالة والخنا
واترك مجالات العُلا لرجالها
هلاً ذكرتِ وأنت في زمن الصبا
والبؤس يرقص في جبينك رغبة
وأُتيت أهل الخير تزعم نسبةً
وظَلَلْتُ تلثم أرجلا وأناملا
فتكفلوا بك واصطفتك جماعة
ماذا دهاك؛ فعدت تشتم «سادة»
فارجع بطرفك حاسراً «عدنان» قد
أخوان في العلياء ما افترقا، وما
«صنوان» أصلٌ في العروبة واحدُ
فاقضِمْ ضميرك دودةً، واعكف على
في «بون» أمثلةً تضجُّ وتلك
والشعب في «اليمن السعيدة» شامسُ
قد يستجيبُ إلى ضلالك سذَجُ
أما الأشاوش من «قريش» و «حمير»
ولسان حال الشعب يصرخ جهرة
زعم «الفرزدق» أن سَيَقْتُلُ «مربعاً»

لندن: ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م

١٦٠ - أبي.. في قبره المجهول!

[السيد محمد بن محمد الشامي والد الشاعر، توفي في «مكة المكرمة» في شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٧هـ/ سنة ١٩٢٩م، وهو لم يتجاوز الأربعين عاماً، وعندما حظي الشاعر بالثول هناك استعبر، فقال]:

شائه سيّد قضى محروباً
وشجاعاً، وقائداً موهوباً
كان للمكرّماتِ خلّاً حبیباً
أس وافى «البيت الحرام» كئيباً
رحمة الله والثواب الرغيباً
من جلال الوقار ظلاً مهيباً
يعرفوا في الحياة إلاّ الذنوباً
فتلقّى الجحود منهم ضروباً...!
لّ صغير والدمع يهّمي سكوباً
حجة طفل باليتم قاسى الخطوباً
رِ مضاعٍ يحوي رُفاتاً غريباً
ن مع العمر من فؤادي قريباً
حقاً لذكره أو نصيباً

لي قبرٌ هنا. بمكّة في أح
عاش حُرّاً لا يَسْتَنِمِ لِضِمِّ
كان للصالحات رمزاً جميلاً،
حين ضاقت به الحياة ولُؤم النَّ
ينشد الأمن والسلام ويرجو
مات و «الأربعون» تُضْفِي عليه
تاركاً زينة الحياة لِمَنْ لم
قد جباهم بسعيه كل مجدٍ
لستُ أنسى وداعه وأنا طفٌ
ثم قولاً، قد مات. فاضطربت مه
ها هنا؛ ها هنا أفتش عن قب
كي أناجيه من قريبٍ وإن كا
أتراه يدري بأني ما ضيّعتُ

مكة المكرمة: ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م

١٦١ - نشيد أهل البيت!

[ترنم الشاعر بهذا النشيد بعد أربعة أشهر من تدفق قوات الرئيس عبد الناصر البريئة والجوئة إلى اليمن، واستشهاد واضطهاد بعض أصدقائه وأقاربه من علماء اليمن وأدبائها وزعمائها]:

طوارق الليل؛ كاد القلب ينفطر	ولا نديم، ولا كأس ولا وتر
قد عربد الشوق تشجيه هواجسه	عن الأحبة، لا تبقي ولا تذر
الله للشوق في دنيا قد انتحرت	فيها الأماني؛ فلا حلم ولا وطر
توحشت في دجاها الكائنات فلا	عقل ولا رحمة ترجى ولا وزر
قد استبدت بها الآلام وانسحقت	آمال من صابروا فيها ومن صبروا؛
تهافتوا دونما حلم، ولا حذر	يا ليتهم حلموا، أو ليتهم حذروا؛
وكيف ينبض في أحداقهم ألق	وهم بأوهامهم هاموا وما شعروا
بؤسي لمن صدقوا الأوغاد وانخدعوا	وويح من قد أباحوها ومن غدروا
وهم أولوا الضغن في أحشائهم نبتت	أظفاره، وبها يعدون إن قدروا
لا يؤمنون بحق إن هم انهزموا	ولا بقربي ولا عفو إذا ظفروا

* * *

وهم «بصفين» من ماتت ضمائرهم	فعلقوها على الرايات وانتظروا
وكان «عمرو» ذكياً ماهراً لبقاً	و «الأشعري» بشعار الوهم يدثر
قد حكموا صحف القرآن مصيدة	وضيعوها وخانوها إذ انتصروا!
نعم قد انتصروا يوماً بمكرهم	لكنهم خسروا التاريخ واندحروا
يا قومنا؛ راقبوا «القربى»، فربتما	عزّ الذليل، وذل الظالم الأشر

مهلاً؛ فقد بشم التاريخ وانتفخت
 ماذا لكم عند أهل البيت من ترة
 وقد تنازل إكراماً لكم «حسن»
 أما «الحسين» فقد وافى منيته
 نحن الألى ثأروا للحق عن شغف
 ممن قضى نجه، أو من قضى قدر
 نحن الألى لضحاياهم قد ارتعشت
 ماذا جنينا فنجلي عن مرابعنا؟
 أذنبنا أننا من نسل فاطمة

أوداجه، والتظى في جوفه البطر
 قولوا لنا؛ وسأتيكم ونعتذر
 يرجو هداية من ضلوا ومن مكروا
 ولم يُسالم؛ لأن القوم قد كفروا!
 به فقال الألى ضلوا قد انتحروا
 بأن يعيشوا؛ وصأنوا الحق وانتظروا
 منابر الدين تبكي فوقها السور
 وما اقترفناه من ذنب فنُجْتَزِرُ؟
 يا قوم مهلاً؛ فإننا مثلكم بشر؟!

* * *

قالوا: هلكتم؛ فقلنا إن قضى القدر،
 قالوا: عن «العدل والتوحيد» قد عدلت
 إذا جنى بعضنا وزراً أُحِيطَ به..
 لا تظلموا الكل؛ إن شذ الأولى مرقوا؛

قالوا: فنيتم؛ فقلنا: نحن ننتظر،
 أهواء بعضكم قلنا: قد اندثروا،
 فرداً؛ وآيتنا فيه: «ولا تَزِرُ»^(١)

الأولون من الحُكَّام.. والأخر
 نمته «صنعاء» أو «إريان» أو «خِمر»،
 وحضن «ضوران» أو «شمسان» أو «صبر»
 لم نُستَشِر في اختيار الجدِّ، لا «يَزَن»

ولا «حُسين» ولا «زيد» ولا «عمر»
 والعنصريّات قد شاهت، وقد ييسّت
 عروقه، واعتراها العثُ والخدرُ
 لقد سئمنا أحاديث القبور، وقد
 صكّت مسامعنا الأشعار تفتخرُ

* * *

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

أَجْرَمْنَا أَنْنَا لَا نَدْعِي نَسَبًا.. إلى ابن «يُغْفِر» حَتَّى مَسَّنَا الضَّرْرُ؟^(١)
أَمْ أَنْكُمْ قَدْ جَهِلْتُمْ أَمْرَ بَارِئِكُمْ.. لِأَنَّ أَحْقَادَكُمْ كَالنَّارِ تَسْتَعْرُ؟
كَانَتْ هُنَاكَ هِنَاتٌ سَاءَ مَنَقَلَبًا بِهَا الْأَلَى قَارَفُوا الزَّلَّاتِ إِذْ أَمَرُوا
لَوْ قَدَّرُوا مَا بِيْطُنِ الْغَيْبِ مَا اجْتَهِدُوا،

وَلَا أَتَوْا مَا تَحَاشَيْنَا، وَلَا عَثَرُوا..

حَسَنَ النِّوَايَا لَهُمْ عَذْرٌ إِذَا اعْتَرَفُوا بِأَنَّهُمْ أَخْطَؤُوا التَّقْدِيرَ.. وَاعْتَبَرُوا
وَمَنْ قَضَى وَهَوْلًا يَدْرِي مِثَالُ مَنْ

بِاسْمِهِ هَدَرَ الْأَعْوَانُ مَا هَدَرُوا

لَهُ مِنَ الْعَدْلِ مِيزَانٌ سَيَنْصِبُهُ عَدْلٌ إِذَا الْخَلْقُ كَيْمَا يُنْصَفُوا حُشِرُوا

* * *

يَا قَوْمَنَا رَاقِبُوا التَّارِيخَ وَادْكُرُوا مَنَا الْأَلَى غَيْرَةً لِلدِّينِ قَدْ ثَارُوا
فَطَاحِلًا لَضَحَايَاهُمْ قَدْ ارْتَعَشَتْ مَنَابِرُ الْحَقِّ تَبْكِي فَوْقَهَا السُّورُ

غَايَةُ الْخُوفَةِ: ٣ رَمَضَانَ ١٣٨٢هـ

٢٧ يَنَآيِرَ ١٩٦٣م

(١) «ابن يُغْفِر» هُوَ مَنْ يَدَّعِي الْمَوْرِخَ الْعَنْصَرِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْأَكْوَعِ أَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَانْظُرْ كِتَابَنَا
«جَنَايَةُ الْأَكْوَعِ عَلَى ذَخَائِرِ الْهَمْدَانِي».



أُخِذَتْ هذه الصورة في برج «الإمبِير ستيت» بنيويورك سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م عندما ذهبت إلى هيئة الأمم أدافع عن اليمن وأطالب بانسحاب القوات المصرية وإعطاء الشعب اليمني حق تقرير المصير واختيار الحكم الذي يريد دون أي تدخلٍ أو ضغط خارجي .

وكتبتُ يومها تحتها هذه الأبيات :
وأنا في الأربعينُ بإلهي أستعينُ
ليس لي مالٌ، ولا أيُّ قصورٍ، أو بنينُ
كلُّ ما أملك إخلاصي لربِّ العالمينُ،
وإِراعي، ولساني، وهُمُ جنْدُ مكينٍ..
ثَقِفَ القوَّةَ والصَّبْرَ من الذِّكْرِ المبينِ
يوم «بدرٍ» و «حُنينٍ» مع «خير المرسلينِ»
ولعلِّي سوف أبقى.. أمسكُ الحبلَ المِيتنُ
سائرَ العُمر و «حتى» أتلاشي في «اليقين»^(١)

(١) واقرأ «نشيد الميلاد الثاني والستين» في المجلد الثالث .

١٦٢ - نشيد تقرير المصير

[بعد مرور عام وبضعة أشهر على الحرب الأهلية اليمنية، إثر تدخل قوات الرئيس جمال عبد الناصر وغزوها لليمن سنة ١٩٦٢م/١٣٨٢هـ، قال الشاعر بحث جميع القبل والفئات اليمنية على التضامن ضد التدخل الخارجي ورفع راية تقرير المصير؛ وهو ما تمّت به المصالحة الوطنية وتأييد النظام الجمهوري سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، بعد انسحاب القوات المصرية، وانتخب مجلس الشورى الشاعرَ عضواً في المجلس الجمهوري مع زملائه عبد الرحمن الإرياني، ومحمد علي عثمان، وحسن العمري، وأحمد محمد نعمان]:

نائح الوادي على الأيك الخضير	ومغاني السّفح في الروض النضير،
والروابي الحمر في «خولان» والقيم السود «بحوث» و «الظفير»	
والمجالي الخضر في «صنعا» وفي	«صعدة» المجد، وفي وادي «نشور»
وبقاع «الجوف» والأدغال من	«أرحب» أرض المغاوير الصقور
و «بضوران» و «سنحان» وفي	«مسور» العزّ، وأرباض «حجور»
وذرى «الأهنوم» والشمخ من	«كوكبان» و «حراز» و «حضور»
و «الزرائق» ومن في «حاشد»	و «بكيل» من فتى حرّ صبور
«يمني» ما قدّس الله ثرى	مثلها.. غير ثرى «البيت الطهور»!

* * *

نائح الوادي على الأيك الخضير نُح ونُح؛ وانزف من الدمع الغزير

فالرّوابي، والمغانبي، والقرى،
والثري الطاهر قد دَنَسَه
من وراء البحر ساقته يدُ .
كفّ جبار إلى «فرعون» قد
وإلى «أبرهة» يربطه
ساقه جيشاً لهاماً؛ مثلما
قاتل الأملاك من «جمير» والصَّيد من أحفاد «كهلان» البدور
وأبو أكل أكباد الوري
و «المماليك» أتوا في قوّة
وأتى من بعد «إبراهيم» في
كلّهم للنّهْب قد هبّوا إلى
أرضنا قد عرفتهم وارتوت

والمجالي، طمّها الخطب الكبير
غزو عدوانٍ من الغازي المغيرُ،
تعصر الموت وتسقي، وتُبيرُ،
وشجّته صلّة الطبع الكفورُ .
مبدؤ الأثم والبಾಗಿ الغدورُ
ساقه من قبل جبارُ جسورُ^(١)
ومبيحُ الفسق جهراً والفجورُ^(٢)
يزخر الآذيّ منهم بالنسورُ^(٣)
جحفل لجبٍ، وأحشادٍ تمورُ^(٤)
أرضنا يحدوهم الوهم الغرورُ
بدماهم، ولهم فيها قبورُ !

* * *

«ثورة» قالوا؛ وعاثوا جهدهم
سرقوا أمجادها، واختلسوا
ليست «الثورة» جاهاً يُقتنى،
إنّها أمر بعُرفٍ وهُدَى،
عندما يحكم غرُ فاسدُ

باسمها، واقترفوا كل الشرورُ
ذمّة الثوار في كلّ العصورُ
أو هوى يغضبُ، أو حقْدُ يفورُ؛
إنّها في الأصل تجديدٌ ونورُ
فيهبّ الحرُّ للعدل يثورُ

(١) يقصد سيف الإسلام «طغتكين» بن أيّوب وراجع تفاصيل غزوه لليمن في «تاريخ اليمن الفكري» للمؤلف ٣ / ص ٢١ فما بعدها.

(٢) يقصد السلطان إسماعيل بن طغتكين الأيوبي، وأخباره في كتاب تاريخ اليمن الفكري أيضاً ج ٣ / ص ٢٤ - ٣٠.

(٣) انظر قصّة الحملات المصرية على اليمن في مقدمة كتاب «مؤتمر حرض» للمؤلف.

(٤) هو السلطان إبراهيم باشا بن محمد علي باشا.

عندما يسلب فردٌ قومَه
ساقه «ناصرٌ» جيشًا بعدما
ما بغى كي ينصر «الثورة» بل
ولذا لُقِّبَ دَبَابَتَه..
وهي «إسرائيل» من تدبيرها
فإذا ما غزت «الجولان» و «المسجد الأقصى» و «سينا» و «دمير»
لم تجد من يحرس الأرض فقد
شُرِّدَ الجيشُ «بصنعا» و «النظير»؟

* * *

«ثورة» قالوا نصرناها؛ ويا
هل من الثورة أن يختلسوا
وإذا بالفدم من غوغائهم
وإذا أوباشهم قد هُرِعوا
وإذا الأحرار صرعى؛ وإذا
وإذا الإسلام، والثورة والحقُّ والعدل تنادي بالثبور،
ذاك ما كان؛ ولكن وطني
فإذا الأشبال من قحطان قد
نسلوا من كل فجٍ؛ وهُمُ
عاهدوا الموت على أعدائهم
خيبة المنصور من بش النصير
ثروة المثري، وإيمان الفقير؟
سيدٌ والنذل ذو جاه خطير
بالنشانات أميرٌ، أو وزير؟
شرف الأحرار نهبٌ للمغير؟
لم يكن بالواهن النَّاسِي الكفور،
زحفوا كالسُّحب بالهول تدور
يتلظون فهوذا، ونمور..
عهد عزمٍ «يمني» لا يبور.

* * *

يا أباة الضيم تَبَّتْ فِتْنَةٌ
وبَغَوْا جهراً؛ وكفراً أعلنوا،
ثم باعوا أرضنا، أعراضنا،
نكثوا العهد ضللاً وغرور،
وأباحوا حرمة الشرع الطهور
ديننا، واسترخصوا غالي الأمور؟

(١) إشارة إلى انفصال سوريا عن مصر وثورة حزب البعث على المشير عبد الحكيم عامر إذ قد كان ذلك من الدوافع للرئيس جمال عبد الناصر لغزو اليمن.

لم يخافوا الله في طفلٍ ، ولا حرّةً ثكلى ، ولا شيخ كبير ،
و «بأهل البيت» لم يردعهموا «الودّ في القربى» ، ولا نبيل الشعور ،
جدّلوهم ، ورموهم في الفلا للسوافي ، والضواري ، والنسور .

* * *

آه كم يرجف قلبي حسرةً ودمي كم يتلظى ، ويفور؟
كلّما طافت خيالاتهم ، وتوالت في الأماسي والبكور
«أحمد الشامي» من نسل الألى أحسنوا الصنع على مرّ الدهور^(١)
مزّقت أحشاؤه نيرانهم وهو ثبتٌ باسم الثغر صبور ،
و «أبو طالب» و «العاموه» والندب «زيد» ، وكثير من كثير؟
من بني «الكبسي» و «إبراهيم» و «ابن زبار» و «المصلي» و «الوزير»
سيظل الجرح فيهم داميًا . . . صارخًا يقرض روعي والضمير

* * *

إنّها الثورة يا «قحطان» فاشتملوا الحرب ، وهبّوا للنّفير . . .
إنّها الثورة يا «عدنان» فاستبقوا الموت وفيئوا للنذير
للعلی والحق ثوروا ؛ واثأروا للدم المسفوك والعرض الهدير
أخرجوا «ناصر» من أرضكم ؛ وارفعوا راية «تقرير المصير»

مكة المكرمة : ٢٦ شوال ١٣٨٣هـ

١٠ فبراير ١٩٦٤م

(١) كان من جملة من أعدموا في الأسبوع الأول لثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م/١٣٨٢هـ ، أكابر علماء ووجهاء اليمن ، ومنهم السادة : أحمد عبد الرحمن الشامي ، وعبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب ، والمفتي محمد عاموه ، وزيد بن علي عقبات ، ومحمد الكبسي ، وحسن بن علي بن إبراهيم ، ومحمد عباس الوجيه ، ومحمد علي زبارة ، وعاطف المصلي ، ومحمد أحمد الوزير ، ويحيى محمد عباس ، وعبد الرحمن بن أحمد حميد الدين ، وأحمد محمد حميد الدين ، وأحمد حسين حميد الدين ، والأمراء علي وإسماعيل والحسن بن علي حميد الدين ، ثم قاسم الثوري ، وحمود الوشلي وحسين الويسي ، وعبد القادر أبو طالب ، وعبد الرحمن السيّافي . . وغيرهم .

والذي أبغيه لا يُروى ويُنمى!
تعرّفه.. بل هُوَ أعمى ومُعمى!
مستحيلات، وألغازًا، ووهما!
سكارى، ومتاهات ويَهَمَا!
رُ، أم لا شيء يُرجى أو يُسمّى
تُضعِف الأيامُ من شأني عزمًا
ذقتُ ما في الكون من بؤسى ونعمى
خُلقي ما زال لي طبعًا وفهما

ليس يدري ما بقلبي أحدُ
السُّما تنكره والأرض لا
عندما كنتُ صغيرًا كان مثلي
ومناجات حيارى، وخيالات
أهو الشعرُ، أم السحرُ، أم القَبْ
هكذا كنتُ وما زلت ولم
قد حلبتُ الدهرَ شطريه وقد
فإذا ما كان من حَسِّي ومن

لندن: ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م

حُبُّهَا؛ فَبِئْسَ مُنِيتِي الْمُنْشُودَ أَوْ لِسَانِي أَطَالَ قَلْبِي سَجُودَ رُوحٍ فِي دَهْشَةٍ تُلَاشِي قِيُودَ س» وَمَا شَفُّهُ وَأُضْنِي وَجُودَ لِي! وَمَا أَجْمَلَ الْهُوَى وَوَعُودَ يَتَنَزَّى شَوْقًا بِمَا لَنْ نُرِيدَهُ وَهِيَ مِنْ نَشْوَةِ الصَّبَا عَرِيدَهُ وَلَهَا مَا تَرِيدَهُ وَمَزِيدَهُ	كُلُّ حُبِّي لَهَا وَكُلُّ حَيَاتِي كَلَّمَا مَرَّ ذِكْرُهَا فِي خِيَالِي وَهَذَا الْعَقْلُ خَاشِعًا؛ وَأَنَابَ الـ مَا دَهَانِي مِنْ حُبِّهَا مَا دَهَا «قَيْدُ هِيَ «لِيلَايِ» مَا أَحْيَلِي وَمَا أَغْدُ وَنَجُومُ تَرْنُو إِلَيْنَا وَفَجْرُ وَالْأَغَانِي نَشْوَى بِخَمَرِ هَوَانَا لِي مِنْهَا مَا أَشْتَهِي وَأَرْجِي

* * *

فَظْ حُبِّي؟ وَهَلْ تَصُونُ عَهْدَهُ قَدْ تَطَوَّحْتُ فِي مَرَامِ بَعِيدِهِ	أَتَرَاهَا تَرَعَى غِرَامِي؟ وَهَلْ تَحْدُ أَمْ تَرَانِي شَهِيدَ حُبِّ وَوَحْدِي

* * *

بِخِيَالِي سَهُولَهُ وَنَجُودَهُ وَأُنَاجِي أَطِيفَهَا الْمَحْشُودَهُ	أَنَا أَشْكُو الْبَعَادَ هَيْمَانَ أَطْوِي أَحْتَوِيهَا مِشَاعِرًا وَظَنُونًا

* * *

مِنْ شَذَاهَا، آهَاتُهَا الْمَعْهُودَهُ	صَوْتُهَا، تَمْتَمَاتُهَا، نَفَحَاتُ

وأمامي، محسوسةً، مشهوده
لحظةً وهي في دمي موجوده؟
ووحيداً.. فهل تراها وحيدَه؟

عن يميني، وعن شمالي، وخلفي
كيف أسلو؟ أم كيف أصدِفُ عنها
أنا سهرانُ والوساوس حولي

الرياض: ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م

[على الأمير علي بن الحسين حميد الدين]:

فَلَقَدْ كَانَ تَقِيًّا	رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا
بِوَفِيٍّ وَوَفِيًّا	مَخْلَصًا لِلَّهِ وَالشَّعْءِ
لَمْ يَكُنْ نَذْلًا غَبِيًّا	لَمْ يَكُنْ فِظًّا عَتِيًّا
وَصَبُورًا وَحَيًّا	كَانَ حَرًّا وَأَبِيًّا
كَانَ لِلْعَدْلِ وَصِيًّا	كَانَ لِلْحَقِّ نَصِيرًا
الْصَّدَقِ مَذْكَانَ صَبِيًّا	عَاشَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا
أَسَاسَ شَيْنًا أَوْ فَرِيًّا	لَمْ يَعَاقِرْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا
وَطَنِيًّا يَمْنِيًّا	وَلَقَدْ مَاتَ شَهِيدًا

لندن: صفر ١٣٨٤هـ

٢٥ يونيو ١٩٦٤م

ضَيَّعْتُ فِي تِلْكَ الدِّيارِ فؤادي
ونسيْتُ أنْسيَ عنْدها ورقادي
حيثُ الشَّبابُ تَفْتَحُتْ أكمامه
والحسنُ تاهَ بِغُضْنِه الميَّادِ
حيثُ الهوى يزهرُ مناظرَ فتنَةٍ
ونجومُ آمالٍ، وزهرُ ودادِ
حيثُ الصَّبابةُ لا ينامُ شجِيئُها
إنْ لم يَنْلُ، إلَّا على ميعادِ

* * *

أفْنَيْتُ كلَّ العمرِ في محرابه
أشدُّو بما أدري من الأورادِ
عن «قيس»، عن «لبنى»
عن «المجنون» عن؛ «ليلى»
عن «ابن ربيعة» و «زياد»
عن كلِّ من قتلَ الهوى ببكائه
وقضى شهيدَ الحبِّ والأوعادِ

قلبان يختصمان في قلبي ولدا..
قلبين قد أسلمت كل قيادي
هذا له ما يشتهي من رغبتني
ولذاك ما يهواه من إسعادي

* * *

والحرب.. أعرف كيف أذكي نارها
ومتى أجمعُ جمرها برماد
قالوا: أناني، فقلتُ: كرامةُ
أنا ليث غابتها وشيخ الوادي
أصبحْتُ لا أخشى محاذير العدا
بل شرٌّ من أكرمتُ من حُسادي
لي كل يوم وقفَةٌ أنسى بها
نفسي؛ لأذكر أمّتي وبلادي

* * *

قل للآلى انتقموا ولم يتورعوا
أسرفتمو؛ والله بالمرصاد
قد كان قبلكم «الولاة» بمأمن
من كل ذات سخيمة، أو عادي
ركنوا إلى الأوغاد، وامتهنوا بهم
حرمت أهل الفضل والأمجاد
مردوا على الطغيان واستخذت له
منهم طبائع خسة وفساد
وتمسّكوا بحباله، وتعصّبوا
لضلاله، بوقاحة، وعناد

فتقطعت أسبابه، وتصرعوا
في وثبةٍ لثارٍ والأحقادِ
من لقمة المسكين لم ينفعهم إلّا
مالٌ الذي ذخروه للأولاد

* * *

شطّ المزار، فلا الدّيار، ولا الألى
كانوا مُنى الزوّارِ والروادِ
وتعطلت أكواب عشاق الطّلى
وتغيّب السّاقى، وأقوى النّادي
والروض جف غديره؛ والزهر مات
عبيّره.. والطير أخرس صادي
هل عودةٌ ترجى؟ فيحتفل الثرى
بتخطّر المُلاكِ، والأسیاد..
وإلام يبقى الخوف من فقر، ومن
سجنٍ، ومن شناعة الجلاّد؟
وإلام يبقى عيش كل مهذب
متكدّراً، ويطيب للأوغاد؟
وإلام يبقى ذلّك «الفرعون» في
الوادي، يبيع محرّمات الوادي؟

لندن : ٢٨ من شعبان ١٣٨٤هـ

٢ يناير ١٩٦٥م

إِنِّي أَكْنِي بِاسْمِهِ لَا خَشْيَةَ؛
 وَلَا احْتِرَامًا لِلْأَنَاسِ آخِرِينَ . .
 بَل . . إِنِّي أَحْذَرُ أَنْ أَخْلِدَهُ . . بَلَعْتِي . !
 أَخْشَى بِأَنْ يَظْلَّ اسْمُهُ
 يَدُورُ بِاللَعْنَةِ دَهْرَ الدَّاهِرِينَ
 لِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ أُؤَبِّدَهُ . . بِغَضْبَتِي . . !
 وَلَيْسَ يُرْضِي الشَّعْرَ أَنْ أَمْجِدَهُ
 بِأَنْ أَخْلِدَ اسْمَهُ فِي الْآثِمِينَ

* * *

لَأَنِّي أَعْرِفُهُ؛ لَطَخَةَ عَارٍ،
 قُمَامَةً تَنْفَحُ فِي جَوْفِ شَنَاوٍ!
 وَضَمَّةً فَسَقٍ، وَضَلَالٍ وَانْدِحَارٍ،
 بِالْوَعَةِ تَفْهَقُ فِي بَيْتِ تَبَارٍ
 وَعَفْنَا يَرْتَعُ فِي جِسْمِ دِمَارٍ

* * *

وَخَنْجَرًا لِلْإِثْمِ فِي، كَفِّ زَعِيمٍ لِلْعَبِيدِ؛
 وَمَغُولًا لِلشَّرِّ فِي، قَبْضَةِ مَغْرُورٍ بَلِيدٍ!

تَجَمَّعَتْ فِيهِ صِفَاتُ الْبَغْيِ وَاللُّؤْمِ الْعَتِيدِ؛
فَهُوَ فَرِيدٌ فِي الْمَخَازِي؛ وَهُوَ فِي الْجَهْلِ وَحِيدٌ

لندن: ١٥ رمضان ١٣٨٤هـ

١٣ يناير ١٩٦٥م

كان يَكْنَى باسمه
 كان يقول: إنه من الجنوب، أو من الشمال
 وتارةً من «جنوا»
 وقد يقول؛ إنه من «أسمره»
 من أي أرض؛ لا يُبالي عنه.. أن يُقال!
 وكل ما يخشاه أو يكرهه
 وكل ما يُخيفه
 بأن يقال؛ إنه من «اليمن»

* * *

في «البار» أو في «المسجد» الكريم
 في مجمع الغوغاء؛ أو في المحفل العظيم
 يَغَيِّرُ اسْمَهُ
 يحرف اللهجة والكلام
 يَلْوِي لِسَانَهُ
 يَوَدُّ أَنْ يَمْحُو سَخَنَةَ الْجُدُودِ
 من وجهه الكريم
 ولا يُبالي أن يُقال إنه من الهنود
 أو من جبال «التَّبَتِ» أو من «كِينِيا»

لأنه يخاف أن يُقال «شافعي»
أو يعرفون أنه من فِرْقَةِ «الزُّيُودِ»
جاء من «اليمن»

* * *

حيثُ الظلامُ نائمٌ منذُ عُصُورٍ،
حيثُ الأنامُ كهياكلِ القبورِ،
حيثُ القيودُ، والسَّياطُ، والسُّبُحُ،
و«القات»، والأمراضُ، والترُّخُ،
و«العسكريُّ» ومُحَصِّلُ الزَّكَاةِ
والخادمُ الأثيرُ
والتَّاجِرُ الكبيرُ
وزُمرَةُ الوشاةِ، و«المخدَّرونُ».
والعبدُ، والسَّيفُ، و«المخزَّنون»
لاهُونَ عابثونَ
لا يعقلونَ أيَّ قَبْرِ يحفرونَ . . لليمنِ

* * *

كم صارَعَ الرِّياحُ!
كم قاومَ الأشباحَ.
كم داسَ أشواكًا؛ وعاشِرَ الذَّنابِ،
كم شاركَ الوحوشَ وعقاربَ اليبابِ؛
مفارشَ الترابِ . . !
وأكلَ الجوعَ، وشربَ الظما!
وعانقَ الأخطارَ هائمًا!

يخشى مراصد العَسَسِ،
و «العُكْفَةَ» الحرَسِ
فغير اسمِهِ وهيئَتُهُ
وسمَتُهُ ولهجَتُهُ،
وودَّ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ «اليَمَنِ»

* * *

لَيْسَ مِنَ الْأَرْضِ التِّي ؛
كَانَتْ «لِبَلْقِيسِ» وَ «ذَوِ زَنْ»
وَ «تُبْعُ» مَلِكُهَا
وَ «أَسْعَدُ الْكَامِلُ» ؛ وَالْأَقْيَالُ ؛
فِي «ظَفَارٍ» . . وَ «يَحْصُبُ» الْخَضْرَاءُ
وَ «ذِمَارُ» وَ «النَّخْلَةُ» الْحَمْرَاءُ
وَ «مَأْرَبُ» وَسَدَهَا الْعَتِيدُ
وَالنَّاسُ ذُو بَأْسٍ شَدِيدُ
يُفَاخِرُونَ بِالْعُلَا، وَيَفْخَرُونَ «بِالْيَمَنِ»

* * *

لَيْسَ مِنَ الْأَرْضِ التِّي
عَبَدَ فِيهَا «ابْنُ الْحُسَيْنِ» أَوْضَحَ السُّنَنِ
وَأَنْجَبَتْ أُمَّةَ الْهَدْيِ
وَنَبَلَاءَ الْعِلْمِ، وَالْأَدَبِ،
وَالْفَنِّ، وَالْجَمَالِ
وَكَانَ فِيهَا «لِلصُّلْحِيِّ» : عَلَمٌ ؛
تَعْنُو لَهُ الْأَبْطَالُ
وَ «لِلْمُظْفَرِ» الْعَظِيمِ صَوْلَةُ

يَهَابُهَا الرِّجَالُ
أَرْضُ «أَزَال» وَ «تَعَزُّ» وَ «عَدْنُ» ؛
أَرْضُ «الْيَمْنُ»

* * *

وَهَبَّتِ الْعَوَاصِفُ الْهُوجَاءُ . . فِي «أَزَال»^(١)
وَهَاجَتِ الْفِتْنُ ،
وَاسْتَعْرَمَتْ نَوَازِعَ الشَّرُورِ ،
وَاسْتَكَلَبَتْ دَوَافِعَ الْغُرُورِ ،
وَخَافَتِ الرُّؤُوسُ أَنْ تَطِيرَ ،
وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُ الرُّبُوعِ ،
وَمُزَقَّتْ مَقَانِبُ الْجُمُوعِ ،
وَزَحَفَ الْخَوْفُ . . عَلَى سَقَمٍ وَجُوعٍ
وَلَمْ يَجِدْ مِنْ وَزْرِ . . إِلَّا الْفِرَارَ ،
إِلَى «عَدْنِ»
وغير اسمه . . وَوَدَّ لَوْ يَسْطِيعُ
أَنْ يَمْسَحَ سَخْنَةَ الْجَدُودِ
أَوْ أَنَّهُ يَعْرِفُ لُغَةَ «الْعَجَمِ»
أَوْ لَهْجَةَ «الْهِنْدُ»
لَأَنَّهُ يَخَافُ أَنْ يُعْرِفَ
أَنَّهُ مِنْ «الْيَمْنِ»

* * *

وَذَاتُ يَوْمٍ قِيلَ ،

(١) ثورة الدستور سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

إن «سيداً» وزير،
 ورجلاً كبيراً
 جاء من الوطن
 مضى إليه ببصيص من أمل،
 يظنه يستطيع أن يعيد
 إليه اسمه السليب!
 وقصّ كيف شرّذته عبر الزمن
 وقصة الثلاثة الصغار،
 وأمه العجوز،
 و«العسكري» و«مُحصِّل» الزكاه،
 في البيت يطلبون،
 أن تذبّح «الكباش»
 أن تهرق «السُّمون»
 والحاكمُ الغشوم،
 يريد منهم أن يرفّهوا
 خادمه الأثير،
 وبطنه الهضوم
 و«حقّه» الكبير
 وقصّ قصص الرفاق
 والذين هاجروا من «اليمن»

* * *

وانتفض «الوزير»،
 وقال: كيف تخرجون؟

وكيف تهرَّبون . . ؟
ودونَ ما إِذْ تَغَيَّرُونَ
أَسْمَاءُكُمْ، وتزعمُونَ
أنَّكُمْ لستم من . . «اليمن» ،

* * *

السَّحْنَةُ السَّمَاءُ شَاهِدَةٌ
ولَهْجَةً أَعْرَفُهَا
لَكُنِّي لَا أَسْتَطِيعُ
أَنْ أَسَاعِدَ الْجَمِيعَ ،
مَا جِئْتُ هَا هُنَا مُوَاسِيَا
لِلْمُوجِعِينَ !
وَلَا أَتُدَبِّتُ هَا هُنَا مُؤَاوِيَا
لِلشَّارِدِينَ . . !
لَكُنِّي أَتَيْتُ لِأُمُورٍ مُبْهِمَاتٍ
تَهْمُ أَرْيَابُ الْأُمُورِ . . هَا هُنَا
وَفِي «الْيَمَنِ»

* * *

وَيَسْحَبُ الذَّيْلَ كَسِيرًا ،
مُوجَعُ الضَّمِيرِ
لأنه قد كشف اسمه
لِلسَّيِّدِ «الوزير»
فَلَمْ يُهْذِهِدْ حُزَنُهُ الْمَرِيرُ ،
وَلَمْ يُكْفِكِفْ دَمْعُهُ الْغَزِيرُ

وكان ذلك السَّفير
ورَغَمَ رأسه الصغيرُ
يحملُ سيئات «قَيْصر» كبيرُ
وهامَ من جديدٍ . . يكتُم اسمه
يخاف أن يُعرف أنه
من «اليمن»

لندن: ١٩٦٠م

* * *

وَهَبَّتِ العواصفُ الهوجاءُ . . من جديدٍ^(١)
واحتشدتْ كسُدفِ الليل على الضَّوء الوليدِ
لكنَّها قد أَقبلتْ من خارج «اليمن»
ولم تكنْ من «نهم» أو «خولان» أو «بني مَطَر»
ولم تكنْ من «حاشد» ولا «بكيل»
ولا منَ الجبال في «مُراد»
ولا منَ الوهاذ في «حَجُور»،
وليس تَدْرِيها صوامع الجوامع الكبار،
في «حوث» أو «ضوران» أو «ذمار»،
ولا شهارة الأمير،
ولا «تعز» أو «زبيد» أو «خدِير»،
لكنَّها عواصفُ غريبةُ الرِّياح،
مجنونةُ الجماح، تُبيحُ ما لا يُستباح

(١) عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.

فَانكَمَشْتُ زَوَابِعَ الْوَطَنِ،
وَانْجَحَرْتُ طَلَائِعَ الْفَتَنِ
وَحَمَلْتُ أَطْمَاعَ،
وَارْتَجَفْتُ أَصْفَاعَ
وَانْتَفَضْتُ مَرَابِعَ «الْيَمَنِ»

* * *

وَوَثَبَ الشَّرِيدُ،
وَرَجَعَ الطَّرِيدُ،
وَصَرَخَ الدَّمُ الشَّهِيدُ،
وَأَعْلَنْتُ شَوَاهِقُ «الطِّيَالِ»،
«لِلشَّرْقِ لِحْضُورُ»،
لِجَبَلِ «الْأَهْنُومِ»،
«لِرَازِحِ» الْأَخْضَرِ،
لِسَهْلِ «سَنَوَانِ» وَ «ضُرَوَانِ»،
«لِالرَّحَبِ» الْحُمْرَاءِ،
«لِمَسُورِ» الْأَشْمِ،
«لِكَوْكَبَانِ» وَ «شِبَامِ» .
لِكُلِّ سَائِرِ الْجِبَالِ
تَوَائِبِي . . تَوَائِبِي . . أَيُّهَا الْجِبَالُ
لَا تَسْتَكِينِي لِلْعَوَاصِفِ؛ الْغَرِيبَةُ الرِّيَّاحُ،
قُولِي لَهَا؛ لَنْ تَخْضَعَ الْجِبَالُ
«لَوْ يَرْجِعُ أَمْسُ الْيَوْمِ»؛
«وَالْأُشْمُسُ تُشْرِقُ مِنْ عَدَنَ»
لَأَنَا مِنْ «الْيَمَنِ»،

نحن جميعاً؛ كلنا من «اليمن»

* * *

وهامٌ من جديد،
لكنَّهُ يَجْهَرُ بِاسْمِهِ
لكنه يزهو بِسَخْنَتِهِ؛
لأنه من وَطَنِ الأبطالِ
من قَهَرُوا النيران والحديدُ:
بالصبر والبأس الشديد،
ومن تَمَرَّدُوا على الفنا
وضربُوا للمعجزات مثلاً
لأنه من «اليمن».

* * *

حيث استطاع فاقَدُوا السَّلاح؛
أن يهزموا العواصف الغربية الرياح...!
ومن أرادوا أن يُبَدِّدُوا الضَّبَابَ... بالظَّلام...!
وأن يُعَالِجُوا السَّقَامَ بالزُّوَامِ
والشرَّ بالذَّاء العُقَامِ
وأن يُبَلِّسُوا الجراحَ بالسَّمَامِ...!
وأن يغيروا المكروه بالحرام...!
لأنهم لم يُصَدِّرُوا عن رغبة اليمن،
وُجُوهُهُمْ... لا يعرفونها،
وسَخَنَاتِ يَجْهَلُونَهَا،
ولهجَّةٌ لا يفهمونها،
نيرانهم غَرِيبَةٌ

قَوَاتِهِمْ . . لَيْسَتْ مِنْ «الْيَمَنِ»

* * *

بِلَادُهُ - الْيَوْمَ - بِلَادُ «ذُو نُوَّاسٍ»،
وَقَاهِرِ الْأَتْرَاكِ فِي «ثِيْلَا»،
وَفِي «شَهَارَةِ الْأَمِيرِ»،
بِلَادَ «سَيْلِ اللَّيْلِ» وَابْنِ «ذُو يَزْنٍ»
حَيْثُ اسْتَطَاعُوا بِالنَّصَالِ . .
أَنْ يُقَرَّرُوا مَصَائِرَ الْأَجْيَالِ
وَأَنْ يُجْتَنَّبُوا مَخَالِبَ الْأَهْوَالِ
وَأَنْ يُقَاوَمُوا كَوَارِثَ الْمُحَنِّ،
بِالصَّبْرِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْحُبِّ الْعَمِيقِ لِلْوَطَنِ،
لَأَنَّهُمْ مِنْ «الْيَمَنِ»،

* * *

فَلَنْ يَغْيُرَ اسْمُهُ،
وَلَنْ يَقُولَ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ «الزِّيُودِ»
وَلَا مِنْ «الْيَمَنِ»،
فَإِنَّهَا مَفْخَرَةُ الْمُحَافِلِ الْكِبَارِ،
وَمَثَلُ الْجِهَادِ وَالْفَخَارِ،
وَاسْمُهَا «عَلَمٌ»
وَلَنْ يَخَافَ، أَوْ يَغْضُ نَظِيرَتَهُ
حِينَ يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ «الْيَمَنِ»
لَأَنَّهُ مِنْ «الْيَمَنِ»!

لندن: ١٤ رمضان ١٣٨٤هـ

١٦ يناير ١٩٦٥م

١٦٩ - أوزان الخليل باللغة الإنجليزية

[في جلسة أدبية ضُمت بعض إخوان الصفا، قال أحدهم:
لا تستقيم أوزان الشعر الخليلية إلا في اللغة العربية الفصحى،
فارتجل صاحب الديوان هذه الأبيات]:

أوه: يا «لَيْت» حياتي	«دُنْتُ لَيْتَ مِي» في الظلام! (١)
أنا «لَقْتُ يُو» يا حبيبي	والجفا «وَذْمِي» حرام! (٢)
آه قد «لُسْتُ» فؤادي	«إِنْ ذِدِيرْتُ» الهيام! (٣)
دونما «مِرْسِي» بإخلاصي	و «لِنُقُونَج» الغرام! (٤)
«إِنِّي وَيْ» «توديل وذمي»	سوف أبقى مستهام! (٥)
«دُنْتُ كَت» حبل وصالي	«إِتْرَ مَي دِير» .. أثام! (٦)

الرياض: ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م

-
- (١) «LIGHT»، معناها: نور. و «DO NOT LET ME»، معناها: لا تتركني.
(٢) «LOVE YOU»، معناها: أحبك. و «WITH ME»، معناها: معي.
(٣) «LOST»، معناها: ضيعت. و «IN THE DESERT»، معناها: في الصحراء.
(٤) «MERCY»، معناها: رحمة، وراقة. و «LONGING»، معناها: طول الغرام.
(٥) «ANY WAY»، معناها: بأية حال. و «TODEAL WITH ME»، معناها: تعاملني
وتصرف معي.
(٦) «DONOT CUT»، معناها: لا تقطع. و «IT IS MY DEAR»، معناها: إن ذلك
يا عزيزي.

١٧٠ - بقايا مسرحية

[في سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، حاول صاحب الديوان تأليف مسرحية شعرية سُمّوها: «جحيم الغيرة»، وكان قد أكمل منها ثلاثة فصول في حوالي خمسمائة بيت، ولكنها ضاعت أثناء إحدى رحلاته في حقبة ثياب، ولم يبقَ منها إلا مقتطوعات تناثرت في مذكراته، ومنها على لسان «الغيران»:]

من طبعها اللهو، وفي قلبها	هوى؛ ولا عقل، ولا معرفه
وفي مزاجي اللهو مستحكم	لكنّ لي عقل، ولي فلسفه
كيف التقينا دونما موعدٍ	ودون أن أعرف منها صفه؟
ويحييه رفيقه:	

الحب جبارٌ وسلطانه	إذا غزا قلبَ امرئٍ أتلّفه
لا علم، لا منطق فيه، ولا	دين؛ وأما العقل ما أسخّفه!

ومنها ضمن حوار دار بين «الغيران» والفتاة «رباب»:

كيف أصغيتِ إلى الإثمِ وصدّقتِ اللّعينا؟	كيف لم تنزجري خو
فأولا عقلاً ودينا؟	ألأنّي كنتُ في حبي
لكِ الخلّ الأمينا؟	فتجيب:

لم يكنْ إثمًا.. ولكن	كان وهمًا وظنوننا؛
كان شكًا.. غيرُهُ	الحب أهاجته فنونا!

فيقول الغيران:

غيرة الحب؟ .. نعم؛ قد	فَتَنَّتْ عَقْلِي فَتُونَا!
وأصابتني شدوها	وسهادًا وجنونا
فتهاويتُ على جرحي	مخبولاً، طعينا
وتطوحتُ وحيداً	وتعذبتُ حزينا
همسات الشك من	حولي شمالاً ويمينا!

ثم يتذكر ما نقله «صالح» بأنها قالت للتاجر «قاسم»: وأنت الحبيب فيقول:

لا تكذبي؛ عيناك تُفصح	بالحديث الصادق!
لا تنكري؛ شفتاك تحكي	حُلمَ قبلة عاشق!
قد قلتها في نشوة	الذكرى للهو سابق!
سأقتك في تياره	نزوات طيش ماحق
أضني فؤادك منه ما	يُضني فؤاد مفارق
وانسقت في غيبوبة	توهي، ورعب دافق
وضميرك المسكين، يرجف	تحت هم ساحق!
لا تنكري، الأوراق تر	وي عنه قصة فاسق!
لا تنكري، قد قالها	لك في دهاء منافق:
«أنت الحبيبة» فانخذل	تِ وقلتها بتوافق!
هل كان شيء بعد؟	قولها: فلستُ بوائق!

وترتجف «رباب» وتُخرج «المصحف» من جيها وتقول:

مهلاً؛ خذ «الميثاق» إني تائبه	قد عدتُ نحوك يا حبيبي آيبه
ما كان لم يك غير طيش حماقة	أججتَ فيها أنت نارا لاهبه
قد قلت لي شيئاً أثار مشاعري	وأهاج في ظنون أمس الخائبه
واستصرخ الشيطان ضعفاً في دمي	وأثار أعصابي ونفسي الغاضبه

ما بين أوهامي وبين وساوسي
قد كنتُ في غيوبتي مجنونةً
ما كان شيءٌ بعد إلا يقظتي

ومنها في إحدى مناجاته :

طمعتُ بأن تُشَفِّي بها غلةَ الهوى
فأعطيَها من كل حسن جميله
ولكنها واخيبته تنكَّرتُ ،

فيعزيه رفيقه بقوله مضمناً :

تصبر ولا تحزن ، وصابرٌ ، وتب
«وهبها كشيءٍ لم يكن ، أو كنازح

ومنها من قصيدة يرثيها بها في آخر المسرحية :

أبكها يا شعري ، وودَّع صباها
وابك عمراً أفنيتَه في هواها

ومنها يرثيها أيضاً :

ابكِها يا شعري وودَّع صباها
كم تبتلتُ بالدموع إليها
كنتُ تخشى عذاب ساعة هجر
كيف يُسطاع الظنُّ أنك تستطيع

لم أدر صادقة أنا أم كاذبه؟
عمياء مجهدة المشاعر تاعبه
وأنا إليك اليوم أضرع تائبه

وتهدأ أشجان الغرام الثوائرُ
ومن كل شأنٍ ما تصيب الخواطرُ
وكُشِفَ لي من طبعها ما يُحاذرُ

عن الأمانى ؛ وسلم ، فالحظوظ عوائثُ
عن الدار ، أو مَنْ غيَّته المقابرُ»

وابك فيها حُلَمَ الهوى ووعوده
ترتجي وصله وتخشى صدوده

وارث عمراً أفنيتَه في هواها
تتقي هجرها وترجو رضاها
أملأ كل لحظة أن تراها
ولو قد مأتتُ - بأن تنساها؟

١٧١ - عيد ميلاد فيصل

[قالها يوم ذكرى ميلاد ابنه فيصل بن أحمد الشامي، حين أكمل
عامه الأول، وكانت ولادته في لندن ١٤ شوال ١٣٨٤هـ / ١٥
فبراير ١٩٦٥م]:

إهدي الزُّهورَ لفِصلِ	من نرجس وقرنفلِ
في عيد ذُكْرَى يومِ	مُولده الحبيب الأولِ
يوم انتشيتُ باسمِه،	وَوَهبتُه مُستقبلي

* * *

قد مرَّ عامٌ أَشْتَهِي	فيه الحياةَ وأُجْتَلِي
ما أرتضي، وأرومُ مَنْ	مُتَعِ الوجودِ بمنزلي
كالشعر يُروى عَنْ «حبيب»،	وَعَنْ «لبيد»، و «جرول»
كاللحن يَصْدَحُ، كالنسيمِ	يرفُّ فوق الجدولِ
يشدو بألحانِ «الغريضِ»	و «مُعَبِدٍ» و «الموصلي»

هو كُلُّ شَيْءٍ أرتجي،
هو آخري، هو أُولي،

* * *

أبْنِي أَنْتَ مِنْ «الرَّسُولِ» عَنِ «البتول» وَعَنْ «علي»
تروى المكارمَ كاملاً عَنْ كَامِلٍ، عَنْ أَكْمَلٍ؛
عَنْ «عُتْرَةَ» يَتَشَافَهُونَ مَعَ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ

صُهِرَتْ حَيَاتُهُمْ بِآيَاتِ الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
وَرِثُوا الشَّهَادَةَ فَاضِلًا عَنْ فَاضِلٍ ، عَنْ أَفْضَلٍ ؛
فَاجْعَلْ صِرَاطَكَ نَهْجَهُمْ بِتَجَمُّلٍ ، وَتَحَمُّلٍ ؛
وَاحْذَرْ مَجَارَاةَ اللَّثَامِ ، وَرَأْيَ كُلِّ مَغْفَلٍ ؛
وَأَرْضَ الْمَعِيشَةِ حُلُوءًا أَوْ مُرَّةً كَالْحَنْظَلِ ؛
وَاعْلَمْ بِأَنَّ النَّصْرَ مِنْ حِطِّ الشَّجَاعِ الْأَعْقَلِ
مَنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْحَيَاةُ ، وَتَبْتَلِيهِ ، وَیَبْتَلِي
وَبِأَنَّ كُلَّ هَزِيمَةٍ حِظَّ الْجَبَانَ الْأَخْطَلِ
مَنْ يَسْتَنْيِمُ إِلَى خِدَاعِ التَّائْهِينِ الْجَهْلِ
لَكَ مِنْ أَبْيَكِّ ، وَمِنْ أَبْيَهْ ؛ وَمِنْ أَبْيَهِ الْأَوَّلِ
مِثْلٌ إِذَا مَائِلَتُهُ .. مِثْلَتْ دَوْرَ الْأَمِثْلِ
هَذَا الْمَخَايِلُ فِي جَبِينِكَ مَجْدُ يَوْمٍ مَقْبَلِ
دُمْ لِلْحَيَاةِ ، نَسِيمَهَا وَنَعِيمَهَا الْمَتَهَلِّلِ
وَصِرَاعِهَا ، وَنُضَالِهَا ، وَكِفَاحِهَا الْمُسْتَبْسِلِ
وُخْذَ الزَّهْوَرِ تَحِيَّةً مِنْ مَهْجَتِي ؛ وَتَقْبَلِ
تَرَعَاكَ عَيْنُ اللَّهِ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ الْمَفْضَلِ

لندن : ٢٥ شوال ١٣٨٥ هـ

١٥ فبراير ١٩٦٦ م

١٧٢ - أسطورة (اليمن السعيدة)

الإهداء:

إلى الذين يشوّهون تاريخ الإمامة في اليمن!

مقدمة:

اليمن اليوم تعيش مأساتها الدامية، وأبناؤها قد تفرقت بهم المذاهب والأطباع والأوهام فتمزقوا «أيدي سبأ» أو «لعنة سبأ» أو «نكبة يكسوم»..؟ لست أدري! ولقد كنتُ مع زمرة من الشباب وتناولنا بالحديث ماضي اليمن وحاضرها، فقال أحدهم: إنها «لعنة الإمامة»؛ لقد كانت اليمن في خير، فلما حكمها الأئمة تمزقت وعمها الشقاء! وقال آخر: نعم لقد كانوا يسمونها «اليمن السعيدة» و«اليمن الخضراء» فلما جاء «الهاشميون» إذا بها «يمن الجذب والشقاء»!

وهكذا ذهب البعض منهم يلقون باللائمة على «الزيود»، وعلى «الأئمة»، ويستدلون بقول فلان وفلان ممن يكتبون حديثاً عن «الشيعة والنواصب» و«الهاشمية والقحطانية» و«الأطراف المعنية» في اليمن! وابن الأمير وعصره، ويحققون كتب «الهمداني».

واشتركت في الحديث متسائلاً:

— ما اسم «إمام اليمن» في عهد «عاد»؟ وما اسمه أيام «سيل العرم»؟ وهل كان «صاحب الأخدود» إماماً؟ وهل كان «أصحاب الفيل» زيوداً؟ وهل «بسر بن أرطاة» أو «معن بن زائدة» أو «حماد البربري» أو «المجاهد الرسولي» أو «علي بن الفضل» من «الهاشميين»؟.

وذهبت ما شاء الحديث، أستعرض التاريخ وأفند مزاعم الذين يستدرجون

السذج والجهلاء بما يزورونه ويزيفونه ضد «الإسلام» و«الإمامة» و«الزبيدين» في اليمن .

ولذً لي عندما خلوت إلى نفسي أن أتابع النقاش مستعبراً واستعرضت في لحظات قوافل الزمن من تاريخ اليمن، فإذا بها قوافل بؤس وشقاء وحروب وشتات، منذ فجر التأريخ المكتوب حتى اليوم .

وإذن، فلماذا سموها «اليمن السعيدة»؟

وفي أي زمان؟ واسترسل القلم يزبر نثرًا مشعورًا، أو شعرًا منشورًا وعرضته على صديق كريم متفكهاً، فاقترح نشره، فقلت:

— ولكنه، وإن احتوى على معنى شريف، فلم يصنع في نظم سليم وقد جاريت به هذيان «المجددين»! .

فقال: لا بأس، فإن أكثر القراء يميلون إلى هذا النوع من البيان. ولو لم يكن إلا لأنه سيطرح السؤال الخطير، ويفند الخدعة الكبرى، ولأول مرة. وعسى أن يجيب على سؤالك: من قد يلقي ضوءًا جديدًا «على طريق اليمنيين» ضوءًا لا من أضواء التمويه، ولكن من أضواء الهداية والإرشاد.

٣ ذي الحجة ١٣٨٥هـ

٢٤ مارس ١٩٦٦م

١٧٢ — أسطورة اليمن السعيدة

اليمن السعيدة .
أسطورة تجري على كل لسان ،
مهزلة تروى على مدى الأزمان ،
قد قالها الرومان واليونان ،
والفرس والأحباش ،
وجئت أسأل التاريخ حائراً
فقهقه التاريخ . . ساخراً
وقال : (يا قوافل الأجيال ،
تكلمي بالنبأ اليقين . .)
(قولي متى كانت سعيدة ،
اليمن الخضراء)؟

* * *

في عهد (عاد) و (ثمود)؟
أم عهد (قحطان) بن (هود)؟
أم حين كان أهلها عبيد
لكل (تُبّع) عنيذ؟
أم حين دانت (لسليمان) الحكيم؟
أم بعد . . حين طمها (السل) العظيم؟

قولي ، متى كانت سعيدة؟
في أي تاريخٍ ؟ وفي أي زمان؟
و (قَطْبَانُ) و (معين)،
و (سبأ) و (حمير) و (حضر موت)،
يخبرك القصَّاص، والمؤرخون،
و (المسندات) والصخور،
و (سدّ مأرب)، وسامق القصور،
بأن أهلها . .
كانوا (رعايا) للطغاة،
كانوا (جنودًا) للغزاة،
كانوا . . إذا لم يستكينوا في بلادهم
للظالمين،
للخوف، للوبا،
هاموا على وجوههم . . مشردين!!
(جرهم) و (المناذرة)
وقوم (غسان)،
و (الأوس)، و (الخرزج)،
أخبارهم يهذي بها القصَّاص،
لو عرفوا سعادة الوطن؛
ما هاجروا من (اليمن)!!
وقالت الأمثال إنهم
تمزقوا (أيدي سبأ)!
قولي : متى كانت (سعيدة)،
(اليمن الخضراء)؟

أحين قال (تُبَّعُ) الكبير،
بأن عرشها، وأن تاجها . .
ليس لذي قلبٍ رحيم،
ولا لعادلٍ، ولا كريم،
لكنه . . لمن يسوم ناسها
سوء العذاب!
لمن يقطع الرؤوس،
ويزهق النفوس،
ويشرب الدم النجيع؟
أم حين حفر الأخدود (ذو نواس) للموحَّدين؟
أم عهد (إرياط) و (أبرهه)
حين أتى (الأحباش) فاتحين، . . وفرضوا سلطانهم على اليمن:
وأعملوا السيوف وهدموا السدود؟
أم بعدُ حين جاء (ذو يزن)،
بالفرس منقذين؟ وكثُر الأقبال والملوك!
أم حين ثار (عُبهله)
على رسالة السما؟
أم يوم هاجر الجميع،
إلى (المدينة المنورة)؟
قولي، متى كانت (سعيده)،
(اليمن الخضراء)؟

* * *

و «بسر» قد أباحها،
وحكَّم السيوف في الرجال،

وقتل النساء والأطفال،
و (الخارجي) طمّها
بموجة الدمار
و (معن) بعده
لم يُبق لليمن
كرامةً ولا اعتبار
و (البربري) بعده،
قال له (الرشيد)
(أسمعني الأصوات)،
(أصوات أبناء اليمن!)
فلم يدع من منكرٍ إلا أتاها!
وأقبل (الجزّار) إبراهيمُ
داعية (الإمام)،
فنكث العهود،
وقتل الجنود،
قولي متى كانت (سعيده)
(اليمن الخضراء)؟

* * *

أحين أرسل المأمونُ (عامله)
(ابن زياد)،
فقتل الألف؟
أم حين ثار (يُغفرُ)
فمزق الصفوف؟
أم يوم غضب (الدُّعْمُ)

غضبة الحتوف؟
أم حين عاث (القرمطي) في (مُذَيخِرُهُ)
وسبحت في بركة حمراء
اليمن (الخضراء)؟!
وذهب (الأقيال)،
إلى (المدينة المنورة)
يستجدون (ابن الحسين)
فقال؛ إن خطبه جليل،
فالحق خاضع ذليل،
ومجده مضيع.
وأهله قليل، وأن أرضه قواء، قد درست أعلامها
وآله قد شغلتهُم.. فتنة الحياة والذرائع؛ وقد تخاذلوا؛
فمنهم المجانف ومنهم المصانع:
(واليمن الحمراء) بلادها ضريره
(ساكنها) عريان جائع،
قولي متى كانت سعيده،
(اليمن الخضراء)؟

* * *

أحين كانت سلعةً للطامعين،
لابن «أبي الفتوح»
وعصابة (الضحَّاك)،
وبني (نجاح)؟
وآل (مَعْنٍ) وبني (زريع)؟

أم حين هب من (مسار)،
الملك الجبار
وانقض كالصقر فمزق الجموع
وأعلن الدعوة والولا،
للفاطميين ملوك (القاهرة)؟!
والفاطميون المواطنون، في «صعدة» وفي أزال،
لا يستحقون سوى المنون؟؟
أم يوم أقبل (العبيد) من (زبيد)
يقودهم (سعيد).
وقتلوا (المليك)
وأهله الصغار والكبار،
وأسروا (الحرّة) من آل (شهاب)
وَسَبَّتِ الْفَتَنُ،
وسبحتُ في بركة حمراء
(اليمن الخضراء)؟
قولي متى كانت سعيده
اليمن الخضراء؟

* * *

أحين جاءت الجيوش كالجراد،
من (مصر) فاتحين)،
والذئب (توران شاه)
من بني (أيوب)
يقضي بما يريد، ويزهق النفوس،
ويقطع الرؤوس، وغور الآبار

وأبأَحَ ما لا يستبأَحَ . . ؟
أَمَ يومَ خانَ (الحمزات) عهدَ «عبد الله»
وقدَّموا رأسَ (الشهيد) للملوكِ من بني «رسول»
أَمَ قبلَ حينٍ فتكَ (الإمام)
بكلِ (مسلمٍ) (مطرَّفِي)؟
أَمَ بعدَ حينٍ عادَ من جديدِ
جنودَ (مصر) ثأثرينَ
لنصرةِ (المجاهد) الغشومِ؟
قولي متى كانتَ سعيدة،
(اليمن الخضراء)؟

* * *

أحينَ أقبلَ (الجراكسه)، من مصرِ يحملون . .
(بنادقَ) الفناء .
فأرعبوا القلوب .
وقتلوا السلطانَ (عامرا)
ودخلوا (صنعاء) فاتحين؟ ولم يذدهمَ الحياءُ ؛ عن اقتِرافِ الموبقاتِ
حتى جلاهمُ الإمام . . ؟
وقد تمزَّقتِ مِرابِعُ اليمنِ
بينَ (الدعاة) و (الملوك) و (الغزاه) !
ولم تزلَ مجازرَ (المطهر)
لعتتها تحومُ ،
على رؤوسِ (الظالمين) ،
وأقبلَ (الأتراك) ،

والتحمت معاركُ،
شاب لها الوليد،
وخاضها (المطهر) الجبار
يصول، ويجول،
وانتشر (الطاعون)
وتعاون الغزاةُ، ومصائب السماء؟
أم يوم كان (أزدمر)
يقضي بما يهوى؟
أم حين كان (سنجر) العنيد،
يَسْمِلُ العيون؟
قولي متى كانت (سعيدة)
(اليمن الخضراء)
أحين أقبل الغزاه .
بأمر (قانسوه)،
واحتدمت معارك الهلاك؟
أم حين ظَلَّت الجنود، والبنود،
والخيل، والمدافع الكبار،
من (تركيا) تزحفُ
وتبيدُ ما أمامها؟
أم حين هاجت فتنة (المحطوري)،
ونشب الصراع في كل مكان،
ما بين قطاع الطرق،
والطامعين والدعاه،
و (ضاعت الصَّغْبَةُ) على الجميع؟

أم يوم وصل (الباشا) إلى
شهادة الأمير،
يقود جيشه الكبير، واستبسل الأحرار والمجاهدون،
ونشب الصراع والقتل المرير؟
قولي متى كانت (سعيدة)
(اليمن الخضراء).

* * *

أحين هبت ثورة (الوزير)،
ونُهِيتْ (صنعاء)،
وهتكت محارمُ،
وحطمت جماجمُ،
واستشهد الأحرارُ،
واستأسد الأشرار،
حتى أتى اليوم العبوس،
وصاح جرح الثأر،
وأقبل (الجنود) .. من جديد
بكل (آلات) الدمار،
والنار والحديد .. ؟ و «الغاز» و «النابالم» و «المصفحات»
واستشهد المواطنون، وأبيح ما لا يُستباح!
قولي متى كانت (سعيدة)
(اليمن الخضراء) ..
(اليمن الحمراء) .. ؟

(اليمن الصفراء) . ؟

* * *

أحين بات (ذو رعين)
من بعد غدر (حمير)،
يبكي مسهداً،
يصرخ مهموماً
من يشتري السَّهر
بلحظةٍ من (النَّعاس)؟
و (عمرو) وهو في صراع
يعد للحوادث الكبار،
(سابغة) وذا (شطب)،
وقبله قال (ابن برّاقة) من (مراد)،
(كيف ينام الليل من ليس له
سوى الحسام؟)
و (ابن حريم) ظل دهره مرتبكا،
يرى (سلا لم العُلا . . لا يستطيعها)،
(ولا يطيق أن يقول ما يريد)!
و (الأشتر) القمقام،
أقسم أن يشنها،
على ابن (حرب) غارة،
لم تخل من نهب النفوس .
وأنه (سيحشد الخيول شزّبا)
وذهب الألف
في حرب (صفين) وفي حرب (الجمل)!

متى متى ذاق المواطنون .. في اليمن
سعادة الحياة؟؟

* * *

بالأمس، كانوا يأكلون
(صمغ عرطف الثعالبي)،
ويصقلون صداً السيوف
(بمساحي الهام)،
وما لهم من مشرب إلا النجيع
واليوم، يومنا الكثيب
كما يقول شاعر اليمن،
(محمد الزبيري):
إننا عطاشُ نفحص الدنيا فلا
نلقى سوى غسلين،
(أنضاء أسفار)؛
(طليحنا ليس له معين)،
(في غمرة الظلام نطأ الثرى)،
(هوناً لنكتم الخطي)
(عن مسمع الكمين)
فكيف يا ترى يقال
بأنها (سعيدة)
(اليمن الخضراء) .. ؟

* * *

وقلتُ لقوافل الأجيال،
والدمع في جفني يجول،

يا هل ترى يأتي زمان،
يحقق المواطنون،
أسطورة التاريخ،
ويصنعون من جديد،
بالاتحاد والعمل؛ ضد الدخيل و«العميل»
اليمن السعيد..؟
ليت.. وربما!

أول ذي الحجة ١٣٨٥هـ
٢٢ مارس ١٩٦٦م

١٧٣ - الحربُ الخاسرة

[من قصيدة طويلة ضاعت، قالها الشاعر بعد إخفاق مؤتمر
«أركويت» للمصالحة، الذي عُقدَ بين وفدين: «جمهوري» كان
يرأسه محمد محمد محمود الزيري، و«ملكي» كان يرأسه صاحب
الديوان]:

ماذا وراءك يا هلال محرم
مما يحاك لشعبنا المستسلم
عامان قد رحلا بكل مصيبة
كم من يتيم غادره وأيم
ثم انطوى عامٌ بكل همومه
وبكل ظنٍّ خائبٍ وتوهم
وبكل أحلام الألى لم يفهموا
أن الحقيقةً غير حلم النوم
ما إن مضى ليلٌ وقلت وراءه
شمس تشع على الوجود المظلم
إلا أتى ليلٌ أشدَّ تدجياً
ظلماته معقودةٌ بالأنجم
والشعب في اليمن السعيدة ضارع
يرجو السلام من الإله الأعظم
أو ما كفى ما صبَّه من أدمعٍ؟
أو ما كفى ما قد تجرع من دمٍ؟

* * *

ومنها:

من في الجبال ومن بصنعا أخوة
لكن كُلاً.. بالأجانب يحتمي
والشعب لا يدري، وما رسموه في
«اسكندرية» في احتياج مترجم
والحل «تقرير المصير» لأمة
ما إن تذللَ لمدفع أو درهم!
قد قلتها في «أركويت» وقالها
مَنْ - خيفة الرقباء - لم يتكلم
وتجمعت آمالنا، وتوحدت
أهدافنا رغم اعتراض الوهم
من حاسدٍ لبقٍ؛ ومن متعطش
للثَّار، أو جلف عن الحسنَى عَمِي!
ووعَى «الزبيري» ما تريد بلادنا
فمضى يزمجر كالهزبر الضئيم
فترصّده وخضّبوا بدمائه
جبلاً يئنّ اليوم مثل الأيّم
ودم «الزبيري» سوف يبقى صارخاً
«كدم الحسين على هلال محرم».

* * *

ومنها:

وأنا بقية ثائرين تصرّموا
برصاص حقدٍ أو بسيفٍ مجرم

ما زال للهُفَات من شهدائهم
 ذكرى تهمهم في اليراع وفي الفم
 تنهى وتزجر ما تخاذل من هوى
 وتنير دربي في الطريق المظلم
 من كان «زيد» و«المطاع» رفيقه
 لم يخش إقداماً ولم يتلوم^(١)
 أوَمَن دعا للحق إيماناً كمن
 كفرًا يُجمِّع بالكلام المبهم؟
 ما إن جزعت لنكبة أو مسّني
 طيشٌ لنصرٍ، أوجشعت لمغنم
 ولقد أراني حائرًا متأرجحًا
 بين المخاوف، في مفاوزها ظمي
 والشر ينسج لي الفخاخ ترصدًا
 ويكل زاوية حُباله أرقم
 فتداركتني رحمة أضفت على
 قلبي سكينه مؤمنٍ مستلهم
 نعم الإله عليّ غطي ثوبها
 ما لا يرى من عورةٍ أو مائم
 ودجى الشكوك إذا تراكم رغبها
 بدّته بشعاع قلب مسلم

أول محرم ١٣٨٥هـ / ١ مايو ١٩٦٦م

(١) السيدان الشهيدان: زيد بن علي الموشكي، وأحمد بن أحمد المطاع.

يا أخي، لا تكن على الحبِّ قاسي
واحتضنْهُ بالعطف والإيناسِ
إنَّه زهرة الخلود، وأزكى
هبة من إلهنا للنَّاسِ
زهرةٌ لا يضيرها أي خطبٍ
وتلاشى بدودة الوسواسِ
من يُقاسي الوسواس في الحب قاسي
دونما مخرج أشد المآسي
فتراه في حندس الشك يجري
دونما وجهة، ولا نبراسِ

٢ محرم ١٣٨٥هـ

٢ فبراير ١٩٦٦م

وَأَسْرِغْ لِلدَّوْلَةِ الْمَغْنَمَ

سبيل الأولين :

أتمضي في سبيل الأولينا
وتفخر بالتي لا فخر فيها
وتخفض بالملامة شأن قوم
وتنكر ما تشاء بلا حياء
فتمدح تارة، وتذم حيناً؟
وتجهر بالتي تندي الجبيناً؟
لترمع شأن قوم آخريناً؟
ولو كان الحقيقة واليقيناً؟

* * *

أتمضي . . في سبيل الأولينا
وتستجدي المفاخر من «نزار»^(١)
وتستعدي البيان بلا اعتبار
وتذكي نارها؛ بعد انخماد
وقد عبث «الكميت»^(٤) بها فنونا
ولم يترك «أبو الذلفاء»^(٦) مجداً
فتنبش مثلما نبشوا الدفيناً؟
وتهتك حرمة «المتحطينا»^(٢)!
«فتجهل فوق جهل الجاهلينا»^(٣)!
وتبعثها، وقد همدت سنيناً!
و«دعبل»^(٥) لم يدع في النظم «نونا»
لقحطان؛ به يتفاخرون

(١) نزار بن معد بن عدنان؛ واشتقاقه من الشيء النزر: وهو القليل.

(٢) أي ينتمون إلى قحطان؛ وهو فعلان من قولهم؛ شيء قحيط: أي شديد.

(٣) من بيت عمرو بن كلثوم: «ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل...» إلى آخره.

(٤) الكميت بن زيد الأسدي الشاعر المشهور، واشتقاقه من «أكمت» على غير قياس أو من «الكمته»؛ وهو من الخيل ما بين الأحمر والأسود.

(٥) دعبل بن علي الخزاعي شاعر أهل البيت؛ واشتقاقه من البعير «الدعبل» وهو العظيم الخلق.

(٦) هو الحسن بن زيد الشاعر المعروف.

وأغرق «شاعر الإكليل»^(١) حتى تحمل وزرها سبًا مشينا!

* * *

سبيل المنصفين :

أتمضي . . ؟ أم سبيلك مستقل
سبيل «محمد»^(٢) وهدى «علي»^(٣)
فلا مجد لمقترف فسوقًا
ولا للظالمين ؛ وإن أشادوا
«أبو لهب»^(٦) و «عبيلة»^(٧) و «عمرو»
و «سلمان»^(٨) و «عمار»^(٩) و «يزيد»^(١٠)
لحبت طريقه للمنصفينا؟
و «عترته»^(٤) ونهج «الراشدين»^(٥)
ولا من كان فظًا، أو خئونا
قصورًا، أو سدودًا أو فنونا
و «صاحبه» ؛ خساس مجرمونا
كرام في الأنام مسودونا

* * *

-
- (١) الحسن بن أحمد الهمداني صاحب «الإكليل» و «صفة الجزيرة» .
(٢) سيدنا محمد ﷺ مشتق من الحمد ؛ وهو «مفعل» من كثر منه فعل ذلك الشيء ، وقد سمت العرب في الجاهلية محمدًا منهم «محمد الجعفي» الشاعر، ومحمد بن بلال، ومحمد بن مسلمة الأنصاري» .
(٣) الإمام علي ؛ واشتقاق على من الصلابة والشدة ، وقد سمت العرب في الجاهلية «عليًا» منهم علي بن بكرة ، وعلي بن مسعود الغساني .
(٤) عترة الرجل ، أهل بيته .
(٥) الخلفاء الراشدون .
(٦) هو عبد العزى بن عبد المطلب ، وقيل إنه كني بذلك لجماله .
(٧) هو الأسود بن كعب العنسي الذي تنبأ في أواخر أيام رسول الله ﷺ واحتل صنعاء ، ثم قضى عليه مشايخ اليمن . والعبيلة ترك الإنسان وسومه ؛ تقول عبيلة الإبل إذا تركتها وسومها ؛ وكتاب النبي ﷺ إلى الأقبال «العباهلة» أي الذين خلوا وسوم أنفسهم .
(٨) سلمان الفارسي رضي الله عنه .
(٩) عمار بن ياسر رضي الله عنه .
(١٠) زيد بن علي بن الحسين عليه السلام . وزيد مصدر زاد الشيء يزيد زيدًا قال الشاعر:
وأنتم معشر زيد على مثته

شرعة الحق :

خذوها شرعة للحق؛ نادى
يموت لأجلها الأحرار دوماً
«حسين»^(١) ليس أكرم من «يزيد»^(٢)
هي التقوى؛ يعز بها ذووها
بها «موسى» وكل «المرسلينا»
ويعرفها جميع المخلصينا
إءذا لم نعتبر خلقاً وديناً!
ويخسأ من يجانفها لعينا

* * *

الأئمة واليمن الخضراء :

وصحب قد لقيت وهم حيارى
يقولون «الأئمة» من قریش^(٣)
لقد كنا على «الخضراء» نحيا^(٤)
ولليمن «السعيدة»^(٥) في البرايا
فلما جاء «أهل البيت»^(٦) ذلت
يلومون الزمان وينقدونا!
هم الداء الذي بهم ابتلينا
كما يحيا الكرام مبجلينا
حضارة قادرين موفقينا
وأصبح أهلها في البائسينا

(١) الحسين بن علي رضي الله عنه وقاتله سنان النخعي وتصديق ذلك قول الشاعر:

وإي رزيئة عدلت حسينا غداة تبيره كفا سنان

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

(٣) قریش قبيلة سيدنا رسول الله ﷺ وفي حديث بن عباس في ذكر قریش قال: هي دابة تسكن البحر

تأكل دوابه قال الشاعر:

وقریش هي التي تسكن البحر بها سميت قریش قریشا

(٤) اليمن الخضراء هي اليمن السعيدة وانظر «أسطورة اليمن السعيدة» للمؤلف.

(٥) سميت «يمن» لأنها تلي يمن الكعبة والنسبة إليها يمني، ويمن، وقوم يمانية مثل ثمانية وثمانون. ولما وفد وفد اليمن على النبي ﷺ قال: «أناكم أهل اليمن. هم ألين قلوباً وأرق أفئدة، الإيمان يمان، والحكمة يمانية».

(٦) «أهل بيت» النبي ﷺ وفي التنزيل: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)؛ وفي الحديث: أهل القرآن هم «أهل الله» وخاصته؛ أي حفظة القرآن العاملون به، هم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان كما في لسان العرب.

أما قد قالها «نعمان»^(١) جهراً و«حاتم»^(٢) بثها في العالمينا

* * *

منطق التاريخ :

فقلت وهل ترى في عهد عاد^(٣) تولاكم «أمير المؤمنين»!
وما اسم الإمام زمان هود^(٤) وعهد السيل حين محا «معينا»^(٥)؟
وهل في النار أدخلهم إمام وفي «الأخدود»^(٦) كب المسلمين؟
و«جرهم»^(٧) هاجرت و«الأوس» بانت^(٨) و«غسان»^(٩)، وقوم آخرونا
لماذا غادروا الوطن المفدى إذا كانوا به مستمتعينا؟

(١) الشيخ الأستاذ أحمد بن محمد نعمان .

(٢) عبد القادر حاتم الذي كان المسؤول عن أجهزة الإعلام في مصر وصاحب البيانات المشهورة .

(٣) عاد : قبيلة يمنية ، والمراد هنا عاد الأولى ، والدليل عليها قوله تعالى : ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ .

(٤) هو اسم النبي عليه السلام ينصرف ، وقومه عاد حكى الله تعالى عنهم : ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً

قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون﴾ إلى قوله : ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾ . فكان

ردهم ما حكى الله تعالى عنهم : ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ،

وما نحن لك بمؤمنين﴾ ، فأهلكهم الله ونجى هوداً وفيهم آيات أخرى .

(٥) السيل : سيل العرم ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم : ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم

وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيتهم بما كفروا وهل

نجازي إلا الكفور﴾ و«معين» مدينة بالجوف .

(٦) حافر الأخدود هو «ذو نواس» يهود وأحرق نصارى نجران «المسلمين» ، الله ، وفيهم نزلت : ﴿قتل

أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود﴾ إلى قوله : ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز

الحميد﴾ .

(٧) جرهم : حي من اليمن نزلت مكة وتزوج فيهم إسماعيل عليه السلام ثم ألدوا في الحرم فأبيدوا ؛

ورجل جرهم ومجرهم في أمره .

(٨) الأوس : قبيلة من اليمن هاجرت إلى «يثرب» واشتقاقه من آس ، والاسم الأياس هو العوض .

(٩) غسان قبيلة يمنية هاجرت إلى «الشام» وسموا «غسان» بماء نزله ليس بآب ولا أم ؛ ومن سُمي بعد

ذلك «غسان» فاشتقاقه من «الغن» خصلة الشعر .

ولو عرفوا السعادة في ثراه
ولا ذهبوا «العراق»^(٢) لكسب عيش
أمن خوف ومسغبة تولوا
سياط «القيـل»^(٤) تعرق كل ظهر
لتخلق منه «للأذواء»^(٥) عبداً
فإما غازیاً يخشى المنايا
«لتبع»^(٦) يتني قصراً مشيداً
وقد ينبو به خلق كريم
فيترك أرضه والأهل فيها

لما انتجعوا «الحجاز»^(١) مهاجرين!
ولا ركبوا إلى «مصر»^(٣) السفینا!
يجوبون المهامه هاريننا؟
على الدنيا وتنتظر الجنينا
يطأطىء رأسه للحاكمينا
وإما مستضاماً مستکینا
ويعمر معبداً «ويحر»^(٧) طینا
ويرفض عیشة المتذلینا
ويمضي يسكب الدمع السخینا

* * *

(١) سميت الحجاز لأنها تفصل بين نجد وتهامة ، وكل شيئين فصلت بينهما فقد حجزتهما .
(٢) في لسان العرب لابن منظور «المصري» مادة «عرق» : والعراق من بلاد فارس ، مذكر سمي بذلك لأنه على شاطئ دجلة ، وقيل سُمي به لتواشج عروق الشجر والنخل به ، وقيل سمي به العجم ؛ سمته إيران «شهر» معناه كثير النخل والشجر ، فعرب فقيـل «عراق» وقال الجوهري : العراق بلاد تذكر وتؤنث وهي فارسي معرب .

(٣) سميت بمصر بن مصرایم بن حام بن نوح عليه السلام ، وهي من فتوح «عمرو بن الهـاص» ، وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي صفحة ١٤١ المجلد الخامس : (وهو من الشام) .
(٤) القيل ؛ الملك الحميري ، يتقيل سلفه أي يشبهه ، وجمعه أقيال ، وقبول ؛ ومنه الحديث إلى قيل ذي رعين أي ملكها .

(٥) الأذواء : سلاطين اليمن مثل ، ذوزن وذو الشعار .
(٦) التابعة : ملوك اليمن ، واحدهم «تبع» سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضاً ، وزيادة الهاء لإرادة النسب .

(٧) «يحر» الطين هنا بمعنى يمهـد الأرض للزراعة وهي لغة يمنية دارجة .

سيف بن ذي يزن :

و «سيف»^(١) بعد أن أعيا صراخاً
ليرفع وطأة الأحباش عنهم
فلم يفزع لدعوته غيور
وهاجر ينشد «الأغراب» غوثاً
وهانت أرض «حمير»^(٣) عند «كسرى»
لصوص قادهم سيف فخوراً
أعادوا «للسعيدة» تاج سيف
يهيج نخوة المستعبدينا
وقد هدموا «المحafd» والحصونا^(٢) .
يكون له مغيثاً أو معينا !
ووافى باب «كسرى» مستعينا !
فأعطاه العصاة المجرميننا !
وبورك في اللصوص الفاتحيننا
وعاشوا باسمه متحكميننا

* * *

طغاة . . ليسوا سادة :

ورب «الفيل» «أبرهة»^(٤) أيعزى إلى «الآل»^(٥) الكرام الطاهرينا؟

(١) الملك سيف بن ذي يزن الوafd على كسرى أنوشروان يسأله النصرة على الحبشة ؛ وقال له أنا ابن عمك ، ولوني لونك ، فوجه معنا من يأخذ البلد وتكون في ملكك ، وبعد مشاورة أعانه بمن «استوجبوا القتل بجرائمهم» في سجون فارس «فإن ظفروا كان باسم كسرى وإن هلكوا فهو الذي يريد ! وولي عليهم «وهرز» ونزلوا في «عدن» وتمكنوا بعد قتال من طرد «الأحباش» واستعاد «سيف» الملك وله قصة مع عبد المطلب .

(٢) محafd اليمن : قصورها ووديانها . وقد أفرد لها الهمداني الجزء الثامن من الإكليل .

(٣) تطلق حمير على ثلاثة : «حمير الأكبر» و«حمير سبأ» و«حمير بن الغوث» .

(٤) «أبرهة» صاحب «الفيل» الذي قصد «الكعبة» لهدمها وإكراه الناس على الحج إلى «القليس» بصنعاء . ، وفيه نزلت سورة الفيل . وملك اليمن ثلاثة وعشرين عاماً .

(٥) المراد «أهل البيت» والآل أصلها «أهل» ثم أبدلت الهاء «همزة» فصارت تقديرًا آل ، فأبدلوا الثانية ألفاً ؛ ويخصون لغة بالآل الأشرف الأخص دون الشايح الأعم .

وهل «إرياط»^(١) أو «بسر»^(٢) «زيود»^(٣) فينتظما قطع الأثميناء؟
و «يعفر»^(٤) و «الجرأكسس»^(٥) و «ابن فضل»^(٦)
أكانوا «سادة متعديناء»^(٧)

(١) إرياط: قائد الجيش الحبشي الذي غزا اليمن قبل الإسلام وكان مما جاء في عهد ملك الحبشة إلى «إرياط» إذا دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واهدم ثلث بلادها وابعث إليّ بثلاث نسائها، وقد نفذ إرياط عهد الإمبراطور وظل مسيطراً على «اليمن» عشرين عاماً حتى ثار عليه قائد حرسه «أبرهة الأشرم» وحل محله.

(٢) بسر بن أرطاة: بعثه معاوية بجيش إلى «اليمن» وأمره بقتل كل من يجد من شيعة «علي» ووجد عبد الرحمن، وقثم، ابني عبيد الله بن العباس صبيين، وكان أبوهما غائباً، فذبحهما بسر بيده، وأعمل سيفه في الرجال والنساء، وأصاب «أم حكيم» أم الصبيين ولّه على ابنيها، فكانت لا تعقل ولا تصغي وتنشد:

يسا من أحسن بنيي اللذين هما كالدريتين تشظى عنهما الصدف
يسا من أحسن بنيي اللذين هما سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف

ولما بلغ «علي» دعا على بسر فقال: «اللهم اسلبه دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله» فأصابه ذلك والقصة مشهورة.

(٣) الزيود — الذين يلتزمون مذهب الإمام زيد بن علي وهم يكونون أكثرية أهل اليمن وأصولهم، أصول المعتزلة، ويوجبون الجهاد والاجتهاد؛ وكثيراً ما يوافقون «الحنفية» في الفروع.

(٤) يعفر بن عبد الرحيم الخوالي ثار سنة ٢١٨هـ — ٨٣٤م — على قواد العباسيين، وكانت قاعدته ومن بعده «اليعفرين» شبام وكوكبان وهو الذي أمر بقتل ابنه محمد بن يعفر وأخيه أحمد بن يعفر ونفذ القتل «حفيده» إبراهيم بن محمد بن يعفر سنة ٢٦٩هـ.

(٥) الجرأكسة: يقصد بهم «المصريون» في حملتهم الثالثة على اليمن سنة ٩٢١هـ — ١٥١٦م — وقد دارت بينهم وبين السلطان عامر عبد الوهاب معارك دامية، وتغلب المصريون بفضل «البنادق» ولم يكن هذا السلاح الناري يعرف في اليمن قبل ذلك التاريخ، وقد أباحوا «زبيد». ثلاثة أيام وسبوا النساء والأطفال وكذلك عملوا حين دخلوا «صنعاء» وأجلاهم الإمام شرف الدين.

(٦) الطاغية علي بن الفضل ظهر سنة ٢٩١هـ — ٩٠٤م — واتخذ مذيخرة عاصمة له وكان جباراً.

(٧) أي ينتسبون إلى «عدنان» واشتقاقه من عدن بالمكان أي أقام فيه.

و «تورنشا»^(١) لم يك «هاشمياً»^(٢) وقد قتل الملوك مصفدينا وأورثها؛ وقد هزلت وجاعت خليفته المعربد «طغتكينا»^(٣) وهل لبني «رسول»^(٤) في «علي» عرى قربى؛ وكانوا مفسدينا

* * *

الإمام الهادي:

وهل من «حمير» قد جاء «يحيى»^(٥) وكان العادل، البر الأمينا؟ ومن «خولان»^(٦) قد قصدته عمداً مشايخها الكرام مبايعينا. . !

(١) «تورنشا» بن أيوب أخو صلاح الدين الأيوبي الكردي - غزا اليمن سنة ٥٦٩هـ - ١١٧٤م - في الحملة المصرية الأولى وله فتكات مشهورة وهو الذي قضى على أقبال «الزريعين» و «آل مهدي» وغيرهم من سلاطين اليمن وذبح بعضهم صبرا عند عودته إلى مصر والشام.

(٢) نسبة إلى «هاشم» جد النبي ﷺ الثاني، وهاشم فاعل من قوهم: هشم الشيء أهشمه هشماً إذا كسرتة وكان يشم الخبز للثريد.

(٣) طغتكين بن أيوب أرسله أخوه صلاح الدين إلى اليمن بعد وفاة تورنشا وانتقاض الأحوال في اليمن وقد بذ أخاه فتكاً وجبروتاً وتهديماً.

(٤) بنورسول في الأصل كانوا عمال «المصريين» على «اليمن» وأول من أعلن استقلاله عنهم عمر بن علي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م - واستمروا في صراع مع الأئمة حتى سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م.

(٥) هو الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام مؤسس دولة «الأئمة» في اليمن، معظم العلويين من أبنائه، وكانت مشايخ اليمن قد قصدته إلى مقره بالحجاز وبايعوه إماماً سنة ٢٨٤هـ - ٨٩٨م - وكان يقول: «إن هي الأسيرة على أو النار» وقد جاء في كتاب دعوته: «أيها الناس» إني أشرت لكم على نفسي: الحكم بكتاب الله وسنة نبيه، والأثرة لكم على نفسي فيما جعله الله بيني وبينكم، أوثركم ولا أتفضل عليكم، وأقدمكم عند العطاء، وأتقدم أمامكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي، وأشرت لنفسي عليكم اثنتين: النصيحة لله سبحانه ولي في السر والعلن، والطاعة لأمر في كل حالاتكم ما أطعت الله فيكم، فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم. . . إلخ».

(٦) خولان قبيلة يمنية كبيرة، ومن أشهر قبائل «بكيل» وهي الآن «خولان الشام» - أو خولان صعدة - و «خولان الطيال» أو «العالية» وهجرتها جحانة وإليها ينسب آل الشامي، وآل الكبسي وآل زبارة؛ والخولانيون؛ أهل نجدة ووفاء وتقان في النصح لآل الرسول وفي الأثر: «السلام على خولان العالية».

يجاور قبر خير المرسلينا
يزعزع دولة المتجبرينا!
وأن يتجنبوا الخلق المشينا
أقمت العدل فيكم أجمعينا
وألقي خصمكم في الأولينا
وتحتكموا إلي مجاهدينا
دلائها هدى للمتقيننا
ويخزي معشر لا يوقنونا
نفوسهم؛ وهم لا يشعرونا
وفي الطغيان بغياً يعمهونا
فهم في ريبهم يترددونا
ويختلفون فيما يعلنونا^(١)

وكان «بيثرب» في دار عز
فلبى دعوة الأحرار كيما
أهاب بهم إلى كسب المعالي
وقال لهم: أطيعوني إذا ما
لكم أن لا أغل ولا أداجي
ولي أن تمحضوني النصيح وداً
وتلك مبادئ لا ريب فيها
ويوقن من يمارسها اعتباراً
تراهم يخدعون بكل إفك
ويرتكسون في الظلمات جهلاً
قد اعتسفوا الطريق بلا دليل
يسرون القلى لبني «علي»

* * *

عصر الإمام الهادي:

وفي «صنعاء» يطغى العابثونا!
وقد عبث «الجفاتم»^(٤) ساخرينا

وفي «بغداد»^(٢) مأفون غبي
قد اقترف «القرامط»^(٣) كل شر

(١) في اليمن - ودائماً - مهما اختلفت شعارات الذين يقاومون الإمامة، فإن «النصب» يجمعهم.

(٢) في سنة ٢٨٠هـ/٨٩٤م ابتدأ تمزق دولة بني العباس فقامت دولة «الحمدانيين» وظهرت دولة «الفاطمين» و «القرامطة» وتفرق الممالك على بني العباس، وكان خلفاؤهم قد أفرطوا في اتباع الشهوات فسقطت هيبتهم وذلك ما قصده الشاعر.

(٣) القرامطة: واحد «قرمطي» عند أهل اليمن تعني «الزندقة» وكان أول من نشر مذهبهم في اليمن «منصور بن حسن» و «علي بن الفضل» وكانت لهما دولة وصولاً في أواخر القرن الثالث الهجري.

(٤) الجفاتم نسبة إلى «جفتم» وهو علي بن الحسين آخر عامل للعباسيين على اليمن بعثه «المعتمد العباسي» أول مرة سنة ٢٧٠هـ وأقره المعتضد فلم يزل بها إلى سنة ٢٨٢هـ وكان يقول: «في =

«وللأبناء»^(١) عند بني «شهاب»
و «للأذواء» في همدان^(٢) بغي
و «ريدة»^(٤) لا يقر لها قرار
وكل ثنية فيها زعيم
ولا من هيبة لبني «زياد»^(٥)
ترات هم لها يتربصونا!
وفي «برط»^(٣) يسود المفسدون
و «صعدة» عرضة لناهيينا
يشرع ظلمه للغافلين
وقد سلكوا سبيل المترفين

* * *

يوم المنارة:

ولابن الفضل في صنعاء يوم^(٦) رهيب لم يكن في الغابرينا

= أهل صنعاء خصال شوم؛ منها أنهم يرجفون على أنفسهم، وسائر الأمصار يرجفون لأنفسهم، ومنها لو أن حجاجاً خدم السلطان حملوه على رؤوسهم ولا يعظمون أهل العلم، ومنها إهراقهم ماء سواقهم على أبوابهم. وكان «الجفاتم» وآل طريف قد أكثروا في صنعاء الفساد والمنكرات، مما دعا «أبو العتاهية» إلى أن يسلم الأمر إلى الإمام الهادي عليه السلام.
(١) الأبناء من قبائل «الحواز» - حواز صنعاء - ويقال إنهم من ذرية الفرس الذين وردوا مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن، وكانت بينهم وبين بني شهاب ترات وتارات، وفي ذلك يقول عبد الخالق الشهابي:

نرحل فارساً وبني عدي فإن قلوبنا منهم ملاء
من الأحقاد تحسبنا سكارى وطوراً قد تقول بنا انتشاء
إلى أوطان أولهم؛ فكل إلى صنعاء كان له انتواء

(٢) همدان من قبائل اليمن المشهورة وفيهم قول علي عليه السلام:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

(٣) برط؛ جبل حصين معروف، وعندما قام بالدعوة «الإمام الهادي» ناهضها أهل برط فحاربهم الهادي سنة ٢٨٥هـ حتى استسلموا.

(٤) ريذة وصعدة من مدن اليمن المشهورة.

(٥) مؤسس دولة بني زياد؛ هو محمد بن زياد؛ بعثه المأمون عاملاً على اليمن سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م واخط مدينة زبيد وجعلها قاعدة دولته التي استمرت زمناً يتوارث عرشها أبناؤه ثم مواليهم.

(٦) افتتح علي بن الفضل صنعاء سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م فاستباحها خمسة عشر يوماً، قال الجندي: إنه

حصل بعد وصول «ابن الفضل» إلى صنعاء المطر فأمر بسد الميازيب التي ينزل منها الماء من سطح =

أطل من المنارة والعدارى
بيت الله يقترف المعاصي
ويفعل ما يشاء فسقاً وظلماً
عرايا يستغثن الفاسقين!..!
ويغتصب الحرائر، والبنينا!
ولا يخشى التباع^(١) والذوينا!

* * *

نعمان والإرياني:

بني «نعمان» لا تبغوا على من
محمدكم^(٣) تجاوز في الدعاوى
خذوا قلم «الذكي» فقد تمادى
و «إريانيكم»^(٤) إن حاف يوماً:
وكان أبوه^(٥) «زيداً عتيقاً»
وتلك قصائد الشعراء منهم
يرى منكم رجالاً صالحين^(٢)
وقال الزور والبهتان فينا
وقد أعيا الكرام الكاتبينا!
فقدماً كان قاضينا الأمينا
وهم كتبوا لنا مستوزرينا
وتلك مؤلفات الناثرينا!

* * *

نحن مظلومون:

ألا: لا تنكثوا جرحاً قديماً
ولا للعرق غضب إن غضبنا
فلسنا.. للعروبة منكرينا
ولم نك في الورى متعصبينا

الجامع ثم أمر بإطلاع النساء اللاتي سُين من صنعاء وغيرها وصعد إلى المنارة وأمر بإلقاء النساء إلى الماء عريانات فمن أعجبه منهن اجتذبه إلى المنارة إلى آخر القصة، وفعل بعد ذلك ما هو أدهى في زبيد وله فيها يوم «المشاحيط».

(١) جمع تبع والذوين. الأذواء وقد وردت في شعر الكمي.

(٢) نعرف منهم: الشيخ محمد أحمد الكبير، والشيخ عبد الوهاب، والشيخ عبد الرحمن رحمهم الله.

(٣) الأستاذ محمد بن أحمد نعمان صاحب «الوطنية لا الحقد» والأطراف المعنية في اليمن.

(٤) القاضي عبد الرحمن الإرياني وكان لدى الإمام أحمد مقرباً، ومن حكاهما الشرعيين وكتب فيه «انقلاب الثلاث» ثم انقلب مع السلال!

(٥) القاضي يحيى بن محمد الإرياني رئيس محكمة الاستئناف توفي رحمه الله سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م وكان عالماً شاعراً فاضلاً.

نجل كل ذي حلم وعلم
وبالأحساب لا نسمو؛ إذا لم
ونحتقر الطغاة الجاهلينا
تكن أحسابنا خلقاً ودينا!

* * *

«بنو الزهراء» نحن؛ إذا انتسبنا
وهم من تذكرون إذا عكفتم
فلا تستكثروا خيراً بُلينا
«أمية»^(١) لم تدع منا رضيعاً
وأوسعنا بنو «العباس»^(٢) قتلاً
ولليمن السعيدة قد بذلنا
وقد ظل الأئمة ألف عام
يخوضون المكاره والمنايا
ولا يستعذبون العيش حتى
لهم وقفات صدق لا تبارى
و«للسبطين» نعزى أجمعينا
على صلواتكم متعبدينا!
به، كي ندفع الثمن الثمين!
لكي يستوطن الحضن الحنون!
وإن كانوا الموالي الأقربينا
الأئمة، والأرامل، والبنينا
بهدي أبيهم متمسكين
ويعتنقونها مستقتلين
يصير الحق أبليج مستبين
إذا وثب «الأجانب»^(٣) معتدين

الإيرانيون مشهورون بالقدرة على النظم ولهم مدائح كثيرة في الأئمة، ومن الكتب المشهورة «الدر المنثور بسيرة الإمام المنصور» للقاضي علي بن عبد الله الإيراني رحمه الله.

(١) أمية تصغير أمة والنسبة إليه أموي بضم الهمة، والمراد هنا أولاد «أمية» بن عبد شمس، ومنهم معاوية بن أبي سفيان مؤسس دولة بني أمية بعد استشهاد علي عليه السلام، وقد استمرت حتى قضى عليها بنو العباس سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م.

(٢) العباس فعال من العبوس ضد البشر؛ وفي القرآن الكريم: ﴿ثم عبس وبسر﴾. والمراد هنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، أما مؤسس دولة بني العباس فهو «السفاح» وانقرضت الدولة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٩م.

(٣) «أئمة اليمن» هم دائماً زعماء النضال ضد أي تدخل أجنبي في اليمن؛ والإمامة هي التي حاربت الحملات المصرية والعثمانية قديماً، وأنصار الإمامة هم الذين وقفوا في وجه المصريين حديثاً، ومع ذلك فقد وجد قديماً وحديثاً أيضاً، ومن بين «العلويين» من تنكب عن الجادة فظلم، ومن طمع في الحياة فاستسلم، وبعضهم أيدوا الضلال، وصدقوا الخيال، وكثير منهم تخاذلوا غير مضطرين؛ ومنهم من ومن...! والتاريخ خير المنصفين.

ورغمًا قد بغى منهم غواة
إذا «العلوي» لم يك مثل زيد
فباتوا في عداد الظالمينا
فلا تنكر ملام اللائمينا

* * *

آل البيت وبكيل:

جحافل آل «عثمان»^(١) أبادوا
وها هم في الجبال وفي البراري
وحولهم البواسل من «بكيل»^(٣)
ومن في الخير لا يخشون شرًا
«يعينون الموالد والمنايا
ولو وجدوا إلى نجم سراطًا
وتلك سجية الأباء منهم
إذا ديس العرين مضوا غضابًا
إذا قالوا: بكيل حنت رؤوس
بنفسي، والأب الغالي، ونجلي

و «لأقباط»^(٢) قد ثبتوا سنينا
جهاذاً . . يستطيعون المنونا!
وأنصار الدعاة المخلصينا!
وفي اللاواء لا يتأخروننا
ويبنون الحياة ويهدموننا
لطاروا نحوه مستبسلينا
وقد ظلوا لها متوارثينا
ليصطلموا الذي داس العرينا
وخر لها الجبابر ساجديننا
ومالي أفتدي «المتبكلينا»!

* * *

(١) للعثمانيين عدة حملات على اليمن، وقد غزوها لأول مرة سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م حين استعان بهم «الجراسكة» - المصريون - وظلت أمواجهم في مد وجزر حتى سنة ١٣٢٨هـ/١٩١١م حين قرروا التسليم، ورفع أيديهم عن اليمن نهائيًا والاعتراف بالإمام يحيى بن محمد حميد الدين رحمه الله، ووقعت اتفاقية «دعان».

(٢) المراد بهم المصريون ولهم أيضًا عدة حملات على اليمن وكانت أولها بقيادة «توران شاه» سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م وانظر كتابنا «قصة الأدب في اليمن».

(٣) معنى بكيل زعيم؛ تبكلت بالأمر تزعمت به، والتبكل، والتحشد: التجمع، وإلى بكيل تعتري قبائل يمنية كثيرة مثل «خولان» و«أرحب» و«دهم» و«أنس» و«بني مطر» و«الحيمة» و«نهم» و«بني حشيش» و«همدان» و«مراد» و«عبدة» وخولان الشام وهمدانها وغيرها.

يمين الشار:

وقائلة؛ وقد نزع اصطباري
أبكّي من مضى من أهل ودي
وأرثي «سادة»^(١) سيقوا اعتباطاً
«ولم تغسل جماجمهم بسدر
تظل الطير عاكفة عليهم

وكدت أذوب بالذكرى حيناً
وأستبكي ديار الناجعينا
إلى ساح المنايا موثقنا
ولكن في الدماء مرمّلينا»^(٢)
وتتزع الحواجب والعيونا»^(٣)

* * *

علام الدمع والحسرات هذي؟
ستسلو؛ قلت: لا أسلو ديارى
عدمت الدمع؛ إن لم أنتزفه
وظلت تأكل الحسرات قلبي
ولا أبقت لي الأيام خلا
سأطلب ثأرهم؛ حتى أراها
ونشفي غلة ونميت ضغنًا
وقد يكبو بفارسه جواد

فقلت: لكم شفى دمع حزينا!
ستنسى؛ قلت: لن أنسى القطينا!
دماً بعد اللواتي. واللذينا
إذا لم أزع حقهم المصونا
إذا سالمت خصمهم الخثونا
بلاقع؛ أو نعود محكمينا!
ونستقضي المغارم والديونا»^(٣)
وقد يتصارع المتحالفونا؟

(١) كان ذلك في صنعاء إثر الحركة العسكرية في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢م - الموافق ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢هـ - وفي مقدمة الشهداء الذين رميت جثثهم في العراق: السيد أحمد عبد الرحمن الشامي، السيد محمد أحمد الوزير، الشيخ عاطف المصل، السيد يحيى عبد القادر، السيد زيد عقبات، السيد عبد الرحمن أبو طالب، السيد عبد القادر أبو طالب، السيد حسن إبراهيم، الأمير الحسن بن علي حميد الدين، السيد أحمد محمد حميد الدين، السيد محمد الكبسي، القاضي محمد عاموه، القاضي عبد الرحمن السياغي، والسيد حسين الويسي وعشرات آخرون يرجمهم الله.

(٢) البيتان «ولم تغسل» و «تظل الطير» من شعر امرئ القيس بن حجر في قتل من قومه؛ والقصتان متشابهتان.

(٣) ورغم ذلك: فقد انسحبت القوات المصرية وكانت المصالحة الوطنية وانتخب الشعب اليمني مجلساً جمهورياً أحد أعضائه صاحب الديوان.

وربّتما يؤدّ البعض منهم
فذرهم يلهم أمل خلوب
ودعهم في جهالتهم حيارى
سيعلم كل ختال أثيم
سنجعل من حصونهم قبوراً

بأنهم عداد الهالكينا!
فسوف إذا أفاقوا يعلمونا
سكارى؛ يسرحون ويمرحونا
بأنا - رغم كل العالمينا
ونبني من قبورهم حصونا

* * *

تذكير:

بني وطني؛ سلام من محب
لأجلكم يعادي من يعادي
سلوا سجانته^(١) . . لم كان يغضي
وعن صرخاته؛ والقوم غفل
وأهل العلم، والسادات طراً
وكم من مسلم لاقى نكالاً

لكم؛ لم يدخر عنكم ضنينا
ولا يخشى المشانق والسجون
ويحني - وهو يجلد - الجبينا؟
على «عرباتهم» يتبخثرونا!
و«نواب» البلاد «مخزوننا»^(٢)!
و«أصحاب المعالي» غافلونا!

* * *

و«زين العابدين»^(٣) «بأرض سام» يعاني ما يعاني المبعدونا

(١) أمضى المؤلف في سجن حجة خمس سنوات ١٩٤٨ - ١٩٥٣ م أي من سنة ١٣٦٧ هـ إلى سنة ١٣٧٣ هـ والبيت يرمز إلى حادثة ليس مكان تفاصيلها هنا.

(٢) أي يتناولون «القات» لاهون عن المأساة. وأول ما ظهرت شجرة القات في اليمن سنة ١٩٥٠ هـ/ ١٥٤٤ م.

(٣) زين العابدين لقب أطلق حديثاً في اليمن على سيف الإسلام الحسن بن يحيى لورعه واستقامته، وعندما قامت «الحركة العسكرية» في صنعاء كان في أمريكا - بلاد العم سام كما يقولون - وكان قد أمضى هنالك في حكم المبعد بضع سنوات تبادل المؤلف معه رسائل أثناءها؛ فيها بعض وجهات النظر عن الوضع السائد في اليمن حينذاك وما عساه أن يلحق بها من أخطار؛ وقد كان «المؤلف» أول من أعلن «حركة المقاومة» من راديو لندن يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٦٢ وأن سيف الإسلام الحسن هو صاحب الحق الشرعي وعاداً معاً وكان ما كان.

وكانوا يكرهون النصيح منه
إلى أن أقبلت سوداء أخزت
أذكركم بما ذقتم قريباً
ومن أعدائه يتقربونا
مواطنها ظنون المرتجينا!
من البلوى.. فقد لا تذكرنا!

* * *

نصيحة:

«بكيل» والأشاوس من بنيها
و «مذحج»^(٢) بالحشود إذا استثيرت
لكم من أرضكم حصن حصين
فكونوا إخوة في الله حقاً
ولا «المستخربين»^(٤) وإن أجادوا
«بأهل البيت»، بالأخيار منهم
و «بالشورى»، وبالإصلاح نادوا
و «حاشد»^(١) بالرجال المخلصينا
و «عك»^(٣) بالجنود مدججينا
إذا كنتم جميعاً.. صادقينا!
ولا تقفوا طريق الملحدين!
أفانين البيان مزخرفينا!
بصفوتهم، قفوا متمسكين!
وثوروا في وجوه الظالمينا

* * *

بني وطني.. سفينتكم أغيثوا
فلئن البحر مصطخب غضوب
أعيروها الهداة المرشدين!
وإنَّ الحَيْنَ؛ يوشك أن يحينا

* * *

الملك فيصل بن عبد العزيز:

بني قومي حذار.. فإن تمادت
غوائلنا هلكنا أجمعينا

(١) حاشد أبو قبائل يمنية متعددة وهي وبكيل جناح اليمن، وحشد القوم إذا جمعهم.

(٢) مذحج، مفعول من الذحج وهو الدلك وهو أبو قبائل متعددة في اليمن.

(٣) «عك» من عك اليوم إذا اشتد حره، ويوم عك، ويوم حكيك، وهو أبو قبائل يمنية معروفة على اختلاف في نسبه إلى «عدنان».

(٤) كان المستعمرون القدامى يعمرن البلدان كي يستغلوا خيراتها كما فعلوا في أفريقيا وأندونيسيا ومصر ولبنان، أما المستعمرون الذين بليت بهم اليمن أخيراً فهم مع الأسف مستخربون!

لكم من «فيصل»^(١) وبني أبيه
أهاب بقومه نحو المعالي
وقرب كل ذي رأي، وتقوى

مثال في السياسة تقتدونا
وأخرج من كنوزهم الدفينا
ومعرفة وأقصى الآخرين

* * *

خطر الشيوعية:

بني قومي؛ إذا لم تستقيموا
«غراب الشوم» ينق في حماكم
وتغدو أرضكم منكم خواء
وتعلو راية طبعتم عليها

فسوف ترون.. ما قد تكرهونا
لكيما تصبحوا متفرقين
ويملكها «الأجانب» آميننا
علامة من قد اتبعوا «لينينا»^(٢)

* * *

فهل تستبدلون بهدي «طه»
أبعد «محمد» وبني «علي»
لقد هزلت إذن؛ والموت خير
ولي أمل؛ وفيكم من يرجي

و «عترته» ضلال الجاحدين؟
نبايع بالإمامة «كوسجينا»^(٣)
وأشفي.. فانظروا ما تأمروننا!
وفي الألواح ما لا تعلمونا!

* * *

دعاء:

حناناً يا إله العالمينا
إذا كان العقاب فلا مناص
وإن كان اختباراً وابتلاءً

ورفقا بالعبيد المخلصينا
فقد كنا جميعاً مذنبينا!
لتعلم بالبلاء الصادقين!

(١) الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ضرب المثل الأعلى في الحزم والعزم والحكمة فأصلح قومه ومملكته واعتمد على العلماء والأكفاء، وحقق متطلبات شعبه، ووقف وقفته الخالدة مع الشعب اليمني نصرته للأخوة والدين.

(٢) لينين، الزعيم الشيوعي المشهور والذي نسفت ثورته بالقيصرية في روسيا.

(٣) كوسجين؛ الزعيم الشيوعي الذي خلف خورتشوف في قيادة الاتحاد السوفيتي.

ببَابِكَ واقفين؛ ولا جئنا
وكيدهم ومكر الماكرينا
فإنك إن رضيت فقد رضينا

فإني . . والذين يرون رأيي
إلهي فاكفنا شر الأعادي
وأسكننا رضاك ندى وفضلاً

لندن: ١١ محرم ١٣٨٦ هـ
مايو ١٩٦٧ م

١٧٦ - كيف يرجون سقاطي؟!

لم أصطف الأم ولا اخترت الأب
لم أستشر كيف ولا أين ولا
كيف ترى أحمل وزر حسبي
قُطِرْتُ من غيمة حُب طالما
ورشفتني لهفة الشوق هوى
وحَضَنَ العشق حنانَ لوعتي
فكيف يرجون سقاطي وأنا
ولا اصطنعتُ قبل خَلقي النسا
ما هو أهدي خُلُقًا ومذهبًا
ولم أكن قد انتقبتُ الحسبًا؟!
هامتُ يناجي غيْثها نبتُ الرُّبا
فشعشع الحسنُ ابتهاجًا وصَبًا!
فذاب شعراءُ، وتغنَّى طربا
بالطبع لا أرضى السِّقَاطُ . . أدبًا؟!

* * *

أخلصت للشعر يراعي، والهدى
لو كان للوفاء نجلٌ أو أبٌ
قلبي، وللصدق اللسان الذُّربا!
كنتُ له النجلُ الوفيُّ . . والأبَا؟

لندن: ١٧ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ

٢ سبتمبر ١٩٦٧م

لولا هواي البكرُ في عرصاتها
 ما فاض دمي عند ذكر صفاتها
 بلدٌ؛ شبابي مادّ بين غصونها
 وطفولتي رقصت على همساتها
 بلدٌ؛ دمي من عطرها، ومشاعري،
 من نسجها، وحُشاشتي من ذاتها
 بلدٌ؛ بياني من «ثمار» ترابها
 وقصائدي من بعض «متوجاتها»
 ما خانني ألمٌ وقد فارقَتْها
 — كُرْها — ولا شوقٌ إلى نسماتها
 أبداً أحنُّ إلى مخايل أوبة
 تشفي بها نفسي صدى صبواتها
 وأعللُ القلب الجريح بذكر ما
 أرويه عن أشيائها وسماتها
 وبكل ما عانيته من أجلها
 وبكل ما قاسيت من نكباتها
 بين الحتوف، وخائفًا، ومشرّداً
 ومُكبَّلاً في ليل «زنزاناتها»

وبما به صارعتُ بطش طُغاتها
وبما به جاهدتُ ضدَّ غزاتها
لولا الحنين؛ وما أعقر من مُنى
ذابت حياتي في لظى حسراتها
بمدمام ذكراها تُعربدُ مهجتي
فأهيم بالأنخاب من كاساتها
نشوان؛ روجي تجتلي آفاقها
وتسائل الأفلاك عن حاناتها

* * *

وطني؛ وقاك الله - كم لك من يدٍ
عندي.. أعيش على حساب هباتها
إن كان لي خيرٌ فمن إفضالها
أو كان لي مجدٌ فمن حسناتها

* * *

وطني؛ بإسمك قد رقيتُ منازلًا
في العزِّ، لا يُعلَى على درجاتها
قامرتُ ضدَّ الكون باسمك في العلا
فقمّرتُ من يسعى إلى قصباتها
تاريخك استعلَى على نظرائه
كجبالك استعلتْ على أخواتها
ما الكونُ إلّا نعمةٌ قدسيّةٌ الـ..
ألحانٍ.. أنتَ أحبُّ مقطوعاتها
وقصيدة الإبداع لما صاغها الـ..
...خلاقُ كنتَ الفدّ من أبياتها

والدَّهر إن غنى فأنت نشيده
وإذا انتشى فالراح أنت بذاتها

* * *

وطني ؛ حياتي ؛ دون أية منة
لك قد وهبتُ الكل من ساعاتها
فإذا طمحتُ إلى مجالي لذة
وشرى خيالك ملتُ عن شهواتها
وإذا رمتني محنة في مهمه
فتشتُ عن ذكراك في فلواتها
غزلي ، ومدحي أنت ما أطريت من
أسمائها ، وعشقتُ من غاداتها
حُبِّي ، وتمجيدي ، وكلُّ مشاعري
لك ، بل وأشعاري ، على علاتها

لندن : ١٧ ربيع الأول ١٣٨٧ هـ

٢٤ يونيو ١٩٦٨ م

[على «رضية بنت علي» حميد الدين]:

أبكي «رضيَّة» بالدموع وليتني
ما عشت يوماً واحداً من بعدها
أبكي جميع الصالحات، وقد مضت
معها، ونامت جنبها في مهدها
كم قد نعمت بفضلها، وحنانها
وبصدقها، وبرها، وبودها
كانت مثلاً للفضيلة والحياء
كانت تبر بوعدها وبعهددها
كانت «رضيَّة» في جميع صفاتها
في خير ما تُسديه أو في قصدها
يا رحمة الله اهبطي في قبرها
واستوطنيه، وعشعشي في لحدها

١٠ محرم ١٣٨٨ هـ

٨ مارس ١٩٦٩ م

نحن إلى السلام	ندعو	وللوثام
نندب للفضيلة	ونكره	الرديلة
ونمقتُ الخصاما	والحرب،	والإجراما
شعارنا المساواه	والعدل،	والمؤاخاة
فليس ذا «عدناني»	وذاك من	«قحطان»
الكلّ أبناء «اليمن»	من «رازح»	إلى «عدن»
و «الشافعي» مذهباً	من «الزيود»	نسباً
وحّدنا الإسلام	والأصل،	والكلام
من «وشحة» أو من «خدير»	أو «إب»	أو من «النضير»
الأرضُ أرض واحد	في «الحرف»	أو في «القاعدة»

* * *

بالويل نادوا، والنبور	وبالشقاء	والدبور
لكل ظالم أثيم	وكل خائن لثيم	
وأيدوا بالدعوات	وباركوا بالصلوات	
كلّ زعيم مشفق	بقومه برّ تقي	
لا فرق ما بين الطغاه	من «سادة»	أو من «قضاة»
«أئمة» أو «رؤساء»	«مشايخ»	أو «أمراء»

* * *

«عيسى» (١) أو «الوشاح» (٢)
والذنب ذنب القاده
بالسيف، أو بالبندق
بالحرق، أو بالشنق
في السرّ، أو في الإعلان
الكلُّ قتلٌ وحرام
وعند كل العالمين
كلاهما.. سفاح..
من «فقهها» أو «ساده»
في الصدر، أو في العنق
بالسمّ، أو بالخنق
في «البير» أو في «الميدان»
ومن «رئيس» أو «إمام»
لا فرق بين المجرمين

* * *

حيّا على الوثام
«حيّا.. على خير العمل»
ندعو إلى الحرية
وننصر الدستور
ولا نحابي ظالما
وننبذ الأحقادا
ونهدم «المتارسا»
كفى كفى ما قد جرى
ومن فسادٍ وشتات
ومن صراعٍ دامي
كفى خرابًا «لليمن»
كفى دماءً ودموغ
حيّا على السّلام
حيّا.. على نور الأمل
والعيش بالسوية
وكل أمر شورى
ولا نُعين آثما
ونُبعد الأوغادا
ونبتني «المدارسا»
من الدمار للقرى
ومن صروف النكبات
بـ «الغاز» و «الألغام»
فإنها لنا وطن
كفى، كفى، موتًا وجوعًا

* * *

(١) هادي عيسى: السفاح المشهور.

(٢) السيّاف المشهور قبل هادي عيسى.

بالله،	بالقرآن
كفّوا عن الخصام	بحرمة الأوطان
لا تخسفوا بأرضكم	ثوبوا إلى السلام
فإنها	وتعسفوا ببعضكم
بيوتكم، أموالكم	وإنهم أولادكم
نساؤكم، رجالكم	أعمامكم، أخوالكم
إن لم يكن لهم ثمن	بناتكم، أطفالكم
	فيالخيبة «اليمن»!

* * *

«ألا تخافوا الله!	وأنفسًا سواها»
«أفلح من زكّاهها»	«وخاب من دساها»
إن لم تكونوا رحماء	يومًا.. فكونوا حكماء
أولم تكونوا أتقياء	فلا تكونوا أشقياء
يا قوم قد زال الحرج	الظلم ولى ودرج
والأجنبي قد خرج	وتلك أبواب الفرج
وكبر المكبرون	وصفّق المصفقون
وصرخ المستبشرون	وأذن المؤذنون
حيّا على الوثام	حيّا على السلام
«حيّا.. على الفلاح»	حيّا.. على الإصلاح
كفى خرابًا «لليمن»	فإنها لنا وطن
والكل أبناء «اليمن»	من «رازح» إلى «عدن»

لندن: ١٩ ربيع الثاني ١٣٨٧هـ

٢٦ يوليو ١٩٦٨م

لولم تكنْ خَطَرْتُ بِيالكُ	ما تهت في تلك المسالكُ
إن كنت ترجو وصلها	فاصبر على خوض المهالكُ
العشق جبار تذللّ	لعزّ سطوته الممالكُ
وعبيده يتصرّعون	ببابه شغفًا بذلكُ
فاهرب بنفسك قبل	أن تفني وفكر في مآلكُ
ما أنت مخلوق له	لا.. لست تدري ما هنالكُ

بيروت: ١٢ محرم ١٣٨٨هـ
١٠ مارس ١٩٦٩م

رَسِيسَ اللَّيَالِي لَنْ أَبَيْتَ مَسْهَدًا
بِهِمْ فَلَقَدْ أَمَسْتُ هُمُومِي هَوَاجِعًا
خَبْتُ نَارُ أَشْوَاقِي ، وَنَامْتُ بِلَابِلِي
وَجَفْتُ - وَقَدْ كَانَتْ عَيُونِي دَوَامِعًا
فَوَاجِعَ قَلْبِي فِي نَوَاهِمِ أَلْفَتِهَا
وَيَا مَا بَصِيرِي قَدْ أَلْفَتُ الْفَوَاجِعَا

لندن: ٢٣ محرم ١٣٨٨هـ
٢١ إبريل ١٩٦٩م

في غدوي ورواحي
ذكركم روعي وراحي
وهواكم خمر كاسي
في اغتباقي واصطباحي
أنتم دنيا صباباتي..
ووجدي وانشراحي
ولكم سرّي؛ وسرّي؛
فيكم غير مُباح
آه كم أشكو إلى الدّهر
وما الدّهر بصاح
آه.. كم أصبغ أشعاري

بألوان جراحی
بدموعي، وأنيني
وحنيني، ونواحي
وأنا طيلة عمري
في صراع وكفاح
يزعج الحُساد أوقاتني
بأصناف النباح
غير أنني لا أبالي
قول أفاك ولاحي
للعلا والمجد، أيامي
وليلي.. للملاح

ومسائي للصَّبايات
وللنَّاس.. صباحي

* * *

فإذا جُنَّ شراعي
وإذا هبَّت رياحي
وإذا لحن حياتي
ذاب في آخر أحي
قفلت أشباح أيامي
على سفن الرُّواح
وتلاشت كسراب
ضاع في البيد الشحاح

بيروت : ٨ ربيع الثاني ١٣٨٨هـ
٤ يوليو ١٩٦٩م

صنعاء.. يا لحنَ الزمان البكر في سمع العدم
صنعاء.. يا أولَ حَرفِ خُط في لوحِ القِدمِ
من قبل أن يكتبَ بالحبر على طرس قَلَمٍ
وقبل أن يشمَخَ «إيوان» وأن يُبْنَى «هَرَمٌ»
صنعاء.. يا عرش الملوك الصيد «أذواء» الكرمِ
كم عبد الغواة فيك للجمال من صنمٍ
ورتلوا لِقْدْسِهِ من سجعة ومن نَغَمٍ
كم من «نبيٍّ» قد عرفتِ وهويشدو بالحكمِ
وشاعرٍ، وساحر وكاهن، وكم.. وكم!
من فرحة، ونكبة ومن سرور، وألمٍ
واثبتَ بالحيلة أحيانًا - وحينًا بالشممِ
قد يهرم الدهر ولكن لن يُصيبك الهرمُ
سرَّ الشباب فيك قد أعيَا الزمان والأُممُ
و«قلبك العصيُّ» لَمْ يُهْزَمْ لحادثٍ أَلَمٍ
للحرب، أنت «هيكَل» وأنت للحب «حَرَمٌ»

من شفق الخلد نسجتِ المجد للشعب علّم
والصبغة الحمراء قد قطرتها وردًا ودم

* * *

أقسمُ بالوالدِ والأمِّ . . وما أغلى القَسَمُ
لقد حويتِ من صفات الحسن ما خصَّ وعمّ
والله قد أعطاكِ منها ما اصطفى وما أتمّ
أولاكِ ما لم يول - قصداً - بلداً من النعم
وما حباً قومًا كما حباً ذوبك من شيم
من رقةٍ في عفةٍ ومن حفاظ للذمم

* * *

صنعاء . . قلبها أرقّ من نسائم السحر
للحبِّ في غياضها أهلٌ، وللحُسن سمر
أبدعها الله لأهل الفنِّ مأوى ومقر
كم صدح الشعر وغنى، كم تصابى، وشعر
وكم تمادى في الذنوب. وتجنّى، وغفر

* * *

صنعاء . . «قلبها العصيّ» لا يُبالي بالخطر
ولا يلين لتصاريف الزمان والقدّر
لكنّه للحبِّ يُعطي جسّه؛ إذا أمر

سَيَّانٍ مِنْ مَاطِلُهُ وَمِنْ عَصَى ، وَمِنْ شَكْرِ
تَزَوَّدَتْ بِكُلِّ مَا يَصْرِفُ عَنْهَا كُلَّ شَرٍّ
لِكُلِّ قَوْمٍ شَرِبُهُمْ «فَكُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضَرٌ»
مَا يَصْرِعُ الطَّاعِي إِذَا اشْتَطَّ ، وَأَدْهَى وَأَمْرٌ
وَمَا بِهِ لِكُلِّ جَبَّارٍ أَثِيمٍ مَزْدَجَرٌ
كَمْ مِنْ مَلِيكَ سَامَهَا بِالْخُسْفِ عَمْدًا وَقَهْرٌ
قَدْ خَلَّدَتْهُ لَعْنَةُ الدَّهْرِ ، وَأَبٍ مُحْتَقَرٌ
وَكَمْ طَمُوحٌ لَمْ يَنْلُ إِرْبًا ، وَلَمْ يَقْضِ وَطْرٌ
اسْتَنْجَدَتْ آمَالُهُ بِهَا . . فَفَازَ ، وَانْتَصَرَ

* * *

صَنْعَاءُ . . وَالْقُرُونُ تَتَرَى ، مَا أَسَا وَمَا أَسْرُ
تَوَاكَبَتْ عَلَى ثَرَاكِ كُلِّ أَصْنَافِ الصُّورِ
مِنْ كُلِّ لَوْنٍ لِلْحَيَاةِ ، وَالْفَنَاءِ ، وَالْعَبْرِ
أَنَا الَّذِي قَدْ بَارَكَ الْآلَامَ فِيكَ وَاصْطَبِرُ
لَوْلَا عِلَاكِ لَانْدَحَرُ . . لَوْلَا هَوَاكِ لَانْتَحَرُ
لَوْلَا خِيَالَاتِ الْوَصَالِ مَا تَغْنَى أَوْ شَعِرُ
تَقْدُّسُ الْجَمَالِ فِيكَ ، وَتَأْلُهُ الْبَشَرُ
وَكُلُّ شَيْءٍ صَاغَهُ الْخَلْقُ فِيكَ . . بِقَدْرِ

* * *

صَنْعَاءُ . . يَا مَلْعَبَ أَوْهَامِ الشَّبَابِ الْحَالِمِ
مَدِينَةِ الْخُلُودِ ، وَالْأَسْرَارِ ، وَالطَّلَاسِمِ

يا مسرح الهوى، ويا روض الغرام الهائم
 في أفق يزهب ألوان الجمال الدائم
 مضْمَخُ النُّور بنفح الطيب، والبراعم
 عرائس الخيال في غلائل الغمام
 ترقص كالأطفال بين الزهر والنساء
 ما بين طرفٍ ساحرٍ من فوق ثغر باسم
 وبين خصر ناحلٍ من تحت صدر ناجم
 ترتعش اللذات كالورود في الكمائم
 وبين هاتيك «الرَّوَابِي» الخُشَع الجوائم
 تزدحم الأهواء في توق وشوق عارم
 وتُجْتَنَى القُطُوف قد طابت لكل لاثم
 والحُبُّ قد خولها عفوًا.. لكل آثم

* * *

أواه.. يا قلبي، أفق وتب، وعش، وسالم؛
 كفاك ما قد نلتَ من هول، وذل حاطم
 كل حياتي عشتها في حندس المظالم
 إمَّا يَتِيْمًا ينظر الكونَ بطرف ساهم
 أو خائبًا في حُبِّه أو شاردًا كالهائم
 أو في السجون موثقًا أو في لظى الملاحم
 أو باكيًا مصارع الرفاق في المآثم

لا أتقي مصيبةً إلا بخطبٍ داهم
متى متى . . ألقى عصا الترحال، والتخاصم؟
وفي «أزال» حيثما درجت بالتمائم
أحسوا ثمالة الحياة في سلام دائم

* * *

صنعاء . . قد قالوا خوت دون سواها كل فن
لوقيل للدهر ألا يعرف ما بين المدن
لها شبيهها في الجمال، والدلال، والفتن؟
لقال ليس . . وأضاف لا، وما، ولم، ولن
هندسة الإبداع قد . . حبت لها قلب «اليمن»
وحكمتها في القرى . . بين «ظفار» و«عدن»
«سام بن نوح» رادها . . واختطها له وطن
بعد استشارة النجوم، والعقول، والفطن

* * *

صنعاء . . قلبها «عصي» في الخطوب والمحن
جحافل «الأحباش» لم تُسلس لتيهها رسن
ظلت على ولائها «لتبّع» و «ذو يزن»
وفضلت على «الصليب الحبشي» صمت «الوثن»؛
ضلالة جميلة فيها الإباء قد كمن

* * *

أَوَاهِ يَا «صنعاء» قد أخنى على قلبي الحزنُ
ضَيَّعْتُ فِي الْأَوْهَامِ عَمْرِي، وَشَبَابِي فِي الْإِحْنِ
سَخَرْتُ بِالْمَوْتِ جَنُونًا، وَهَزَيْتُ بِالزَّمَنِ
مَشْرَدًا أَوْ تَائِهًا، أَوْ فِي السَّجُونِ مُرْتَهَنُ
أَوْ فِي نِضَالٍ . . دُونَمَا جَدْوَى، وَدُونَمَا ثَمَنُ
فَقَدْتُ أَصْحَابِي، وَأَتْرَابِي . . وَأَهْلِي، وَالسَّكْنَ
وَلَمْ أَفُقْ إِلَّا عَلَى صَوْتِ الْمَشِيبِ وَالْكَفَنِ

* * *

فِي الْحَبِّ عَقْلِي أَنَهَارَ مَخْبُولًا، وَإِحْسَاسِي انْطَحَنَ
مِشَاعِرِي ذَابَتْ، وَرَوْحِي كَلَّ، وَاسْتَخَذَى، وَأَنَّ
مَا كُنْتُ مِنْ أَكْفَائِهِ فَشَفَّ قَلْبِي . وَامْتَهَنُ
وَكُنْتُ قَدْ أَعْطَيْتُهُ مِنِّي الْخَفْيَ وَالْعَلْنَ

* * *

أَوَاهِ يَا صَنْعَاءُ أَشْوَاقِي تَدْمَدُمُ فِي الضَّلُوعِ
لَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ بِهِ أُعْزِي إِلَيْكَ سِوَى الدُّمُوعِ
دَمْعُ الْمَعَذِبِ، وَالْمَشْرَدِ، وَالْمَتِّيمِ، وَالْوَلُوعِ
دَمْعُ الْمَشِيبِ عَلَى شَبَابِ هَامٍ فِي تِلْكَ الرِّبُوعِ
دَمْعُ الضِّيَاعِ عَلَى «الْمَدَاكِي» وَالْمَفَارِجِ وَالشُّمُوعِ

دمع الندامة ذاب بعد اليأس من جفن الخضوع

* * *

صنعاء قلبها «العصي» ليس بالبرم الهلوع
هزم «الغزاة» بصبره وحمى «الفتوة» بالقنوع
لا للطغاة الباطشين هفاً، ولا عرف الخنوع
لكنه يصغي إلى شكوى المدلّهِ والجزوع
باللحن تنتحر القوافي فيه من شعر يروع
بالحسن تلتجىء المفاتن منه في عطر يضوع
بالمجد يجأر، وهو بين مخالب الصقر الطمّوع

* * *

صنعاء.. هل يُرجى لمثلي نحو سفحك من رجوع؟
أنا «ابنك العاصي» رجعت أجرُ أذيال الخشوع
قلبي على دين الصبابة ما له عنها نزوع
شهدتُ على إخلاصه رجفاته بين الضلوع
وخفوقه إن لاح في جُنج الدجى برق لموع
وإذا تَبَتَّل كنتِ أنتِ له الضّراعة والدموع
ويكاد لا ينسأك حتى في السجود وفي الركوع
هل لي إلى «القلب العصي» إذا تمنّع من شفيّع؟

كللتُ قرباني إليك «عقيرة» الصبِّ المطيغ
بتمائي، وعزائي بطفولة الحب الوديغ
بالشعر، بالأنغام، بالآلام، بالقلب الوجيع
بهواك «يا صنعاء» لو ضاعت حياتي لن يضيع

بيروت: ٢٣ رمضان ١٣٨٩هـ

٢ نوفمبر ١٩٦٩م

لو كان ليسَ بمجبرٍ في أمره
ما بات يعتلج الهوى في صدره
من بعد ما صنع الجوى بضلوعه
زمنًا، وعاث بقلبه وبفكره
حمل الأسى والحب غير مخير
فتحكَّما في سره، وبجهره
يا يا ويحه ما انفكَّ يتلف عمره
في غير ما فيه سلامة عمره
فضميره دامي المشاعر موجع
وكيانه تنحل شدة أسره
ويراعه يُشَوِّى بنار بيانه
ولسانه تكوى بلوعة شعره
بأساه يحتفل الوجود كأنه
سر الوجود بخيره، وبشره
فالليل لم يُطلع دجاء نجومه
إلاَّ لتنظر ما مصائر أمره
والشمس ترعى شجوه إن أشرقَتْ
والريح؛ نوح عويلها من ضره

والسُّحْبُ؛ ما ذرفت دموع حياتها
إلا لكي تخضل تربة قبره
والزهر لا يفتري إلا باسمها
عن ثغره، أو نافحاً عن عطره
والطير إن غنى فمن أسجاءه
وإذا بكى؛ فبشعره، وبنثره

بيروت: ٢٥ رمضان ١٣٨٩هـ

٤ نوفمبر ١٩٦٩م

انطلق.. انطلق.. على فرس الياس
إلى حيث.. لا يعيشُ غرام
لا تُدرِ سمعك الغبيُّ إلى الخلف
فلا موعداً.. ولا أنغام
الهوى مات.. والصُّبا قد تلاشى
والتعاليل.. كلها أوهم
انطلق.. واسحق التعاليل فالحب
قد اجتاحه فباد الزُّوام
إنه البغض.. إنه البغض لا..
دمعة رجوى تُجدي.. ولا أحلام
أجل؛ «عزرائيل» قد أصدر الأمر
و «أمضى» وصدَّق «الحكام»
فانطلق.. وانفت الغبار على الأوهام
.. ولْيأكل الضياء الظلام
فارس الحبِّ قد فشلت
وقد عَقَّكَ فيه.. حصانه واللجام
ونوازي الغرام، والوهم، والشهوة
صَرَعَى.. يوري صَداها الأوام

كلُّها في مخالب اليأس تبكي
حيث لا رغبة.. ولا استسلام
قدر، أم تغافل، أم جحود
أم عناد، أم غيرة، أم هيام..؟
فانطلق.. وابتعد.. وللحب من
قلبك ما تستلذه الآلام
تنهش العمر كالذئاب
ليالي عيشه تستجير، والأيام
وامض حيث الظنون تلهث في
وادي الضحايا.. تحوطها الأثام

بيروت: ٢٨ رمضان ١٣٨٩هـ

٢٧ نوفمبر ١٩٦٩م

ماذا تقول؟ وقد هاجت بك الذُّكْرُ
وأذهلت عقلك الأحداث والغيرُ
تمضي مع الأمس في غيبوبة وفنى
وتستجير غداً خوفاً، وتنتظر
وفي ضميرك مما كان كان معركة
كبرى وقلبك بالأحزان يستعر
الأمس عالم طغيان، ومسرح أهوال
.. ودنيا فنون.. كلها عبر
واليوم باقة آمال مزورة
ألوانها الدجل، والأطماع، والضررُ
وعالم الغد..؟ ماذا قد تسحُّ به
«غمامة الغد» وهي الحق قد ينفجر

بيروت: ٢٣ شوال ١٣٨٩هـ

١ يناير ١٩٧٠م

دَعْوُهُ لَا يَزُورُ وَلَا يُزَارُ
فَقَدْ أَشْفَتْ بِهِ الْغُصَصُ الْكِبَارُ
يُورِقُ لَيْلُهُ شَوْقٌ قَدِيمٌ
وَيُقْلِقُ صُبْحُهُ . . وَجَدُ مَثَارُ
وَلَوْلَا مَا يَكَابِدُ مِنْ بَلَاءٍ
لَمَا فَضَحَتْهُ أَدْمَعُهُ الْغَزَارُ
دَعْوُهُ فَقَدْ خَبَتْ نَارُ التَّصَابِي
وَهَلْ قَلْبٌ يَبَاعُ؟ وَهَلْ يُعَارُ؟
دَعْوُهُ . . لَمْ يَعُدْ مَنْ كَانَ يُرْجَى!
فَقَدْ هَبَطَتْ بِهِ الِهْمَمُ الصَّغَارُ!
فَلَا ثَارُ؛ وَلَا أَمَلٌ يُرْجَى!
وَمَا الدُّنْيَا؟ وَلَا أَمَلٌ وَثَارُ؟
رَوَيْدُكَ يَا «حَيَاة» فَمَا فَوَادِي
بِمُنْخَلَعٍ إِذَا حَانَ «الْعِثَارُ»
أَنَا «قَلْبِي» وَمَا إِنْ خَنَتْ قَلْبِي
وِ «قَلْبِي» لَا يُضِيرُ، وَلَا يُضَارُ
وَهَبْتِكَ يَا «حَيَاة» شَذَى حَيَاتِي
وَقَدْ وَلِي . . وَلَيْسَ لِي اخْتِيَارُ

بيروت: ٢٦ شوال ١٣٨٩ هـ
٤ يناير ١٩٧٠ م

أأشكو البين أم أشكو الهياما
 أم الشوق المبير أم السقاما
 وكيف، ومن يعبر عن ضلوعي
 ومن يصف الصبابة والغراما؟
 لساني، لا تجيد اليوم قولا
 فما ترك الدهول لها كلاما
 سكرت بنكبتي زمنا ولما
 صحت.. وجدت ما حولي حطاما
 فلا عُشي العزيز، ولا حبيبي
 ولا كأس تدار، ولا ندامي
 ولا أمل يُهدد ما تمادى
 من الأشجان أو يشفي أواما
 وكل رغائبي في العيش أضحت
 مضيعة، وأحلامي يتامى

* * *

أينجو تائه فقد الرفيقا
 ويأمن بعد أن جهل الطريقا؟

بأية مهجةٍ يرجو خلاصا
ولم تترك له البلوى صديقا؟
إذا ما مدَّ طرفًا نحو رجوى
رأى من دونها الخطر المحيqa
فعاد بذل خيبته حسيرا
وآب بدمع حسرته غريقا
تعذب في شبيبته يتيما
ومفؤودًا ومغتربا.. رقيقا
يُعانق ما يحاذر حين يغفو
وينظر كلما يؤذي مفيقا
وحيدا ينفذ العمر انتحابا
ويصهره زفيرا، أو شهيقا

* * *

يكابد ما يكابده أذكارا
وأشواقا، وآلاما كبارا
ولا أمل يعاوده عزاء
ولا خلل يُسانده.. انتصارا
يترجم طرفه عما يُعانى
بأدمعه التي تهمي غزارا
وبنفث من حُشاشته قصيدا
يؤجُّ بيانه لهبا.. ونارا
ومارجُ روحه ينمأ فيه
حنينا، أو رثاء، أو فخارا

* * *

ألا.. يا رُوعَ الله المآسي
فقد رُوعن شعري فاستطارا
فلاذ بكهف صمتي مستجيرا
وعاذ بصمت كهفي واستجارا

بيروت: ٩ ذي القعدة ١٣٨٩هـ

١٩ نوفمبر ١٩٧٠م

[ارتجل صاحب الديوان هذه الأبيات المطعمة بالعبارات الإنكليزية في مجلس ضمَّ بعض الساسة اليمينين، فلطفت جوَّ الخلاف الذي كان قد خنق الجلسة]:

«وَلَكَمَاتٍ» وَذُأَوْتُ «إِكْسِبْشَنَات»
بجميع الإخوان والأخوات
«الْفِرْنَدُون» وَ«الْفِرْنَدَات» والضبا
ط و «الْجَنْتَلِينَ» وَ«الْجَنْتَلَاتِ»
في «بِلَادٍ» لَا «أَوْتُ» مِنْهَا وَلَا
«رَفِيُوج» إِلَّا «بَكَارِجٍ» وَثَبَاتِ
سَوْفَ «أَدْفَيْسُكُم» تَعُوذُونَ «بَالْبِي»
«دُونْتُ بِي» خَائِفِينَ، «وَذُأَوْتُ» دَاعٍ
ثُمَّ «يَوْنَيْتَدُوا» جَمِيعَ الْفَثَاتِ
إِنَّ عِنْدِي «قَرِيْتُ هَوْبٍ» بِأَنَا

«شَلْ» نَرَى «وَتْ وَي وَنْتُ» فِي ذِي الْحَيَاةِ
«إِفْ» جَمِيعًا «وَلْ قُو» إِلَى أَيِّ «قَوْلٍ»
«وَذِتْرَسَتْ» «لِلْسَلْفِ» دُونَ شَتَاتِ
«بِي رَدِي» لِلْكَفَاحِ وَ «الْفَيْتُ فُور لُونَجْ»

وَلَا تَسْمَعُوا «لُورْدَز» الْوَشَاةِ:
وَاسْتَعَدُّوا لِكُلِّ «كَيْسٍ» «بَشْنُكْ»
وَبِأَوْرَاقِ النِّقْدِ، وَالْفِيْزَاتِ!
«دُونْتُ بِي انْقَرِي» إِذَا قَلْتُ «جُوكَا»
«إِتْزَلَيْتِ» الْفُؤَادِ فِي الْأَزْمَاتِ

الرياض: ربيع الأول ١٣٩٠هـ

مايو ١٩٧٠م

[عندما ورد نبأ وفاة السيد يحيى بن أحمد الشامي، وكان لما يتجاوز الثلاثين]:

قد لذت بالصبر فلم يستطع
تعزية القلب الأليم الوجيع؛
فقدتُ في يحيى فتى ماجداً
ذا همّةٍ كبرى؛ وخلقٍ رفيع
قد كان فيما يرتجيه الوري
للشعب يوماً أملاً للجميع
الأملُ المرجو كيف انطوى
بسرعةٍ؟ كيف تراه يضيع؟
كيف تراه قد قضى وهو في
شبابه يختالُ مثل الربيع؟!

صنعا: ١٦ جادى الأولى ١٣٩٠هـ

١٩ يوليو ١٩٧٠م

١٩١ - إلّا.. بلادي

دقات ساعات الحياة
تدقّ في كل الأمم
إلّا.. بلادي
ليس فيها غير همهمة العدم
الناس قد عرفوا السعادة
والكرامة، والنعم
إلّا.. بني وطني
فهم.. بين الكوارث والنقم!

صنعا: ١٧ جمادى الأولى ١٣٩٠هـ
٢٠ يوليو ١٩٧٠م

أحلامي . . إذ تجأرُ.
وهي تَسْلُقُ
جَبَلَ الأَلامِ
تتصور بالبلوى
تَسْمِطُ
سُحْبَ الأَهامِ
تَرْجُو دَمْعًا
يرشقه اللاهثُ
مِنْ حُبِّي الظامي

* * *

في جبل الأَلامِ ؛
وفي مُنْحِنَاتِ
السَّهْلِ الدَّامي
ظمئي ، ، يَلْهَثُ ؛
يسترحمُ «دمع» الشَّعرِ
«ليروي» أنغامي .
و «مصاريع» العجزِ
على «أبواب» اليأسِ

تُناجي حِسَّ «الأصنام»
نَسَلُوا.. كالِدودِ على جُرحِ
ينزرو بِصَديدِ الآثامِ
تتضاعى ، تَفْهَقُ ، تَسْتَجدي
تتواری
تَحْتَ الأقدام

* * *

مُدْ رَشَفْتُ أَيَّامِي ؛
كَأْس «العرفان»
عَطَشْتُ أَيَّامِي
عَطَشُ «راي» .. !
«يُلْهَبُ» رُوحِي
بالأشواقِ
وَيُنْضِجُ فِي الدنِّ مدامي

* * *

أنا للأحزان
خُلِقْتُ
وللإخلاص
وللدمعِ الهامي
أنا للأشواقِ
وللظمأ «الراوي» !
قد أدبني «الشعر الظامي»

* * *

ما في الأكوان من «الهالات»

تضيّق «بهالات» «غرامي»

أنا.. أوهامي

أنا.. أحلامي

أنا.. أنغامي

أنا.. آلامي

أنا.. دمعهُ ذلّ

قد.. جمَدْتُ

خجلاً

في طرفٍ «استسلام»!

وبقايا «آه»

في لحنٍ

خنقته

شهقة إلهام

تعز: ٢ جمادى الآخرة ١٣٩٠هـ

٤ أغسطس ١٩٧٠م

١٩٣ — دَمْعَةٌ عَلَى الزُّبَيْرِي

[في ذكرى الشاعر محمد محمود الزبيري بصنعاء
(١٩٧١/٤/٣م)، عندما كان المؤلف أحد أعضاء المجلس
الجمهوري.. وأنشدها في مجلس الشورى]:

آيَةُ اللَّهِ كُنْتَ مَيِّتًا، وَحَيًّا.
يَا «زُبَيْرِي» فَنَمْ سَعِيدًا رَضِيًّا!
قَدْ خَدَمْتَ الْوَرَى «ثَلَاثِينَ حَوْلًا»
مَوْثِقًا، أَوْ مُجَاهِدًا، أَوْ قَصِيًّا
لَكَ مِنْ شَعْرِكَ الْبَلِيغِ سِلَاحُ
يَتَحَدَّى مِنْ كَانَ فُظًّا عَتِيًّا!
وَيَدَارِي بؤْسَ الْجَمَاهِيرِ
بِاللَّحْنِ تَغْنِيهِ بَاكِئًا مَبْكِيًّا!
وَالطَّوَاغِيَتِ يَمْلَأُونَ الْبَرَايَا
بِالْأَضَالِيلِ؛ وَالْوَعِيدِ دَوِيًّا!
كُنْتَ تَسْتَمْطِرُ الْبَيَانَ لِتُرْوِي
ظَمًا فِي الْفَوَادِ يَشْوِيكَ شَيْئًا
وَتُغْذِّي بِهِ الْجِيَاعَ وَمَنْ لَمْ
يَمْلِكُوا فِي الْحَيَاةِ وَالْأَمْرِ شَيْئًا
عَشْتُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

كعصفور يغني الحياة لحنًا شجيًا
تتهادى الآمال سحر أغانيه
وتشتارها رحيقًا نديًا
ودموع الأحرار تأوي إليها
تتفيا حنانها الأبويًا!
واليتامى قلوبهم تتحسى
منه لحن السعادة «الأمويًا»
قُم . . تر الأرض مثلما كنت فيها
تحدّي الأديب والألمعيًا
تنصبّي أهل «النفاق»
وللجاهل والوغد شهوة تنزّي
وتُعادي أهل المروءات عمدًا.
وتصافي من كان فظًا غويًا
الوفا ضاع، والمكارم ماتت
وحده الشرُّ ظلّ في الأرض حيًا!
كيف أشكو؟ وأنت علمتني الصبر
ولقنتني الثبات فتيا
حين كنا نهيم في كل وادٍ
وبآمالنا نعيش ونحيا!
كنت تدعو إلى «شريعة طه»
ولدين الإسلام؛ أمرًا ونهيا
كادت الصمّ أن تلين ولكن
قلوب الحكام زادت عُتيًا!
ثم ساقوك و«الخطيب» إلى المنفى

وساموكما العذاب صلياً!
فأذبت القيود بالصبر
واستلهمت من وحي الله شعراً سرياً
ثم هاجرت داعياً شعبك الحر
فلبى النداء . . وثار . . أبياً
قصةً للجهاد في الله
قد عاش «الزبيري» لها ومات وفيها
لم يكدس مالاً، ولم يبن داراً
لم يقارف إثماً، ولا اشتط غياً
لم يكن «زيدياً» ولا «شافعيّاً»
لم يكن «قوميّاً» ولا «بعثيّاً»
لم يكن «حزبيّاً» ولا «عنصريّاً»
لم يكن دجالاً ولا «طائفياً»
كان يدعو إلى السلام غيوراً
مستقلاً مهذباً «وطنيّاً»؛
كان لله «مسلماً» صادق الحسّ
وللشعب مخلصاً «يمنيّاً»!

صنعا: ٦ صفر ١٣٩١هـ

٢ أبريل ١٩٧١م

١٩٤ - الشريعة المزيفة!

باسمِها .. كم أكلوا
وباسمِها .. كم شربوا
باسمِها .. كم حكموا
وباسمِها كم ظلموا!
كم بكت أمراضنا
كم شكت أعراضنا!
كم من الآمال بالشرع قتلنا!
كم من الأحلام بالفقه صلبنا!
وأسْمُها .. الإِمْضاء!
وأسْمُها الخَتْمُ الكبير!
للإمام ، والرئيس والسُّلطان
اسمها كان العلامة
لجميع الحاكمين
في بلادي .. في .. «اليَمَن»!

صنعا: ٨ صفر ١٣٩١هـ

٤ أبريل ١٩٧١م

تمهّل
فَهُمْ فِي الشَّرِّ أَكْثَرُ خَبِيرَةً
وَقَدْ سَلَطُوا مَكْرًا
عَلَيْكَ «الْأَقَارِبَا»!
وَقَدْ قِيلَ قَدَمًا
إِنَّ «بَعْضَ» «الْأَقَارِبِ»
«عَقَارِبُ»
فَانْظُرْ

هل تدوس «العقاربَا»؟؟

صنعا: ٢٠ صفر ١٣٩١هـ

١٦ أبريل ١٩٧١م

«أنا» جبل «التاريخ» ؛
 أمجاد «أمّتي»
 إلى ركنه تأوى ؛ وتلجأ «ملّتي» ؛
 «تطوف» الدعاوى
 حول «بيت» كهولتي
 «تعاوى» انتقاماً
 من «بقايا» عزيزتي !
 ولو أنني ضيعتُ حق شبيبتني
 وحقّ «بلادي» ما تَسَامَت «كهولتي»
 ولكنني جهراً
 تحدّثُ كلَّ مَنْ
 يحاول إيذاء
 لقومي . . و «أسرتني»
 بذلتُ «دمي» يوماً ، وأفْنَيْتُ حقبةً
 من الدهر «مسجوناً» أنوء بحسرتي
 وشُرِّدتُ في الآفاق من قفر محنة
 إلى بحر أخرى ساخرًا بالبريّة !
 حياتي ، ومجدي ، وابتهالُ قصائدي
 وأشواقُ الحاني . . فداءً لأمتي

صنعا : ٢٦ صفر ١٣٩١ هـ
 ٢٢ أبريل ١٩٧١ م

١٩٧ - تَغَابِي؟

«أجاري» غباء القوم «بالبصر» تارةً
وحيثاً «أداري بالتغابي» الحماقاتِ
أعاصي طموحي ، وهو ما يعرفونه
فأضحك ، والأقدار تبكي «هزيماتي»!
إذا «الحظ» لم يسعدك لم تجد «قوة»
وقد ينفع التلويح بالمستحيلات!
غباء «التغابي» حظ صاحب «حيلة»
له «حسنات» في سجل «الخطيئات»!

صنعا: ٢٧ صفر ١٣٩١هـ
٢٣ أبريل ١٩٧١م

[أُرسلتُ ضمن رسالة إلى الرئيس القاضي عبد الرحمن الإرياني
عندما كان رئيساً للمجلس الجمهوري اليمني، وكان صاحب
الديوان أحد أعضاء المجلس]:

يا ابن يحيى خذ الكتاب بقوة	فهو رمز العُلا وسرُّ النبوة
إنما الحكم بالمدارة عجزُ	ليس يرضاه حاكمٌ ذو مروءة
استعن بالأكفاء في كل فنٍّ	لا تميزُ أمومة أو أبوة
أصلُّنا واحدٌ وفي كل عرقٍ	من تراب البلاد تهفو بنوهُ
وأمانٌ يتيمهُ، وظنونٌ	مرعباتٌ ولهفهٌ وفتوهُ
لا تجامل من المشايخ فرداً	فهو إن لم تخضعه أبدى عتوهُ
واذكرنْ ماضي البلاد وفيها	مشيخات شتَّى، ودينٌ مشوهُ
بالتحدي للجهل والظلم تسمو	ومحالٌ تسطيع إلا بقوة

صنعا: ٢٨ صفر ١٣٩١هـ
٢٤ أبريل ١٩٧١م

تألم، ولم، وأندم، وغمغم، وهمهم
وهينم، و«هنجم»، و«انسجم» وترنم
وصمم، وعمم، وأستقم، وتكلم
و«ترخجم» و«هيشم»، و«اعتصم»، وتقدم،
وسلم، وحكم، وانتظم، وتعلم
و«أمم»، وجرم، وانتقم، وتظلم
وقل كل ما تهوى
فما في «تألم»

«ملام» ولا في الحزن مأوى «لمندم»!
وفي «غمغمات» السحر، أو «همهمات»؛
تفاسير ألغاز «الفقيه» «المهينم»!

أستطيع «هنجاماً» بدون مطامح
وتهوى «انسجاماً» دون أي «ترنم»
وما «صمم» الأحرار إلا و«عمموا»
«بقول» شجاع و«استقامة» مسلم
وما «ترخموا» إلا وتبع جدُّهم
وما «هيشموا» إلا «اعتصاماً» «بمقدم»
وما «سلموا» إلا «بتحكيم» عادل

ولا «انتظموا» إلا بقصد «التعلم»
وما إن «بتأميم» تسود عدالة
إذا كُنْتَ تُفْشِيهِ بِنْيَةَ «مجرم»!
وإن جار ذو حكم
فَقُرْ، و «انتقم»
وإن
فشلت فهاجر
و «انتقد، وتكلم»!

صنعا: أول ربيع الأول ١٣٩١هـ
٢٦ أبريل ١٩٧١م

٢٠٠ - الشر والخير

مَنْ قَالَ: إِنَّ «الشرَّ»، ليس «الخَيْرَ»
مِنْ «صُنْعِ» «البَشَرِ»..؟
والخَيْرَ ليس «الشرَّ»
مِنْ «صُنْعِ» الذي «خَلَقَ» «البَشَرُ»؟
فاسألهُ

هل مِنْ أَجْلِ «صُنْعِ» «الشرِّ» قَدْ «خَلَقَ» «البشر»؟!
واسألهُ

هل «خَيْرٌ» وجود «الشرِّ»؟
أَمْ ضَرٌّ وَ«شَرٌّ»؟

صنعا: ٢ ربيع الأول ١٣٩١هـ
٢٧ أبريل ١٩٧١م

٢٠١ - قوميتي

«قوميتي» في «الحب»
لا في «الاقتصاد» وفي «الدِّم»
ورثتها من عهد «آدم»
«معدم» عن «معدم»
لا «للبياض» ولا «السَّواد»
ولا «للعرق» أنتمي
«ديني» «مساواة الخليقة»
وهو «دين» «المسلم»!

تعز: ٤ ربيع الأول ١٣٩١هـ
٢٩ أبريل ١٩٧١م

لِلحَبِّ نَارٌ لَا وَقُودَ لَهَا
سَوَى مَهْجٍ «الْأَسَارَى»
«الْمُوثَقِينَ» بِمَا «تَخَايَا»
مِنْ «أَمَانِي»، أَوْ تَوَارَى!
«التَّائْهِينَ» مَعَ الْوَسَاوِسِ
فِي الْمَغَاوِرِ وَالصَّحَارَى
مُهْجٌ تَسَاقُطُ كَالْفَرَاشِ
عَلَى «مَصَابِيحِ» الْعِذَارَى

صنعا: ٧ ربيع الأول ١٣٩١ هـ
٢ مايو ١٩٧١ م

٢٠٣ — دمعة اعتراف

[على السيِّدة الفاضلة حورية بنت محمد المتوكل حرم الإمام
يحيى بن محمد حميد الدين؛ وقد انتقلت إلى رحمة الله في بيروت
ونُقل، جسَّانها إلى «صنعا» في شهر جمادى الأولى سنة
١٣٩١هـ/يوليو ١٩٧١م]:

ألوذ بالصَّبْر من حزني ومن تعبي	وأستجير به من وحشة الكربِ
ما زلت أخبط في قفر الحياة، ولم	أظفر بمطْلَبٍ، أقضي به أربي
موزع الهَمَّ مفوِّدًا أعلَّل ما	أبقى لي الدهر بالأحلام والكذبِ
قد علِّمتني الليالي كلَّ نائبةٍ	حتى غدوتُ «عميد» البؤس والنُّوبِ؟

* * *

واليوم أفجَّعُ في أهلي — وقد فجعوا	كما فجعتُ — بينت السادة النجبِ
بنت «البتول» التي ما إن عرفت لها	قرينةً من نساء العجم والعربِ
لو أن في الخلق من لم يأت منْقَصَةً	كانت هي المثل الأعلى بلا ريبِ

* * *

كانت تقول بأن الخلد موطنها،	ودينها خير مورثٍ ومكتسبٍ ^(١)
كانت ملاذًا لمن جلَّت مصيبتُه،	ومستجارًا لذي خوفٍ ومرتعِبِ

(١) في يوم عرفة سنة ١٣٨٩هـ، زرتها مسلِّمًا، وحاولت تطمينها قائلاً: «سنجتمع إن شاء الله قريبًا في وطننا اليمن»، فأجابت مبتسمة: «وطنُ المؤمنين الجنة يا ولدي»!

مثل النعيم، بلا عَجَبٍ ولا رَهَبٍ
والله حارسها من وحشة الغلبِ
مرضيةً دونما خوفٍ ولا تعبٍ

في القصر والكوخ، في البلوى تمارسها
الله نور لها في كل داجية،
أكرم بها في رحاب الخلد راضية

* * *

أهوالها، سحبٌ تطفئ على سحبٍ،
أحزانها؛ لهبٌ داجٍ على لهبٍ،
إلاً ومعرفةً أخرى على كتبٍ
وقلبها للرزايا غير مضطربٍ.
تتلى بها سورُ الإخلاص والأدبِ
تنفي به وحشة الآلام والوصبِ
أغلا من الجاه والأموال والنشبِ

«تسعون عاماً» مع الأحداث قد عبرتُ
«تسعون عاماً» من الآلام قد زحفتُ
«تسعون عاماً» وما تنجاب معركةً
وروحها بيقين الحق مدرعٌ .
حياتها؛ صفحٌ تترى مطهرةً
«تسعون عاماً» وذكر الله في فمها
كانت لأحبابها كنزاً ومُدخراً

* * *

لم يعرفوا الفرق بين الجد واللعب؛
من يحسب الشعر - أحياناً - من القربِ
وأحرق الحزن شعري في لظى حربي،
مع «الشراكس» و«الأتراك» و«العرب»؛

لولا اتقائي لما يرتأوه نفرٌ
ترجمتُ تاريخها شعراً يرتله
وضرَج القلب أنغامي بأدمعه،
قد كان تاريخها تاريخ أمتها

* * *

ومن جهادٍ، ومن شعرٍ، ومن حسبٍ
سَيُتركون ليوم الحشر في الطلبِ
وكلُّ تاريخنا للسيفِ والكتبِ

أمثولة المجد من علم وتضحية،
لكن من عبثوا بالمجد، وانصرفوا .
ما في «تقاليدينا» هزؤ ولا لعبٌ

* * *

أضحت ذخائرنا نهباً لُمْتَهَبٍ؟
«شقاشق» دونما قصدٍ ولا أربِ

كيف السبيل إلى درب الخلاص وقد
أستغفر الله رغم الأنف قد هدرت

به يدُ هلكت في شر منقلبٍ
وتبَّ حين بغى الطاغى «أبولهب»؟

لكنَّه الحق عرض الله إن عبثت
طوفانه لم يجامل «نوح» في ولدٍ

* * *

فأحرزت أجر مظلوم ومغترِبٍ
من الكرامة، والأيمان والأدبِ
تعنين بالخير والإحسان والقُربِ
يا أخت خيراخ؛ يا بنت خير أب.

يا من قضت نحبها؛ والدار نائيةُ
الله أولاك ما أولى أحبَّته . .
فعشت عازفةً عن كل مُغريةٍ
إلى النعيم، إلى الفردوس فانتقلي

بيروت: جمادى الأولى ١٣٩١هـ

يوليو ١٩٧١م

٢٠٤ - إلى أبي الحسن الطاهر

[وكتب - وهو في الطائرة بين بيروت ولندن في ٢/٥/١٩٧٢م،
إلى الأستاذ المجاهد محمد علي الطاهر]:

«أبو حسن» بذّ الأنام بعزمه وإخلاصه للحق في السر والعلن،
تسامى عن الأطماع حراً مجاهداً يصول، ولا يخشى الكوارث والمحن
وإن قال لم يترك مجالاً لقائلٍ وأصغت له الدنيا ودار بها الزمن
وبالزهد في الدنيا استقلَّ برأيه فأصبح وهو البيت والأهل والوطن
وأعطى «فلسطين» الشهيدة عمره بلا منةٍ قد تزدهيه، ولا ثمن!
وللعرب من سفح «الرباط» مغرباً

وحتى الشواطي في «عُمان» ومن «عدن»
وفي «تونس»، أو في «الجزائر» أوربا «الكند

سانة» أو أرض «العراق» أو «اليمن»
يؤرّقه الظلم الذي يبتليهم به طغمةُ الأطماع والظلم والفتن
أشاد لهم ذكراً، ونافح عنهم، ومعظمهم جهلاً يغطّون في الوسن

* * *

«أبا حسن» فاقبل تحية مخلص؛ لك الود طبعاً في حشاشته سكن
ولا غرو «الزبيدي» رأياً ومذهباً مودته مضمونة «لأبي الحسن»؟^(١)

(١) كنية الأستاذ الطاهر «أبو الحسن»؛ وهي كنية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . . و «الزبيدي» نسبة إلى مذهب «الإمام الشهيد زيد بن علي» رضي الله عنه .

٢٠٥ — رسالة منظومة^(١)

[إلى الأستاذ أحمد محمد نعمان]:

من رسولي إليك يا «نعمان»
يا رفيقاً شعاره الإحسان!
كنت لي مرشداً حصيفاً
فهل عندك يُرجى للتأهين الأمان؟
لم أجذ مهرباً من الغدر إلا
أنت . . يا مَنْ هو الصِّفا والحنان!
فرَّقنا الأوهام دهرًا وها قد
جمعتنا الأهداف والأشجان.

* * *

لست أنسى ونحن من ثلث قرنٍ
في المآسي وفي العلا أقرانُ
و «الزُّبيري» يسمو ويسرح
في آفاقه! وهو شاعرٌ فنانٌ
وأنا في محاولات بياني
أفتفيه . . وأين مني البيان؟

(١) الترتيب التاريخي لهذه القصيدة يقتضي أن تكون بعد نشيد السلام، وجلُّ من لا يسهو.

وأخونا «زيد» يصول كلَّيْثُ
والزعيم «المقلَّد» «النعمان»
تلك أسماؤنا شعارات مجدٍ
تتباهى بذكرها الأوطان
وإذا بي من بعد في صَفِّ قومٍ
مُسْنِي منهم الأذى والهوانُ
أسرفوا في المنى يزِينُها «الفعلَى»
أو «المَفْعَلَى»، أو «الفَعْلَانُ»!
والبهاليلُ في «المساجِدِ» غرثي
و«فلان» من ضِمنِهِم، و«فلان»!
وإذا أنت بعدُ ضِمنَ أناسٍ
يتولَّاهُم حَقودُ جبانٍ
فتناجَتْ أرواحنا فتداعَتْ
لقواها الأسوار والقضبانُ!
ضمن «سلك» «الأثير» قد جمعتنا
كلمات يسمو بها الإنسانُ
قصةُ «البيت» و«النجاة» و«سِجْنُ»
و«قيودُ» وما أتى «رمضانُ»!
قلتَ لي: صرْتُ في بلادي غريباً
أسرتاي . . «الألمان» و«الطليانُ»؟
لم تعد لي ولا «لمثلي» «صنعاءُ»
كاد أن «يَسْتَخَف» بي «ذبحانُ»
لا الرفاق الرفاق ممن ألفناهم
قديمًا . . ولا الزمان الزمان

فاجأتنا «الأحداث» ممن ظننا
أنهم مثل قولهم «إخوان»
قلت: كيف الخلاص؟ قلت بصبرٍ
وجهادٍ يحثه الإيمانُ
إن يوماً في الغيب!
يجتمع الأحرار فيه
على حقوقٍ تُصانُ
سوف يأتي
والظلمُ دونَ نصيرٍ
ويطيحُ العدوانُ، والبهتانُ
فإذا بي وحدي
مع الخوف والإشفاق
والكونُ نائرٌ غضبانُ
وعتادي مشاعري
وسلاحي كلماتي
وعدتي القرآنُ
وجنودي المشردونَ الحيارى
ورفاقي الآلامُ والأحزانُ
هكذا.. والطريق يبدو طويلاً
تتعاوى في دَرَبه الذُّببانُ
ليس يدري ما في فؤادي سوى الله
وصحب لعهدهم ما خانوا
منهم من قضى شهيداً، ومنهم
قلّة في انتظار أمرٍ يُحان!

وإذا بالأخ «الزبيري» يقضي
«مُسْتَقِلًا» شعاره «الفرقان»
لم يكن وحده يُرادُ ولكن
مَعَهُ «الإرياني» و «النُّعمان»!
رُعِبُ قتلِ «الصديق»
قد «أذهل» «الجاني»!
فولَّى
وهو الذليلُ، الجبانُ!
وإذا «بالنعمان» في «السجن» قهراً
والأسارى الإخوان والأقران
وإذا «بالويلات» تكتسح الأحياء
والأفق كله نيرانُ
و «اليمانون» في المفاوز صرعى
تتهادى أشلاءها العقبانُ
وإذا «إسرائيل» تعلنُ «حرباً»
وعلى «العرب» يزحف العدوانُ
وإذا في «الخرطوم»
يجتمعُ «القوم»
وكلُّ يزوغُ منه اللسانُ
لا يُبالون
«الروح» . . يبقى مريضاً
إن تعافى
لزورهم «جثمان»
ما «فلسطين» عندهم غير «بحث»

و «نقاش» يدارُ، أو «مهرجان»!
تتبارى فيه «الخطابات»
و «الأموال»
و «الثَّائرون» و «التَّيجان»!
«محنة» العُرب أن من ثار فيهم
و «تولَّى» . . أضحى هو «السُّلطان»!
وإذا بي . . وأنتَ في أرض «لبنان»
ولا «رِقْبَةٌ» ولا سَجَانُ!
نبحثُ «الأمر» مخلصين
لأننا قد فهمنا
وسادنا العرفانُ
لا نُبالي «الأسماء» مهما تفانى
في رضاها «الأشباه» و «الفتيان»
نرفض الجاهَ و «المناصب» والمالَ
ولا يستذلُّنا «الصولجان»!
نحن لله والعباد . . عبيدُ
همُّنا العدل، والهدى والأمانُ
لا نُبالي «عمرؤ» يسود ولا «زيد»
ولا «عدنان» ولا «قحطان»
همُّنا أن يكون للشَّعب رأيٌ
واختيارُ، وحكمه القرآن!
لا اغتصابٌ للحكم بل بانتخابٍ
يتولَّى «تَقْنينُهُ» «برلمان»

وسنبقى للعدل و«العلم» ندعو
نهجنا «الاستقلال» و«الاتزان»

سمرست، بريطانيا: ٨ رجب ١٣٨٨هـ
٩ أكتوبر ١٩٦٨م

تعالَيْ هُنَا
عندي لكِ اليومُ قِصَّةُ
حكاها «لحوًا» «آدم»
في رُبا الخلدِ!
حكايةُ «إثم» بثَّ طَيْرٌ لِإِلَهِهِ
وأفضى بمكنونِ الصبابةِ والوجدِ
دعيني . . فإني «آدم»
مثل «والدي»!
وسري «لحوًا» سرَّ «جنسي» من بعدي

لندن: أول صفر ١٣٩٢ هـ
١٦ مارس ١٩٧٢ م

القبلات في فمي
«خمر»، وفي دمي سعيْرُ
أذواقها . . أشكالها
سلني . . فإنني . . خبيرُ
عرفتها منذ الصِّبا
والقلب كالطفل الغريْرُ
ولم أزل أقطف من
لذاتها كلَّ نضير
هذي تذوب شهوةً
وتلك تسري . . كالنمير!
وقبله تعصف بي
وقبله مثل «العبير»، وقبله نعي، وأخرى . .
هي شرٌّ مستطيرُ
تحرق أعصاب الهوى
وتُشعل «الجنس» . . الحقيْرُ

* * *

أيام عمري ييسَتْ
وجف زهرها العطيرُ

بالقبلاّت
فإلى مَنْ
مِنْ لظاها؟
أستجير!

لندن: ١٧ صفر ١٣٩٢هـ
١ أبريل ١٩٧٢م

٢٠٨ — غزل الأعمى

هل أراها.. ؟
نعم
ولكن بعين
لا ترى في الوجود
شيئاً.. سواها!
هي ملء الوجود
لا حسن إلا حسنها
لا عطور
إلا.. شذاها
هي كل الحياة
لا ضوء.. لا بهجة
إلا.. ابتسامها.. وسناها!
أنا.. في أسر حبها وهواها
أنا.. «أعمى» بها
لهذا «أراها»!

بيروت: ٥ رجب ١٣٩٢ هـ
١٤ أغسطس ١٩٧٢ م

٢٠٩ — مات عهد الهوى

اذهبي
وأخطمي الهوى وقبوه!
واسحقيه
قديمه.. وجديده! قصر أحلامه
خذي.. معول البغض
بلا رحمة.. وهدي مشيده
ورياض الغرام صبي عليها
وعلى زهرها.. السموم المبيده
والينابيع غورها
وعيشي بالدوالي
وبالثمار النضيده..!
«مات عهد الهوى»
وكفنت باليأس
وحنطت شوقه ونشيده!

* * *

فاذهبي.. رغم الأنف
مرغوبة الأحلام
تجري خلف الأمانى الطريده

واقطني شوك الكُرهِ
في غابة النسيانِ
مسلولة الزَّمانِ
وحيدَه
قد طعنَتِ الوفا غرورًا وطيشًا!
وبلا حشمةٍ
ودُست وروده!
فاخرجي
من حياة قلبي
لقد مزقتِ آمالَه
وخنَتِ عهدَه!
واذهبي
لا يركاك في رحلة الهجرانِ
إلا... الندامةُ.. الموعودَه

بيروت: ٢٢ رجب ١٣٩٢ هـ
٣١ أغسطس ١٩٧٢ م

٢١٠ - نشيد حياتي

كم قد روى القصَّاصُ ؛
وكتبَ المؤرِّخونَ ..
عن «قِصَّةِ» «الوحدة» في «اليَمَن» .
لكنَّ سطرًا واحدًا . . .
عن «قِصَّةِ» «الوحدة»
لم تكتبِ الأَقلامُ عنه حرفًا :
حكايةُ حزينَةٍ ؛ لقائدٍ شجاع ..
أرسلَهُ «الإمامُ» .
في زُمرَةٍ من الجنودِ ؛
إلى مدينةِ «الضَّالعِ» في «الجنوبِ» ،
وزحفَ «القائدُ» و «الجنودُ» ،
و «استوطنوا» «الضَّالعَ» .
والقرى المجاورة ، . .
وظلَّ فيها «عاملاً»^(١) . .
ردحًا من الزمنِ .
يحاولونَ «الزحفَ» و «السُّرى»
إلى جبالِ «يافعٍ» ،

(١) العاملُ يعني «المحافظ» في العرف الحالي .

وما وراءها . . . من السُّهولِ والجبالِ .
من أجلِ «وحدةِ اليمن» !!
كم ناشدَ «المواطنين» أن . .
لا يَسْتَكِينُوا لِكَلَامِ «الإنكليز» . .
وأن يحاربوا الْفُرْقَةَ . . . إيماناً . . .
بوحدةِ «الوطن» . .

* * *

قد كَانَ «والدي»^(١)
وفي «رُبا» «الضالع» قد . .
ولدتُ . . . واستنشقتُ أنفاسَ الحياة . .
وبعدَ سَنَوَاتٍ . . .
وبعدَ أن دارَ «كلام» . .
بين «السِّيَاسِيِّينَ فِي . .
«صنعاء» وفي «عدن» ؛
و «عامِلُ الضالع» لا . .
يعرفُ ما يجري ولَا . .
يَفْهَمُ ما يدورُ !! .
إذا بحَرْبِ «الطَّائِرَاتِ» .
تُشَنُّ . . . وإذا . . .
بالنَّاسِ فِي رَغَبٍ رَهِيْبٍ ،
يَعْمُ أَصْقَاعُ «اليمن» . . .
يواجهونَ الحربَ . . «حربَ الطَّائِرَاتِ» .

(١) السيد محمد بن محمد الشامي .

وَضُرِبَتْ «دَمَارُ» وَ«تَعِزُّ»،
 وَ«إِبُّ» وَ«يَرِيمُ»،
 وَمَرْكَزُ «الضَّالْعِ» .. بِالْقَنَابِلِ الْكِبَارِ؛
 وَهَيْجَ «الْمُسْتَعْمَرُونَ»،
 عُنَاصِرَ «الْفَرْقَةِ» وَالْفَسَادِ ..
 وَحَرَكُوا .. مَشَاعِرَ «التَّمْيِيزِ»،
 وَنَبَشُوا دَوَافِنَ «التَّفْرِيقِ»،
 وَتِلْكَ «مَنْشُورَاتُهُمْ» مَعْرُوفَةٌ لَدَى الْجَمِيعِ ..
 بِطَائِرَاتِ حَرْبِهِمْ، كَانُوا يُوَزُّعُونَ؛
 وَكَانَ فِيهَا مِنْ «سُمُومِ الْفَتَكِ»،
 مَا يَقْتُلُ الْأَرْوَاحَ وَالْعُقُولَ.
 وَمَعَهَا قَنَابِلُ الدَّمَارِ ...
 بِطَائِرَاتِ حَرْبِهِمْ ... كَانُوا يُصَوَّبُونَ،
 عَلَى الْبُيُوتِ وَعَلَى الْأَكْوَاخِ ..
 فَتَهْدُمُ «الْعِمَارَا» وَتَسْحَقُ «الدِّيارَا» ..
 وَتُهْلِكُ «النُّفُوسَ»، وَتَحْطِمُ «الْأَجْسَادَ»،

* * *

تِلْكَ «الْمَنَاشِيرُ» الَّتِي تَقُولُ:
 الشَّافِعِيُّ فِي «الْجَنُوبِ»،
 عَلَيْهِ أَنْ يَحْذَرَ وَيَخَافَ ..
 مِنْ ذَلِكَ «الزَّيْدِيُّ» فِي «الشَّمَالِ»

* * *

وَقَدْ نَسُوا أَنَّ «الْيَمْنَ»،

بكلِّ ما فيها . . . من السُّهولِ ، والجبالِ ،
بكلِّ ما فيها . . . من الوديانِ ، والنجودِ ،
«جُغرافيا» موَحِّدَةً ،
«سُكَّانها» موَحِّدُونَ ،
يُخلِقُ «الجُغرافيا» مُنْطَبِعُونَ ،
و «بطبيعة» «الثَّرى» مُرْتَبِطُونَ ،
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَهْبِطَ «أديانُ» «السَّما» ،
وقبل «تَشْرِيعاتِ» أَفْذاذِ «البَشَرِ» !

* * *

ولم يَكُنْ «قحطانُ» «زَيْديًّا» ،
وَلَا قَدْ كَانَ «شافعي» ،
ولم يَكُنْ «عدنان» «شيعيًّا» ،
ولا قَدْ كَانَ «ناصرِي» . . . !
ولم يَكُنْ «تُبَّع» أَيُّ «تَبَّعٍ» . . .
يدين «بالمذهبِ» أَيُّ «مذهبٍ» . . .
إِلَّا . . .
بأنَّهُ . . . يعيشُ . . . في «اليَمَنِ» . . . !
«شمالُها» ، «جنوبُها» ، و «شَرْقُها» و «غَرْبُها»
«جُغرافيا» . . . «موَحِّدَةً» . . . !
ليسَ «لِمَذْهَبٍ» «أَصِيلٌ» ،
ولا «لِتَقْنِينٍ» «دَخِيلٌ» . . .
ولا «لِتَشْرِيعٍ» «قَدِيمٌ» ،
ولا «لِمَبْدَأٍ» «جَدِيدٌ» ،
قُدْرَةُ «خالِقٍ» . . .

تَغَيَّرَ «السَّهولَ» و «الجبالا» ..
و «القفرَ» و «الغاباتِ» ..
و «تَمَسَّخُ» النجودَ» و «الوديانَ» في ..
«طبائعِ» «البشرِ»
«القاطنين» في ربوعها ..!!
لكنَّها ... لكنَّها ...
«الحيلةُ» .. القديمة ...
و «قَبْلُ» أن «تُصْبِحَ» آمالُ «البشرِ»،
و «قَبْلُ» أن «تَغْدُو» «مَصائِرُ» «الأُمَم»،
و «قَبْلُ» أن «تُمسي» .. «الشعوبُ» ..
في .. «قَرْنِنا العِشرينَ» .
في .. «قَبْضَةِ» «الجمهورِ»
وتحتَ «رحمةِ» «العَمَلِ» ..!
لكنَّها ... لكنَّها ...
«الحيلةُ» .. القديمة ...
«فَرَّقَ تَسُدُّ» .
أرادها «المستعمرون»،
كما أرادها من قَبْلُ .. أو ..
من بعدُ كُلِّ حاكمٍ ..
أو ملكٍ غشومٍ،
أرادها «المستعمرون» ...
ومزَّقوا بها «اليمن» ..!

* * *

وُسِّنَتِ الغارات ..

وهاجر «الطُّفلان» والأُمُّ الرُّؤومُ،
إلى رُبا «صنعاء»،
ثم إلى «خولان»،
وتركوا وراءهم . . .
«العامل» الشُّجاع،
وزمرة الجنود . .
ينتظرون سرعة الإمداد . .
«محاصرين» ثابتين؛
لكنَّهم قد أُهملوا . .
كأنَّهم من زمرة الأعداء .
أو أنَّهم قد أصبحوا . . . ضِمنَ «رعايا» «الأنقليز» .
وانسحبَ «العامل» و «الجنود» .
وتركوا «الضالِّع» للأعداء .
وفي جفونِه؛ دموعُ «اضطراؤ»؛
وفي قلوبِهم؛ همومُ «استنكار»؛
وناشدوا «الأمير» عودةً!
بالمال، والسلاح، والرجال .
لأنَّهم جميعهم . .
يقدِّسون «وحدة» «الوطن» .
لكن . . . لأمرٍ مبهمٍ .
قد ضيَّعَ «التَّنَافُسُ»؛
مصلحة الشَّعبِ، «ووحدة اليمن»!

* * *

وحصدَ «الوباء» بعضَ «إخوتي»؛

ونفذ «الصبر» بقلب «العامل» .
وترك «الأمير» ومضى . . .
على جواده الأشهب . . .
يقطع . . . السُّهول والنجود . .
كانَ جلال «الأربعين» .
يحوطُ ذلك الجبين !
والشَّعرات البيضُ !
قد وَخَطَتْ بنورها . . .
عوارضَ الوجهِ الكريم . .
وكانَ «موقف» رهيب . .
حكَّتْ لنا «الأم» الحنون . .
كما حكاهُ «الحاضرون» . .
وانكسرتْ حوافز الأحلام . .
وانحطَمَ الولاءُ «للإمام» .
وحاولَ الكلام . . .
لكنَّ معشرًا من الكرام .
قد نصحوهُ أن يؤمَّ . . . «المسجد الحرام» . .
يَقْصِدُ «بيتَ الله» للحجِّ . . وينبذُ الخصام . .

* * *

ويا لها من ليلةٍ ليلاء . . .
و«عامل» «الضالع» في . .
آلامه . . قد ابتهل . .
«القائد» المهزوم . .
يَنثُرُ «الدموعَ والقُبل» ،

مودِّعًا «طُفْلِيهِ» . . .
و «الزَّوْجَةَ» . . . والأَمْلُ !
و «الْأُمَّ» في شِجَاعَةٍ . . .
تَحْنُو الْيَدَ الْيَسْرَى عَلَى «الْجَنِينِ» ،
فِي جَوْفِهَا الْأَمِينِ . .
وَيُدُّهَا الْيَمْنَى ،
«بِخَرْقَةٍ» صَغِيرَةٍ . .
يَدْعُونَهَا «الْمَصْرَ» . .
«تُكْفِكِفُ» الدَّمُوعَ . . .
دُمُوعَ ذَاكَ . . «الْوَالِدِ الْبَطْلُ» .

* * *

وَفِي رَحَابِ «مَكَّةَ» الْمَكْرَمَةِ!
فِي قِصَّةٍ سَجَّلَهَا الْقَلَمُ!
بِشِعْرِي «الْمَنْغُومُ» . .
حِينَ «حَبَجْتُ» بَاحِثًا . .
عَنْ «قَبْرِي» «الْمَجْهُولِ»^(١) . .
فَارَقَ دُنْيَا النَّاسِ ذَلِكَ الشِّجَاعُ!
وَجَاوَرَ «الْبَيْتَ الْحَرَامَ» . .

* * *

وَنَحِيمُ الْيَتَمِ . .
عَلَى «الثَّلَاثَةِ» الصَّغَارِ!
و «الْأُمَّ» وَالْبَيْتَ الْجَدِيدُ .

(١) راجع المجلد الأول (ص ٤٣٦) قصيدة «قبر الحاج محمد» .

وظلّت «الأطياف» في شتّى الصور،
وفي «الحزاوي» وأحاديث «السّم»،
عن «والدي» و«الحرب» و«الضالع» و«عدن»،
تحيا معي في كل حين،
تعيش في بيتي، تقول لي:
إني .. «أنا» .. «ابن الجنوب»،
ولدت في «الضالع» .. لي بيت بها ..
ولي «نسيب» ...
«أبي» بسمّ القهر قد مات .
لأنه قد غادر «الضالع» !

* * *

هذه هي «الوحدة» في «طبيعتي» .
في غفوتي ، ويقظتي .
وسلوتي ، ووحشتي ،
وهجرتي ، وعودتي .
وذلّتي ، وعزّتي ،
أعبدّها . . . لأنها . . سر بقاء أمتي . !
ولم أكن أنا الوحيد . . .
فوحدة «اليمن» ،
معبودة «الأحرار» في «الشّمال» و«الجنوب»

لندن : ٢٠ شعبان ١٣٩٢ هـ

٢٨ سبتمبر ١٩٧٢ م

٢١١ — الثورة والتصحيح والسّلام

ذلك الحاكمُ بالأمسِ مضى
غير مأسوفٍ عليه ..
قد تجنّى ؛ وبلا عدلٍ قضى ،
وأتى ما يشتهيهِ ،
لم يكن يحسبُ للحقِّ حساباً .
هكذا .. قلنا ! .
أرهِق الشعبَ اضطهاداً وخراباً ،
ولذا .. ثرنا
وتصرّعنا : صغاراً ، وكباراً ،
وشيوخاً ، وشباباً ،
في سبيلِ العدلِ
نرجوه ..
ولو كان اضطراباً !! ..
والمساواة ،
ولو كانتْ
شقاءً وعذاباً !! .
كم طعمنا العيش مرّاً ،
كم تذوّقناه صاباً ! .

* * *

وإذا بالثورة الكبرى التي
قد قتلناها:

سؤالاً، وجواباً،

وجهاداً، وطلاباً،

وضلالاً، وصواباً،

وصلاةً، وانتظاراً،

ودعاءً، وانتحاباً،

وقيوداً، ودموعاً،

وسياطاً، وصعاباً..

طلعت في فجر يومٍ

كم ترقّبنا شروقَه..

تملأ الدنيا بصوتٍ

يهبُ الشعبَ حقوقَه!.

ثم.. ماذا؟.

لحظةُ الفرحِ كانت

لحظةً جدّ قصيرةً.

ما ازدهت حتى استكأنتُ

لشروقٍ مستطيرةً.

للأفاعي تتلوّى،

تنفثُ السمَّ المبيدُ،

باسم «قحطان» و«عدنان»،

و«فرعون» العتيذ!

باسم من ثاروا قديماً..

ثم ثاروا من جديد..

وإذا بالناسِ ظلمًا يُقتلونْ،

و «الزُّبيري» يتواری

خجلاً مما يكون! .

وإذا الأحرارُ خوفاً يهربونْ؛

وبأصحاب المبادي يُصرعونْ،

والألى كانوا دعاةً يُسجنونْ،

دونما ذنب يُشاعْ،

دونما جرم يُذاغْ،

دونما حُكم يُطاعْ.

وإذا بالثائرينْ،

دونما أي اتِّهامْ،

علناً يُضطهدونْ! .

ويقولونْ، بحزنٍ:

هكذا.. كان «الإمام»..

بل، ومما كان أنكى

أنه قد كان بعض الوقت يخجلْ،

بل، ومما كان أدهى

فبإسم الشعبِ..

سَيِّقَ الشعبُ.. يُقتلْ!

قد أتى الجهالُ والقوم اللئام

في سويعاتٍ قليلهْ،

ما أتى من قبلهم ألفُ «إمام»

في الأساطير الطويلة!!! .

وإذا بالشعبِ،

في حزنٍ عميقٍ ،
يتمطى . . بعد ما كاد يفيق .
وإذا من كان حرًا ثائرًا
يعلنُ العصيانَ ؛
في سخطٍ وضيقٍ !
ثائرًا ثارَ على ثورته ،
ألبَ النومَ على يقظته ،
حرَّضَ الذِّلَّ على عزِّته ،
أسبَلَ اللَّيْلَ على صحوته ،
ثار - رغمَ الأنفِ -
لما أن رأى . . .
خطر « الغزو » على ثورته !
فضَّلَ « الجهلَ » عزيزًا ،
والشُّقا ،
مُستقلَّ الرأي في شقوته . .
وتعالت صرخاتُ ،
وتوالت وثباتُ ،
واستشاطَ الشعبُ غيظًا عندما
هجمَ البغيُّ على عزِّته ،
وتولَّى أُمْرَهُ قومٌ يرى
فيهمُ الشرَّ على ملِّته .
صفَّدوا الأحرار من أبنائه
ونفَّوهم . . دونما رغبته .
فاستعاذ الشعبُ بالحقِّ ، وقاومَ .

الذي ثارَ . ومن والى وسالَمَ ،
والذي رابطَ ،
والشاردُ في الآفاقِ هائمٌ
جمعتهم ..
غضبَةُ «الثورة» في وجهِ المظالمِ .
وتعالى الصوتُ
صوتُ الشعبِ
يدعو . للسلامِ
وبأن الأمرَ «شورى»
و «المساواة» نظامٌ .
أنكر «الحربَ» ومن يدعو لها ،
ورأى «العزَّةَ» في «وحدته» .
أرجعَ «الحُكْمَ» إلى «أحراره» ،
الألى عاشوا ضنى محنته ،
ونفى كلَّ «دخيلٍ» مفسدٍ ،
كاد أن يقضي على «ثورته» .

لندن : ١٣ شوال ١٣٩٢ هـ

١٩ نوفمبر ١٩٧٢ م

وطفّق المهاجرون!
 مَنْ فَقَدَ اسمه؛ وتاهَ حائِراً،
 ومن تباهى باسمه؛ وتاهَ ثائِراً،
 في فلوات التّيه يبحِثونَ عن وطن،
 يفتشونَ في البراري والبحارِ عن سَكَن،
 تفرّقت بهم مذاهبُ الشرورِ والفتن،
 ومزّقتهُم رغبات الطامعين في «اليمن»،
 ووقفَ الشاعرُ مرّةً يقولَ في حَزَن:
 هل نحن حقاً نَنتمِي إلى بلادنا «اليمن»؟
 وَقَفَ «الشاعر» وقفةً اعتبار،
 يسألُ ماذا؟! ولماذا نحن تائهون؟
 هل بشقاء الأولين؟
 هل بذنوب البائدين؟
 يوماً من الأيامِ قد كانت
 بلادنا «سعيدة» ..
 طيّبة كانت
 ورُبُّها غفورٌ ..
 كما حكى «القرآن»!

ثم طغى «العصاة»،
 واستكَلَبَ الطغاة.
 فاندثرت تلك الدِّيارُ،
 ومُزَّقوا «أيدي سبّا» . .
 لكنَّها كانتْ ذنوبَ الأولين .
 ما ذُنُبنا نحنُ تُرى؟
 إلى متى؟ . . إلى متى نَظَلُّ تائهين؟
 إلى متى؟ . . إلى متى؟ . نَظَلُّ في الوضعِ المشين؟ .
 مُستضعفين، خائفين، حائرين!
 آباؤنا كانوا قديمًا سادة . .
 فكيف أصبحوا عبيد؟ .
 آباؤنا سادوا وشادوا،
 وبنوا . . «غمدان» . . فكيف عادوا
 بين أغوارِ الكهوف، نائمين؟
 إلى متى . . إلى متى؟ .
 وقالها «مهاجرٌ» رفيقٌ^(١)
 «صنعاء»، قلبُها عصيٌّ! .
 وقال لي: هل من مزيد؟
 فارتعشتْ نوازعُ الحنين،
 وتَهِتُ «سَنواتُ»
 بحثًا، وتفكيرًا، وشوقًا، وضنى!
 في كلِّ موجزٍ مفيدٍ، عن العذاب، والعنا؛

(١) الأستاذ محمد بن أحمد محمد نعمان .

وليس عن «صنعاء» فقط ،

بل عن فنونٍ وشؤونٍ

«اليمن الكبرى» . .

من القديم والجديد ، و «الدخيل» و «الأصيل» ؛

تهتُ وحيداً في مفاوز التاريخ ؛

أبحثُ عن نفسي . . وعن سعادة اليمن^(١)

وقصص المهاجرين^(٢) ،

وقصص الطغاة والحكام في كلِّ زمانٍ . .

وصلح «دعّان» ،

وقصّة «الوحدة» والذين

«اختصروا القرآن» ،

وثورة «الدستور» ،

والشهداء الخالدين . .

وعُدتُ أدراجي . .

أهذي بأنغامي !

وكُلِّما رأيتهُ ،

أو لامستهُ خلجاتُ الشعرِ

أو شافهتُهُ نبضاتُ الحسِّ ،

أو جسَّه الخيالُ ،

غنيتهُ ، رويتهُ ، كتبتهُ ؛

وكانتِ القصّةُ ،

(١) تجد بعض ذلك في «أسطورة اليمن السعيدة» و «الدامغة» .

(٢) في قصيدة «من اليمن» .

قصّة المهاجرين ..
 تروي «الدموع»،
 دموع هارين،
 أو ثائرين .. أو مغامرين!
 وكلّها تقول ما يقوله «المهاجرون»:
 «صنعاء قلبها عصيّ».
 وهم يرددون:
 نحن إلى «السلام» ندعو الجميع،
 شعارنا «المساواة»،
 والكلّ أبناء «اليمن».
 ويصرخ الصوت الذي ظلّ يهيم،
 يرتل الأنين والحنين.
 يقول في صوت حزين،
 يقطر منه أمل «الحياة»:
 «صنعاء يا لحن الزمان البكر في سمع العدم،
 «صنعاء يا أول حرفٍ خطّ في لوح القدم
 أنا الذي قد بارك الألام فيك واصطبر،
 لولا علاك لاندحرت، لولا هواك لانتحرت،
 لولا خيالات الوصال، ما تغنى، أو شعر».
 ورقّ ذلك القلب العصيّ
 للألحان والدموع ..
 وقيل «القربان»
 مكللاً بالشعر والأنعام .
 وكانت «الثلوج» قد تراكت،

وكانت «النيران» قد تَلَا حَمَتْ،
 وكانت «البروق» و «الرعود» قد تَزَا حَمَتْ،
 وكانت الظنون والأوهام قد تَضَرَّجَتْ
 بالشعر، باكياً، وراثياً،
 والسحر، واشياً، ولاغياً،
 لكنَّ قلبَ «الخشع» «العائد» لم
 يفزع لهول ما رآه! .
 لأنه قد «عاد» «تائباً» إلى
 «القلب العصي» مما قد جناه! .
 حتى «الثلوج» . .
 أحرَقها بزفراتِ أضلَعِه!
 و «النار» قد برَدَها بأدمعِه!
 حتى «البروق» قد
 قال لها: لا تلمعي .
 و «للرعود»: أنصتي، لا تهلعي .
 حتى «الظنون» استَسَلَمَتْ،
 و «الوهم» قد صلبَه فلا يعي،
 و «الشعر» قد رَقَصَه بشعرِه،
 و «السحر» قد سحرَه بسحرِه .

* * *

وإنما رَوَّعَه، وأفزعَه،
 وكان قد أمضَه وأفجعَه،
 كما أقض مضجعَه،
 أن الذي قد خانَه وأوجعَه،

من كان بالأمسِ معهُ! . .
رفيقُهُ في الجهلِ والصوابِ،
والصدق، والكذابِ،
وفي الثواب، والعقابِ،
قد كان أشرسَ الذئابِ،
وكان أغدرَ الصُّحَابِ! .

* * *

فجرجر الذيل . . وعاد ساهما
يكفكفُ الدموعُ،
ويدفن الآلامَ
في . . القلب الذي بين الضلوع،
ويشعلُ الأحزان
للتأريخ . . كالشموعُ،
ويرتجي اليوم الذي،
يهواه في تلك «الربوع» .

لندن: ١٥ شوال ١٣٩٢هـ
٢١ نوفمبر ١٩٧٢م

من ليل السحر

تمثيلية غنائية

يقوم بالأدوار الصوتية :

- ١ - القيل «ذو رعين» الحميري .
- ٢ - المجهول .
- ٣ - البلبل .
- ٤ - الهدهد .
- ٥ - نعاس ، ابنة «ذو رعين» .
- ٦ - الخيال .
- ٧ - صنعاء .

إيقاعات الألحان بالعود المنفرد كالتالي :

- ١ - القوس : وامفرد بوادي الدّور :
 - ٢ - لي في رُبا حاجر :
 - ٣ - يا مغير القمر :
 - ٤ - مدارب السيل :
 - ٥ - يا جانبايات العناقيد :
- «الحارثي» .
«الحارثي» .
«الأخفش» .
«طارش» .
«السنيدار» .

وهناك فواصل موسيقية : «برع» و «مزمار» و «فرتاش» .

٢١٣ - مَنْ يَشْتَرِي السَّهْرَ؟

المشهد الأول

[«مَفْرَج» صنعاني فيه بركة صغيرة ذات «نافورة» (شاذروان)،
والأضواء خافتة، ونسمع إيقاعات عود يترنم باللحن القديم
«القوس» في صوت: «وامغردُ بوادي الدُّور».. وتنساب
الإيقاعات رويدًا رويدًا.. وهناك كُرسي قديم، يقعد عليه
شخصٌ صاحب اللون لا تكاد ملامح وجهه تبين - هو «القيـل
الخميري ذو رُعين» - وهو ينشد]:

ألا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بنومٍ؟
سعيدٌ من يبيتُ قريـرَ عَيْن!
إذا ما جَميرٌ غدرتْ وخانتْ
فمغفرةُ الإلهِ لذي «رُعين»

وما إن يصمت حتى تتعالى إيقاعات العود، فيعاود «ذورعين»
النشيد قائلاً:

ذورعين : مَنْ يَشْتَرِي السَّهْرَ؟
يا طالبـي الحياه !
هناك .. في الوادي
حيث شوارِدُ المنى
تأوي مع الأحلام؛
يقفُ شاعرُ الهوى
«يفرش» دكان السَّهر!

يبيعه للنائمين
لمن يهيم حسه
لمن يطير وهمه
خلف فراشات السهر

ويتوقف «ذو رعين» وإذا بصوت «المجهول» ينبعث من إحدى
الزوايا:

المجهول: لا تعذله يا رفاق.. فالشاعر العتيد
قد سئم النوم.. ولاذ بالسهر
يطلبه.. ويجتديه!
النوم.. والغفران
ملهما.. قلاهما..؛
أفضل منهما.. مع الحياة والقلق
والطيش.. والتزق
الشهد.. والحرمان!
الشاعر العتيد.. «ذو رعين»
قد سئم الكلام.. ولاذ بالصمت الرهيب
في كهفه.. يتيه
ويمقت النوم.. ويلعن الكلام
ماذا تفيد الكلمات؟
قد أصبحت مقتولة.. مصلوبةً مسحولة!
أو «موميات» في «قواميس» الهراء
موثقة.. مسجونته
تلك «قواميس» الهراء.. هي الفناء..؛
سجونها.. ملعونه قبرها معفونه

عشاقها المستضعفون . !
هم الذين انطلقوا . . بشغف الشباب
وراء «صوت» الروح ، والثورة والفداء
وفي خيوط نسجها . . «العنكبوتي» المخيف
تساقطت أرواحهم . . تناثرت أحلامهم
تواثبت آمالهم . . تطايرت أوهامهم
تساقطت كأنها . . فتات أوراق «الخریف»
تواثبت مجنونه
مثل فراشات «الربيع»
تناثرت موهونه
كهمسات «لشتاء» جائع
جثت على مدينة الآلام ؛
ولا وقود . . لا . . ولا طعام ،
ولا علاج . . لا . . ولا مدام ، !
تطايرت . . مثل العصافير وقد مات الشتاء !
وقد تبرجت براعم الحياه
من جديد . . من جديد
أواه ما أشقى ، وما أحلى الجديد . !

ذو رعين : (معتزاً) :

هبَّ «الربيع» . . هبَّ «الربيع»
«البلبل» الصغير
العاشق الكبير
هبَّ «الربيع» . . هبَّ الربيع

(يظهر طائر صغير ذو ألوان شتى يرقص ويقول):

الببليل : أنا «ابن بلقيس» أبي ؛
كان ؛ «سليمان» الحكيم
والسدّ ملكي . والقصور
«إرثي» أنا . . !
و «الخارد» الضائع
من «إرثي» أنا
حتى . . ولو كانت
أمواهُ تبكي بلا دموع . . !
لأنّها دموع «ذي رُعين»
من ضيّع النوم ، وسامر السّهر
وضجّ شاكيًا وناقداً ؛
ألا . . ألا
من يشتري السّهر ؟
بالنوم . . ؟
يا للنوم . ! إنّه مريع
وإنه مُريح !!
قد نام كل شيء . !

المجهول : قد نامَ حتى النوم !!
أواه . . بل . . ويلاه
حين ينامُ النّوم !
كيف تستطيع
عرائسُ الأوهام أن تهيم ؟

وكيف تستطيع
حوادسُ الأحلام أنْ
تسقي فراشات الهوى؟
والأمل المرجو
والحلم التائه.. وعصافير المنى؟
والموثقين بخيوط العنكبوت

البلبل : وفي قواميس الهراء..!!
يا ليتني أستطيع أن
أعتصرَ النجومَ
وكلَّ ما في الكون من معنى رفيعٍ
ومنظر جميل؛
خمرةً خلد
أسقي بها في كأس أحلام السَّهر؛
شوارد الأوهام، وحوادس الأحلام؛
أوهام من هاموا وفقدوا الكرَى؛
وسامروا السَّهر!
أحلام من ناموا بلا نومٍ
وسهروا بلا سهر!
«الخارد» الضائع من «إرثي» أنا
ملكي أنا
أنا «ابن بلقيس»

وتضعف نبرات صوته، وتتعالى «الإيقاعات»، ثم تخفت، ويترنح
«البلبل» كأنه قد مات، ويعلو صوت «القليل» «ذي رُعين»:

ذو رعين : ترنَّحَ «البُلبُل»
اختنقتُ أنغامهُ
مات «ابنُ بلقيس»
ووارث السدودُ
ومالك الأنهار، والقصور

وينبعث صوتٌ من الزاوية بلهجة وقور:

المجهول: لا يا عدوَّ النوم..
يا بائع السَّهر
ما مات وارث السدود
«الهُدُودُ» الجميلُ
هو «ابنُ» ذلك الحكيم..! ومالك الأنهار والقصور
انظر إليه؛
ترتعش الحياة
في ريشه البديع
حيث تَلَمَلَمَتْ
ألوانُ كل نور
من زَهَرٍ ومن نجوم
من وضَحٍ، ومن دُجى
من شفق الأصيل
ومن تباشير الصُّباح
ومن وهج الشمس، وغسق الظلام
ومن عيون الحور
ومن سواف المَلأخ

ومن مباسم الحسان
ومن نهود الفاتنات
والصبايا السابحات
من لون كل لون
في الأرض والسما
تجمعت في ريشه
أرواح كل لون
«الهُدُودُ» الجميل
«ابن» سليمان الحكيم . !

[وتتلاشى الموسيقى، ويسدل الستار]

المشهد الثاني

[المكان نفسه وإلى جانب جثة «البلبل»، يظهر «المدهد» ومع
إيقاعات «العود» باللحن الصنعاني القديم: «لي في رُبَا حَاجِر»،
يقول «المدهد»:]

أنا.. أنا «العليم»
السُّرُّ لا يعرفه غيري أنا!
سُرُّ «سليمان الحكيم»
وسُرُّ «بلقيس».. وعرشها العتيد
وسُرُّ قوة «العفريت»
والرُّمُز، والرامُز، والمرموز لهُ!
واللُّغز، واللَّاغز، والملغوز به!
المجهول: ومن مضى من الطُّغَاة. صِفْهُمْ لنا يا «هُدْهَد» الحياه
الهدهد : كانوا جميعًا لا يطيقون الشباب
وحاملي الأقلام
ويكرهون «الروح» و «الثورة» و «الفداء»
وتلك سنة الطغاه؛
يقدِّسون الجهل والفناء
ويسحقون طاقة الحياه!
أنا الذي عشت منايا جورهم

أنا الذي جرعتُ كأسَ ظلمهم
يصطنعون الخيرَ أحياناً
لشرٍّ مُستطير
ويحسنون القولَ تمهيداً
لعدوانٍ كبيرٍ !
السيف إن ظفروا
وإن خسروا . . الدموع ؛
واللؤم إن قدروا
وإن هُزموا . . الخضوع

وتتغيرُ الألوان وتتعتمُ ، ونحس بخطوات شبح ، وعندما تُسلطُ عليه
الأضواء ، نرى فتاة جميلة هي «نُعاس» تنشد على إيقاعات العود . .

نعاس : يا بائع السَّهر
هات السَّهر
أين السَّهر ؟
أنا كرى ، أنا «نُعاس»
أنا ابنةُ الأحلام
وطفلةُ الأوهام
أنا بقايا النوم
في جفن «ذِي رُعين»
في اللَّيلة الأخيرة
ليلة «غدر» «حمير»
«بتبع» الكبير
أنا ، أنا «نُعاس»

يتحرك «ذو رعين» ويقول:

ذو رعين : «نعاس» ابنتي

«نعاس» لذتي ، وشقوتي

«نعاس» سَهْري ، وحلمي

«نعاس» أُملي ، وألمي

ماذا تريدِين؟ وعمَنْ تبحِثِين؟

أما سمعت ما يقول

«الهدُّهدُّ» الجميل

«ابنُ سليمان» الحكيم .؟

أما تخافِين؟

أما تخافِين؟

نعاس : أنا . . أنا . . «نعاس»

طفْتُ سماء «مأرب»

أبحِثُ عن «رجل»

يَقْلِي «الكُرى»

أو يعشُقُ السَّهر . !

يعيشُ كالْبَشَرُ

في أَمَلٍ ، وفي رجا

لكنتي يا أبتاه

وجدتُ كلَّ الناس في

مِشائِقِ الحيرة جامدين !

عيونُهُم مسحورة

جفونُهُم مبهورة

قد مات فيها الضوء والظلام!
والنور فيها باهتٌ
قد غسلته لفحةُ القدر
بسرّها الناري
فلا ضياءً... ولا ظلام
ولا «كرى»، ولا «سَهْر»...!
قلتُ لهم أنا «نعاس»
ابنة «ذي رُعين»
أنا هُنا أبحثُ عن «رجل»
فارتعشوا كأنهم
هياكل الأموات
ورقصوا
مثل خيالات الفناء

الهدهد : (معترضاً):

مهلاً نعاس!
يا ابنة «ذي رُعين»
هل انبعثت من جديد
تعترضين... وتناقشين؟
كم قُطعت «أصابع»...!
كم سُملت «عيون»...!
لرافعي «أصابع» اعتراض
أوفاتحي عيون احتجاج

نعاس : (بصوت أجش):

نعم ؛ أنا التي
في وجه كل حاكمٍ غشوم ؛
رفعتُ «أصبع» اعتراض
وفتحتُ «عين» احتجاج!
أنا ؛ «المهاجرون»
و «العائدون» من جديد . .

وتتعمَّم الأضواء . . ويتغيَّر الإيقاع «بفرتاش»^(١) يُمهد لإيقاعات
اللحن الصنعاني: «يا مُغير القمر إن لاح جُبح الغياهب» تسجيل
«الأخفش» . . ويضجُّ صوت ليس فيه صوت:
يُفضي إلى الإحساس في قوة نار؛
صوت «الخيال» يقول صارخاً:

الخيال : أنا «الخَدْر» أبو العذاب
أنا . . أنا . . التيه أنا العقاب
«يا ابنةً ذي رُعين» يا «نعاس»
هل تشدين راحةً؟
نعاس : نعم . . نعم أنشدُ راحةً
الخيال : هناك «بائعُ السهر»
الشاعر الجديد
قولي له : بحق «ذي رُعين»
بشعره الرصين
بسرِّه الدفين

(١) الفرتاش: عامية: المدخل إلى اللحن . والمغني يضبط أوتار عوده.

بحقّ «تبع» القَتيل
بحقّ «قحطان» الشريد
بحقّ «عدنان» الشهيد،
قطر نطاف «يقظة» الحياه
في جفني الملدوغ...!
جفني أنا «نعاس»
يا صنو «ذي رعين»
أنا المنى ؛ معشوقه الأحرار
أنا التي يدعونها «نعاس» ؛
لأنها كانت بقايا حلمٍ
في الليلة الأخيرة
للحُبِّ والأمانه
والصدق والحنان
في جفن «ذي رعين»
الشاعر الأمين
وشردت هاربةً
من جفنه الحزين
فهبّ مذعوراً
وسامر السَّهر
وألف السهر
حتى اجتوى
وسثم السَّهر
وناشد النوم، وهام

في قفر آلام السَّهر
ينادُ الأشباح

نعاس : أين ترى ألقاه؟

الخيال : هناك في وادي الهموم؛

دكان شعر وفنون

لشاعر جديد

يعرضُ فيه الشُّهد والحياه

لمن يريدُ يقظةً

أو سئم الكرى

وانتعشت عيونهم

وارتعشت أجفانهم

وكرهوا الخَدْر. !

هناك في وادي الهموم

الشاعر الجديد

في كأسه تفورُ «نطفةُ» البقاء

و«قطرةُ» السَّهر

قولي له : أنا «نعاس»

ابنة «ذي رُعين»

بدمعه بشعره

بحقه المكينُ

على «اليمانين»

برَدَ «لظى» نومي

بللُ «صدى» موتي

برشفه من السهر
بحق «ذي رُعين»
والشعر و «اليمن»
نعاس : وما تُراه صانع؟
الخيال : سيزرع السَّهر
على «الزوايا» في
عيونك الكحيله
وينقشُ السُّهد على
جفونك الجميله
ويطبعُ الحياه في
خدودك الأسيله!
من أجل «ذي رُعين»
والشعر، واليمن

[ستار]

المشهد الثالث

[المكان نفسه مع تغيرات طفيفة في المناظر والأصواء، و«فرتاش» بالعود يمهد لإيقاعات لحن «مدارب السيل» تأليف أيوب طارش، ونرى «البلبل» يتحرك - وقد كبرت جثته - ، ونهض السُّهد، واستيقظ السهر. . في عين ذلك البلبل قائلاً]:

البلبل : من جديد . . من جديد

أواه . . ما أحلى الجديد!

أنا . . الجديد؟

أنت . . الجديد؟

هو . . الجديد؟

لا . . بل «هم» الجديد

أنا . . وأنت . . وهو

لا شيء ما دمنا مُمزقين!

الشيء في حقيقته

هم . . هم . . مُوحدين!

* * *

المجهول : يا لغة «الفناء» في

شعر قواميس الهراء

لا تعجبي :

إذا طعنتُ مهجةُ الهراء

لا تغضبي ؛

إذا حطمتُ قلمُ الفناء

أنا الذي

قد عشقُ الهراء . !

أنا الذي

قد ظل دهرًا حارسًا ؛

للغة الفناء . . !

أهدمها اليوم أقوَّض الخيام

أمحو الحواشي في «هوامشها» العتيقة !

أمزق «الشروح» و «المتون»

وأشطب «السطور» ، و «الحروف»

حتى «نقاطها»

أمسحُ كلَّ «نقطة»

أعدمُ كلَّ «شكلة»

فوق الحروف

«النون» «سين»

«الواو» «هاء»

«الميم» «دال»

نحنُ «الشباب»

عشنا عبيدًا لقواميس الهُراء

همنا زمانًا في متاهات الفناء

من كلمات ، أو حروف

نقدس الأسماء والألقابا . !

ويتلاشى الصوت

البلبل : قوافل التاريخ في صوتي تهيم

تراجعوا تراجعوا

لا ماء في وادي «الحدَر»

لا زاد في قفر «الكُرى»

لا شيء إلا هيكلُ

لحلمٍ جميل

ودمية لأخته . . منى

«حريوة» السَّهر

آخر رشفةٍ من الوفاء

في جفن «ذي رعين»

ليلة غدر «حمير»

ليلة نصح الشاعر الإنسان

وحين هبت زمرة العبيد

يقدمون من جديد

زهور ذل الشعب . ،

«لِتُبْع» العنيد

وفي شذى أكمامها

يذكُّو عيد . . !

تزكُّروائح الفداء

يهفو حنين الشهداء

أرواحهم تجأر قبل الخلق!

لأنَّها تريدُ أن تموت

من قبل أن تحيا الحياه . !

من أجل أن تُخلق
وتموت من جديد!
في وطن القبور
حيث الورود والعطور
والنجوم والزهور
وجودها . . عدم
وموتها . . وجود!
وكعبة الأصنام
تفهم بالآثام، !

الخيال : «والبلبل» الجميل
والهدهد الصغير
وابنة «ذي رعين»

في «ويزة» الآلام موثقين!
وفي «تناوير» الشقاء مُخبّتين!

وتخفت إيقاعات «مدارب السيل» وتلاشى، ونسمع «فرتاش» عودٍ
كأنه يمهّد لإيقاع لحن «يا جانيات العناقيد»، تسجيل أحمد السندار،
ويسحّ كالندى على عرائس الزهور صوت يقول في جلال:

صنعاء : إني أنا . . «صنعاء» اليمن

«صنعاء» التي ظلت على

ولائها «لذي يزَنُ»

وفضلت على الصليب

«الحبشي» صمتَ الوثن!

من يشتري النوم . . ؟

ومن . . يبيعني السَّهر؟

قد كنت طيفاً حام في
أجفان «ذي رُعين»
من قبل أن يموت
وطاف في أجفان كلِّ عين؛
لشاعر طريد
أو نائر شريد
أو بطل شهيد
أنا «نعاس»
أنا ابنة «القيّل» الكبير
من قبل أن
تعرف «بلقيس» سليمان الحكيم!
لحنُ الزمان البكر في سمع العدم
أولَ حرفٍ خطُّ في لوح القدم!
كم من نبيٍّ قد عرفتُ
وهو يشدو بالحكم
وشاعرٍ وساجرٍ
وكاهنٍ؛ وكم، وكم
من فرجةٍ، ونكبةٍ
ومن سرورٍ، وألمٍ
قد يهرمُ الدهرُ ولكن
لن يُصيّبني الهرمُ!
و«قلبي العصيّ» لم
يُهزم لحادثٍ ألم!!

وتتلاشى الأضواء مع إيقاعات «العود» رويداً، رويداً ومع صوتٍ

جهوري ينبعث من «الزاوية» ينشد:
«صنعاء» قلبها عصي في الخطوب والمحن،
جحافل الأحباش لم تُسَلِّسْ لِيَتِيهَا رَسَنُ
ظَلَّتْ عَلَى وِلائِهَا «لَتَبِعِ» وَ «ذِي يَزَنُ»
وَفَضَّلَتْ عَلَى «الصَّلِيبِ» «الْحَبَشِيِّ» صَمَتِ «الْوَثْنُ»
ضَلَالَةٌ جَمِيلَةٌ
فِيهَا الْإِبَاءُ قَدْ كَمَنُ

[وَيُسَدُّ السَّتَارُ]

لندن: ٢٥ شوال سنة ١٣٩٢هـ

١ ديسمبر ١٩٧٢م

٢١٤ - أشباح الذكرى

تُرى أُعزِّي الهوى فيها وأنساها؟
أم أستجير؛ وأبقى رهن بلواها. . ؟
أصبحتُ لا طامعاً في حُبِّها مِقَّةً
لكن لما يَعْتَرِينِي عند ذكراها. . !
أشباح رعبٍ وآلام تطاردني
إذا تذكَّرتُ شيئاً من مزاياها
لولا المروءة ما غادرت مدخلا
إلاَّ جمحتُ إليه «مَيْدَ» ألقاها. !
في كل شيء أراها
كلَّ أَوْنَةٍ. . !
فكيفَ أسطيعُ
- خلقَ الله - أنساها!!!؟

لندن: ٢٥ شوال ١٣٩٢هـ

١ ديسمبر ١٩٧٢م

[١]

بينَ الدُموعِ
مع الدُموعِ
و.. في الدُموعِ ؛
هموم أَيْامي .. «تَعِيشُ»
الدَّمْعُ «عَمري»
والدُموع «مواهبِي»
ودُموع أحلامي بإحساسي تطيش

[٢]

خُلِقْتُ حَيَاتِي لِلدُموعِ
فَخَلَّتْهَا
لِلْبَطْشِ .. فانْهَزَمْتُ ؛
بمعركة الحياة .. !
الدَّمْعُ لَا يَسْطِيعُ
تحقيقَ المني
هل بالدُموعِ
تريدُ تحطيمَ الطُّغَاةِ .. ؟

[٣]

كم قد بكيتُ مع «المطاع»^(١).
وكم بكيتُ مع «العزب»^(٢).
لا بالدموع
نَصَرْتُ «حقاً»
أو وَصَلْتُ إلى أَرْبٍ!
ظَلَّتْ دموعي في الهزائم
تَسْتَعِثُ، وتَتَجَبَّ
تَنَأَى
إلى أَفْقِ القُنُوطِ
وَحِينَ تُشْفِقُ
تَقْتَرِبُ!

[٤]

دمعي أَسِيرُ
في مَآقِي الشعرِ
يَصْرُخُ، بالثُبُورِ
قد صورته
يراعُ فنانٍ
كينبوعُ يَفُورُ!
يهوى مُفَاتِنَ «شهوة»

(١) السيد الشهيد أحمد المطاع.

(٢) القاضي عبد الله العزب.

في حَقْلٍ «أهواء» تدورُ
أهواء أحلامي
وأنغامي ، ووهمي ، والشعورُ!

[٥]

بحرُ الدموع
سفيتي فيه
تتيه . . بلا «شراع»
ورياح أناتي
أبادتُ ما نصبت من «القلاع»
كم قد بكيتُ
على «رفاق» الدمعِ :
«زيد» و «المطاع»
«خمر» بلا «أمر»
يُرَجَّى ، في «غد» ؛ أو يُستطاع

[٦]

دمعُ بلا «أمل»
له في الروحِ
تمزيقُ الجراحِ
دمعُ بلا «سبب»
خبالُ «العجز»
في دنيا الكفاحِ
«ثر» تسترخُ

أو «فاندفين»!
فُتْرَحْ!
ومن مات استراح!
يا دمع عُمرِي
كيف لا تَهْمِي
على «الوطن» المباح؟

[٧]

قد كنتُ يوماً أشتكي
أنِّي أعيشُ بلا دُمُوعٍ
واليوم «حزني» أنني
«عَرْقَان» أَفْهَقُ بالدموعِ
لا نورَ . . لا . . أوهام
لا أشباح؛ لا أمل يضوعُ
وشراع «زورق» خيبتني
قد تاهَ
في «بحر الدموع»

[٨]

دمع . . «المحبّة»
دمع . . «أوهام» المنى
دمع . . «القُبْلُ»
دمع . . الذين «تشرّدوا»!
دمع . . الذين بلا «أمل»

دمع . . «الصدّاقَة»
والأخوة، والزمالة، و «العمل»
دمع . . «السياسة»
حين أخفق سيفها
وبلا «عسل»!!^(١)

[٩]

«بحرُ الدموع» يضحُّ
قد «ثارت» عليه «عواصفُ»
«الحاقدون» رياحهم
و «دموعهم» . . تتضاعفُ
يَسْتَقْطِبُونَ الشرَّ
وهو بطبيعته «يتألفُ»
و «الخيرُ» لا مأوى له
في «الأرضِ»
بل . . هو . . «تالفُ»!!

[١٠]

دمعي كدمع «اليائسين»
يضيغُ في «بحر الدموع»
كالذّائبات من اللاّلي
حين تُذريها «الشموع»
هل تستطيع بأن تعودَ

(١) إشارة إلى القول: «إنّ الله جنودًا منها العسل». في قصة موت الأشر النخعي.

لأصلِها.. بيدِ صنوعٍ؟

لا.. لا

دموع «الْيَأْسِ»

ليس.. لها

إلى جفني «رجوع»!

[١١]

دمع «الندامة» تُرتجى

منه «الشفاعة» و «النجاه»

ما ذاب.. إلّا بعد صهرٍ

جحيم آلام الحياة

كم قد شقيتُ

وكم تضاربَ

ما رأه، ولا أراه

نظرات «دمعي»

لا ترى الشيء الذي

يبدو سواه!

[١٢]

أنا بالدموع

أرى «الأمور»

تكادُ مبهمه.. تمورُ

كطوارق الأمواج

في مدّ، وفي جزرٍ تحورُ

رأيتي «رهين» المحبسين :
غفول «نقصي» والشعور
ودموع «ضعفي»
تحتوني
عند أي هوى «يثور»!

[١٣]

لا تستمع لي إن غضبتُ
ولا تطع لي أيّ أمرٍ
سري كجهري
إن علمت به
وجهري، مثل سري!
وإذا تغابى السرُّ مني
أو تحايل أيّ جهرٍ
فانظر لتعرف
هل سيجري الدمعُ؟
أو هو ليس يجري؟
فإذا جرى
فهو الأمانة، والصدقة، والوثام
وإذا تمنّع
فهو حقدي، والتمرد، والخصام
دمعي حياتي؛
إن أرقّت
فللمحبة والسلام

وإذا منعتُ
منعتُ عن
أهل الخساسة والآثام

[١٤]

يا ليتني أَسْطِيعُ أَنْ
أُحْصِيَ . . فضائل أدمعي
كم أَيْدَتْنِي
في مواقف
ذَلَّتِي ، وتضرُّعِي !
وَلَكَمْ حَبَّتْنِي النَّصْرُ
والتَّصَدِيقُ عند تمنُّعِي !
كم رافقتُ صرْعِي همومي
دائمًا . . ظَلَّتْ معي !

[١٥]

يا ليت شعري !
هل . . بلا دمعٍ
حياةٌ . . قد تروِّعُ ؟
هي سرُّ كلِّ بطولةٍ
تنهار في قيد الخضوعِ
سرُّ الهوى ، والشوقِ
والأشعار تصدِّحُ
والخشوعِ
سرُّ الحياة هي الدموع
فلا حياة بلا دموعٍ

[١٦]

في السجن، دمعي كان لي
نعم الموالي والرَّفِيقُ
في الحُبِّ
كان لي المواسي
والمعزّي، والصديقُ
في الوهم
قد أفضى بسرّ تفاهتي
كي أستفيق!
في البغض؛ قد سكب الحنان
على مهاترة الحريق

[١٧]

أيام دمعي قد ذوت
كزهور آمال اليتامى
وندى حياتي
قد غدا
كجفون آلام الأيامى
لا دمع، لا أحلام
لا أوهام
كُرْهاً . . أو غراما
قد آن موتي، قد سئمت العيش
كيف، متى، إلّام؟

[١٨]

لا تستغيثي يا جفوني
بالجحيم ، أو الضريم
أنا

إن هصرتُ الدمعَ جباراً
ولم أكُ بالرحيمِ
فلقد ألفتُ «النارَ»
بل هي جنّةٌ فيها أقيمُ
نضجتُ دموعي
قبل أن تهمني
على لهب الجحيم!

[١٩]

أنا دمعة اليأس
الذي قد ماتَ
في قفر المآتمِ
أنا نطفة الأمل التي
تهمني على قبر الملاحم
و «الماء» عنصر خلقتي
في «شهوة الترب» الملائم
و «النار» سرُّ «الماء»
قد مُزِجا معاً في جسم «آدم»

لندن : ١٢ ذي القعدة ١٣٩٢ هـ

١٧ ديسمبر ١٩٧٢ م

نأت، وتجنّت
 والصدود يزيناها!
 فكيف تجنّت؟
 والتجني يشينها!
 أتُنكر حبا، واشتياقا، ولوعةً
 وما كتبتُه من عهدِ يمينها؟
 أتُنكر لذات الهوى وعهوده
 وقد ذاب فيها شكها، وبقينها؟
 أتُنكر حقاً ما مضى من وصالنا
 وكم هملت خوف الفراق عيونها؟
 وتجهّد
 كالأعداء في نحت صخرتي؟
 وتهتِكُ
 من «أشياننا» ما أصونها؟
 «هنيئاً مريئاً»
 «غير داءٍ مخامرٍ»
 لها حلٌّ مني ما يحرمُ دينها!
 بيروت: ١٩ ذي القعدة ١٣٩٢هـ
 ٢٤ ديسمبر ١٩٧٢م

عرَفْتُهَا
 نَضَرُهَا سَحَرُ الْهَوَى
 كَنَجْمَةِ الْفَجْرِ
 كَزَهْرَةِ الْأَقَاخِ
 تَخْتَالُ فِي أَثْوَابِهَا خَفِيرَةً
 كَأَنَّهَا نَسَمَةٌ أَنْفَاسِ الصَّبَاحِ
 خَمْرَةٌ حُسْنُ
 عُتَّقَتْ، وَذُخِّرَتْ
 لِلْعَاشِقِينَ . . الْمَغْرَمِينَ بِالْمَلَاخِ
 وَقَدَّرَتْ
 وَصَوَّرَتْ
 وَزُخْرَفَتْ
 بِلَوْعَةِ الشُّوقِ .
 وَشَهْوَةِ السَّمَاخِ !
 عرَفْتُهَا
 قَطَرَ النَّدَى
 بَلَّ الصَّدَى
 عَرَبْدَةَ الْمَوْجِ
 وَأَشْوَاقَ الرِّيَاخِ !

تَلْتَأَعُ
تَلْتَأَحُ
تَضْجُ نَشْوَةً
تَذُوبُ وَجْداً
وَالْتِيَاعَا، وَالتِيَاخُ!
تَمَاجَتْ . . أَرْدَافُهَا
تَرَاقَصَتْ . . نَهْودِهَا
تَمَايَلَتْ
هَيْفَا . . رِدَاخُ!
أَجْفَانُهَا
تَنْفُثُ بِالسَّحْرِ الْحَلَالِ!
وَتَغْرِهَا
يَعْبَقُ . . بِالْخَمْرِ الْمَبَاخُ!
تَكَادُ . . أَنْ يُقَطِّفَ مِنْ خَدُودِهَا
وَرْدُ الصَّبَا
فَارَ الشَّذَى فِيهِ؛ وَفَاخُ
إِذَا تَغَنَّتْ
دَارَتِ الدُّنْيَا
بِمَنْ فِيهَا
وَذَابَ اللَّيْلُ . . آهَاتٍ وَآخُ
بِالنِّغَمَاتِ، وَالدَّلَالِ، وَالصَّدَى
وَالصَّوْتِ
تَسْتَبِيحُ . . مَا لَا يُسْتَبَاخُ
فِي كُلِّ نَغْمَةٍ؛ وَكُلِّ نَبْرَةٍ

يَكْمُنُ سِرُّ الْخَلْقِ
عَرِيَانٌ . . وَقَاحُ
جَلُّ جَمَالِ الْفَنِّ فِي تَكْوِينِهَا
كَأَنَّهَا قَدْ خُلِقَتْ، وَفَقَّ اقْتِرَاحُ

بيروت: ٥ ذي الحجة ١٣٩٢هـ

١٩ يناير ١٩٧٣م

أنا.. أنا.. وحدي أنا
أعجوبة
بين خلائق الزمان
بلا أحاسيس
بلا مشاعر
أحيا.. غريباً
ساهراً.. كالديدبان

* * *

مات الهوى
في مهجتي ؛ ودمعة
يريقها
في جفنيه الدامي ، الذليل
خامره شوق النوى فاستفه
أنشودة
غنى بها.. حلم الأصيل

* * *

أنا الذي كنت قديماً أملاً
منتظراً

في قلب مشتاقٍ .. عليل!
وكنْتُ وهماً
في متاهات المنى
وظمأً ...
في صدر مهجورٍ قتيل!

* * *

شعري ؛ دموع العاشقين
ونزقُ ... المراهقين
وقلقُ .. المفارقين
وحسرات .. الأبقين

* * *

من يَسْتَجِيرُ .. بالمحال؟
من يَسْتَقِي .. من السراب؟
من يستغيثُ بالخيال؟
من يتلظى .. بالشراب؟
غيري .. أنا
لحن عذاب
وقَعْتُهُ .. صُدْفَةً
قيثارة الآلام في قلب الحنان
أصدائه مَوَّارَةُ الإيقاع من
سمع ، إلى سمع ... على مرَّ الزَّمان

بيروت : ٦ ذي الحجة ١٣٩٢ هـ

١٠ يناير ١٩٧٣ م

لا تسألني عني
 ولا .. تقتربي .. مني ؛
 دعيني
 وإلى حيث .. اذهبي !
 موارد الحب
 أُحِلْتُ .. يبسا
 وأصبحت ؛
 رياضها
 كالسُّبْسَبِ !
 تلك «الينابيع»
 خوت .. وكل ما
 كان .. حوالها
 اشتوى .. بالغضب !
 عهدُ الهوى والحب
 قد ديساً معاً
 وحرمة .. القُربى
 وقدس .. الحسب !
 حتى .. أزاهير المنى

قد سُحِّقْتُ
حتى . . الحيا
حتى . . جمال «الأدب»!
فانصرفي
بلا وداعٍ
واتركي
لا شيء
إلا . . ندَمَ «المجرَّب»
ذكراك ماتت
لَمْ أعدْ أخشى الذي
كان — إذا ما سَنَحْتُ — يفعلُ بي!

لندن : ٨ المحرم ١٣٩٣ هـ
١١ فبراير ١٩٧٣ م

٢٢٠ - العارفون والغافلون

الغافلون عن العواقب
في «المراتب» نائمون؛
والعارفون بما تجيء
به العواقب ساهرون!
ماذا جناه «العارفون»
فيسهرون ويقلقون؟
و«الغافلون» منعمون
على «الوسائد» يحملون!
الآن قومًا يعقلونَ
وبعضهم لا يعقلون؟!

لندن: ٩ محرم ١٣٩٣هـ
١٢ فبراير ١٩٧٣م

٢٢١ - لحظة نعيم

نعمتُ بها رقةً كالنسيم؛
ولطفاً كهمسِ شعاعِ القمرِ
وعطفاً يواسي بما أشتهي؛
رحيق الشفاه، وطيب الثمر؛
سنين . . ولكنها قد مضتْ
كومضةِ برقي شري وانتحر!
وكانت ترفّ على مهجتي؛
رفيف الشذى في عروشِ الزَّهرِ
كفرتُ بآلائها غفلة
فجوزيتُ آلام شخصٍ كَفَر!

لندن: ١٠ محرم ١٣٩٣هـ

١٣ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٢ — خلود الشقاء

يوم «هجر»
قد كان عشرين «قرناً»
في حسابات «الضوء» والأرواح؛
«لحظاتي» فيه
«تمرُّ ثقلاً»
كالسُّعالي . . تطوف
كالأشباح!
خدرٌ في دمي
وصرعٌ بعقلي
وسمومٌ
تدبُّ بين جراحي!
يا «خلود» الشقاء . . في ليل هجري
كم تفننت في عذاب صباحي!!

لندن: ١١ محرم ١٣٩٣هـ

١٤ فبراير ١٩٧٣م

أمازجُ ما أحتسبي من «هوى»
 بأنغام شعر النوى، والغزل
 أحب «الرحيق» وسحر «البيان»
 و«لحن الرباب»، وطعم «القبل»!
 أحب الحياة بألوانها . .
 أحب «الكفاح»، أحب «العمل»!
 أخاف «الهواجس» إن أطبقتُ
 وأرضى «القضاء» إذا ما «نزل»!
 لقد عشتُ للحُبِّ؛ أسمى به
 عن الموبقات؛ «وما قلَّ دَلٌّ»

لندن: ١٢ محرم ١٣٩٣هـ

١٥ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٤ - مَعَ السَّاعَاتِ

كم أحسبُ السَّاعاتِ
وهي تمرُّ في بَطءٍ مملٍّ
وكأنَّ كلَّ دَقِيقَةٍ
عمياء . قد شُدَّتْ بحبلٍ !
أحيا وحيداً ذاهلاً
تتعرَّ اللُّحظَات . . حولي
وكوارثُ « الماضي » تثنُّ معي
وتبكي الوقتَ . . مثلي !
تبكي زماناً كنتُ فيه
أعيشُ ؛ حُرّاً . . بين أهلي . . !

لندن : ١٣ محرم ١٣٩٣ هـ

١٦ فبراير ١٩٧٣ م

نُصْحِي لَوَاعِظُنَا بِأَنْ
يَعِظَ الْأَنَامَ بِصَمْتِهِ
قد «مات» «إحساس البيان»
وشاهَ رائِعَ صَوْتِهِ
فَغَنِيَّ «عَصْرُ النُّفْطِ»
تَشْغَلُهُ «مباهجُ» وَقْتِهِ
قد باعَ «آجَلَ» «أَجْرِهِ»
بلذِيذِ «عاجِلِ» «قُوْتِهِ»!
والْحَرَّ إِمَّا شَارِدُ
أَوْ خَائِفٌ فِي بَيْتِهِ. !

بيروت: ١٥ محرم ١٣٩٣هـ

١٨ فبراير ١٩٧٣م

يا ليتني «أعرف» «سر» «الخلق»!
 يا ليتني «أفهم» «روح» «الحق»!
 أو، ليتني «أكشف» «سِرِّ» «الصدق»!
 و«الخلق» مَغْبُونٌ، يداري «الصدقا»
 و«الصدق» مسجونٌ يَخَافُ. «الحقا»
 و«الحق» مجنونٌ، يُخِيفُ «الخلقا»!
 * * *

مَنْ «خلق» «الحقا»؟
 من «حق» .. «الصدقا»؟
 مَنْ «صَلَّقَ» .. «الخلقا»؟
 * * *

«السِرُّ» مؤوود .. دفين!
 و«الروح» مقهور .. سجين!
 و«السِرُّ» وهم، وظنون!
 * * *

و«لَيْتَ» .. «كلُّ» «المعرفة»
 وروح «روح» «الفلسفة»!

بيروت: ١٧ محرم ١٣٩٣ هـ
 ٢٠ فبراير ١٩٧٣ م

٢٢٧ - استسلام!

من قال: لا
قالوا: اقتلوه
فإنه قد قال.. كفرا؛
قد جاوز العادات
واقترف الآثام.. وجاء.. شرًا!
«الحكم».. تسليم.. وإن
عانيته ظلمًا.. وقهرا
قالوا: وقد
طلبوا «القناعة» و«الرضا» سرًا وجهرا!

بيروت: ١٩ محرم ١٣٩٣هـ

٢١ فبراير ١٩٧٣م

٢٢٨ — الخائف الراجي

إذا ما دعوتُ الله أسألَ رحمةً
يُخَبِّئُ وزراً ليس يدرّيه غيره؛
لأنني عرفت الله ربّاً، وعلمه
ولكنّ إيماني به سيعيذني
أنا الخائف الراجي وما في حشاشتي
لعلّ دموعي حسرة وندامةً
فيدخلني من فضله في عباده

وجدتُ فؤادي كالفراشة يرجفُ
ولم يدرِ قلبي أن عقلي أخوفُ
رقيبٌ عتيذٌ؛ فهو أدري وأعرفُ
ويدفع عني ما أخاف ويصرفُ
من الخوف تذرّيه عيوني وتذرفُ
تلوذ به يوم المعاد فيرأف؛
وجنته أحسو الخلود وأرشف.

بيروت: ١٣٩٣/١/٢٠ هـ

٢٢ فبراير ١٩٧٣ م

ماذا «يريد» «الثائرون»؟
وما «يقول» . . «الجامدون»؟
«الثائرون» على «المنابر»
«يصرخون» ويخطبون
و «الجامدون» «يتمتمون»
«بذلة» و «يوسوسون»!
و «جميعهم» - عمدًا - على
أهل «الغبا» . . . «يتحايلون»!

بيروت : ٢٧ محرم ١٣٩٣ هـ
١ مارس ١٩٧٣ م

٢٣٠ - نشيد التائبين

تململت أشباح نائمين
طالت عليهم فترة الهجوع
وادي الكرى اجتازوه حالمين
يغازلون نشوة «الرجوع»!
يُحَاذِرُونَ هَلَكَاتِ «الطائشين»
ونزوات «الحاقدين» الثائرين
ويعبدون «الخوف» آمنين
لأنه «أَطْعَمَهُمْ» من «جوع»!

* * *

أعطاهم ما يشتهون
من لهو أو فنون
ودونما «مَنْ» ولا «أذى»
وكلّ ما يطلبه هو «الخضوع»

* * *

كم سجدوا له؟
كم مارسوا الركوع؟
فأضحكوا الأشجار.. والأحجار
كم سكبوا الدموع، في خشوع؟

فأبكوا البحار، والأنهار
يا لتعاسة الأهات والدموع
نسفحُها... على «معالم» الربوع
خيرٌ من «العودة» و «الرجوع»
«تية» بلا خوف ولا «خضوع»!

بيروت: ١ صفر ١٣٩٣ هـ
٥ مارس ١٩٧٣ م

٢٣١ - عِنْدَمَا يَثُورُ الْحُكَّامُ...!!

أَعْلِنُوهَا؛ حَرْبًا عَلَى «الشَّعْبِ» يَا حُكَّامِهِ الْمُضْلِحِينَ.. يَا أَبْرَارُ!
أَعْلِنُوهَا؛ حَرْبًا عَلَيْهِ فَقَدْ ضَلَّ و«خَانَ» الْمُوَاطِنُونَ، وَجَاوَرُوا،
أَعْلِنُوهَا عَلَيْهِ. فَهُوَ سَخِيفٌ لَيْسَ يَرَعَى الْمَعْرُوفَ، لَيْسَ يَغَارُ!
وَبَنُوهُ لَا يَفْهَمُونَ؛ تَسَاوَى النَّاسُ، وَالزَّاحِفَاتِ، وَالْأَبْقَارُ!
كُنْتُمْ قَدْ «خَلَقْتُمْ» النَّاسَ، يَوْمًا «سَاعَةَ الصَّفَرِ» دُونَ أَنْ يُسْتَشَارُوا
وَجَمِيعُ الْمَوَاطِنِينَ يَغْطُونَ نِيَامًا؛ وَكُلُّهُمْ.. «أَصْفَارُ»
وَوَضَعْتُمْ رُؤُوسَكُمْ «فَوْقَ أَيْدِيكُمْ»! فَأَنْتُمْ حُكَّامُهُ.. «الثُّورُ»!
فَاهْتِكُوا كُلَّ حُرْمَةٍ لَيْسَ تَعْطِي لَكُمْ «مَالَهَا»؛ وَلَا تَنْهَارُ
أَنْتُمْ قَدْ «خَلَقْتُمْ» الشَّعْبَ؛ فَالشَّعْبُ لَكُمْ؛ لَا جِوَارَ، لَا اخْتِيَارَ
ذَلِكَ الْحَاكِمُ «الْقَدِيمُ» لَقَدْ كَانَ وَحِيدًا؛ فَحُكْمُهُ قَهَّارُ
وَلِهَذَا «ثُرْتُمْ» فَلَا حَقَّ فِي الظُّلْمِ لِفَرْدٍ؛ فَإِنْ جَنَاهُ الْكَثَارُ
فَهُوَ عِزٌّ، وَرَحْمَةٌ وَهُوَ عَدْلٌ وَفِدَاءٌ، وَنِعْمَةٌ وَازْدِهَارُ!
اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَأَنْتُمْ «كَثَارُ»؛ لَا تَخَافُوا.. فَأَنْتُمْ «الْأَحْرَارُ»
لَا تَثُورُ الشُّعُوبُ إِلَّا عَلَى «الْفَرْدِ»؛ وَأَنْتُمْ جَمَاعَةٌ أَبْرَارُ
وَاطْمَئِنُّوا؛ فَالشَّعْبُ جَدٌ بَلِيدٌ لَا تَخَافُوا «رَأْيَا» بِهِ يُسْتَشَارُ
لَيْسَ تَحْتَ الرَّمَادِ نَارٌ؛ وَهَلْ تَحْيَا بغير الْمُجْمَعِينَ^(١) النَّارُ؟

(١) جمجمة النَّار: لغةٌ مِثْلُهَا تعني موارثها تحت الرَّمَادِ كي تبقى حيةً تَسْعُرُ. وَجَمْعُ الشَّيْءِ: أَخْفَاهُ.

قَدْ تَوَارَى «الْمُجْمَعُونَ»؛ فَهُمْ أَلْغَازُ مُسْتَضْعَفِينَ؛ هُمْ أَسْرَارُ
لَا رِمَادَ لَهُمْ؛ وَلَا نَارُ. إِلَّا الْجَوْعُ تُذَكِّي أَحْقَادَهُ الْأَفْكَارُ
وَهِيَ مَا تَزْعُمُونَهَا مِثْلَمَا كَانَ يَقُولُ الْمُسْلَطُ الْأَمَارُ

كَلِمَاتُ الْمَخْرَبِينَ

وَأَوْهَامُ سُكَارَى

أَوْ بِدْعَةٌ

أَوْ «هُدَارُ»^(٢)!

ثُمَّ دَارَ الزَّمَانُ دَوْرَتَهُ الشَّكْلَى، وَمَاتَ الدُّجَى وَشَبَّ النَّهَارُ
فَإِذَا بِالْكَلَامِ صَوْتُ يُدَوِّي مِنْهُ فِي الْأَفَقِ رَاعِدٌ جَبَّارُ
وَإِذَا بِالْأَنْبِيَاءِ فِي الْكَوْخِ تَهْوِي تَحْتَهُ الشَّامَخَاتُ وَالْأَسْوَارُ
وَإِذَا بِالْأَفْكَارِ تَعْصِفُ وَالْأَحْقَادُ تَعْوِي، وَالْجَوْعُ قَتَلَ وَثَارُ

* * *

«أَسْفِي أَنْفِي» لِصَحْبِي أَخْلَصْتُ ضَمِيرِي... وَجِسُّهُ مَوَّارًا!
فَإِذَا بِي أَقْصَى وَلَا ذَنْبَ إِلَّا النَّصْحُ فِيهِ الْإِشْفَاقُ وَالْإِيثَارُ

باريس: ٢٥ ربيع الثاني ١٣٩٣هـ

٢٧ مايو ١٩٧٣م

(٢) الهدار، بضم الهاء وكسرهما: لغة يمنية تعني اللفظ الذي لا معنى له؛ وهذر البعير: ردّد صوته في حنجرتة.

٢٣٢ — نشيد التعاون اليمني

عاش الإنما عاش التطوير في ظل «الشورى» والدستور
بهما سنعيش بلا خوف من جهل أو مرضٍ مسعور
عاش «الإنما»، عاش «التطوير»

ونقوي روح «تعاوننا» وننظم جهد «تضامننا»
ونحقق «وحدة» أمتنا ونصون مكاسب «ثورتنا»
عاش «الإنما»، عاش «التطوير»

بهما سنحسن بلدتنا ونزودها بالما والنور
وسنبني دور العلم لنا ونشيد مصحات الجمهور
عاش «الإنما»، عاش «التطوير»

وستنمو ناشئة اليمن وشباب الوطن المحبوب
من «وادي مور» إلى «عدن» في حقل الخير الموهوب
عاش «الإنما»، عاش «التطوير»

سنشيد بها للفن قصور ونعيد بها «السد» المشهور
ونواسي العاجز والمقهور ونعيش سادة عصر النور
عاش «الإنما»، عاش «التطوير»

بمدارسنا، بسواقينا بمساجدنا بمبانينا
بتعاوننا، بتطورنا تنمو خيرات مغانينا
في ظل الوحدة والدستور

باريس : ٣ يونيو ١٩٧٣م

خطرتُ كأنَّ الفَنَّ مِنْهَا صَاغٌ لِلْحَسَنِ اخْتِراعا
 تتصَيَّدُ السَّيَّاحَ بِالنَّظَرِ تَرْسِلُهَا شِعا
 وسألتُ؛ قالوا قد غدتُ في سوقِ شهوتنا متاعا،
 ظلموا صباها عندما سلبوا عواطفها خداعا
 فتسافلتُ كيما تردَّ لَهُمْ بِشِيرِ المَكْرِ باعا!
 وغدتُ لروادِ الخَنَا «رَجْزًا» يبيدهم مشاعا
 لا يستطيعُ له الأنا م إذا أصابهم دفاعا

باريس: ٨ يونيو ١٩٧٣م

كَفَرُوا بِالنُّعْمَى، ضَلَالًا وَجَهْلًا
 سَفَكُوا عَنُودَ «دَم» الْحَقِّ؛ ثُمَّ اسْدَ
 «أَسْفَى» أَنَّنِي سَفَحْتُ عَيُونِي
 كَانَ عَلَمِي بِهَا ضَلَالًا؛ وَكَانَ الْ
 وَالظَّنُّونُ الَّتِي تَمَادَيْتُ فِيهَا
 وَالْحُصُونُ الَّتِي عَمَرْتُ لِقُدُسِ الْ
 لِحِبَالِي رَجَوْتُ. . مَا لَا يُرْجَى
 وَتَمَادَوْا حِمَاقَةً، وَفَتَوْنَا
 تَقَطَّرُوهُ «خَمْرًا» يُسْفُ فَنُونَا^(١)
 لِمَغَانٍ؛ لَا تَسْتَحِقُّ «الْعَيُونَا»
 حُسْنُ قُبْحَا، وَالْعَقْلُ كَانَ جَنُونَا
 لَمْ تَكُنْ مِثْلَمَا ظَنَنْتُ «ظَنُونَا»
 حُبُّ أَضَحَّتْ بِلَاقِعَا، لَا حُصُونَا
 آمَلًا أَنْ يَكُونَ مَا لَنْ يَكُونَا

باريس: ١٤ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ

١٤ يونيو ١٩٧٣م

(١) سَفَّ الماء: أَكْثَرَ مِنْ شَرْبِهِ وَلَمْ يَرَوْ.

ندموا لات حينَ ساعةَ مندم	وبكوا لا دمعا ولكن بكوا دم!
قد تعرّت حظوظهم لهم أمرا	ويسرا، من كل ما خص أو عم
فأبوها مع المودة والشكران	واستعذبوا العداوة والذم!
أفسدوا أنعم الزمان عليهم	فإذا شهدها صديد وعلقم
وإذا بالأرزاء قد زارت غيظا	وطوفانها أفاق ودمدم!
(والمنايا موائل) وفلول (الرّ	بع) شتى . . وكلُّ شيء محطم
والأمانى صرعى، وأحلامها تجـ	أر ثكلى والمجد دام مهشم!
وإذا الروض بلقع: والعصافيرُ	يتامى، والعرشُ خاوٍ مهدم

صامتًا؛ والقريض أبكم أعجم
يخرسُ النطق؛ والأسى يتكلم
تتلظى، ومهجة تتضرم
دار إلا صوت الجزاء المحتم
سوف يُبلى - كما بُليت - بأظلم!
بيتُ عرسٍ على جوانب ماتم
بطشها زخّ في لظى من تقدم...!

وإذا بالبيان أخرس يبكي
ربّ صمتٍ أعزُّ من ألف قول؛
في معاناة الصمت أحزانُ نفسٍ
أيها النادمون؛ ما كانتِ الأقـ
ليس من ظالمٍ على الأرض إلا
وحياة الورى كما قال (شوقي)
سنة الكون إن تحدّى جديدُ

باريس: ١٥ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ

١٥ يونيو ١٩٧٣م

٢٣٦ - مَعَ التَّائِهِينَ..

وَأَنِّي قَدْ كُنْتُ أَدْرَى وَأَعْلَمُ
وَيُخَبِّونَ فِي طَرِيقِ جَهَنَّمَ
صَرَخَاتِي . . أَعْمَى يُسَاجِلُ أَبْكُمْ
فَوَدَّ إِنْ ثَارَ أَوْ بَكَى ، أَوْ تَأَلَّمَ
جُ قُرْبَى وَلِي وَوَدَادَ وَلِي دَمَ

«أَسْفِي أَنِّي» نَسَلْتُ مَعَ الرُّكْبِ
«إِنَّهُمْ يَسْلُكُونَ قَفَرَ الْمَآسِي
غَيْرَ أَنِّي صَرَخْتُ، لَكِنْ؛ وَبَاتَتْ
يَا قِيُودَ الْأَقْدَارِ هَلْ يَنْفَعُ الْمَصْرَ
لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ نَفْعًا؛ فَلِي أَوْشَا

باريس : ١٥ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ
١٥ يونيو ١٩٧٣م

مُظلم الأفق مقفر العرصاتِ
صور؛ في هياكلٍ بشعاتِ
مة في بيد اليأس والنقماتِ
رًا حزاني تنوح كالشاكلاتِ
كلَّ رجوى تذوبُ في الدعواتِ
ل كشيخ بأفجع النكباتِ
م سكارى، وملتقى عبراتِ
م... بغايا، ومجتنى شهواتِ
وصغى للأوهام والترهاتِ
تُ حماسي، أسير صبر أناتي
(أنني) في الجحيم من حسرائي

نسلوا مثل الهيم من كلِّ فجٍّ
حولهم من أوزارٍ ماضٍ كئيبٍ
تتضاغى أوهامهم تشدُّ الرُّحْدَ
وليالهم التي نعمت دهر
ذكريات الغرور تهتك منها
والقضا خاشعٌ؛ يتممُّ بالعد
وهي دنيا؛ نعمى، وبؤسى، وأوها
ومناجاة تائبين، وآلا
(أسفي أنني) تمادى عنادي
لوتدبَّرتُ، ما اندفعتُ وأبقيتُ
حسبُ شعري مرثيا وبكاء

باريس: ١٩ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ
١٩ يونيو ١٩٧٣م

الأرض واستيقظت عيون الفجائع
إلى إعصار نارٍ . . إلى هدير زوابع
دنا؛ و (النظام) خرَّ . . بلاقع
جمعت بين مستحيل وواقع
تائها في قفرٍ من الوهم شاسع
عبتُ معنى الفنا وسر الطبائع
في (صلاة) لخاشع القلب راکع
خيالٍ في حس هيمان خاشع
في خيالٍ؛ أو في جدالٍ ضائع
ضللتُ، فانسقت خاضعاً للمطامع
مُتٌ على ورده البهي الرائع
قد سقتني كأس السراب اللامع
قد تحدّيتُ بالظنون الشرائع
وأغرقت في اختراع الذرائع
المعاصي؟ ولم أصخّ للروادع
نفسها عندما تذوب هوامع
وتناجي إخلاصها وهو ضائع
أجذب حزني، وجف حوض المدامع

أظلم الأفق؛ واكفهرت نواحي
من بروقٍ . . إلى رعودٍ . .
فكأن الفناء قد حان؛ والحشرُ
(لحظة) مثل الدهر مرت بفكري
جعلتني أنسى زماني ونفسي
وكأنني أنا الزمان . . قد استو
وكأنني (معنى) يناجي (انسجاماً)
وكأنني قد استحلت إلى طيف
(أسفي . . أنني): أضعت شبابي
(أسفي . . أنني) مع العلم قد
خلّب الوهم قد سباني؛ فهو
والأماني كما تصبّت جناني
(أسفي . . أنني) بسابق علمٍ
كم تفتنت في اختلاق المعاذير
ألاني أعمى البصيرة راوغت
كم دموع ذرفتها وهي تبكي
تنشد الصدق وهو قد مات فيها!
(أسفي . . أنني) أفقت، وقد

حطم الغدرُ كل ما كان لي من
قتل الخوف كل همسة فنَّ
(أسفي أنني) بلا (أسف) أحيا
أملٍ صادقٍ، ورأيٍ صادعٍ
لشعورٍ فذٍّ وحسٍّ بارعٍ!
ولكن كتائه في (الشوارع)

باريس: ٢٠ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ
٢٠ يونيو ١٩٧٣م

لست أدري أأجتلي عبرة الحافهنا . . في (فرساي) كم شيد الظل وهنا . . في (باريس) يرقد (نابليون) تحت القباب، بين المرامررى جلال، وهيبه، وشعائر كنت تحت الأعلام بين العساكر غرت من في زماننا من أكابر (الموت) قسراً واصطاده وهو ساخر بين ميت شهم، وميت عاهر ت وتحنوله جباه (القياصر)! مثلما سيفه جرىء، وباتر لشجاع فهو المطاع الظافر إنه قلب الطباع؛ غادر بطراً أو يأسى إذا آب خاسر غيه نصر، ولا يخاف المخاطر كاد أن يصبح المثال السائر ب شغوف بالحسن هيمان شاعر نا فيجني بها ذنوب (الكبائر) بغلام . . جرت عليه الجرائر

لست أدري أأجتلي عبرة الحافهنا . . في (فرساي) كم شيد الظل وهنا . . في (باريس) يرقد (نابليون) تحت القباب، بين المرامررى جلال، وهيبه، وشعائر كنت تحت الأعلام بين العساكر غرت من في زماننا من أكابر (الموت) قسراً واصطاده وهو ساخر بين ميت شهم، وميت عاهر ت وتحنوله جباه (القياصر)! مثلما سيفه جرىء، وباتر لشجاع فهو المطاع الظافر إنه قلب الطباع؛ غادر بطراً أو يأسى إذا آب خاسر غيه نصر، ولا يخاف المخاطر كاد أن يصبح المثال السائر ب شغوف بالحسن هيمان شاعر نا فيجني بها ذنوب (الكبائر) بغلام . . جرت عليه الجرائر

في (واترلو) أفاق رجع صداها
رفع الطرف قائلاً رب هل هـ
أسفي أني - وما أنا في قو
لم أجد في أبطال قومي فذاً
فرعاها لا (قيصرًا) بل (ثائر)
ماذا عقاب؟ وسلم الأمر صابر
مي - ولكنني البعيد الشاعر
مثله؛ في العصور هذي الأواخر

باريس : ٢٣ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ

٢٣ يونيو ١٩٧٣م

بكمُ فسحةُ الأمانِي الجوامِخُ
نَ مشيدًا يقي اعتداءَ الجوارِخِ
قدَّرتها كفَّ الأخوذ المانِخِ
ض. كأنَّها خريطة سائِخُ
واعترافي بالعجز عذرٌ واضحُ
أين آراءُ الألمعيِّ الناجِخِ؟
كلُّ ماضيِّك: صالح، أو طالِخُ
ت غريبًا عن «مسقط الراس» نازِخُ
ر إذا جئتُه بغير نوائِخِ؟
مَّا غريبًا؟ أم لاختلاف الروائِخِ؟
إن تسامتُ به العقول الطوامِخُ

أيها الهاربون لن تتمادى
لا تظنّوا بأنَّ برجًا ولو كا
صفحة الموت والحياة قديمًا
حدّدت ما يكون للمرء في الأر
هربي من مصير علمي عجزُ
أين تلك الأفكار؟ أين التغابي؟
أين؟ لا أين! غير قبرٍ وفيه
أسفي أنني أخاف من المو
الآنَّ العويل لن يزعج القبـ
أم لأن الديدان لا تشتهي جسـ
لست أدري، والشك علم يقينٍ

باريس: ٢٥ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ

٢٥ يونيو ١٩٧٣م

لا تلمه إذا بكى أو تباكى
عذّبوه من دون ذنبٍ جناهُ
أسروه فازداد للأسر حبًّا
مزقوا روحه اشتياقًا إليهم
جعلوا إسمه حديث «المداكي»
وهو عنهم محبةً يتغابى
وتغابي المحب في شرعة العشاق نهجُ الذي يريدُ الهلاك
وأنا أعشق الهلاك أغني
هام عمري به يخوض دياجي
أو أمني معذبين على الأر
أو مناجاة خاشعين تفانوا؛
«أسفي أنني» عصيتُ هلاكي

أو شكا حال قلبه أو تشاكي
أطبقوا بالجفا عليه الشباكا
ليتَهُ لا يطيق عنهم فكاكا
زرعوا في عيونه الأشواكا
ذاك يهذي لومًا عليه، وذاكا
في محاريب وجده إدراكا
ه قصيدًا، وأرتضيه عراقا
ه؛ فتونًا، ولهفةً؛ وارتباكا
ض يخافون السادة الملاك
غفوةً، واستجابةً، وانهماكا
وأطعتُ الشرود والانتهاكا

باريس: ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ

٢٧ يونيو ١٩٧٣م

أسفي ها هنا حقيقة نفسي وضميري، وبوح عقلي وحسي
أسفي .. جنّتي وناري، وأحلام صبايا عمري، وخمري وكأسي
ها هنا قد فندت أوهام حظي وهنا قد أودعت أسرار بؤسي
ها هنا ملتقى التجارب من أيام سعدي، ومن ليالي نحسي

* * *

أسفي أنني كشفت ليومي وغدي فيه بعض أسرار أمسي!
ما تقنعت بالتباير لكن قد ترهنت قانعاً بالتأسي
وتعبدت للحقيقة في محراب صدقي؛ وكنت أستاذ نفسي
وأنا الشاعر النزوع إلى الشرّ بحسي، وللضلال بحدسي
الخيالات والظنون رفاقي حيث أمسي، معي تبيت وتمسي
ما تذوقت لذة قط إلا.. نازعتني نفسي إليها بلّقس^(١)
وتماديت، واستضافت نجوم الليل ما أشتهيه من كل جنس؛
بين «روما» و«لندن» و«دزولدورف» و«بيروت» عشت أوقات أنسي
طهر عمري أفنيته في شبابي بين درس، أو غربة، أو حبس؛
قد عرفت الزمان يقسو على الحرّ، ويحنو على الذليل الأخس

(١) اللقس: الشرّ.

غير أني قد ظلُّتُ في ملكوتِ الروح أطوي آفاقها دون وجسٍ^(٢)
قطُّ لم أشتَرِ بأخرايَ دنيائيَ وأستبدل الثمين ببخسٍ؛
وإذا ما دنت قطوف الأمانِي «صنت نفسي عمَّا يدنُّ نفسي»

بيروت: ١٣٩٣/٩/٩ هـ
٥ أكتوبر ١٩٧٣ م

(٢) الوجس: الخوف.

يرجو تباشيرَ بهجة الفلقِ
عاش بها حقبة بلا قلقِ
لنيل لذاته بلا فرقِ
يُخفي هناتِ الفضولِ والحمقِ
أن يحفظ العهدَ لحظة الشبقِ
يغفر للحب طفرةً.. النزقِ

في لهفة مرة وفي أرقِ
يساهرُ الليل ذكريات منى
أوقاتها تستفزُه طربًا
أيامً.. ثوبُ الشباب منسدلُ
لا تطلبُ الغانيات منه سوى
أيامً.. ما في العيون من ألقِ

* * *

مُصطبحي كان.. بل ومغتربي
وكونوا - صُدفةً - على نسقِ
وعفة عن مساوىء الخلقِ
طاب من القول؛ دونما ملقِ

في سفح (صنعا) وفي (مفارجها)^(١)
في معشرٍ للفنونِ قد خلقوا
تشاكلوا في طباعهم كرمًا
يُصغونَ للشعرِ، والغناء، وما

* * *

أجنحة الشعر كلَّ منطلقِ
مُنزلقٍ مفجعٍ.. لمنزلقِ
وأرهقتني.. وأيما رهقِ

ثم.. ترامت بي الظنون على
وتَهتُ في مهمه السياسة؛ مِنْ
وطوحت بي الأهواء ممعنة

* * *

(١) جمع مفرج وهو أعلى غرفة في كل دار من بيوت صنعا.

ما قد جناه فني على خلقي
على شعور المدلّهِ . . الأرقِ
وهلْ ترى عاصمًا . . من الغرقِ؟

يا أسفي أنني أسفت على
طوفانُ حزنٍ قد هاجَ منفهقًا
فهلْ ترى مؤثلاً يُلاذُ به؟

باريس : ١٨ شوال ١٣٩٣ هـ

١٣ نوفمبر ١٩٧٣ م

الأسى أنقضَ ظهْرَهُ
 والهوى من بعد ما أضـ
 والتمادي في الخطايا
 في هجير (الفكر) قد
 فسقاه العسرُ يسراً
 فهو في نكبته .. يرثي
 ويغني (البغض) لحن
 ويشيد (الحلم) قصراً
 ويصوغ الوهم (فكراً)
 وانثنى يقطف من شـ
 وينادي صوته التائه
 لصبايا الأمل من
 «أسفي أني» عشقتُ
 قدسَته نزواتي
 هو كأس الحب؛ حسبي
 لم أضيع من ملذات
 قد شربت الكأس حتى
 فإذا جُننت رياحي
 بعدما أنفذَ صبره
 ناه قد ضيق صدره
 علناً؛ شوه ذكره
 صلى خيال الشعر مُكره
 وحباه اليسرُ عسره
 بشعر الدمع شعره
 الحب في أرخم نبره
 فيهدُّ (الصحى) قصره
 فيذيب (الشك) فكره
 وك الأسى واليأس زهره
 كي يحمل عُذره
 ملٌ ومن يهوى ويكره
 الحسن من أول نظره
 دون أن أعرف مكره
 أنني أنفذت خمرة
 الصبا مثقال (ذرة)
 لم أدع في الكأس قطرة
 سلم (الملاح) .. أمره

وحنى الرأس خشوعاً	باسمًا يلثم قبرة
سوف تبكيه نجومُ الليل	لـ إشفاقاً، وحسرة
والى (مَرْمَرٍ) مثواه	سيُهدى الشعر زهرة
وينوح الليلُ حتى	تذبح الآهات صدره
ويئنّ الأفقُ حتى	توقظ الأنات فجرة

* * *

(أسفي أني)! قد كنتُ	(عصي القلب)؛ مِذرة
نافستني (عقرياتُ)	زمانى.. مكفهره
فتشامتُ.. ولم ألقِ	عليها أي نظرة!
وقطعتُ الشوطَ؛ كالـ	فارس لا يُهمَلُ حُضره
لا يخاف (القيـل والقال)	ولا يرهـبُ (غيره)
لا يُيالي ما أمامَ (الشـ	وط) من (لغمٍ) وحفرة

* * *

لم أكن أجهلُ لؤمَ الد	هر؛ أو أنكر غدره
غير أني؛ صلفاً حيـ	نًا وإغراقاً، وغيره
بشباب العمر قد أعجـ	بت؛ واسترهبت سحره
وبروح (العدل) قد	آمنتُ؛ واستعظمت قدره
وإذا بي في حُطام	لقصور مُشمِخة
تتهاوى كجبال الثلـ	ج في أرهب صورة
عندما (تستقطب) الشمـ	سُ ويوري الصيف حره
وأنا كالسائح الساـ	بح في بحر المجرة
ليس لي؛ إلّا بأن	أمنحها آخر.. نظرة

* * *

(أسفي أني) عَرَفْتُ النـ
خَيْرَهُ الوارف قد
وتمتعتُ بما لا يستطـ
وعرفتُ الجاءَ والثـ
وخبرتُ الذلَّ والنكـ
وشربتُ المرَّ ألوا
وتضجرتُ على الأرض
وتطامنتُ سلامًا
وتعاليتُ ادَّعاءً
لم أجد في الخلق مَنْ
دون أن يخشى عقابًا
عشت في عصر رهيب
وأعاد الماء نارًا
وأذلَّ العِزَّ علمًا
عَصُر حاناتٍ، ورقصِ
وشعاراتٍ، وأحزابٍ
ليتني كنت بليدًا
أنا من ضيَّع - كالملاح
خبطتُ أيام عمري
خبطَ عشواء يـناجي
كاد فيها القـيظ أن
ويودَّ العشبُ لو
وكثيبُ الرملُ لو
(أسفي أني) عصيت

ناس والكون وسرَّة
جربْتُ والشرَّ وضرَّة
يـع الشعرُ شكره
وَّة، والنهي، وأمره
بَّة، والفقـر، وكفره
نَّا وأدمنْتُ أـمره
وأضجرتُ الأسـرة
وتذلتُ.. مـبرَّة
وتباهيتُ مسـرة
أخلص للخالق سره
دون أن يطلب أجره
حوَرَ الذرَّة جـمره
وأحال العـجز قُدره
وأهانَ الجاءَ خبره
وترانيم، وخـمره
وأرقام، وثـوره!!
ليس يدري كيف يـكره
- في الأوهام عمره!
في متاهات المـضرَّة
حلمها الغيـث وقـطره
يفنى وأن يـقتل حره!
أضحى رمالاً مقشـعـره
أمسى مع الأنجم صـخـره
الحب واستصغرت أـمره

وتمردت على أحلا مه؛ واغتلت عطره

* * *

أنا هيمان يداري الـ خطوفي آخر عشرة
حوله الآمال صرعى قد قضت همًا وحسره
والفنا يلهث شوقًا وله يفتح.. قبرة
وجياغ الدود في ذرّ اته ترنو، وتشره

* * *

يا مجاعات المنايا هاك من أنفد دهره
لك طفلًا، ويتيمًا وفتى كالنجم؛ شهره
هاك من قصته في الأ رض ملهأة وعبره!
وسلامًا أيها الـ ل الذي ضيّع فجره
ليتني أسطيع أن أز رع في صبحك زهره

* * *

قد عبتُ الحقَّ إيمـ أنا وإدراگًا، وفطره
فتسامى بي وأحببت الذي قد كنت أكره

باريس: ١٤ ذي القعدة ١٣٩٣هـ

٨ ديسمبر ١٩٧٣م

٢٤٥ - القدس للعرب كل العرب عنوان

[في وداع الدكتور السفير عبد الله العريان، سفير جمهورية مصر
في باريس]:

(صنعاء) تجأ بالشكوى و (بغدان)
وفي (الخليج) وفي (نجد) تثور رؤى
من أجل وحدتنا فلننس أنفسنا
(قضية العرب) أغلى؛ وهي قد ظهرت
فلننس (عشرين عاماً) كلها انسلخت
ولنبني تاريخنا بالعلم (تقنيةً)

و (جُلُق) المجد في همّ و (تطوان)
للقدس) تبكي لها (مصر) و (لبنان)
ولننس ما كان - في يومٍ - ومن كانوا
لها (جنود)، وأنصار، لها شأن
من عمرنا، وهي عدوان وخسران
بها نصون الذي آباؤنا صانوا

* * *

(نودع) اليوم في (باريس) خير فتى
وقد عرفناه فذاً، مخلصاً، لبّاقاً
تستوعب الأحرف اللائي ينسّقها
العدل يشرح فيها كل ما طمحت
ونحن قومٌ لنا ماضٍ مآثره
(شرائع) الحق في أصقاعنا ولدت

قد زانه خُلُق عالٍ وإيمان
و (كاسياً) بالمعالي، وهو (عريان) !
في قوله . . كل ما يهواه إنسان
له القوانين؛ أو أوحاه رَحْمَانُ
تروي محامدها كتب، و (أديان) . . !
وبثها في الورى وحي وتبيان

فاختارها الناس، يونانُ و (رومانُ)
وعلمنا فيه؛ لا زورُ وطغيانُ
تصدّ عنا الأعادي حيثما كانوا
بحكمةٍ: أصلها فهمٌ وعرفانُ
«دمشق» لا فرق «سيناء» و «جولانُ»
في مثل قلبك (إنجيل) و (قرآنُ)

ومن مرابعنا (الأديانُ) قد زحفت
هذا هو (العالم الأسمى) مشاعرنا
يا أيها اللبُّ الخريّت دمت لنا
باللفظ، بالمنطق السامي، بأسئلة
تمثّل «الأمة الكبرى» «بمصر» وفي
«العرب» يجمعهم في عهد محنتهم

* * *

كم تاه من (تبع)؛ كم عز سلطانُ
(القدس) للعرب؛ كل العرب عنوانُ
ولالألى قد أعانونا، وما مانوا
مجالس العدل إنصافاً لمن هانوا
أوطان يهفوها قلب ووجدانُ
كم من عظيم له في القدس جثمانُ
بأن يُشاد له في (القدس) بنيانُ؟!
له (الملاجيء) أرماسُ وأوطانُ..!
ودمعُ (إنسانها) بالظلم هَتانُ..!
بالقول؛ فالسيف يُنضى وهو غضبانُ
فهمُ، وخبرة قذراتٍ، وإيمانُ

أنا ابن (صنعاء)، في أفياء عزتها
لكنني اليوم لا (عنوان) أذكره
قل للذي سيماري فيهمو شرساً
بأننا في الغد الباقي سنحضر في
وليس من أجل (سينا) وهي في كبد الـ
لكن لأجل الألى في القدس، قد رقدوا
مواطنُ (الروس) و (الألمان) حُق له
وصاحب (القدس) يحيا تائهاً تعساً
أين (الحقوق)؟ التي هم يحتفون بها
إن كان لا أمل للحقّ ننصره
سيفٌ يؤازره (علمُ)، يُقننه

* * *

(وداع) لفظة حبّ لا أرجعها
(وداع) تبكي حروف الدمع أحرفها
لي من (وداعات) أحبابي منائح في
إلا إذا انبجست بالدمع أجفان
فيها، وتشرق أشواق وأحزان
قلبي؛ وفي كتبي شعر وألحان

مطار أورلي، باريس: ٢٣ محرم ١٣٩٤ هـ
١٥ فبراير ١٩٧٤ م

لأطلب مالا، وطول العمر في خلدي قد نما واستقر ويسكب فيها رحيق الخدر ظنوني وأرضي بحكم القدر صبي؛ لا متوان ولا مضطجر ويستفها كالنسيم العطر وأحلامه؛ وبها ينصهر متى يرعوي؟ ما الذي ينتظر؟	صلاتي لربي بلا مطمع أصلي لأن شعور الصلاة يناجي المخاوف في مهجتي فأخلد كالتيه مستغشياً تمر السنون وقلبي العـ يُقبل كل ثواني الحياة ويصهر فيها أحاسيه متى ينثني عن صابته؟

* * *

وكاد بأعبائها ينتحر وشؤم الحياة، وبؤس البشر على الخلق مثل نسيم الزهر وأوهامهم نفحة من سقر	وقد أثخنه هموم الزمان صلاتي ترتل غدر الزمان تفوح بأحلامها تارةً وطوراً تطوف بآثامهم

باريس: ٢٥ محرم ١٣٩٤هـ

١٧ فبراير ١٩٧٤م

[بعد إقصاء الرئيس القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإيراني،
أرسل الشاعر هذه الأبيات إلى الرئيس إبراهيم الحمدي، مهتئاً
وناصحاً بتاريخ ٢٩/٧/١٩٧٤]:

من مبلغ عني «الوصاة» إلى الفتى الحرّ اليماني
الفدّ «إبراهيم» من أحيى الموات من الأماني
وافاك حظك مثل غيرك من مغاوير الزمان!
فاصدع؛ وخُذ بالحزم وامزجه بترياق الحنان
واغنم زمانك واعتبر بالأمس؛ وامض بلا تواني،
واضمن «سناناً» ليس بين القوم أذكى من «سنان»^(١)!
لو كنت في «صنعاء» أعرب عن مدى قلقي بياني
أخشى الجهالة من صديق، والخيانة من جبان
لو كنت.. ما أحجمت عن عمل، ولا كلت لساني
أدعو إلى «الدستور» منبثقاً عن «السبع المثاني»
ووهبت للوطن المفدى ما تبقى من جناني
ومضيت لا أخشى الرصاص ولا أحاذر من سنان

(١) يقصد النقيب «سنان» أبو لحوم.

٢٤٨ — نشيد الخيبة

[ووصل إلى صنعاء، لزيارة والدته بعد عام، فلم يحتفل به
«الصدیق» كما كان يفعل، فقال]:

عذيري لمن أوليته الودَّ ناصحاً	فجازي ودادي بالجفا والتنكُّر؟
سقاءهُ على نخب «الغشامة» «أصنَّجُ»	رحيقَ «سعيدٍ» في كؤُس «التحجُّر»
فبات ولا طيفُ لنا في ضميره	يدافع عنا من يقول ويفتري!

صنعا:

هباء مضي ما خلته أو أردته
(وما أسفي) أني تعبدت حبةً
عصيت شعوري واندفعت مجازفاً
تمرّد عقلي كان سلطان رغبتني
وسخفاً تلاشى كل شيء فعلته
ولكن لأنني لم أصن ما عبدته
أحطّم منه كل حلمٍ نحتته
له الحكم فيما عفته أو رضيتته

* * *

له أمره، ما اشتقته وكرهته
يقولون حرّ الرأي، والرأي خاضع
ولكنني في نكبة الحب قد قضى
تركت لنار الروح أشباح لذتي
وتوّهت حتى لا مدى لنهاية
له وحيه، ما خلته، أو رأيته
لحكم الهوى في أيّ أمرٍ يبتّه
هواي، ورغماً بالنهي قد سحقتّه
تحاسبها عن كل شيء جنيته
ولا غاية... إلا بتيهي قطعته

باريس: أول رمضان ١٣٩٤هـ

١٩ سبتمبر ١٩٧٤م

٢٥٠ - الحُزن الخالد

بدم القلب، لا بدّمْعي الغزير
قد قتلت الهوى وفي المهد أفزَع
وملذاته ذبحتُ؛ ولم أر
وصبايا أحلامه تنهاوى
ليلة الرعب؛ حين نادى المنادي:
سوف أبكي حطامَ حُبِّي الكبير
ت رؤى حُلمه الجميل النضير
حم رجاوى دعائه المستجير
وتُغني لحنَ العذاب المرير
قد دنت ساعة الوداع الأخير!

* * *

«أسفي أنني» وأدتُ غرامي
سوف تبقى ما دام ينبض قلبي
وهو في ميعة الشباب الغرير
جذوةُ الحزن تصطلي في ضميري

بيروت: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

لم يسعه في الأرض أي مكان
ب، بشوق المهذب الفنان
يتحدى أوامر السلطان
ولا يجتدي خداع الأمان
لم يُتاجر بقيمة الإنسان
بيد الغدر في ثرى «لبنان»
سيد الناس من بني «نعمان»
جمعتنا الأقدار في «السودان»
حلمًا للسلام والإيمان
الناس ما يرتجون للأوطان
بشرًا؛ في مودة وحنان
ويناجي ضمير كل يماني

عاش كالصقر دائم الجولان
في السماوات ظامئًا يرشف الغيث
ناطقًا بالذي يراه؛ جريئًا
لا يبالي شراسة الخوف إن فح
لم يطأ طيء جبينه، لم ينافق
عاش كالصقر ثائرًا، وتردى
ذاك خلي «محمد»، وابن خلي
ذاك؛ من لا أزل أذكر. . لما
و«الزبيري» في «أركويت»، نناغي
قال بالحب والحوار ينال
فانبذوا الحقد والحروب، وعيشوا
وهو صوت ما انفك يُحيي الأماني

بيروت: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

حيّ الدعاة الصامتين	بصوت آلاف السنين
واجأز، فإن لم تستطع	فاهمس، وتمتم بالأنين
فالتتمتات على الشفاه	تنم عن ألم دفين!
هتفت «بموسى» وابن «مر	يم»، وابن «آمنة» الأمين
بمكارم الأخلاق، بالإيـ	مان، بالحق المبين!

* * *

لكن.. وضجّ الخوف وانـ	سحقت أماني الضارعين
الهاتفين بصوت «أحمـ	د» والهداة المصلحين
وبما به نادى «المسـ	يح» ورامه للعالمين
صوت العدالة، صوت	آمال الضحايا الكادحين
العاملين؟ ولم ينالوا	قط أجر العاملين
الصابرين! وما لهم	حلم.. بفوز الصابرين!
الصائمين.. ولا ابتهاج..	«بعيد فطر» الصائمين!

* * *

باسم العدالة حطموا	أخلاقها.. متعمدين
قتلوا الحوافز.. كي يعيـ	ش الناس موتى، عايشين
مثل البهائم؛ لا خيال	ولا جمال، ولا حنين!
وتناخبوا السلطان؛ سفا	حين غلّفًا ملحدين؟

يَتَثَاءَبُونَ، مَنْ الْفُؤَا
وَاللَّهُ، لَوْلَا تِيهِ
قَدْ أَسْخَطَ «الْفُقَرَاءُ» وَاسْتَد
مَا اسْطَاعَ رَعْبُ الظُّلْمِ
وَلَمَّا تَمَكَّنَ طَاغِيًّا
أَيْنَ السَّلَامُ؟ وَقَدْ غَزَاهُ
فِي «الْقُدْسِ» أَوَّلَ قَبْلَةٍ
يَا لِلْحَقِيقَةِ أَصْبَحَتْ
أَيَعِيشُ أَهْلُ الْأَرْضِ فِي
وَلَهُمْ حَقُوقُ الْعِيشِ
إِلَّا «فِلَسْطِينَ» الْأَسِيرِ
أَبْنَاؤُهَا خَلْفَ الْحُدُودِ
«جَرَحٌ يَضْجُ». وَيَسْتَغِيثُ
«وَقَضِيَّةٌ تَتَلَمَّسُ» الْإِنْصَافَ

حَشْ مُتَخَمِينَ، مُخَدَّرِينَ
أَرْبَابَ الثَّرَاءِ الْعَابِثِينَ
عَدَى «الْجِيَاعِ» الْحَاقِدِينَ
إِسْكَاتِ الدَّعَاةِ الْمَخْلُصِينَ
حُكْمُ الطُّغَاةِ الْأَثْمِينَ
الْخَوْفِ فِي «الْبِلَدِ الْأَمِينِ»!
لِلْمُؤْمِنِينَ «الْمُسْلِمِينَ»؟
شَوْهَاءَ كَالْحَةِ الْجَبِينِ
أَوْطَانِهِمْ مُتَطَامِنِينَ؟
فِيهَا آمَنِينَ مَرْفَهِينَ؟
بِيرَةِ فِي يَدِ الْمُسْتَعْمَرِينَ
دُمُشْتَتِينَ مُشْرِدِينَ!
ثُ شُعُورِ قَوْمِ جَامِدِينَ!
عَافٍ عِنْدَ الْمُعْتَدِينَ!

* * *

يَا صَمْتُ لَيْسَ الصَّمْتُ فِي
بَلٍّ بِالصَّوَاعِقِ قَسْوَةٍ
وِ «الْحَقِّ» مَا لَمْ تَحْمِهِ
وِ «الْعَدْلِ»؟ لَا عَدْلٌ
وَإِذَا «تَكَافَأَتِ» الْقَوَى

شُرْعَ بِإِنْصَافٍ قَمِينِ!
الْعُدُوانِ تَصْهَرُ أَوْ تَلِينِ!
اسْتَخَذَى لِبَطْشِ «الْمُبْطِلِينَ»
يَسُودُ بَدُونِ «قُوَّةِ» قَادِرِينَ
عَاشَ الْوَرَى «مُتَسَاوِينَ»!

* * *

بِالْحُبِّ. يَا صَوْتِي.. أَفْقُ
حَرَكُ مَشَاعِرِهِمْ؛ أَعْدُ

وَاحْرَسَ حَقُوقَ النَّائِمِينَ
فِيهِمْ حَيَاةَ «النَّاطِقِينَ»

يا «صمت»؛ يا تيهي
سئمت لساني الصمت
كرهت الصمت هل لي أن أئين؟
إن الصمت دينُ العاجزين

* * *

أنا مُسلمٌ؛ فالنَّاسُ
وأرى «الخروج» على
و«الصمت» كفرٌ بالآله
لو أنهم صمتوا لما
لو لم يثر «زيد» و
سموه: «جعفر» أو «أبوه»
و«هشام» أو «مروان» أو
لا فرق بين الأبعدين
للعَدلِ منظارٌ به
وهو «الصُّراطُ المستقيمُ»
أكفاء؛ ومن ماءٍ وطينٍ
الطغاة المارقين الفاسقين
وبالدُّعاة المرسلين
فزنا بوحى، أو بدين
«إبراهيم»؛ ما وضع اليقين!
أو «الرَّشيد» أو «الأمين»
حتى «معاوية» الرّصين
إذا عَصَوْا - والأقربين
يمتاز صفُّ المجرمين!
فلا «يسار» ولا «يمين»

* * *

«الأكثرية» في بلادي
«الصَّامتين»، الصَّابرين
واليوم، دينُ النَّاسِ
أهل القوى؛ من طائرات
و«الشُّرق» يشحُّ، أو
يثبون «أحراراً»؛ فإن
من عداد الميِّتين^(١)
الخاضعين، الضَّائعين
دينُ الأقوياء المُبدعين
ومن مدافع، أو سفين
يثرثر أو يزيَّف «ثائرين»؟
جلسوا على الكرسي الوضين

(١) يقصد الوطن العربي الكبير، وقد أشد الشاعر هذه القصيدة في مؤتمر الأكثرية الصامتة يوم ١٣/٢/١٩٧٥م ببلنات وقد تجاهلتها صحف اليسار واليمين على السواء. وبعدها بشهرين حدثت محاولة اغتياله ولكن الله سلم، وانتقل إلى «لندن» للمعالجة.

ركنوا إلى أطماعهم وتوارثوها «مالكين»
وتلاعبوا بالدين والدُّس تور، غير مبالين

* * *

هل قصّة الإنسان في دُنْيَايَ مأساة السنين؟
من أنبياء مُصلّبين .. وأدعياء مُسلّطين؟
أم أن طغيان الضّجيج ودُمدمات المُرجفين؟
قد أربع «المستضعفين» وأرهب «المُتوهّمين»؟
وقضى على حسّ «البصيرة» في عيون المبصرين!
وأما طاقات الهدى، في ألسن المتكلّمين
فتهافتوا مثل الفراش، وأجفلوا متفرقين
لا ينطقون، وأيُّ نطقٍ للأسارى المُهطعين؟
«الصوت» سرُّ الله. فانصهروا به .. مُستغفرين
وتظلموا، لا تستكينوا .. لا تظلّوا ساكتين
فالصّمت ما يرضى به .. منّا الطُّغاة الحاكمون
ليمارسوا طغيانهم، و «الأكثرية» صامتون
يا ليتكم؛ يا ليتكم يا ليتكم .. تتكلّمون

* * *

«أسفي لأنّي» قد «أسفتُ» وليس قومي «أسفين»
ألفوا «السكوت» على الهوان فقدّسوه كارهين
وعرفت نفسي فانطلقت على جناح من يقين
أفضي بمكنوني؛ وفيه يصيح «صوت المؤمنين»

* * *

«أسفي لأنّي» لا يراني الخلق بين اليائسين

وَأَرَيْتُ آلَامِي.. فَلَمْ أَزْعِجْ عَيُونَ النَّاظِرِينَ
وَوَأَدْتُهَا خَوْفًا عَلَيْهَا مِنْ «شِمَات» الْحَاسِدِينَ
وَالْمُشْفَقِينَ؛ ذَوِي الدُّمُوعِ الذَّائِبَاتِ مِنَ الْحَنِينِ
قَدْ كُنْتُ «بَحْرًا» لِلدُّمُوعِ فَصَرْتُ «قَفْرًا» لِلْأَنِينِ

بيت مري، لبنان: غرة ربيع الأول ١٣٩٥هـ

١٣ مارس ١٩٧٥م

٢٥٣ - يحيى الوداعي

[في يوم ١١ ربيع الأول ١٣٩٥هـ / ٢٤ مارس ١٩٧٥ م ،
انتقل إلى جوار ربّه السيد الأديب يحيى إسماعيل الوداعي ، وكانَ
ظرفاً أديباً ؛ وبينه وبينَ صاحبِ الديوان ودّاً أكيداً ؛ فقال يبيكهِ
ملتزماً في أسفه لزومَ ما لا يلزم (العَيْن مع الدَّال)]:

بِفُؤادٍ راضٍ ، واستجابةٍ وادعٍ لَبى نداء الحقَّ «يحيى الوداعي»
لو كانَ مَنْ ناداهُ غيرَ إلهِهِ رَفَضَ الخضوعَ لأيِّ أمرٍ صادعٍ
وهو الَّذي بلِإِياهِ ، وشموخه قد عاشَ بينَ الناسِ غيرَ مخادعٍ
«سبعين عاماً» ؛ نالَ مِنْ ساعاتِها حظَّ الَّذي ما إنْ يصيخُ لرادعٍ

مَلأَ الحياةَ بحسِّهِ ، فأنالها
ما تستحقُّ مِنَ الكَريمِ الوادعِ
شمسُ الحوادثِ راضها بشتاته
ما كانَ بالواني ؛ ولا المُتقادعِ (١)
«أسفي عليه» ونوحَ شِعري كلما
أسطيعُهُ . . يومَ الفراقِ الجادعِ

القاهرة: ١٢ ربيع الأول ١٣٩٥هـ

٢٥ مارس ١٩٧٥ م

(١) شمسُ الفرس: لم يَكُنْ أحداً من ركوبه ؛ فهو شمسوس ؛ جمع: شُمس . والواني: العاجز .
والمُتقادع: المتهافت ، ويقال: تقادع الذُّبابُ على المرق: أي تهافت .

٢٥٤ - تحية جبال اليمن

[حينَ تمَّ تجديدُ انتخابِ السيّد موسى الصدر «إماماً»؛ حيّاهُ
الشاعر بالأبيات التالية.. وألقاها في حفل كبير يوم الجمعة ٢٣
ربيع الأول ١٣٩٥هـ / ٤ أبريل ١٩٧٥م]:

مِثْلَمَا كَانَ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ
«جَبْرِيلُ» عَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءُ
لِلشَّرْقِ.. فِينَا الْأَيْمَةُ الشُّهَدَاءُ
قِبْلَةً، يَهْتَدِي بِهَا الْأَوْلِيَاءُ
آبَائِهِ الْمُحْرُومُونَ وَالْفُقَرَاءُ!
بِاسْمِهِ الْأَمْهَاتُ، وَالْآبَاءُ
لِ؛ أَبِي؛ أَبَادَهُ الْأَقْوِيَاءُ
فِيثُورُ الْجِيَاعِ وَالضُّعْفَاءُ؟
ءَ صَلَاةٍ حَدَاوَهُمْ وَدُعَاءُ؟
مَاتَ فِيهِ التُّقَى، وَضَاعَ الْحَيَاءُ
جَعَ فِيهَا؛ فَضَجَّ فِيهَا النَّدَاءُ
مَانٍ، وَالْعَدْلُ الرَّايَةُ الْحَمْرَاءُ!
سَيُّ «وَكُلُّ لَهْ إِلَيْكَ انْتِمَاءُ
السَّرِّ لَنَا الْعَارِفُونَ وَالْعُلَمَاءُ
هَ بَهَاءُ يُحِبُّهُ الْبُؤْسَاءُ!

هَكَذَا كَانَ قَبْلَكَ الْخُلَفَاءُ
هَكَذَا.. قَدْ أَتَى إِلَى «بَذَرٍ»
هِيَ؛ رَمَزُ الْجِهَادِ؛ قَدْ صَانَهُ
وَهِيَ رُوحُ الْفِدَاءِ؛ وَ «الصَّدْرُ» فِيهَا
هُوَ مَنْ؟ جَدُّهُ «عَلِيٌّ» وَمِنْ
قَدْ أَتَى مُنْقِذًا لَهُمْ فَتَنَاجَتْ
فِي زَمَانٍ.. إِذَا تَطَلَّعَ لِلْعَدُوِّ
هَلْ تُرَى يُكْرَمُ الزَّمَانُ بِنِيهِ
وَمَتَى تَزْحَفُ الْكَتَائِبُ خَرَسًا
يَا «إِمَامَ» الْهُدَى بَعْضِرِ رَهيبِ
«رَجَمٍ» فِي «الْجِبَالِ» قَدْ أَزْعَجَ الْهَامِ
فِي بِلَادٍ «ضَرِيرَةٍ» هِيَ لِلْإِلَادِ
كُلُّهُمْ يَهْتَفُونَ بِاسْمِكَ يَا «مَوْ»
أَنْتَ أَنْتَ «الْإِمَامُ» قَدْ تَرَجَّمَ
أَنْتَ أَنْتَ «الْفَقِيرُ» ذُو الْوَجْهِ يَغْلُو

تَحْتَ أَقْدَامِهِ تَخِرُّ الطَّوَاعِي
هَكَذَا فِي نفوسنا قد قَرَأْنَا؛
نَحْنُ جُنْدُ الْإِسْلَامِ نَجْهَرُ بِالـ
وَهُوَ رَمَزُ «الْإِنْسَانِ» فِي الْأَرْضِ فِيهِ
و «عَلِيٌّ» شَهِيدُهُ وَ «حُسَيْنٌ»
كُنْ مَعَ «الْعَدْلِ»؛ أَلْمَعِيَّا صَرِيحًا
لَا تُبَلِّغْ إِنْ جَفَاكَ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي
إِنْ لِلنَّاسِ فِيكَ ظَنًّا جَمِيلًا
وَأَرَى الشَّرَّ قَدْ أَنَاخَ . . وَلَكِنْ
«يَسْكُنُ الْوَحْشُ لِلْوُثُوبِ مِنَ الْأَسْرِ»^(١)

بيروت: ٢٣ ربيع الأول ١٣٩٥ هـ
٤ أبريل ١٩٧٥ م

تُ؛ وَفِي كَفِّهِ يُنْصُ اللَّوَاءُ
وَقَلِيلٌ فِيهَا هُمُ الْقُرَاءُ . . !
حَقٌّ فَاِمَّا عَدْلٌ، وَاِمَّا فَنَاءُ!
وَحْدَهُ - لَا سِوَى - يَحِقُّ الْفِدَاءُ!
وَبَنُوهُ الْأَشَاوُسُ الْأَتْقِيَاءُ
نُطْقَكَ الْحَقُّ، لَا هَوَى؛ لَا رِيَاءُ
أَوْ تِمَادَى الْأَشْرَارُ وَالسُّفَهَاءُ
وَهُوَ لِلْمُخْلِصِينَ نِعَمَ الْوِقَاءِ
قَرِيبًا أَرَى - يَكُونُ الْجَزَاءُ . . !
. . فَكَيْفَ الْخَلَائِقُ الْعُقَلَاءُ . . ؟

(١) هذا البيت للشاعر «أحمد شوقي»

وَدَّعْتُ نومي وسروري معا
لَمَّا رَأَيْتُ الركبَ قد أزمعا . .
بانوا بحِجِّ حين ودَّعْتُهُ
أجهشَ لا يجرؤ أن يدمعا
يخافُ أن يَعْرِفَ عذَّالُهُ
أو أن يرى الشامت، أو يسمعا

بيروت: ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

٢٥٦ — عاشق الحكم، وعبد المال

فيها التزام العين مع النون بينهما ألف

الجاء، والثروة؛ لا ينفعان هناك ميزان إلى عدله
فرُبُّ ذي مالٍ تقيُّ إذا وربُّ ذي جاهٍ ذكي؛ وإن
وكم فقيرٍ؛ وهو من خُبثه وعاشقُ الحكم وذو المال — إن
يُنكدان الناس كي يسعدا وللملذاتِ هما طيَّعان
يُسبَّحان المالَ إذ يسجَّدان وللهدى والخير والرِّزقِ والمَا
تزلزلُ الأرضُ؛ فلا يعقلان ما يفتان العُمَرُ في غفلةٍ
حتى إذا الموتُ بناقوسِهِ . هُناكَ لا تُجدي المعاذيرُ قَطْمَ
وكم قديمًا ذُكِرَا بالرَّدى إن خدعا النَّاسَ بلا حشمةٍ
يا خسرَ مَنْ والاهما ذِلَّةً والفقرُ والكديَّةُ؛ لا يشفعان
ذو المال والمكدي غداً يرجعان فكر؛ عيناه أَسَى تدمعان
تنصحه أَصغى وارعوى واستعان وشرُّه عيناه . لا تهجعان
شَحَّ به — بطنان لا تشبعان ولا يفيقان، ولا يقنعان
وللمعاصي جَهرةٌ يخنعان ويحمدان الجاهَ إذ يركعان
عون، ما بين الورى يمنعان ولا يصيخان، ولا يسمعان
كالْبهم في سومهما يرتعان^(١) دَقَّ؛ أفاقا حَسرةً يهلعان
سيرًا؛ وماذا يا ترى يصنعان؟ فلا يخافان، ولا يخشعان
فالله، والتَّاريخُ لا يُخدعان ومَنْ — ضلالاً — لهما قَدْ أعان

مستشفى ويلنجتون، لندن: ١٦ جمادى الأولى ١٣٩٥هـ

٢٦ مايو ١٩٧٥م

(١) البَهم: الواحدة = بهيمة؛ أولاد البقر والمعز والضأن.

[وقال ملتزمًا «التاء» المضمومة مع الرّاء وياء الردف]

لا تلحني ؛ ما كما أهواه أبريتُ
وقد طُبِعْتُ بأخلاقي ؛ وأغريتُ
وزاد طبعي فسادًا أن مُدَحِّتٌ على دَمِيمٌ فعلى وإن أخطأتُ أطريتُ
حتَّى ألفتُ خِصالَ السَّوءِ وانفعلتُ غرائزي بحميّاهَا، وضُرِّيتُ^(١)
فَهَلْ تَجَرَّأْتُ؟ أم أَنِّي قُسِرْتُ على
فِعْلِ المعاصي بلا قصدٍ وجَرِّيتُ؟

* * *

قُلْنَا، وقالوا ؛ ووجهُ الحقِّ مُسْتَرٌّ عَنَا وأقوالُنَا ؛ مَيَّنْ وتَهَرِّيتُ^(٢)
نَجْتَازُ صحراءَ لا نَدْرِي مسالكَهَا كم ضَلَّ في دَوَّهَا فحلَّ وخَرِّيتُ^(٣)
دعني وشاني ، وإن لم تَرْضَ عن شيمي
فما عن النِّقصِ والتَّقْصِيرِ بُرِّيتُ
أنا الَّذِي في دِياجِي الغيِّ كم سَبَحَتْ نفسي ؛ وأدْلَجْتُ مغرورًا وأَسْرَيْتُ
لولا بَقِيَّةُ تقوى أو محاذرةٌ ؛ لَقُلْتُ : إِنِّي لمحضُ الشرِّ أبريتُ
أَعْطَيْتُ ما لم أَكُنْ أهْوَى ؛ وهأنذا
قَسِرًا سُلِّيتُ ومما حَزْتُ عُرِّيتُ

لندن : ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م

(١) ضَرَّيْتُ الكَلْبَ : أغراه وعَوَّدَه .

(٢) التَهَرِّيتُ : التَشْدِيقُ .

(٣) الخَرِّيتُ : الدَّلِيلُ والحاذقُ .

قِفُوا قَلِيلًا . . .
 يَا رِفَاقَ اللَّيْلِ
 فَالْفَجْرُ . . . بَعِيدُ
 لَا تَظْلِمُونَا؛ لَمْ نَكُنْ بِالظَّلَمَةِ
 وَمَا قَتَلْنَا الْحَقَّ فِي مُحَرَابِهِ؛
 وَلَا خَنَقْنَا صَوْتَهُ
 وَلَا جَحَدْنَا فَضْلَ مَا نَعْرِفُ مِنْ آدَابِهِ
 وَلَا أَرَدْنَا مَوْتَهُ
 وَلَا خَضَرْنَا مَائِثَمَهُ
 وَالنُّورُ . . . لَمْ نَسْفِكْ دَمَهُ
 وَلَا حَطَمْنَا عِلْمَهُ
 وَقَدْ رَشَقْنَاهُ سَعِيرًا . . . وَجَرَعْنَا حَمَمَهُ
 وَلَمْ نَخَفْ مِنْ أَجْلِهِ
 نَارَ الْجَحِيمِ الْحُطَمَةِ
 وَالصُّبْحُ يَذْرِي أَنَا
 كُنَّا نَخَافُ الْعَتَمَةَ
 وَاللَّيْلُ صُنَّا سِرَّهُ
 وَلَمْ نُفَنِّدْ أَنْجُمَهُ

والأبدُ الأخرسُ
لم نَبْسُ لَهُ بِكَلِمَةٍ
والقدْرُ الأبْكُمُ
عانقناه . . قَبَّلْنَا فَمَهُ
والدمدماتُ في الضلوعِ
كَمْ كَتَبْنَاهَا . . وذابتُ في الشفاهِ تَمْتَمُهُ ؛
وحسراتِ أسفٍ
ورجفاتِ همهمه

* * *

قفوا قليلاً
يا رفاقَ اللَّيْلِ ؛
فالفجرُ بعيد
ومن وراءِ نوريهِ
يَكْمُنُ لَيْلٌ موحشٌ . . . بليدٌ
يلوكُ أشلاءَ الأمانِي
وحُطَامَ الأملِ البديدِ
ويتمطى . . . مُثْقَلًا
كالجملِ الحَسِيرِ ؛
أو كَلْهَاتِ ندمٍ
يَجْهَشُ في جراحِ بطلٍ أسيرٍ

لندن : ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م

مُلثَمُونَ .. وَجُدُونَا
كَانُوا .. مُلثَمِينَ
مَشْرَدِينَ .. فِي الْبَرَارِيِّ .. تَائِهِينَ
نَحْنُ؛ الْمُلثَمُونَ
الكَاتِمُونَ فِي صُدُورِنَا:
بَغْضَ الْجُنَاهِ

* * *

لَا نَنْطِقُ الْعُورَاءَ، إِلَّا فِي وَجْهِ الظَّالِمِينَ
إِذَا تَدَجَّى الْهَوْلُ
أَشْعَلْنَا مَصَابِيحَ الْأَمَلِ
وَأِنْ طَغَى الْخَوْفُ
صَمَتْنَا .. وَخَشَعْنَا لِلْعَمَلِ
نَحْنُ الْمُلثَمُونَ جَهْرَةً
لَا رَهْبَةً .. وَلَا حَيَاةً ..!
بَيْنَ رَفَاقِنَا نَخْطُرُ
وَوُجُوهُنَا مُلَثَّمَةٌ
أَشْلَاءُ نُورِ
تَتَهَادَاهَا الدِّيَاجِي الْمَظْلَمَةُ

وَرَشَفَاتٍ . . ؛
تَتَمَنَّاهَا الصَّحَارَى الْمُعْتِمَةُ
ولَهْفَاتٍ
تَتَلَطَّيُ . . فِي الْقُلُوبِ الْمُسْلِمَةِ

* * *

نَحْنُ عُرَاةٌ فِي طَوَايِنا
وإن كُنَّا مُلْتَمِينَ
نَرْهَبُ أَنْاتِ الْعُقَاةِ الْبَائِسِينَ
وَنَسْتَجِيبُ لِنِدَاءِ الثَّائِرِينَ ؛
وَنَمْتَطِي عَوَاصِفَ الضِّيَاعِ
تَائِهِينَ

غَيْرِ «آسَفِينَ»
إِنْ لَمْ نَكُنْ «مُجَاهِدِينَ»
صِرْنَا . . . «مُهَاجِرِينَ»
غَيْرِ «آسَفِينَ»
كَيْلَا نَعِيشَ «جَهْرَةً»
«مُسْتَضْعَفِينَ» . عَاجِزِينَ

لندن : ٢٢ جمادى الأولى ١٤٩٥ هـ
١ يونيو ١٩٧٥ م

٢٦٠ - تحية للرئيس الحَمدي

بمناسبة الذكرى الثالثة عشر للثورة

حَيِّ المَقْدَم إبراهيم ذا الفطن وابن الأشاوس من أحفاد ذي يزن
وقل له «سبأ» في القبر مبتهجٌ مذقت تحمل عنه راية اليمن
والناس من «يعرب» أو «هاشم» محضوا
لك المودة في الأسرار والعلن
أحبك الشعب عن صدق ومعرفة
من سفح «صعدة» حتى السيف في «عدن»
قد بايعوك رئيسًا والرئاسة قد كانت قديمًا من الأرزاء والمحن
ولست وارث تاج تستبدّ به ولم تثر لدواعي الحقد والإحن
فانهض بها واعف عنهم وأغضِ وانه ومُر
بالعرف واعرض عن الدّاعين للفتن
والحكم ما لم يكن «شورى» ورايته
هي «المساواة» لا يقوى على الزّمن!

بروملي: ٢١ رمضان ١٣٩٥هـ

٢٦ سبتمبر ١٩٧٥

هَجَرْتُهَا . .
هاجرتُ عنها . .
وجَهَرْتُ بقلابها . . وأنا الحرّ الشريد .
وترك الهجر لها في مهجتي
ذكرى تُبكي حبي العتيذ .
كأنها ثماله من أمل . .
تنشجُ في أحشاء مظلوم شهيد .
هل حطمتني . . وأنا صانعها؟
هل أنشأتني من جديد . .
عبدًا لها . . بليد؟
عبدًا لها يطيقُ ما لا يستطيع ،
يزخر بالأحلام . . فؤاده الوديع .
ويرشف الأوهام . . روحه الوجيع ،
ويبدع الأنغام . . في شعر بديع ،
يطيع . . ويطيع . . ويطيع ،
وفي حناياه صريحُ لهوى . . . صريع

٢٧ أكتوبر ١٣٩٥ هـ

ألف بباء

اللزوم

حرف الهمزة

الهمزة المضمومة مع الباء

لي الله؛ كم للجِدِّ رُوحِي أَرِيقُهَا	حزِينًا؛ وَحُولِي يَعْبُثُ الْأَدْبَاءُ
يذودون عَنْ حَوْضِ الْهَدْيِ كُلِّ عَاطِشٍ	وَيُصَرِّفُ عَنْهُ الْفَتِيَّةُ النُّجَبَاءُ!
يريدون قَسَرَ الْخَلْقِ؛ وَالْفَرْدُ مِنْهُمْ	لَهُ فِطْرَةٌ خَلَاقَةٌ وَإِبَاءُ!
يقولون: أَطْفَالُ نَصُوغٍ عُقُولُهُمْ	وَأَرْوَاحُهُمْ أُسْرَى لَنَا وَسَبَاءُ!
فقلت: ضَلَالٌ كُلُّ مَا تَنْطِقُونَهُ	وَيَعْرِفُهُ الْأَفْذَاذُ وَالْأَرْبَاءُ
عزوفي عَنْ تَصْديقٍ مَا تَزْعُمُونَهُ	يَقِينُ لَهُ فِي الْقَلْبِ نُصٌّ خَبَاءُ

٢٦٣ — لماذا التَّمادي؟ [٢]

الهمزة المضمومة مع الباء أيضاً

مَعَاذِيرَ يَدْرِى زَيْفَهَا الْأَرْبَاءُ	تُكَابِرُ فِي حَصْدِ الْمَعَاصِي، وَتَدَّعِي
وَتَعْرِفُ أَنَّ الْكَائِنَاتِ هَبَاءُ	وَأَنْتِ عَلِيمٌ أَنَّ عَمَرَكَ نَافِدٌ
سَيِّئَاتِي؛ وَفِيهِ يَشْهَدُ الرُّقْبَاءُ!	وَأَنْ حِسَابًا لَا يُغَادِرُ ذَرَّةً
وَهَلْ تُرْتَضَى شَيْخُوخَةً وَصَبَاءُ؟	لِمَاذَا التَّمَادِي؛ وَالشَّبَابُ قَدْ انْقَضَى؟

الهمزة مع الهمزة

تعبَّدْتُ؛ لا أرجو من الله دفع ما
قد اختار؛ ما فيهما أقول رءاء!
ولكنَّه اللُّطْفُ المرجَّى؛ يَصُونُ ما
تَبَقَّى؛ فيزْهَو مَنْظَرُ ورؤاء!
وإنِّي، وَمَنْ قد يَرْتَضُونَ مقالتي
إلى الله عن جَحْدِ الْقَضَا بُرَاءُ

الهمزة المضمومة مع الباء

«مَعْدٌ» تَوَلَّى وَهُوَ يَجْهَلُ مَا الَّذِي
 ودار به الفلكُ الَّذِي دار ساخرًا
 فكيف يُراد اليوم مِنْكَ تَعْصُبُ
 تَحَكَّمَ مِيزَانُ المساواةِ فِي الوري
 وبيانَ لَنَا بِالْعِلْمِ مَا كَانَ خَافِيًا
 دَهَى سَبَاءٍ أَوْ مَا الَّذِي كَانَ يَسْبَاءُ
 عَلَى الْخَلْقِ: فِدْمٌ، أَوْ عَلِيمٌ، يُنْبَأُ
 لَأَنْسَابِ رَاوٍ؛ إِنَّنِي بِكَ أَرْبَاءُ؟!
 وَأَخْطَأُ مِنْ عَنْهَا يَحِيدُ، وَيَصْبَاءُ
 وَشَافَهْنَا السَّرُّ الَّذِي كَانَ يُخْبَأُ!

الهمزة المضمومة مع الدال

إِذَا صَدَيْءُ الْجِسْمِ الَّذِي هُوَ هَيْكَلِي	فَرُوحِي فِيهِ لَا تَشِيبُ وَتَصْدَاءُ
بَدَأْتُ سَلِيمَ النَّفْسِ تَعَشُّقُ فِطْرَتِي	الْجَمَالَ؛ وَأَهْوَاهُ، وَمَا زِلْتُ أَبْدَاءُ؟
وَسَوْفَ أَوَالِي السَّيْرِ فِي نَهْجِ عَشْقِهِ	وَفِي مُنْتَهَاهِ سَوْفَ أَقْضِي وَأَهْدَاءُ!

الهمزة المضمومة مع السين

سَفِينَةُ الْعُمَرِ فِي بَحْرِ الْحَيَاةِ مَضَتْ
فِيهَا بَضَائِعُ آمَالٍ وَأَخِيلَةٌ
كَمْ مِنْ سَفِينٍ تَهَاوَتْ فِي دَجَنَّتِهِ
أَفٍّ لِقَوْمٍ نِيَامٍ ، لَا يَحْسُ بِهِمْ
لَا يَسْمَعُونَ لِصَوْتِ الْحَقِّ يَنْدُبُهُمْ
مَنْ لِي بِهِمْ مَعْشَرٌ؛ مَنْ كُلُّ ذِي خُلُقٍ
جَاءِي الزَّمَانِ؛ فَلَا النَّعْمَاءُ تُبْطِرُهُ
لَهَا شِرَاعَانِ: إِصْبَاحٌ وَإِمْسَاءُ
وَمَا لَهَا غَيْرَ شَطِّ الْقَبْرِ إِرْسَاءُ!
وَالْبَحْرُ بَاقٍ، وَعَيْنُ الدَّهْرِ شَوْسَاءُ! (١)
مَنْ فِي الْوَجُودِ؛ فَلَا سُرُوءَ، وَلَا سَاءُ
كَأَنَّهُمْ أُمَّةٌ بِكَمَاءٍ.. خَرَسَاءُ
سَامٍ، وَهَمَّتْهُ شَمَاءُ قَعْسَاءُ
إِذَا، تَوَالَتْ؛ وَلَا تُخْزِيهِ بِأَسَاءُ

(١) الشوساء: الناظرة شرراً يغضب.

٢٦٨ — عشاق المخازي...! [٧]

الهمزة المضمومة مع الباء

كَمْ ذَا نُكَابِدُ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ	وَمِنْ خَدَاعٍ؛ أَمَا يُرْجَى أَطِبَّاءُ؟
لَا نَتَّقِي اللَّهَ فِي إِثْمٍ نُقَارِفُهُ	وَلَا نَطِيعُ . . إِذَا قَالَ الْأَلْبَاءُ
وَنَسْتَطِيبُ، وَنُطْرِي كُلَّ مُوبِقَةٍ	كَأَنَّنا لِمَخَازِينَا أَجْبَاءُ

الهمزة المضمومة مع الواو

وللسَّياسة ألوانٌ، وأضواءٌ ^(١)	إنَّ كانَ في الشُّعرِ إبطاءٌ، وإقواءٌ
وفي علوم الورى زيفٌ وإغواءٌ	وفي المذاهب أنماطٌ مُشكَّلةٌ
بيضاء، مثل جبين الشَّمسِ، جَلْواءٌ	فإنَّ شِرْعَةَ «دين الحقِّ» واضحةٌ
ولا تُصخُّ — إن تناجتُ فيكَ أهواءُ!	فاسلكَ محجَّتَها في غُبْطَةٍ ورَضًا
بَعْضُ العَقائِدِ أغلالٌ، وأدواءُ!	وأبعدَ عَنِ النَّاسِ إن شَاهَتْ عَقائِدُهُم

(١) الإقواء: اختلاف حركة القافية. والإبطاء: إعادة القافية.

٢٧٠ — الأَلحان.. والراح [٩]

الهمزة المضمومة مع الفاء

سفيتي في خِصَمِّ الدَّهرِ جاريةً ولستُ أدري متى ، أو أين أرفئُها^(١)
مَنْ ذا يُجِدُّ ثيابَ الجِسمِ إنْ خَلَقَتْ؟ وإنْ خبت نارُ رُوحِي ؛ من سَيُدفئُها؟
همومُ عُمري بالأَلحانِ أَسَكَّتُها ونارها بمذابِ الرِّاحِ أَطْفِئُها!

(١) أرفئها: أرسىها.

الهمزة المضمومة مع الياء

قَدْ عَمَّ بَيْنَ الْوَرَى الرَّيَاءُ	وَأَنْعَدَمَ الصَّدَقُ وَالْحَيَاءُ
وَسَادَ مَنْ كَانَ ذَا ضَلَالٍ	وَحَكَمَ النَّاسَ أَغْبِيَاءُ
فَلْتَبْكِ عَيْنَاكَ كُلَّ خَيْرٍ	وَلْيَنْتَحِرْ فِيهِمَا الضِّيَاءُ!
فَكَافِرُ الْيَوْمِ دُونَ عِلْمٍ!	وَلَا الْمَصْلِيْنَ أَتْقِيَاءُ!
وَلَا حَوَارٍ، وَلَا دَلِيلَ	وَلَا انْشِرَاحٍ، وَلَا اسْتِيَاءُ!
الْأَكْرَمُونَ التُّقَاةَ مَاتُوا	وَمَلَأَ الْأَرْضَ أَذْعِيَاءُ

الهمزة المضمومة مع الياء

رُؤَيْدُكَ؛ لَيْسَ جِلْمُ الْمَرْءِ عَجْزًا
وَقَدْ يَسْطِيعُ ذُو الثَّأْرِ انتِقَامًا
يَعَافُ الظُّلْمَ حُرًّا أَلْمَعِيَّ
وَيَأْبَى أَنْ يُشَارِكَ فِي الْمَخَازِي
وَمَالُ السُّحْتِ مَشَامَةٌ وَعَارُ
رُؤَيْدِكَ.. فِي الدُّجَى بَرْقٌ لَمَوْعٌ
أَرَى خَلْفَ الظُّلَامِ وَمِيزَ فَجْرٍ
وَتُسْفِرُ رَايَةً لِلْعَدْلِ فِيهَا

وَلَا الرَّجُلُ الْحَيَّ هُوَ الْعِيَاءُ^(١)
فَتَمْنَعُهُ الْمَرْوَةُ وَالْحِيَاءُ!
وَيَأْلَفُهُ الْعُصَاةُ الْأَدْعِيَاءُ!
هُمَّامٌ.. إِنْ دَعَاهُ الْأَشْقِيَاءُ!
تَحَاشَاهُ الطُّغَاةُ الْأَذْكِيَاءُ!
وَلَكِنْ.. لَا يَرَاهُ الْأَغْبِيَاءُ..!
وَيَوْشِكُ أَنْ «يَسُودَ» بِهِ الضِّيَاءُ
جَلَالٌ؛ لَنْ يُخَادِعَهُ الرَّيَاءُ..!

(١) الرجل العياء: الذي لا حاجة له إلى النساء.. عجزًا.

الهمزة المضمومة مع الظاء

أراك مُنَعَّمًا وَقَرِيرَ عَيْنٍ
تَحُوطُكَ حَيْثَمَا تَمْضِي الْحِظَاءُ^(١)
وَبِي قَلَقٌ يُزَعِّزُنِي وَرُغْبٌ
يُثِيرُ مَخَافِي ، وَبِي التَّظَاءُ
فَكَيْفَ يَضُمُّنَا أَمَلٌ ، وَرَأْيٌ؟
وَهَلْ قَدْ أُولَفَتْ ذَالُ وَظَاءُ؟^(١)
يُؤُوبُ «الْقَارِظَانِ» إِذَا التَّقَيْنَا!
وَيُحَلِّبُ إِنْ تَعَاشَرْنَا الْعِظَاءُ^(٢)

(١) الحِظَاءُ : جمع حظوة .

(١) لا تجتمع الذال والظاء في لفظة عربية .

(٢) القارطان : رجلان قديمان خرجا يجنيان القرط فضاء ، والعطاء جمع عطاية : دوية لا تبول : فكيف تحلب؟

الهمزة المضمومة مع القاف

وتَظَوِّرُ لجنسك وانتقاء	وجودك في مُحيطك إرتقاء
لَهُ عَنْ كُلِّ كَمَا يَخْشَى اتِّقَاءُ	وقالوا: إِنَّمَا يَبْقَى قَوِيٌّ
وَعَاصِبُهَا لَهُ فِيهَا الْبَقَاءُ ^(١)	وما الدُّنْيَا سِوَى أَنْفَالِ حَرْبٍ
تَجَارِبُهَا؛ نَعِيمٌ أَوْ شِقَاءُ	كَذَا قَالُوا؛ فَقُلْتُ — وَلِلْمَاسِي
وَلَا حَذَرٌ يُفِيدُ، وَلَا وَقَاءُ!	إِذَا قَدَرُ أَنْاخَ؛ فَلَا سِلَاحُ
بِهِمْ فَرَجٌ! وَمَا هُمْ أَصْدَقَاءُ!	وَلَا الْأَعْوَانُ يَوْمَ الرَّوْعِ يُرْجَى

(١) الأنفال: الغنائم.

الهمزة المضمومة مع الراء

قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ عَصِيٌّ طَبْعُهُ
يَسْتَقْبِلُ الْأَرْزَاءَ فِي دَعَةٍ وَإِنْ
وَالْيَوْمَ قَدْ سَقِمْتُ عَزِيمَتِهِ وَلَا
سَقِمْتُ بِغَدْرَةِ صَاحِبِ مُتْعَهْدٍ
وَبِمَا يُشَاعُ جَهَالَةً فِي أُمَّةٍ
رَكَنُوا إِلَى أَطْمَاعِهِمْ فَخَوَتْ بِهِمْ
ذُو هِمَّةٍ لَا يُرْتَجَى إِغْرَاؤُهَا!
عَظُمَتْ وَيَصْبِرُ إِنْ طَغَتْ ضَرَاؤُهَا!
يُرْجَى تَمَاتُلُهَا وَلَا إِبْرَاؤُهَا!
فِي لَيْلَةٍ قَدْ أَوْحَشَتْ غَدْرَاؤُهَا
قَدْ غَرَّهَا - مَعَ جَهْلِهَا - إِثْرَاؤُهَا
إِرْبُ، وَأَوْهَامُ هُمُ أَسْرَاؤُهَا

* * *

قَدْ كُنْتُ فِي كَنَفِ الشَّبَابِ وَهَمْتِي
نَحْمِي جَمِي حُرِّيَّةٍ؛ نَخْشَى عَلَى
وَالْيَوْمَ لَا غَدُ قَدْ أَتَى مُتَبَخِّرًا
هَلْ صَيْحَةٌ تَعْلُو؛ فَتَصْحُوا أُمَّةً
«ظَلَمُوا الرِّعِيَّةَ وَاسْتَجَازُوا كَيْدَهَا»
وَبَاتُهَا تَزْهَو بِهَا نُظْرَاؤُهَا
حُرْمَاتُهَا إِنْ لَمْ يُصْنِ فَقَرَاؤُهَا
أَمْسُ الْبِلَادِ تَزْفُهُ شُعْرَاؤُهَا!
«أَمَرْتُ بِغَيْرِ صَلاَحِهَا أَمْرَاؤُهَا»
فَعَدُوا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أَجْرَاؤُهَا»^(١)

(١) اقتباس من لزوميات «المعري».

الهمزة المضمومة مع الباء

جُنُسْكَ — مُذْ كَانَ — ذُو مُخَاتَلَةٍ	كَأَنَّهُ فِي الْخُدَاعِ جَرْبَاءُ
اسْتَحْكَمَ الْخُلْفُ فِي بَنِيهِ، وَقَدْ	تَمَايَزَ الْغُلْفُ وَالْأَلْبَاءُ
هَذَا يُصَلِّي؛ وَجِسَهُ قَلِقٌ	تَشْغَلُهُ الطَّيِّبَاتُ وَالْبَاءُ ^(١)
وَذَاكَ يَشْتَاطُ شَهْوَةً، وَلَهُ	خَلِيلَةٌ تَطْبِيهِ عَرْبَاءُ ^(٢)
وَذَا بِهِ لَوْثَةٌ وَقَدْ نَفَرْتُ	عَنْهُ لِمَا نَابَهُ الْأَحْبَاءُ!
وَفِتْيَةٌ فِي غَوَايَةِ وَشَقَا	أَذَوَاؤُهُمْ مَا لَهَا أَطْبَاءُ!
وَمَعَشَرٌ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ	بِمَا هُمُوقَدَّمُوهُ.. قَدْ بَاءُوا

* * *

أَفْ لِدُنْيَا؛ نَعِيمُهَا لَمَعُ	وَعَيْشُهَا خُدَعَةٌ، وَإِرْبَاءُ
كَامْرَأَةٍ يَسْتَبْكِيكَ مَظْهَرُهَا	لَكِنَّهَا مُومِسٌ؛ وَجَرْبَاءُ!

(١) الباء: الزواج.

(٢) تطبيه: تَتَحَبَّبُ إِلَيْهِ. وَالْعَرَبَاءُ هُنَا: الْعَاشِقَةُ.

الهمزة المضمومة مع الميم

مَنْ تُنَادِي؟ مَنْ تَسْتَفِزُّ وَتَرْجُو؟
فَتَكَ الشَّرُّ بِالطَّبَائِعِ وَاسْتَد
وَتَبَاهَى الطَّغَامُ فِي كُلِّ حَفْلٍ
لَمْ تَعُدْ تَلْكُمُو النُّجُومَ الَّتِي نَعُدْ
لَمْ يَعُدْ مِنْ مَعَارِفِ الدِّينِ إِلَّا
كَانَ بِالْأُمْسِ يُرْعِبُ الشَّعْبَ فَرْدُ
وَلَنَا الْيَوْمَ كُلُّ يَوْمٍ قَتِيلُ
كَانَ بِالْأُمْسِ يَصْرُخُ الْفَرْدُ مِنَّا
وَيَصِيحُ الْأَخْرَارُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ؛
وَلَنَا الْيَوْمَ أَلْفُ أَلْفٍ احْتِجَاجُ
أَهُوَ الْمَوْتُ؟ أَمْ هُوَ الْخَذَرُ الطَّا
أَمْ هُوَ الصَّبْرُ وَالْمَعَانَاةُ حَتَّى
«ثَوْرَةُ» كَمْ «مُوسَى» وَ«طَه» وَ«سُقْرَاطُ»
ثَوْرَةُ الشَّعْبِ؛ لَا امْتِيازَ لِقَوْمٍ
ثَوْرَةُ الْعَدْلِ وَالْمَسَاوَاةِ فِي الْعَيْ

دَهْرُكَ الْيَوْمَ أَذْنُهُ صَمَاءُ
شَرَى؛ فَلَا رَحْمَةً، وَلَا رُحَمَاءُ
وَتَوَارَى الْأَبْرَارُ وَالْحُكَمَاءُ
رَفُ تَزْهَوُ وَلَا السَّمَاءُ السَّمَاءُ!
صَوْرُ تُسْتَغْلُ أَوْ أَسْمَاءُ
بَصْدَى بَطْشِهِ تُصَانُ الدَّمَاءُ!!
لَا شَهُودَ لَهُ، وَلَا غُرَمَاءُ!
فَيْلَبِي نِدَاءَهُ الْعُلَمَاءُ
فَيَخَافُ الْحُكَّامُ وَالزُّعَمَاءُ!
يَزْدَرِيهَا قَضَاتُنَا اللَّوْمَاءُ!
غِي؟ أَمْ الْخَوْفُ؟ أَمْ هُوَ الْإِغْمَاءُ؟
تَفْجَأُ الظُّلَمُ ثَوْرَةُ بِكَمَاءُ؟
تَنَاجُوا بِهَا وَكَمْ قُدَمَاءُ
دُونَ قَوْمٍ؛ لَا مِلَّةً؛ لَا أَنْتَمَاءُ!
شِ، فَلَا سَادَةَ وَلَا دَهْمَاءُ

الهمزة المفتوحة مع السين

فأَحْرِمَنِي الطَّعَامَ أَوِ الحِسَاءَ!	تَجَبَّرَ مَا اسْتَطَعَتْ وَإِنْ تُبَالِغْ
قِيُودِي؛ وَأَنْتَزِعْ مِنِّي الكِسَاءَ	وَإِنْ غَالَيْتَ فَاجْلِدْنِي، وَضَاعِفْ
وَتُحْرِمَنِي الصَّبَاحَ أَوِ الْمَسَاءَ؟؟	فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَغْتَالَ فِكْرِي،
بِأُفُقِ اللَّهِ يَسْتَجِدِّي اعْتِسَاءً ^(١)	سَعَادَةً شَاعِرٍ مِثْلِي انْطِلَاقُ
وَيَكْرَهُ مَنْ تَجَبَّرَ أَوْ أَسَاءَ	يَخُصُّ الْمُحْسِنِينَ بِكُلِّ حُبٍّ

(١) الاعْتِسَاءُ: التعَبُّيُّ والأَمَلُ «صنعانية».

الهمزة المفتوحة مع الباء والواو

صَمِتَ، وَتَخَشَى الْمُنْزِلَ الْمَوْبُوءَا فِي كَوَكَبٍ مُتَدَجِّجًا مَخْبُوءَا «يَكُ فِي الْأَعَمِّ بِمَأْتَمٍ لِيَبُوءَا»^(١) وَدَعَ النِّفَاقَ، وَعَنْهُ كُنْ مَرْبُوءَا^(٢)	إِنْ كُنْتَ حُبًّا فِي الْحَيَاةِ تَعِيشُ فِي يَوْمًا سِيدْرَكَ الْجِمَامُ؛ وَإِنْ تَكُنْ قُلْ مَا تَدِينُ بِصِدْقِهِ؛ فَالْصُّدْقُ لَمْ وَاضِدْعُ بِأَمْرِ الْحَقِّ، وَاتَّبِعْ هَذِيه

(١) بَاءُ يَبُوءُ؛ رَجَعَ وَالْعِزُّ لِلْمَعْرِي.

(٢) مَرْبُوءٌ: أَيُّ مَرْتَفَعٍ... مُتَعَالٍ.

الهمزة المفتوحة مع الجيم

قَفْ خَاشِعًا؛ فَرَسُوكَ المَوْتِ قَدْ جَاءَ!
 ظَلَلْتَ تُزْجِي الأَمَانِي دُونَ مَا حَذَرَ
 وَجُلُّ عُمْرِكَ لِأَخْطَارِ تَعَشُّفُهَا
 فَوْقَ العَوَاصِفِ تَسْرَى؛ دُونَ مَا وَجَلَ
 قَدْ تَسْلُكُ الخُطَّةَ السَّمْحَاءَ مُغْتَبِطًا
 «خَمْسُونَ» عَامًا لِيَالِهَا مُعْرِبَةً
 تَهْفُو إِلَى المَثَلِ الأَعْلَى، وَتَنْشُدُهُ
 كَفَى كَفَى أَيُّهَا «المَجْنُونُ» وَابْقِ عَلَى

وَاطْلُبْ- إِذَا اسْطَعْتَ - إِمَهَالًا وَإِرْجَاءَ
 إِلَى شِبَالِكِ الهَوَى والغَيِّ إِزْجَاءَ
 مُذْ كُنْتَ: حُبًّا، وَسُلْطَانًا، وَهَيْجَاءَ!
 وَلَا تُبَالِي بِهَا تَشْتَاطُ هَوَجَاءَ
 بِهَا؛ وَتَرْكُهَا حَمَقَاءَ.. عَوَجَاءَ!
 بِالشُّعْرِ؛ تَذْبُحُهَا وَجْدًا وَإِشْجَاءَ
 كَمْ يَهْتَ مِنْ أَجْلِهِ؛ كَمْ طُفَّتَ أَرْجَاءَ!
 ثَمَالَةً فِيكَ؛ إِنَّ الشَّيْبَ قَدْ جَاءَ

٢٨١ - تعليم المرأة [٢٠]

الهمزة المفتوحة مع الراء

تُكُ تدري كتابةً وقراءةً	تُفسدُ المرأةُ الذكيَّةُ إنْ لمْ
تُفَقَّهُ تَزْدَادَ حِكْمَةً وجِراءه!	جَهْلُهَا لَا يَصُونُهَا . . وإذا
وَبَغِيْثِ الْعِرْفَانِ تَزْهُو طَراءه!	زَهْرَةٌ بِالْخُمُولِ وَالْجَهْلِ تَذْوِي
وَحَنَانًا، وَعِفَّةً، وَبِرَاءَةً!	هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْغُلَامِ ذَكَاء

الهمزة المكسورة مع السين

وَمِلْتُ إِلَى الْأَحْرَارِ وَالْبُؤْسَاءِ	أَنْفَتُ بِطَبْعِي عَيْشَةَ الرُّؤْسَاءِ
فَهُمْ بَيْنَ كَذَّابٍ، وَزِيرِ نِسَاءٍ	فَجَلُّ ذَوِي السُّلْطَانِ لَا خَيْرَ عِنْدَهُمْ
وَيَشْتَطُونَ الذُّلَّ فِي الْجُلُسَاءِ!	يُعَاشِرُهُمْ مَنْ يَعْشَقُ السُّحْتَ وَالْخَنَا
مُبَاحٌ لَدَى الزُّهَادِ وَالتَّعَسَاءِ	وَنَبْعُ الصِّفَا، وَالْخَيْرُ ثَرٌّ. وَوَزْدُهُ
وَصُبْحِي بِهِمْ يَزْدَانُ مِثْلُ مَسَائِي	رِفَاقُ الْهُدَى لَا شَرَّ أَخْشَاهِ مِنْهُمْ

الهمزة المكسورة مع الميم

دَعُونِي وَحُزْنِي فِي مُحَارِبِ عَزَلْتِي بَعِيدًا عَنِ الزَّوَارِ وَالنُّدْمَاءِ!
فَقَدْ هَرِمْتَ أَيَّامَ لَهْوِي، وَأَوْشَكَتْ حَيَاتِي؛ وَمَا فِي الرُّوحِ غَيْرُ ذَمَاءِ
بُلِينَا بِتُجَّارِ الْعَقَائِدِ؛ أَفْسَدُوا بِهَاطِلٍ مَا يُرَوَّى عَنِ الْقُدَمَاءِ!
فَصِرْنَا حَيَارَى بَيْنَ أَضَلِّ وَطَارِيٍّ وَفِي خَبَلٍ مِّنْ أَمْرِنَا.. وَعَمَاءِ!
بَرِئْتُ إِلَى «الْإِنْسَانِ» مِّنْ كُلِّ كَاذِبٍ وَمِنْ كُلِّ دَجَالٍ مِّنَ الْعُلَمَاءِ
وَمَنْ يَدَّعِي فَهْمًا؛ وَلَيْسَ بِعَارِفٍ وَمَنْ يَعْتَدِي - عَمْدًا - مِنَ الزُّعَمَاءِ
فَلَيْسُوا مِنَ «الْإِنْسَانِ» فِي شَيْءٍ بَلْ هُمُو
نُفَايَةُ قَوْمٍ فَاسِدِينَ قِمَاءِ^(١)
يَهِينُونَ حَكَمَ الْعَقْلِ، وَالْعَقْلُ خَيْرُ مَا
حُبِينَا بِهِ مِنْ أَحْكَمِ الْحِكَمَاءِ
وَمَا الْعَقْلُ إِلَّا النُّورُ فِي فِطْرَةِ الْفَتَى
بِهِ يَتَحَرَّى مِنْهُجَ الْفُهْمَاءِ

(١) القماء جمع قمي: وهو الدليل.

٢٨٤ — أَكْرَمَ الْكُرَمَاءِ [٢٣]

الهمزة المكسورة مع الخاء

كريمٌ مَنْ يَجُودُ عَلَى كَفَافٍ	وَيَوْمَ الْبُؤْسِ لَا يَوْمَ الرِّخَاءِ
وَمَنْ يَجْعَلْ أَخَاهُ لَهُ شَرِيكًا	إِذَا أَثْرَى . . يَكُنْ مَثَلِ الْإِخَاءِ
وَأَنْ تَفْدِيَ بِلَادَكَ يَوْمَ رَوْعٍ	بِرَوْحِكَ خَيْرُ أَنْوَاعِ السَّخَاءِ!

٢٨٥ - العَيْن التي لا تَنَام [٢٤]

الهمزة المكسورة مع الميم

لله عَيْنٌ رَقُوبٌ ؛ لا يُخَامِرُهَا
فُتُورُ نَوْمٍ ، ولا إِرْهَاقُ إِغْمَاءٍ
تَرَى النُّوَايَا ، وتُحْصِي كُلَّ خَافِيَةٍ
وتَحْرُسُ الكَوْنَ . . . في نورٍ ، وظِلْمَاءٍ !
فَأَيْنَ أَجْمَعُ عَنْهَا . . ؟
وَهِيَ مُحَدِّقَةٌ
بِكُلِّ شَيْءٍ . . !
تَرَى وَهْمِي . . . وإيمائي ؟ !

الهمزة المكسورة مع السين

عَلَّلَانِي بِذِكْرِيَاتِ شَبَابِي
يَوْمَ كُنَّا لَا يُفْسِدُ اللَّهُ مِنَّا
وَصَبَاحِي لِلْمَكْرَمَاتِ وَلِلْعِلْمِ
لَا نُبَالِي لَوَمَ الْعَذُولِ ؛ وَلَا
كُلُّ قَلْبٍ مِنْ عَزْمِهِ وَهَوَاهُ
مُسْتَنِيمٌ إِلَى الْمَلَذَّاتِ لَا
وَالنَّدَامَى مِنْ فِتْيَةٍ وَنَسَاءٍ
خُلُقًا؛ أَوْ نَذِلُّ لِلْبُأْسَاءِ
وَلِلشَّعْرِ وَالْمَجُونِ مَسَائِي
نُضْغِي لِنُصْحِ الْوَعَاطِ وَالرُّؤْسَاءِ
فَارِسُ فِي كَتِيبَةِ خَرَسَاءِ!
يَفْهَمُ مَعْنَى تَعَاسَةِ التُّعَسَاءِ!

* * *

حَدَّثَانِي فَقَدْ طَعَى بِي صَمْتِي
عَنْ «فَلَانٍ» ..
وَعَنْ «فَلَانٍ» ..
وَعَنْ «زَيْدٍ» وَ «يَحْيَى»
ذِكْرِيَاتِي مَعِي ؛ وَمَا كُنْتُ يَوْمًا
لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ أَنْسَى ؛ وَأَخِيَا
تَتَلَاشَى فِي مُلْتَقَى نَظْرَاتِي
لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْرِفَ الشَّ
وَأَذْكَرَ لِي الْكَثِيرَ مِنْ جُلَسَائِي

الهمزة المكسورة مع الصاد

لَا تَرْجُ نُصْحِي ؛ وَلَا تَحْفَلْ بِإِصَائِي خَلَا فُؤَادِي مِنْ نُصْحٍ ، وَإِصَاءٍ !
أَقْصَيْتُ عَنْ وَطْنِي قَسْرًا فَعِشْتُ عَلَى هَوَامِشِ الْكَوْنِ كَالشُّعْرَى الْغَمِصَاءِ^(١)
يَوْمًا «بَرُومًا» وَيَوْمًا فِي «جَنِيْفٍ» ، وَفِي «بَيْرُوتَ» يَوْمًا ، وَيَوْمًا «بِالْحُلَيْصَاءِ» !
غَيْرِ الْمَرَارَةِ تَشْوِينِي وَتَمْضِغُنِي مَاذَا اسْتَفَادُوهُ مِنْ بُعْدِي وَإِقْصَائِي

* * *

لَا خَيْرَ فِي مَعْشَرٍ يُقْصُونَ نَاصِحَهُمْ وَيُنْكِرُونَ النَّطَاسِيَّ الْأَخِصَّائِي
أَخْطَاوَهُمْ مُسْتَحِيلٌ أَنْ يُحَاطَ بِهَا «فَمَا أَهْمُ لَهَا يَوْمًا بِإِحْصَاءِ»^(٢)

(١) الشعري : الغميصاء : كوكبٌ يطلع في «الذراع» ويُقال له «الشعري الشامية» والشعري العبور : يقال لها «البيانية» .

(٢) العَجَزُ تَضْمِينٌ : مِنْ لَزُومِيَةِ لِلْمَعْرِي .

٢٨٨ — أَيَّامُ الشَّبَابِ [٢٧]

الهمزة المكسورة مع الطاء

لَهْفِي لَأَيَّامٍ نُثْرَنَ عَلَى الرَّبَا	سَاعَاتُهَا تَذْكُو بِعِطْرِ عَطَائِهَا
أُبْكِي عَلَى شَهَوَاتِهَا وَشَبَابِهَا	وَعَلَى الْجَمِيلِ اللَّذِّ مِنْ أَخْطَائِهَا!
أَيَّامٍ لَا أَدْرِي الشَّقَاءَ وَلَا أَرَى	مَا تَسْتُرُ الْأَقْدَارُ تَحْتَ غِطَائِهَا!
أَهْوَى الْحَيَاةَ مَوْدَةً وَمَسْرَةً	وَأَعِيشُ كَالْآلَافِ مِنْ بَسْطَائِهَا
وَالْيَوْمَ؛ عَامِي سَاعَةً مَمْقُوتَةً	أَشْكُو إِلَى الْأَصْحَابِ مِنْ إِبْطَائِهَا

الهمزة الساكنة مع الباء

قُلْ لِلَّهِ يُطْرُونَ آبَاءُهُمْ:

مِنْ «هَاشِمٍ» أَوْ «قَيْسٍ أَوْ مِنْ «سَبَاءٍ»
 الْقَوْمَ قَدْ بَادُوا؛ وَمَا إِنْ أَتَى
 عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَبَرٍ، أَوْ نَبَأٍ!
 عِشُوا لِدُنْيَاكُمْ سَوَاسِيَةً
 فَالْخُلْفُ، وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الْوَبَاءِ
 خَرَقَتِيلاً ضَائِعًا لَمْ يُبَاءِ^(١)
 وَالْجَهْلُ قَدْ
 وَلَا كَنُوزُ جَدِّهِ قَدْ خَبَاءُ
 لَنْ تَنْفَعُ «السَّيِّدُ» أَنْسَابُهُ
 وَعَيْنُهُ تَرْقُبُ فِي الْمُرْتَبَاءِ^(٢)
 «الْعِلْمُ» قَدْ قَنَّ عَيْشَ الْوَرَى

(١) لَمْ يُبَاءِ: لَمْ يُقْتَلْ قَاتِلُهُ.

(٢) الْمُرْتَبَاءُ: مَا يُسَمَّى الْآنَ (بِرَجِّ الْمَرَاقِبَةِ).

٢٩٠ - حنين إلى صَنْعَاء [٢٩]

الهمزة الساكنة مع القاف

أَيَّامُ حُبِّي عَطِشْتُ لِقَاءَ	وَرُؤْيَا الْأَصْحَابِ وَالْأَصْدِقَاءِ
فِي سَفْحِ «صَنْعَاء» وَأَجْوَاؤِهَا	مِثْلُ قُلُوبِ الْأَصْفِيَاءِ فِي النَّقَاءِ
وَحَيْثُ كَانَتْ جُلُ أَوْقَاتِنَا	لِلضَّحِكِ لَا نَعْرِفُ مَعْنَى الشَّقَاءِ
فَهَلْ تُرَى مِنْ أَوْبَةٍ تُرْتَجَى	وَتَسْعَدُ النَّفْسُ بِطُولِ الْبَقَاءِ
مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ بِأَحْضَانِهَا	إِنْ تَمَّ لِلْخِلَائِنِ فِيهَا التَّقَاءِ
هُنَاكَ تَهْفَوُ فِي أَحَاسِيهِمْ	مَشَاعِرُ تَسْمُو إِلَى الْارْتِقَاءِ

الهمزة الساكنة مع الفاء

لَا تَظْلَمُوا إِخْلَاصَهُ بِالْجَفَاءِ!	تَدَارِكُوا صَبًّا بِكُمْ مَوْلَعًا
وَالْحُبَّ أَعْلَى دَرَجَاتِ الصَّفَاءِ	قَدْ جَازَ فِي تَقْدِيسِهِ لِلْهُوَى
بِكُمْ وَأَنْتُمْ رَاحُهُ وَالشُّفَاءُ	وَجَدَانُهُ مُحْتَرَقُ ظَامِيٍّ
رَغَمَ الْجَفَا وَالْهَجْرَ إِلَّا الْوَفَاءُ	مِنْكُمْ إِلَيْكُمْ مَالِكٌ عِنْدَهُ
وَسَائِرُ الدُّنْيَا عَلَيْهَا الْعَفَاءُ ^(١)	رِضَاكُمْ غَايَةٌ مَا يَرْتَجِي

(١) العفاء: البلى والهلاك.

حرف الألف

[هذا الفصل، كما قال «المعري»، يَتملُّ وجهين:
أحدهما ما هو مرتَّب هنا؛ والثاني أن يكون «الرويُّ»
ما قبل «الألف» وتكونُ الألفُ وصلًا]:

٢٩٢ - القضاء.. والذنوب [٣١]

الألف مع الضاد

مضى أمس في نَعَشِ الذُّنُوبِ، فَلَيْتَ مَا
أُحَاذِرُ مِنْ بَاقِي ذُنُوبِي قَدْ مَضَى!
قَضَى اللَّهُ أَمْرًا ثُمَّ بَوَّأُ بِإِثْمِهِ
فَهَلْ كَانَ لِي عَنْهُ مَحِيصٌ وَقَدْ قَضَى؟

الألف مع الراء الممالة

إِلَامَ تَظَلُّ فِي تِيهِ السَّكَارَى
تُجَارِي كُلَّ ذِي حُمَقٍ وَطَيْشٍ
تُجَاهِرُ بِالْمَعَاصِي دُونَ خَوْفٍ!
أَهْزَأًا بِالزَّمَانِ؟ حَذَارُ، وَارْفُقْ
بَنَاتُ اللّٰهُوِكُمْ فِي لَيْلِ أَنْسٍ
وَمَا مِنْ عَاذِلٍ، أَوْ مِنْ رَقِيبٍ
تُغْنِيكَ الْعَرَائِسُ رَاقِصَاتٍ
وَصَحْبُكَ لَا يَشِينُهُمْ سُلُوكُ
يَنَالُونَ اللَّذَائِذَ فِي وَقَارٍ
ذُنُوبُكَ فِي مُسَابَقَةِ تَبَارَى^(١)
وَتُوغَلُّ فِي الْجَرَائِرِ لَا تُجَارَى!
وَقَدْ عَذَرَ الْمَشْرِعُ مَنْ تَوَارَى
بِنَفْسِكَ فِي لِيَالِكَ الْحَسَارَى^(٢)؟!
عَبِثَتْ بِهِنَّ أَتْرَابًا عَذَارَى^(٣)
وَلَا مُتَطَفِّلِينَ، وَلَا غِيَارَى!
عَلَى النِّعْمَاتِ.. أَشْعَارُ النَّصَارَى
وَأَلْسُنُهُمْ بِفُحْشٍ لَا تَمَارَى^(٤)
وَأِنْ كَانَتْ عَيُونُهُمْ تَكَارَى!^(٥)
كَفَى؛ وَارْجِعْ إِلَى بَارِيكَ وَاطْلُبْ
رِضَاهُ مَعَ الْمَسَاكِينِ الطَّهَارَى!

(١) تَبَارَى: تَتَبَارَى.

(٢) حَسَارَى: ضَعَافُ كَلِيلَاتٍ.

(٣) الْأَتْرَابُ: اللَّائِي فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ.

(٤) أَيِ تَتَبَارَى.

(٥) تَكَارَى: تَتَكَارَى: يَخَامُرُهَا النَّعَاسُ وَالْكَرَى.

الألف مع الزاء الممالة

تعالى الله قد أجحف	مَنْ أَلْحَدَ، أَوْ مَارَى
تَفَرَّدَ بِالْخُلُودِ فَلَا	شَرِيكَ لِمَجْدِهِ بَارَى
إِذَا مَا انْهَتَكَ السُّتْرُ	وَأُخْبِتَ عَبْدُهُ وَارَى ^(١)

(١) أُخْبِتَ: تَخَشَّعَ و«وارى»: سَتَرَ.

الألف مع الزاء

عَرَاكَ الحَنِينُ بِجُنْحِ الدُّجَى إِلَى الْأَهْلِ لَمَّا خِيَالُ سَرَى!
تَذَكَّرْتُ «صُنْعَاء» مَهْدَ الشَّبَا بِ وَسَالَفَ عَيْشٍ بِتِلْكَ الذَّرَا
لِيَالِي تَمَتَّحُ مَاءَ الْحَيَاةِ شَجَا عَا؛ كَأَنَّكَ لَيْثُ الشَّرَى
وَأَيَّامَ تَسْرُحُ مَا إِنْ تَقُولُ: مَاذَا سَيَجْرِي؟ وَمَاذَا جَرَى؟
زَمَانَ الْبَرَاءَةِ وَالْعُنْفَوَانِ وَصَحْوِ شَبَابِهِمَا، وَالْكَرَى

* * *

لَمَّاذَا الحَنِينُ إِلَى بِلْدَةٍ بِهَا الْعِلْمُ مُمْتَحَنٌ مُزْدَرَى؟
وَأَبْنَاؤُهَا هَلَكُوا بِالْخُمُولِ وَلَا يَسْأَمُونَ الْفِرَى وَالْمَرَى^(١)
أَسَارَى خُرَافَاتٍ جُهَاِلِهِمْ وَأَوْهَامٍ مَنْ غَشَّاهُمْ وَأَفْتَرَى
لَمَّاذَا الحَنِينُ لَمَّاذَا الْأَنِينُ؟ وَأَنْتَ تَرَى فِيهِمْ مَا تَرَى
وَجُلُّ الرِّفَاقِ قَدْ اسْتَشْهَدُوا وَمُعْظَمُهُمْ نُبِذُوا بِالْعَرَا
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا رِفَاقُ الرِّفَاقِ وَأَبْنَاءُ مَنْ غُيِّبُوا فِي الثَّرَى

* * *

حَنَانًا عَلَى مُدْنَفٍ خَاشِعٍ يَخَافُ الْخُضُوعَ وَيَأْبَى الْفِرَى
تَعَبَّدَ لِلْحَقِّ يَسْمُو بِهِ وَفِيهِ يُشَافَهُ مَا لَا يُرَى!
«زَمَانَ الصَّبَا؛ يَا زَمَانَ الصَّبَا»

(١) الْفِرَى جَمْعُ فَرِيَةٍ: الْكَذِبُ. وَالْمَرَى جَمْعُ مَرِيَةٍ: الْجَدَلُ وَالشُّكُّ.

أَلَا وَضَلْ ؛ يُبْتَاعُ أَوْ يُشْتَرَى؟
أَنَا دَمْعَةٌ «الْأَزَلِ» الْمُرْتَجَى
عَلَى «أَبَدٍ» مَاتَ قَبْلَ السُّرَى
رَضَعْتُ الْمَنَايَا وَقَطَرْتُهَا
نِظَافًا؛ أَدَاوِي بِهَا مَا اعْتَرَى
عَرَفْتُ بِجَهْلِي سِرَّ الْبَقَاءِ
وَمَعْنَى الْخُلُودِ، وَلُغَزَ الْوَرَى

* * *

«نَزُولُ كَمَا زَالَ أَجْدَادُنَا وَيَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى مَا نَرَى»^(١)

(١) البيت الأخير من لزومية «المعري».

الألف والنون على رأي من جعل الألف في هذه القافية رويًا

بِرُوحِي ذَاكَ الرَّشَا إِذْ رَنَا	وَتَغْنَا جَهْ لَيْلَةَ الْمُنْحَنَى!
وَأَسْمَارُهُ ، وَأَبَاطِيلُهُ ،	وَتَلْعَابُهُ هَاهُنَا ، أَوْ هُنَا!
وَأَعْذَارُهُ ، فِي مَوَاعِيدِهِ	بَخُوفِ الرَّقِيبِ ، وَشَكْوَى الضَّنَى
وَدَعْوَاهُ؛ أَنِّي عَنْ قَيْدِهِ	فَلْتُ ، وَقَطَعْتُ مَا بَيْنَنَا
وَتَعْدَادُهُ لِلذُّنُوبِ الَّتِي	جَنَيْتُ ؛ وَإِنْكَارُهُ مَا جَنَى

* * *

بِرُوحِي ؛ وَقَدْ كَانَ رُوحِي لَهُ يَهِيمُ بِهِ إِنْ جَفَا . . أَوْ دَنَا

* * *

سَلَامٌ عَلَى زَمَنِ مَا سَلَا	فَوَادِي عَنْ ذِكْرِهِ أَوْ شَنَا
زَمَانِ الصُّبَا ، وَتَهَاوِيلِهِ	زَمَانِ الْغَرَامِ ، زَمَانِ الْهَنَا
نَدِيرُ كَوْوَسِ الْمُنَى صَبُوءٌ	
وَنُتْرُعُهَا مِنْ رَجِيقِ السَّنَا	
وَنَسْرَحُ فِي سُبُحاتِ الْهُوَى	
وَنَمْرَحُ فِي نَشَوَاتِ الْمُنَى	

٢٩٧ - مقالات الضلال [٣٦]

الألف مع الرّاء والسّين، ويجوز أن يجعل الرويّ «الرّاء»
فيكون الذي لزم «سيناً» لا غير

أرى مَعْشَرًا فِي سَجْنٍ أَوْهَامِهِمْ أُسْرَى
تُرِيدُ لَهُمْ يُسْرًا؛ فَيُولُونَكَ الْعُسْرَى!
بِمَا اكْتَسَبُوهُ مِنْ مَقَالَاتٍ بَاطِلٍ^(١)
رَوَّوْهَا - ضَلَالًا - عَنْ «لُؤَيْسٍ» وَعَنْ «كَسْرَى»!
وَكَانَ كِتَابُ اللَّهِ قَدْ أَرَشَدَ الْوَرَى
إِلَى الْفُوزِ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ سَلَكُوا الْخُسْرَى!
وَمَنْ ذَا سَيُنْجِي الْقَوْمَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ؟
هَلِ الدَّمْعَةُ الْحَرَّى؟ أَمْ الْمُهْجَةُ الْحُسْرَى؟
وَهَلْ لَهُمْ فِي ظُلْمَةِ الْمَوْتِ مَسْرَبٌ؟
وَهَلْ ثَمَّ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ مَسْرَى؟

(١) يريد «مقالات» الملاحدة. و «الشعوبيين» و «الصليبيين». وانظر: «أباطيل وأسعار» للأستاذ محمود شاكر.

حرف الباء

الباء المضمومة مع العين

هُوَ الْهَوْلُ يَطْغَى وَالْمَنَايَا جَنُودُهُ
إِذَا ثَارَ يَوْمًا ضِدَّ حُكَّامِهِ شَعْبُ
إِذَا كُنْتَ يَوْمًا حَاكِمًا فَاخْشَ سَاعَةً؛
تَجَاوَزُهَا مِنْ دُونِهَا نِقْمَةٌ صَعْبُ!
نَعِيشَ بِعَصْرِ الْعِلْمِ وَالنَّقْدِ وَالْفِدَا؛
فَلَا جَاهُ، لَا أَنْسَابُ إِنْ هَجَمَ الرُّعْبُ
هُوَ الشَّعْبُ فَاحْذَرِ لَا يَغُرَّنَكَ صَمْتُهُ
فَمَا حَبَهُ إِرْثٌ، وَلَا حُكْمَهُ لَعْبُ!

الباء المضمومة مع النون

حَنَانَا إِلَهِي قَدْ أَتَى الْيَوْمَ مُذْنِبٌ ضَالِيعٌ بِأَخْطَاءٍ إِلَيْكَ تُجَنَّبُ^(١)
نَعَمْ؛ أَنَا قَدْ أَسْلَمْتُ لِلْهُومِ قُودِي زَمَانًا؛ وَأَغَوْتَنِي سُعَادُ وَزِينُ!
وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرعى كَرَامَتِي
وَأُخْشَى ضَمِيرًا حِينَ أَهْفَوِيؤُنَّبُ
وَلِإِنْ كَانَ ذَنْبِي عِنْدَ قَوْمِي صِرَاحَتِي فَأَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي كَيْفَ أُذْنِبُ؟

(١) الضَّالِيعُ: الْمُثْقَلُ. وَتُجَنَّبُ: تُقَادُ.

٣٠٠ - أتعس خلق الله! [٣٩]

الباء المضمومة مع الذال

سَمِئْتُ حَيَاةً؛ لَا تَطِيبُ لِمُخْلِصٍ وَلَكِنْ لِمَنْ فِي عَيْشِهِ يَتَكَذَّبُ!
إِلَى كَم أَجَارِي مَعْشَرًا فِي مَجُونِهِمْ وَقَلْبِي فِي أَحْزَانِهِ يَتَعَذَّبُ؟
وَأَتَعَسُ خَلَقَ اللَّهُ مَنْ ظَلَّ دَهْرَهُ
بِوَادِي الْأَمَانِي تَائِهًا يَتَذَبَذَبُ
فَلَا هُوَ ذُو دِينٍ وَلَا هُوَ كَافِرٌ
وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الْغَوِيُّ الْمَشْذَبُ^(١)

(١) المشذَّب: المطرود.

٣٠١ - القلب الثاقل [٤٠]

الباء المضمومة مع الدال

إلامَ أظُلُّ الدهرَ أبكي أحبَّتي وأزُثي رفاقي في الحياةِ وأندُبُ؟
لقد كانَ عيشي مُخَصِّبًا بوجودِهِمْ فلما قَضُوا صابِرُتهُ ؛ وهو مُجَدِّبُ!
جميلُ بيَ التَّصَبُّارُ لو أُسْتَطِيعُهُ
ولَكِنَّ قَلْبِي ثَاكِلٌ يَتَحَدَّبُ^(١)
وَمِنْ طُولِ حُزْنِي قَدْ ذَهَلْتُ عَنِ التَّقَى
وَضَاعَ النَّاسِي وَاسْتَحَالَ التَّادُّبُ!

(١) يتحدَّب: يتعطف.

٣٠٢ - بين الشك واليقين [٤١]

الباء المضمومة مع الراء

وجودي غريبٌ. والفناء مُحيرٌ وعودةُ جُثماني مع الروح أغربُ!
سَمِعْنَا عِظَاتٍ؛ فاسترابَ معاشرٌ وأفضوا بمكنونِ الشكوكِ وأعربوا
وصدَّق قومٌ دونَ أيِّ تَرَدُّدٍ كأنهمو قد شاهدوها، وجربوا
وظلَّ يقيني ظامئاً مُتَهافتاً يحومُ على وِردِ الشُّكوكِ ويشربُ!
إلى أن تجلَّى الحق فأنسقتُ نحوهُ بروحي في مُحارِبِهِ أتَقَرَّبُ!
هُوَ اللَّهُ؛ نورُ الكونِ سرُّ نظامِهِ
وَكَايِلُهُ ما عَنهُ لِلْخَلْقِ مَهْرَبُ

الباء المضمومة مع الجيم

أَتَطْلُبُ عَدْلًا مِنْ أَمِيرِ أَخَالِهِ بِمَا رُمْتَ مِنْهُ يَزْدَرِيكَ وَيَعْجَبُ؟!
لَقَدْ أَلَفَ الطَّغْيَانَ؛ فَهُوَ سَلِيلُهُ
وَلِلظُّلْمِ هُمْ قَدْ هَذَبُوهُ وَأَنْجَبُوا!
هُوَ الظُّلْمُ تُطْغِيهِ الضَّرَاعَاتُ وَالْمُنَى
وَلَيْسَ بَغَيْرِ السَّيْفِ يُمَحَى وَيُشَجَبُ
إِذَا كَانَ حَكْمُ النَّاسِ بِالْعَدْلِ وَاجِبًا فَإِنْ قَتَلَ الظُّلْمُ لَا شَكَّ أَوْجَبُ

٣٠٤ - كيف الخلاص؟ [٤٣]

الباء المضمومة مع الراء

أُبرِجى خَلاصٌ «لِلنَّصارى» وَقَسَّهْمُ على كل أنواع الفسادِ مُدَرَّبُ؟
وكيفَ يَفوزُ «المسلمون» وشيخهم صريعُ الغواني في الحوانيتِ يشربُ؟
وَحَاخَامُ موسى «لِلْيَهُودِ» مُضِلُّ وفي الشرِّ أستاذُ خبيرٍ مُجَرَّبُ؛
إلى كمِّ بسوطِ الدينِ نَجَلْدُ جَهْرَةً ونحنُ إلى جَلادِنَا نَتَقَرَّبُ!
إذا لم نَقُلْ شَيْئًا هَلَكْنَا بِصَمَّتِنَا؛ وإنْ لم نَطِقْ عَيْشَ الضنَى نَتَغَرَّبُ!

أَلَا صَوْتُ «حُرٍّ»؟ هَلْ هُنَالِكَ يَقْطَعُ؟

وهل «قَائِمٌ» بِالْعَدْلِ يُفْضِي وَيُعَرِّبُ؟

فَكَمْ حُرَّةٌ تَزْنِي لَتُطْعِمَ طِفْلَهَا

وَذُو ثَرَوَةٍ لَاهٍ يُغْنِي وَيَطْرُبُ؟!

يُصَلِّي رِيَاءً؛ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ

يَغُلُّ؛ وَلَا يَخْشَى، وَلَا يَتَّشَرُّ^(١)

«إِذَا رَامَ كَيْدًا بِالصَّلَاةِ مُقِيمُهَا»

«فَتَارِكُهَا عَمْدًا إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُ»^(٢)

(١) يَغُلُّ: يخون: لا يتَّشَرُّ: لا يبيكته ضميره.

(٢) البيت الأخير للمعري.

الباء المضمومة مع الهاء

هُبُونِي أُسِيرًا؛ فاطلقوني تَكْرُمًا وَرَفَقًا بقلْبٍ بالهوى يَتَلَهَّبُ
أنا العاشقُ الولَهانُ؛ أهجسُ هائمًا بسوهمي لا أدري إلى أين أذهبُ!
هُمُومُ رَمَانِي لَمْ تُطَقِّهَا كُهُولَتِي وكانت قديمًا من شبابي ترهبُ!
فَتَهتَ مهيضَ العزمِ ترهقُ مُهْجَتِي بقايا أمانٍ تُسْتَبَاحُ وتُنْهَبُ؛
تَقَاذَفْنِي الأحداثُ مِنْ كَفٍّ غِيَهَبٍ!!
إلى غِيَهَبٍ؛ يَحْدُودِيَا جِيَهَ غِيَهَبٍ!!

٣٠٦ - مَخْلُوقُ الْجَمَالِ؟ [٤٥]

الباء المضمومة مع الراء

لِغَيْرِ الْهُوَى لَا تَسْتَنِيْمُ مِشَاعِرِي
وَلِلْمَوْتِ فِيهِ؛ رَاضِيًا، أَتَقَرَّبُ
خُلِقْتُ مُجِبًّا لِلْجَمَالِ؛ لِأَنِّي
بِهِ عِشْتُ قَبْلَ الْخَلْقِ الْهُوَا طَرَبُ!!
سَكِرْتُ بِهِ رُوحًا تُغَاوِزُ طَيْفَهَا
وَهَآنَا طَيْفٌ أَجْتَلِيهِ.. فَأَشْرَبُ!
لَقَدْ كَذَبْتُ مِنْ فَرْطِ النَّوَى أَحْتَسِي سَنَا
حَيَاتِي.. لِأَحْيَا فِيهِ، أَوْ أَتَكْهَرُبُ!

الباء المضمومة مع الذال

إذا أَعَذَّبَ الإنسانَ عَنْ ذِكْرِ مَوْتِهِ فذلك مَنبُوءٌ من الله، شاذِبٌ^(١)
هُوَ الموتُ نَذِيرِي؛ وَعَدُهُ غَيْرُ كَاذِبٍ وسائرُ أحلامِ البقاءِ كواذِبُ
وَمَا المرءُ فِي هَذِي الحَيَاةِ بِلَاذِبٍ وَلَكِنَّهُ طَيْرٌ عَبُورٌ يُهَادِبُ^(٢)
يُقَاوِمُ طَاقَاتٍ لَكُونٍ، يُدِيرُهُ مُدِيرُ بِكَفِّيهِ اللَّطْيُ والتَّجَاذِبُ
إِذَا اَعْدُوذَبَتْ دُنْيَايَ يَوْمًا لِشَارِبٍ فَإِنِّي فِيهَا رَغَمٌ أَنْفِي عَاذِبُ^(٣)

-
- (١) أَعَذَّبَ: كَفَّ وأَضْرَبَ. ومنه قول علي عليه السلام لِسَرِيَّةٍ: «أَعَذَّبُوا عَنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ أَنْفُسَكُمْ». ورجل شاذِب: ميؤوس من فلاحه: وهو أيضاً المَتَنَحِّي عَنْ وطنه.
(٢) لَذَّبَ بالمكان: أقام. والطَّيرُ يَهَادِبُ فِي طيرانه: يمر مرأً سريعاً.
(٣) اَعْدُوذَبَتْ: أي عَذِبَتْ. والعاذِب، الذي لم يأكل من شِدَّةِ العطش وقيل: هو الذي لا يأكل، ولا يشرب.

٣٠٨ - لَوْلَا التُّقَى! [٤٧]

الباء المضمومة مع الجيم

أَيْنَ «الْقِيَاصِرُ»؟ أَيْنَ السَّادَةُ النَّجْبُ؟ بل أَيْنَ «هَتْلُرُ» يُرْغَى جَيْشُهُ اللَّجْبُ؟
وَأَيْنَ مَنْ ظَلَمُوا أَقْوَامَهُمْ عَنَّا؟ وكبرياءَ وحازوا فوقَ ما يَجِبُ؟
صَارُوا «وَلَائِمُ» لِلدِّيدَانِ تَقْضِيهِمْ
بَسَّ النَّعِيمُ؛ نَعِيمٌ بَعْدَهُ الشَّجْبُ^(١)!
«لَوْلَا التُّقَى» قُلْتُ: مَا مَغْزَى الْحَيَاةِ؟ وَهَلْ
سِرُّ هُنَاكَ... عَنِ الْأَفْهَامِ يَحْتَجِبُ؟

(١) الشَّجْبُ: الموت.

٣٠٩ — عِنْدَمَا يَعْذُبُ الْمَوْتُ! [٤٨]

الباء المضمومة مع الجيم

إِنْ تَعَجَّبِي أَنِّي أَهْجَى الْمَمَاتِ فَإِنْ الْعَيْشَ عِنْدِي بِلا حُبِّ هُوَ الْعَجَبُ!
أَقْوَى جَنَانِي فَلا حُبٌّ؛ وَلا أَمَلٌ وَدُونَ أَيَّهِمَا يُسْتَعَذَّبُ الشَّجَبُ^(١)

(١) أقوى: تهدم وأقفر.

٣١٠ - حَطْبُ جَهَنَّمَ [٤٩]

الباء المضمومة مع الذال

اسْتَعَذُّوا الظُّلْمَ فَاسْتَشَرْتُ طَبَائِعُهُمْ

واستشعروا الخوفَ : فاستغواهم الكذبُ

واستصغروا قيمةَ الإنسانِ ؛ فاعتسفُوا

واستمرؤوا الدَّجَلَ والتضليلَ ؛ فانجذبوا

نَحْوَ الْمَهَالِكِ تَحْدُوهُمْ رَغَائِبُهُمْ

إِلَى الْجَحِيمِ فَهُمْ فِيهَا لَهَا شَذْبُ^(١)

لَمْ تَبِكْ بَعْدَهُمْو، إِلَّا ذُنُوبُهُمْو

حَتَّى النَّوَاحِ، مَا اخْضَلَّتْ لَهَا عَذْبُ^(٢)

(١) الشَّدْبُ: الحطب.

(٢) الْعَذْبُ هُنَا: جَمْعُ عَذْبَةٍ: وَهِيَ خِرْقَةُ النَّائِحَةِ.

٣١١ - بِمِ التَّعَلُّ؟ [٥٠]

الباء المضمومة مع الراء

بِمِ التَّعَلُّ؟ أَحَبَابٌ قَدْ أَنْصَرَمُوا وَإِخْوَةٌ مِنْ رَحِيقِ الْمَوْتِ قَدْ شَرَبُوا
مَاذَا...؟ سِوَى ذِكْرِيَّاتٍ حِينَ أَنْثَرُهَا يَطْفَى الْأَسَى وَيَفِيضُ الْحُزْنَ وَالْكَرْبُ
وَلَا «مُسَاوَاةٌ» فِيمَا قَدْ رَضِيَتْ بِهِ لَمَّا تَحَكَّمْ فِي مَأْسَاتِنَا الْعَرَبُ
شَعَارُهُمْ كَانَ فِي «الْخُرُطُومِ» تَسْوِيَةً

يَرْضَى بِهَا «الْحُرُّ» وَ«الْمَحْرُومُ» وَ«الْحَرْبُ»^(١)
وَأَهْمَلُوا «قِصَّةَ الدُّسْتُورِ» وَابْتَعَدُوا عَمَّا لَهُ قُتِلَ «الْأَحْرَارُ»، وَاعْتَرَبُوا

* * *

بِمِ التَّعَلُّ: آمَالٌ مُضَيَّعَةٌ وَلَيْسَ يَنْفَعُ لَا لَهْوٌ وَلَا طَرْبُ
وَكَيْفَ تَجْمَلُ دُنْيَا، أَوْ تَطِيبُ وَقَدْ أَوْشَكْتُ، مَالِي فِي لَذَائِهَا أَرْبُ؟

(١) الْحَرْبُ: مَنْ سَلِبَ مَالَهُ.

الباء المضمومة مع الباء والألف

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ مَا عَنْ ذِكْرِهِمْ
 يَا لَيْتَنِي لَمْ أَعِشْ مِنْ بَعْدُ مَا رَحَلُوا
 أَحْرَقْتُ عُمْرِي ضَرَاعَاتٍ فَمَا رَحِمُوا
 وَمَا طَرَقْتُ عَلَيْهِمْ بَابَ مَعْتَبَةٍ
 إِلَّا وَهَاجَتْ لِسْفَحِ الدَّمْعِ أَسْبَابُ
 أَوْ كَانَ لِي مَعَهُمْ رَكْبٌ وَإِخْبَابُ^(١)
 تَضَرُّعِي؛ وَهُمْ أَهْلٌ وَأَحْبَابُ
 إِلَّا وَأَغْلِقَ دُونِي ذَلِكَ الْبَابُ!

(١) الإخباب: نوعٌ من المسير.

٣١٣ - النَّفْيُ وَالْإِجَابُ [٥٢]

الباء المضمومة مع الجيم والألف

ولا يغرّنك إن وفقت إعجابُ	لا يأخذنّك يأسٌ عد كارثةٍ
وإن تجهّم شرٌّ فهو مُنْجَابُ؛	إذا تبَلَّجَ خيرٌ فهو منْحَسِرُ
وسادةٌ لهمو جُنْدُ، وحُجَابُ	وقد تماثل عند الموت ذو سَغْبِ
ولا الألى هم صناديدُ وأنجَابُ	إذ لا يميّز طعمَ الفِسلِ في فيه
ميّأ؛ وفي دمه سلبٌ وإِجَابُ	والله إذ صوّر الإنسانَ قدره

٣١٤ - الحُبُّ الصَّريح [٥٣]

الباء المضمومة مع العين والواو

وَأَنْتَ صَدْعُكَ مَجْبُورٌ وَمَشْعُوبٌ ^(١)	لَا تَلْحَنِي ؛ إِنَّ صَدْعِي غَيْرُ مُنْشَعَبٍ
وَخَافَقِي مُوجِعُ الْإِحْسَاسِ مَرْعُوبٌ ^(٢)	إِذَا بَكَيْتُ : فَعُذْرِي أَنْنِي دِنْفٌ
فَقِيدُهَا فِي نَجِيعِ الطَّعَنِ مَثْغُوبٌ ^(٣)	أَمْسَيْتُ أَنْدُبُ حَبِي مِثْلَ ثَاكِلَةٍ
وَوَظْنُهُ بِخَدَاعِ الْغَدْرِ مَجْعُوبٌ ^(٤)	قَضَى غَرَامِي بِسَيْفِ الْيَأْسِ مُتَّحِرًا

(١) مُنْشَعَبٌ : مُصْلَحٌ ؟

(٢) مَرْعُوبٌ : خَائِفٌ .

(٣) فِي الْحَدِيثِ : يَجِيءُ الشَّهِيدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَرَحُهُ يَثْغِبُ دَمًا ؛ يَجْرِي .

(٤) قَضَى : هَلَكَ ، وَمَجْعُوبٌ : مَصْرُوعٌ : مَنْ جَعَبَ الشَّيْءُ : قَلْبُهُ ؛ الْمَتَجَعِبُ : الْمَيْتُ .

الباء المضمومة مع الرّاء والألف

«أبا العلاء»؛ زَمَانِي لَا يَزَالُ كَمَا
«قَاضِيهِمْ» مِثْلَمَا قَدْ كَانَ «سَيِّدُهُمْ»
فَهَلْ تُرَى «ضَابِطًا» يَأْتِي فَيُصْلِحُ مَا
فَارَقْتَ؛ وَالنَّاسُ تُجَارُ وَخُرَابٌ^(١)
وَمِثْلُ «شَيْخِهِمْ» فِي الْمَكْرِ أَثْرَابُ
قَدْ أَفْسَدُوا! أَمْ دَعَاوَى الْقَوْمِ آرَابُ؟^(٢)

(١) الخُرَاب: اللصوص.

(٢) الآرَابُ: جمع إربة: الدهاء، والحيلة.

الباء المشددة

بلادي في هواك يذوبُ صبُّ
تواجدَ بَيْنَ أَحْضَانِ الرِّزَايَا
لَهُ قَلْبٌ يُحِبُّ؛ وَلَا يُوَالِي
أنا «ابن القهر» كم أذمتُ جفوني
رضعتُ هُمومَهُ فَسَكِرْتُ طِفْلاً
وَكَمْ صَحْرَاءُ يَأْسٍ أَحْصَبَتْهَا
ولولا الحبُّ؛ ما كانت حَيَاةُ
رفيقا عُمرِهِ: حَرْبٌ وَحُبُّ
رَضِيعاً مِنْ مَآسِيهَا يَعْـُ
هَوَى الْأَوْطَانِ قَلْبٌ لَا يُحِبُّ
دموعُ كَالْحَرَائِقِ تَذْلَعُ^(١)
بِهَا أَنْمو، وَأَحْلَامِي تَشْبُ
خيالاتي؛ بِأَمَالِي تَخْبُ
تدبُّ، وتشرَّبُّ، وتتلبُّ^(٢)

* * *

لَحَا اللَّهُ الْأَلَى ظَلَمُوا وَجَارُوا
وجدُوا كُلَّ مَرْحَمَةٍ، وَجَبُوا
إِذَا نَادَاهُمُ الرَّحْمَنُ أَغْفُوا
وإنْ نَاجَاهُمُ الشَّيْطَانُ هَبُوا
رَسِيسُ الشَّرِّ يَسْرِي فِي الْخَلَايَا
وفي ذَرَاتِهَا حِقْداً يَدْبُ
وقد أَرْضِيَتْ دَهْرِي، لَا أَبَالِي دَجَى يَغْشَى وَلَا صُبْحًا يَضِبُّ^(٣)

(١) تَذْلَعُ: تنطلق.

(٢) تشرَّب: غداً أعانقها تشوقاً وتتلبُّ: تستقيم.

(٣) يَضِبُّ: يَسْتَرِبُّ بِالضَّبَابِ.

ضميري في سنى حُبِّي مُقيمٌ ولا يهفوبه حِقْدُ وَخْبٌ^(١)

* * *

بلادي كم تُدَمِّدُ في جَنَانِي مَآسِيهَا؛ لَهَا هَبٌّ وَوَبٌّ^(٢)
لِبَلَوَاهَا بِأَعْمَاقِي شَعُورٌ يُهَيِّجُ مَا يَهِيْجُ إِذْ يَوُبُّ^(٣)
أَحْسُ إِذَا طَغَى وَاللَّيْلُ دَاجٌ كَأَنَّ بِمُهِجَتِي نَارًا تَشُبُّ

(١) الخَبُّ: الخداع.

(٢) هب إلى الشيء: نهض إليه، والوبُّ: التهيجُ لِلْحَمَلَةِ فِي الْحَرْبِ: ويقال: هَبُّ وَوَبٌّ: إذا تهيأ للحملة.

(٣) يَوُبُّ: يتحرك. وأصله يتجهز ويتهيأ.

٣١٧ — عَمِيْتُ مِنَ الذَّنُوبِ [٥٦]

الباء المضمومة مع التاء والألف

إِلَهِي ؛ قَدْ تَرَاكَمْتَ الْمَعَاصِي	وَمَا إِنْ يُرْتَجَى عَنْهَا مَتَابُ
وَكَمْ نُصَحِّ أَتَّانِي مِنْ خَلِيلٍ	فَلَا نُصَحُّ أَفَادَ وَلَا عِتَابُ
عَمِيْتُ مِنَ الذَّنُوبِ فَخُذْ بِكَفِي	وَبَصِّرْنِي بِمَا نَطَقَ الْكِتَابُ

الباء المضمومة مع الراء والألف

فَهَلْ أَجْدَاكَ مِنْ قَبْلِ اقْتِرَابُ؟ إِذَا هَمَسَ الْخِيَالُ بِكَ اضْطِرَابُ خَشَعَتْ لَهَا، وَأَغْرَاكَ السَّرَابُ يُغْنِيكَ اخْتِصَامُ وَاخْتِرَابُ؟ وَهَمَّتْكَ الطَّعَامُ أَوِ الشَّرَابُ تُصِيبُ مِنَ اللَّذَائِذِ مَا يُرَابُ يُهَالُ عَلَيْكَ فِي الْقَبْرِ التَّرَابُ؟ وَشِعْرُ فِيهِ «أَبْيَاتُ» خَرَابُ	أَيُّشْجِيكَ انْتِجَاعُ وَاغْتِرَابُ؟ خُلِقْتَ مُرَوِّعَ الْإِحْسَاسِ يَهْفُو وَلَوْ نَاجَى شَعْوَرَكَ جِسُّ رَجْوَى إِلَّا مَ تَظَلُّ مَجْنُونًا طُمُوحًا لَبِثْتَ مَعَ الْمَكَارِهِ نَصْفَ قَرْنٍ وَقَدْ أَزَفَ الرَّحِيلُ؛ وَأَنْتَ طَيْشًا فَكَيْفَ تُرَى تُلَاقِي الرَّبَّ لَمَّا وَمَالِكَ عِنْدَهُ إِلَّا الْمَعَاصِي

الباء المضمومة مع السين والألف

أرى «الأمجاد» مثل «الأجر» لَيْسَتْ	تُرائاً يَسْتَبِدُّ بها انْتِسابُ
ولكن بالتَّواني المرءُ يَخْزى	وقَدْ يُزْهِيه جُهدُ واكِتِسابُ
سِجِلٌ فيه يُرْصَدُ كلُّ شيءٍ	علينا أولنا؛ وبه الحِسابُ

٣٢٠ - عَفُو اللَّهِ [٥٩]

الباء المضمومة مع الحاء وياء الردف

بُكَاءُكَ لَنْ يُعِيدَ زَمَانٌ أَنَسٍ نَعَمْتُ بِهِ؛ فَمَا لَكَ وَالنَّحِيبُ؟
تَمَتَّعَ بِالْبَقِيَّةِ مِنْ حَيَاةٍ فَعَفُو اللَّهِ يَوْمَ غَدٍ رَحِيبُ

٣٢١ — الصّدى العاوي [٦٠]

الباء المضمومة مع الرّاء وياء الردف

أَلِفْتُ تَصَارِعَ الْأَطْمَاعِ ؛ كُلُّ	لَهُ هَدَفٌ : بَعِيدٌ أَوْ قَرِيبٌ
فَصِرتُ إِذَا اسْتَمَعْتُ إِلَى مَقَالٍ	أَفْنَدُهُ ؛ لِأَحْذَرَ مَا يَرِيبُ
وَكَمْ مِنْ شَاعِرٍ بَيْنَ الْقَوَافِي	لَهُ غَرَضٌ يُخَبِّئُهُ غَرِيبٌ
وَكَمْ مِنْ خُطْبَةٍ فِيهَا سَمُومٌ	مُدَسَّسَةٌ وَيَعْرِفُهَا الْأَرِيبُ

* * *

فَضَائِحُ لِلْبَرِيَّةِ ؛ كَمْ تَبَاهَى	بِهَا مُثْرٍ وَضَاقَ بِهَا حَرِيبٌ ^(١)
تَظَلُّ ذُنُوبُهَا يَعْغِي صَدَاهَا	وَمَا إِنْ مِنْهُمْ فِيهَا غَرِيبٌ ^(٢)

(١) الحريبُ: المسلوبُ المال.

(٢) ما فيها منهم غريب: أي هلكوا.

٣٢٢ - اِخْتِلَافُ الْبَشَرِ [٦١]

الباء المضمومة مع النون وياء الردف

عِبَادُ اللَّهِ أَصْنَافٌ؛ غِبِّي	بِلا خُلُقٍ؛ لَهُ خَيْلٌ وَنَيْبٌ ^(١)
وَإِنْسَانٌ رَضِيَ النَّفْسَ ثَبَّتْ	مَوْثِقَتُهُ وَعُتِرَتُهُ الْكَنْيَبُ ^(٢)
وآخِرُ؛ فَاسَقُ الْأَهْوَاءِ غُرٌّ	وِثَانٍ قَانَعُ بَرٌّ مُنْيَبُ
وَمَفْتُونٌ بِسِحْرِ الْحُسْنِ؛ أَعْيَتْ	بِهِ الْعَيْنَانِ، وَالثَّغَرُ الشَّيْبُ ^(٣)
حُظُوظٌ، قَدْ يُسَوِّدُ ذُو الْمَعَاصِي	بِهَا، وَالْبَرُّ مُنْبُوذٌ جَنْيَبُ ^(٤)

(١) النَيْبُ: النُّوقُ.

(٢) الْكَنْيَبُ: الْبَيْسُ مِنَ الشَّجَرِ.

(٣) أَعْيَتْ: بَرَحَتْ.

(٤) الْجَنْيَبُ: الْغَرِيبُ.

الباء المضمومة مع الحاء بعد الألف

جزاؤك أيها الشّاني قريبُ	ويومك حين تلقّاه عَصِيبُ!
مردّت على الذُّنوب فلستَ تدري	إذا قارفتها ماذا تُصِيبُ!
أنا عنك تهديدٌ، وذمٌ	وأنت بأرضنا رَجُلٌ شَصِيبُ ^(١)
بلادي؛ شُعبها شَعْبٌ شَمُوسُ	فلنَ يَجْتَرَّها الشُّركُ النَّصِيبُ ^(٢)
لها في كلِّ مَكْرمةٍ نَصِيبُ	وما لك من مكارمها نَصِيبُ!

* * *

هي «اليمن السَّعيدة» في الأعالي	مَسَاكِنُها وواديها خَصِيبُ
يُدافع عنه أحرارُ كرامٍ	فلا يَتَلَاوُمُونَ إذا أَصِيبوا

(١) الشَّصِيبُ: الغريب.

(٢) النَّصِيبُ: الشُّركُ المنصوب.

الباء المضمومة مع الغين والياء

بَنِي الْمُخْتَارِ، خَلَّوْهَا احْتِسَابًا وَعَدُّوا عَنْ مَطَامِعِهَا وَغَيْبُوا^(١)
وَحَظُّكُمْ «الْمَوَدَّةُ» وَهُوَ حَظٌّ إِذَا مَا صُنْتُمْ «الْقُرْبَى» رَغِيبٌ^(٢)

(١) عَدُّوا عَنْ مَطَامِعِهَا: أي اصرفوا أنظاركم عنها، والضَّمير يعود إلى «الرئاسة».

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى). ورغيب: واسع كثير.

٣٢٥ - وإلى القاضي محمد الأكوع [٦٤]

الباء المضمومة مع الياء وواو الردف

وَأَنْتَ لَكَ الْمَحَاسِنُ، وَالْعُيُوبُ!	تُهَاجِمُنَا بِكُلِّ بَذِيٍّ قَوْلٍ؟
وَمَنْ تَزْكُو بِذِكْرِهِمُ الطُّيُوبُ	وَتَنْهَشُ ذِكْرَ مَنْ طَابُوا فِعَالاً
بِهِمْ تَصْفُو مِنَ الْكُفْرِ الْجُيُوبُ ^(١)	«بَنِي الزُّهْرَاءِ» وَالْأَطْهَارِ مِنْهُمْ؛
بَأَنَّ نَرْعَاهُ أَوْصَتْنَا الْغُيُوبُ	تَمَهَّلْ - يَا ظُلُومَ - وَصُنْ شِعَارًا

(١) الجيوبُ: القلوب.

الباء المضمومة مع الراء وألف التأسيس

لَكَ . فِي زَمَانِكَ يَا فَوَّادُ مَارِبُ
 دَقْتُ . وَجَلَّ شِعَارُهَا وَتَضَارِبُ
 وَمُغَالِطُ؛ مَا إِنَّ يَبِينَ تَخَوُّفًا
 وَأَنَا أَبُوءُ بِهَا؛ طَلِيحًا، مُدْلِجًا
 لَوْ شِئْتُ أَمْرًا؛ كُنْتُ قَدْ خَوَّلْتُهُ
 لَكِنَّهُ حَقُّ الْهُدَى وَيَقِينُهُ
 مِنْ أَجْلِهَا: أَنَا مَا بَرَحْتُ أَحَارِبُ!
 فِيهَا الظَّنُونُ؛ فَمَشْفِقٌ وَمُوَارِبُ
 وَمُجَاهِدٌ فِيهَا؛ وَآخِرُ سَارِبُ^(١)
 وَأَسَاوِدُ فِي دَرَبِهِ وَعَقَارِبُ^(٢)
 وَبِهِ أَشَادَ أَبَاعِدُ وَأَقَارِبُ
 مِنْ أَجْلِهِ أَنَا مُوْتَقٌ، أَوْ هَارِبُ!

(١) سارب: متخفي.

(٢) الطَّلِيح: المتعب، والأساود: الحيات.

٣٢٧ - اليقين هو الأنسب [٦٦]

الباء المضمومة مع السين

قُلْ لِلَّذِي عَنْ دِينِهِ وَإِلَهِهِ؛
أَقْصِرْ فَلَوْلَا أَنَّ عَقْلَكَ قَاصِرٌ؛
كُنْهُ الْحَقِيقَةِ عِنْدَ أَرْبَابِ النَّهْيِ
أُخْرَى بِمَنْ يَذَرِي التَّوَقُّفُ حَائِرًا
مَا إِنْ يَرِيمُ تَشْكُكًا يَتَحَسَّبُ^(١)
لَعَرَفْتَ أَنَّ الشَّكَّ قَفَرٌ سَبَسَبُ
حِينًا يَلُوحُ؛ وَتَارَةً يَتَرَسَّبُ
أَمَّا الْيَقِينُ - لِمَنْ يَطِيقُ - فَأَنْسَبُ

(١) يتحسب: يستخير.

٣٢٨ — تحريم التعذيب [٦٧]

الباء المضمومة مع الذال وياء الردف

ما إن لنا دينٌ، ولا تهذيبُ	إن ظلَّ شرع سجوننا التعذيبُ
أنا مؤمنٌ بالله؛ فالتعذيب في	يوم القيامة ماله تكذيبُ
لكن إذا ما استننه متجاسرُ	في الأرض فهو المستبيح الذيبُ
أنا في وجودي كالغريب وليس لي	إلا الدُموع؛ أريقها وأذيبُ
ولعل يوماً بالشهادة قادمًا؛	فينالني التطهير والتشذيبُ

الباء المضمومة مع الذال

يا مَجْلِسًا في عَدِّ أَهْلِ «الْكِسَا»^(١) ضَمَّ الْأَلَى مِنْ قَوْمِهِمْ هُذَّبُوا
لَكِنَّهُمْ بِالْعَدْلِ لَمْ يَحْكُمُوا، وَعَنْ كِيَانِ الْحَقِّ لَمْ يَشْذِبُوا^(٢)
فَذَاكَ لِاهٍ بِخِيَالَتِهِ وَذَا؛ إِلَى نَفْعٍ لَهُ يُجْذَبُ
وَكُنْتُ فِيهِمْ حَائِرًا تَائِهًا لَا أَنْطِقُ الصَّدَقَ وَلَا أَكْذِبُ

(١) «أهل الكسا» في الحديث هم الخمسة: وعند تشكيل المجلس الجمهوري إثر المصالحة الوطنية كان أعضاؤه خمسة هم: عبد الرحمن الإرياني، حسن العمري، محمد علي عثمان. أحمد نعمان، أحمد الشامي. «المؤلف».

(٢) شَذَبَ عَنْهُ: ذَبَّ وَدَفَعَ.

الباء المضمومة مع الحاء بعد الألف

يا مَنْ لَصَبٌ أَمْسُهُ قَدْ مَضَى	كالْيَوْم وهو النَّائِحُ الشَّاحِبُ ^(١)
نَهَارُهُ أَوْحَشُ مِنْ لَيْلِهِ؛	لا أَهْلٌ؛ لا آمَالٌ؛ لا صَاحِبٌ
نُغْمَى لِمَنْ قَدْ ضَمَّهُ قَبْرُهُ	فَهُوَ لَهُ مُنْتَزَهُ لَاحِبٌ ^(٢)

(١) الشاحِب: المتغيِّر الكَثِيب.

(٢) اللاحِب: الواسع، وهو الواضح أيضًا.

الباء المضمومة مع التاء والألف

وَنَظَلِمُ النَّاسَ وَنَغْتَابُ؟	إِلَى مَتَى فِي الْحَقِّ نَرْتَابُ
نَرْتَكِبُ الْإِثْمَ وَنَنْتَابُ ^(١)	وَفِي سَبِيلِ الشَّرِّ مَا نَأْتَلِي
يَحْتَقِرُ الْجُودَ، وَيَعْتَابُ	أَجُودُنَا بِالْمَالِ ذُو مِنَّةٍ
فَلَا يُبَالِي الْهَوْلَ يَجْتَابُ ^(٢)	إِذَا حَدَاهُ صَوْتُ أَطْمَاعِهِ؛
مُقْتَرَفِي الذَّنْبِ وَإِنْ تَابُوا	وَصَاحِبُ السُّلْطَةِ قَاسٍ عَلَى
الصَّفْحِ، وَبِالْأَحْرَارِ يَرْتَابُ	لَا يَقْبَلُ النَّصْحَ وَلَا يَعْرِفُ

(١) ما نأتلي: لأنقصر، ونتتاب: نأتي ونقصد.

(٢) يجتاب: يقطع.

٣٣٢ - إلى منهزم في معركة [٧١]

الباء المضمومة مع اللام

قد عزَّ - رَغَمَ اجْتِهَادُكَ - الطَّلَبُ
قَامَرْتَ بِالْحَرْبِ دُونَ عُذَّتِهَا
فَاصْبِرْ فَمَا فِي هَزِيمَةٍ شَجَبُ
وَفَاوِضِ الْقَوْمِ صَارِمًا حَذِرًا
لَعَلَّ يَوْمًا . . له مخايلُهُ
فَالْفِكْرُ سَاءٌ، وَالْقَلْبُ مُخْتَلَبُ^(١)
وَسَاءٌ بَدْءٌ؛ فَسَاءَ مُنْقَلَبُ
وَلَمْ يَكُنْ هَمٌّ مِثْلَكَ السَّلْبُ^(٢)
فَالْقَوْمُ لَا يَرْحَمُونَ إِنْ غَلَبُوا
تَزْهَوْبُهُ السَّابِغَاتُ وَالْيَلْبُ

(١) مُخْتَلَبٌ: مأخوذ مخدوع.

(٢) السَّلْبُ: ما يأخذه أحد القرنين من المهزوم.

(٣) السَّابِغَاتُ: الدروع. وَالْيَلْبُ: الخوذ.

الباء المضمومة مع الجيم

إِنْ كُنْتَ ضَيَّعْتَ فَرَصَةً سَنَحْتُ
خُذْهَا اِعْتِبَارًا لِمَنْ بَطَانَتُهُ
أَخَالَ أَمْرًا فِي الْغَيْبِ يَبْرُمُهُ
لَهُ تَشْوُرُ «الْجُمُوعُ» فِي زَمْعٍ
أَكَاذُ أَرْنُو إِلَى الْجُمُوعِ وَفِي
فَلَمْ تُهَيِّئْ لَهَا الَّذِي يَجِبُ
لَيْسُوا كِرَامًا. وَمَا هُمُ وَنَجِبُ
مُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرِهِ عَجَبُ
يَطِيبُ لِلْحُرِّ عِنْدَهُ الشَّجَبُ
مَسَامِعِي مِنْ هَتَافِهِمْ لَجَبُ^(١)

(١) اللَّجَبُ: الضُّجَيْجُ.

الباء المضمومة مع الباء وياء الردف

خل عنك البكاء.. فالأمر قد كان؛ وبالصبر يستعين اللبيب
أقفر الربع؛ لا مدام ولا أنغام تشدو. ولا غزال ربيب
كان لي ها هنا نديم وكأس وكناس، وروضة وحبیب
كم لهونا في ظله، يتغالى فيه منا التمجيد والتشبيب
وشباب الحياة نشوان بالقوة.. والشعر فاحم غريب
كيف أضحي قفراً يباباً وعهدي براه للعيش فيه دبيب؟
أين؟ لا أين؛ فالنهايات إن وافت؛ فلا علة ولا تسبيب
وإذا ما القضاء حم على المرء ففي دائه يحار الطبيب!
والمغاني كالناس؛ من بعد أنس يعتريها الإحاش والتبيب

الباء المفتوحة مع اللام

صُرُوفُ اللَّيَالِي أَوْشَكَتْ أَنْ تَبِيدَنِي	وَقَدْ أَنْهَكَتْ مِنِّي الْمَشَاعِرَ وَالْقُلُوبَا
نَشَأْتُ يَتِيمًا ثُمَّ شُرِّدْتُ يَافِعًا	وَحُورِبْتُ كَهْلًا أَتَّقِي الذَّلَّ وَالْغُلْبَا
وَأَصْرَخُ بَيْنَ النَّائِمِينَ مُحَاوَلًا	هِدَايَةَ قَوْمٍ أَدْمَنُوا النَّهْبَ وَالسَّلْبَا
وَعَاشُوا كَسَالِي ؛ لَا يُرِغُونَ مَطْلَبًا	وَلَا يَتَحَامُونَ الْمَلَامَةَ وَالثَّلْبَا
وَأَفْضَلُ مِنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ مَكَانَةً	عَبِيدُ الْمَوَاشِي وَالْأُلَى قَدَسُوا الصُّلْبَا

الباء المفتوحة مع الراء

طُوبِتْ عَلَى عِلْمٍ قَدِيمٍ بِخَالِقٍ لَأَمْرِ يَرَاهُ أَوْجَدَ الْعُجَمَ وَالْعُرْبَا
لَهُ فِي ضَمِيرِ الْكَوْنِ سِرٌّ بَوَحِيهِ يُمِيتُ وَيُحْيِي النَّارَ وَالْمَاءَ وَالتُّرْبَا
وَلَوْلَا خِلَالٌ فِي الْبَرِيَّةِ سَنَهَا لَمَا اشْتَرَعُوا سِلْمًا وَلَا عَلِمُوا حَرْبَا
وما إن أماري أو أجاري تَطْبَعَا؛
ولا باختياري آلفُ الأَكْلِ وَالشَّرْبَا
بِإِلْهَامٍ حَسِّيٍّ ، لَا بَعِلْمٍ تَجَارِبِي
أَيِّمُّ شَرْقًا فِي سُلُوكِي أَوْ غَرْبَا
وَلِي فِي نِظَامِ الْكَوْنِ سِرٌّ وَإِنَّمَا يَضِلُّ ضَلَالُ الطَّيْرِ إِنْ هَجَرَ السَّرْبَا
وَمَالِي إِلَى الرَّحْمَنِ إِلَّا ضِرَاعَتِي أَرْجِي بِهَا مِنْهُ التَّحَنُّنَ وَالْقُرْبَا
لِيَغْفِرَ مَا قَارَفْتُهُ وَيَحُوطَنِي
بِلُطْفٍ وَعَفْوٍ يَكْشِفُ الْهَمَّ وَالْكَرْبَا

الباء المفتوحة مع العين

يقولون لي ؛ هَلَّا أَنْخَتَ رَكَائِبًا
بِهَا ظَلَّتْ تَجْتَازُ الْمَكَارَةَ وَالصَّعْبَا؟
عَلَامَ الضَّنَى وَالْعَيْشُ فِي الرُّعْبِ وَالْعَنَا
شَرِيدًا؛ فَلَا أَمْنًا عَرَفْتَ وَلَا لُغْبَا؟
قَطَعْتَ بِلَادَ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَلَمَّا تَجِدْ فِيهَا مَلَاذًا وَلَا شُعْبَا
فَقُلْتُ: انْتِعَاشِي بِالْمَخَافِ إِمْلًا
أَحَبُّ مِنَ الْأَمْنِ الَّذِي يَرْقُبُ الرُّغْبَا

الباء المفتوحة مع الضاد

قَصَدْتُكَ عَنْ قَوْمٍ يُرْجُونَ مِنِّي
فَأَغْضَيْتَ عَنِّي الطَّرْفَ حَرْدَانٍ مَغْضِبَا
وَهُمْ مَعْشَرٌ وَلَوْكَ طَوْعًا أُمُورُهُمْ
لِتُوصَلَ مِنْهَا مَا وَهَى وَتَقْضَبَا؛
حُسَامُ اللَّيَالِي سَوْفَ تَلْقَاهُ إِنْ طَغَى
حُسَامُكَ يَوْمًا مِنْهُ أَمْضَى وَأَعْضَبَا

الباء المفتوحة مع الضاد

وَعَاقَرْتُ حُرًّا خَمَرَهَا وَرَضَابَهَا	حَلَبْتُ اللَّيَالِي دَرَّهَا وَنَضِيبَهَا
وَلَا خِفْتُ مِنْ سُودِ الْخُطُوبِ غَضَابَهَا	فَمَا أَبْطَرْتُني نِعْمَةً بِإِيْتِهَاجِهَا
وَلَا مَحْنَةً إِلَّا افْتَرَعْتُ هِضَابَهَا	وَمَا اغْتَرَضْتُني فِي الْحَيَاةِ مُصِيبَةً
وَجَرَّبْتُ مِنْهَا وَصْلَهَا وَأَنْقَضَابَهَا	خَبَرْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ عِزًّا وَذِلَّةً
شَبَابَ اللَّيَالِي ، وَاسْتَعَرْتُ خَضَابَهَا	حَصَادِي مِنَ الْأَيَّامِ أَوْدَعْتُ سِرَّهُ

الباء المفتوحة مع الصاد والألف

نصحتك أن تسترشد العقل دونما
هوى؛ فالهوى قد يفسد الرأي صائبا
إذا حدث عن نهج النهى عشت تائها
ولم تر من دنياك إلا المصائب
يقيني بلوم الناس علمني التقى
فكم زرعوا لي دون جرم نصائب^(١)

(١) النصائب: الأشرار.

الباء المفتوحة مع الذال

أَحْيَا زَمَانًا، أَذَلَّ النَّاسِ أَصْدَقُهُمْ
فِيهِ؛ وَأَكْرَمُهُمْ مَنْ غَشَّ أَوْ كَذَبَا
وَعَالِمٌ^(١) الْقَوْمِ مَهْبُولٌ: يَكِيلُ لَهُمْ
مِنَ الْأَحَادِيثِ زُورَ الْقَوْلِ وَالْكَذِبَا
سَمِئْتُهُمْ. وَهُمْ مَلُّوا مُعَاشِرَتِي
وَلَمْ أَجِدْ بَيْنَهُمْ مِنْ جَدٍّ أَوْ هَذْبَا
أَكَادُ أَصْرُخُ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَسْفٍ
يَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ كَأْسَ الْمَوْتِ قَدْ عَذْبَا

(١) يقصد علماء السوء، و«الفقهاء» الدجالين وأشباههم.

٣٤٢ - رحلة في النور الأعظم [٨١]

الباء المفتوحة مع الجيم

إِنْ كُنْتُ أَخْلَصْتُ حُبِّي فَهُوَ عَنْ شَغْفٍ
بَكُمْ؛ وَإِخْلَاصُ مَنْ وَالْأَكْم... وَجَبَا
لَمَّا نَمَانِي إِلَيْكُمْ جَوْهَرِي خَشَعْتُ
لَكُمْ حَيَاتِي وَذَابَتْ فِيكُمْ عَجْبَا!
قَدْ عُدْتُ مِنْ رِحْلَتِي الْكُبْرَى؛ وَبِي كَلَفْتُ
يُفْنِي؛ وَيَهْتِكُ عَنْ مَرَاكِمِ الْحُجْبَا
لَوْ طَافَ مِنْهُ شُعَاعٌ فِي ظِلَامٍ دُجَى
مَاتَ الظَّلَامُ، وَصَاحَ اللَّيْلُ وَاشْجَبَا..!

الباء المفتوحة مع العين

نار الحياة بلذاتي قد استعرت
دهراً وما فتئت حتى خبت تعباً!
أنا رمادُ لأيامٍ قد احترقت
وكانَ جاحمُها يَجْتَاحُ ما صُعِبَا
كم أشعلتُ في دياجي البؤسِ من أمل
للمذنفين؛ يُبيدُ الهمَّ والرُّعبَا
واليوم .. لا غدٌ للأشواقِ يُنْعِشُهَا
وناعبُ اليأسِ والتَّرحالِ قد نعبا
تجمدتُ رغباتي في صقيعِ دمي
ومزقتُ في متاهاتِ الأسى شُعْبَا!

الباء المفتوحة مع اللام

إِذَا رَأَيْتَ هُمَامًا عَزَّ أَوْ غَلَبَا
 وَنَالَ مَا رَامَهُ وَاجْتَاَزَ مَا طَلَبَا
 فَاشْفِقْ عَلَيْهِ إِذَا مَا سَاءَ مُنْقَلَبَا
 وَارْفُقْ إِذَا ذَلَّ بَعْدَ الْعِزِّ وَانْغَلَبَا
 لَا تَخَشْ ذَا سُلْطَةٍ مَهْمَا طَغَى وَبَغَى
 وَلَا تُبَلِّ بِغَوِيٍّ ذِمًّا أَوْ ثَلَبَا!
 وَلَا تُصَدِّقْ خُرَافَاتِ الْأَلَى فِتْنُوا
 بِالْأَوْلِيَاءِ، وَلَا مَنْ قَدَّسُوا الصُّلْبَا
 فَهَمُّهُمْ إِنْ هُمُ صَلُّوا وَإِنْ وَعَظُوا
 أَنْ يَفْتَنُوا النَّاسَ أَوْ أَنْ يَغْنَمُوا السُّلْبَا!
 سَيِّانَ لَصٍّ وَزَنْدِيقٍ؛ فَذَاكَ سَطَا
 عَلَى الْحُقُوقِ؛ وَذَا لِلشَّرِّ قَدْ جَلَبَا!

الباء المفتوحة مع العين

باللطف يسهل — لا بالقسر — ما صعبا
وراحة الخلد مهداة لمن تعب
فارع الأنام برفق. واتخذ سببا
إلى القلوب يزيل الخوف والرعبا
«لَوْ كُنْتَ فظًا غليظ القلب» ما استمعوا
ولا استقاموا، وأضحى جدُّهم لعبا

.

الباء المفتوحة مع الحاء

حَبَاكَ خَيْرًا وَمَا حَابَاكَ حِينَ حَبَا
 بَلْ كَانَ يُحْسِنُ عَنْ جِسٍّ لَهُ رَحَبَا
 فَكَيْفَ لَمْ تَرَعْ فِيهِ حَقُّ صُحْبَتِهِ؛
 وَكَانَ أَسْمَى وَأَوْفَى صَاحِبٍ صُحْبَا^(١)
 تَرَكْتَهُ لِرِصَاصِ الْحَقْدِ تَنْهَشُهُ
 وَلَمْ تُغِثْهُ وَلَمْ تُنْقِذْهُ إِذْ سُحِبَا
 لَوْ كُنْتَ تَمْلِكُ حِسًّا مَتَّ مِنْ كَمَدٍ
 أَوْ كَانَ قَلْبُكَ شَهْمًا ذَابَ مُنْتَحِبَا

(١) هو: عبد الرحمن أبو طالب. والمخاطب هو صديقه الأستاذ محمد الفسيل.

الباء المفتوحة مع التاء والألف

شَطَّتْ بِصَاحِبِهَا أَوْهَامُهُ فَنَأَى
عَنِ الصَّوَابِ وَبَاتَ اللَّيْلَ مُرْتَابَا
كَانَ «الْيَقِينُ» لَهُ مَأْوَى يَلُودُ بِهِ
إِذَا طَغَى حَادِثٌ لِلدَّهْرِ وَانْتَابَا
بَاعَ الْيَقِينُ بِشَكِّ فَاثْنَيْنِ قَلِقًا
يَرُومُ مِنْ غَضَبِ الْأَيَّامِ إِعْتَابَا!
كَمْ حَطَّ «الْوَهْمُ» مِنْ حُبٍّ وَمِنْ أَمَلٍ
وَكَمْ أَضَلَّ مِنَ الْكُتَّابِ - كُتَّابَا
يَا صَاحِبَ الشَّكِّ تُبِّ قَبْلَ التَّبَابِ؛ فَمَا
أَشْقَى الْمُرْجِي إِذَا أَوْدَى - وَمَا تَابَا

الباء المفتوحة مع الذال والألف

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ قَلْبِي تَعَشَّقُهُ
مُمَاطِلًا مُخْلِفًا لِلْوَعْدِ كَذَابًا
وَمَنْ إِذَا مَا سَرَتْ ذِكْرَاهُ فِي خَلْدِي
حَنْتُ ضُلُوعِي وَقَلْبِي لَهْفَةً ذَابًا

الباء المفتوحة مع الكاف والواو

فَارَقْتُهُ مُرْغَمًا؛ وَالرُّوحُ عَالِقَةٌ
بِهِ؛ فَأَصْبَحْتُ بَيْنَ النَّاسِ مَنْكُوبًا
أَمَزَقُ الرُّوحَ بِالْأُنْثَاتِ مُوجَعَةً؛
وَالْقَلْبُ أَصْهَرُهُ فِي الدَّمْعِ مَسْكُوبًا

٣٥٠ - الهمُّ الفريد [٨٩]

الباء المفتوحة مع القافِ والواو

هَمِّي فريدٌ، وحُزني لا يُماثِلُهُ
هَمٌّ لأَيُّوب، أو حُزنٌ لِيَعْقُوبَا
عَرَفْتُ لَوْمَ أناسٍ لا يَرَوْنَ لِذِي
حَقٍّ حُقُوقًا، ولا يَرْعَوْنَ مَشْقُوبَا
لِذَاكَ أَصَبَحْتُ بَلْ أَمْسَيْتُ مُنْعَزِلًا
عَنِ الْأَنَامِ وَقَلْبِي بَاتَ مَثْقُوبَا

٣٥١ - عابِسُ الوجه [٩٠]

الباء المفتوحة مع الحاء وياء الردف

وَكَمْ عَدُوٌّ أَتَانِي وَهُوَ مُضْطَفِنٌ
حَبَوْتُهُ الْقَوْلُ تَأْهِيلًا وَتَرْحِيبًا
وَعَابِسُ الْوَجْهِ لَا يَسْتَلُّ مَوْجِدَةً
مَنْ قَلْبُ خَبٍّ وَلَا يُرْضِي الْأَصَاحِبَا

الباء المفتوحة مع الذال والياء

أعيشُ بالحبِّ أشواقًا وأخيلةً وأرتضيه مُعاناةً وتغذيبًا
لولا مُعاناةُ أشواقِي وأخيلتي ما صُنْتُ حقًّا ولا مَجَّدْتُ تهديبا
وبالضنى ومُقاساةِ الهمومِ صَفْتُ غرائِزي فأمَزْتُ الشاةَ والذِّيبا! ^(١)

(١) كناية عن الخير والشر.

٣٥٣ - الطبع البشري؟ [٩٢]

الباء المفتوحة مع الذال والياء

مَنْ كَلَّفَ النَّاسَ تَنْزِيهًا وَتَهْذِيبًا
كَمَنْ يَحَاوِلُ أَنْ يَسْتَأْنِسَ الذُّبَابَ
لَوْ لَمْ يَكُونُوا بِلُؤْمِ الشَّرِّ قَدْ طُبِعُوا؛
مَا كَذَّبُوا الرُّسُلَ الْأَبْرَارَ تَكْذِيبًا!
وَلَا عَصَوْا رَبَّهُمْ جَهْرًا، وَلَا ظَلَمُوا
وَلَا أَعَدَّ لَهُمْ نَارًا وَتَعْذِيبًا!

٣٥٤ — أضحوا ترابًا وتراثًا...! [٩٣]

الباء المفتوحة مع الشين والياء

أَيْنَ الْأَلَى حَكَمُوا الدُّنْيَا بِمَا اشْتَرَعُوا
وَأَشْبَوْهُ لَنَا فِي الْأَرْضِ تَأْشِيبًا^(١)
شَرَاءً، وَقَوَانِينًا وَأَخِيلَةً
هَمْنَا بِهَا؛ مَا صَفَا مِنْهَا وَمَا شِيبَا
أَضْحَوْا تُرَابًا: وَمَا زَالَ الَّذِي ابْتَدَعُوا
يُغْوِي بِهِ الْوَاعِظُ الشُّبَّانَ وَالشُّيْبَا

(١) أشب: خلط.

الباء المفتوحة مع السّين والياء

بِالْعِلْمِ قَدْ عَزَّ أَقْوَامٌ وَمَا انْتَسَبُوا
وَالْجَهْلُ أَخْضَعَ أَقْوَامًا مَنَاسِبًا!
نَعِيشُ فِي عَصْرِ تَقْنِينٍ وَ «تَقْنِيَةٍ»
أُخْنِي عَلَى مَنْ عَرَفْنَاهُمْ يِعَاسِبًا!

٣٥٦ - حصادي من الأيام [٩٥]

الباء المفتوحة مع العين والألف

وَرُضْتُ الدَّهْرَ؛ أَمْنًا وَارْتَعَابًا!	بَلَغْتُ مُنَايَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ
لِمَنْ يَهْوَى الْمَخَاطِرَ وَالصَّعَابَا	وَمَا أَبْقَيْتُ فِي الدُّنْيَا مَجَالًا
تَقْضَى عُمْرُهُ لِعِبَا وَعَابَا	فَلَمْ أَحْصِ سِوَى حَسَرَاتِ شَيْخٍ

الباء المفتوحة مع السين

قالوا: «أناني» فقلت: طَبِيعَةٌ
لم أَدْخَرُهَا خِصَّةً وَتَكْسُبا
لا أَسْتَطِيعُ مَذَلَّةً أَوْ خُدْعَةً
أَوْ أَنْ أُطْأِطِئَ هَامَةً أَوْ أَرْسُبا
وَإِذَا انْتَسَبْتُ فَلِلْقَرِيزِ يَطُولُ بِي
نَسَبٌ وَأَكْرَمُ بِالْقَرِيزِ تَنْسُبا
مَا لِي «بِعَدْنَانٍ» فَخَارُ، إِنْ دَعَا
دَاعٍ وَلَا أَعْزُو الْفَخَارَ إِلَى «سَبَا»
هُمْ يَسْبَحُونَ تَوْهُمَا فِي حَنْدُسٍ
وَيُخْطَطُونَ بِلَا دَلِيلٍ سَبَسَبَا!

الباء المفتوحة مع التاء والألف

وَالْقَلْبُ عَادَ إِلَى الصَّوَابِ وَتَابَا
قُلْتُ: الْفؤَادُ غَدَا بِهِ مُرْتَابَا
رَمَقٌ يَطِيقُ تَغْزُلًا؛ وَعِتابَا
وَعَذَابِهِ؛ وَهَجَرْتُهُ مُؤْتَابَا
وَإِذَا طَغَى حَزَنِي فَتَحْتُ كِتَابَا

طَرَقْتُ فَقُلْتُ لَهَا أَفْقَتُ مِنَ الصَّبَا
قَالَتْ: وَعَهْدُ الْحُبِّ هَلَّا صُنَّتَهُ؟
لَمْ يَبْقَ مِنْ شَوْقِي وَلَا مِنْ صَبُّوتِي
وَلَّى الْهَوَى، وَارْتَحْتُ مِنْ نَزَوَاتِهِ
قَلَمِي وَأُورَاقِي تُبَدِّدُ وَحْشَتِي

الباء المفتوحة مع التاء والواو

قالوا: قلاك؛ فقلتُ حظي عايرُ
وبِهِ غَدَوْتُ مُرَزَّأً مَعْتُوباً
أنا مَنْ وَهَبْتُ لَهُ الْفُؤَادَ فَبَاعَهُ
أُتْرَى قَلِي؟ أَمْ مَثَلُ «المَكْتُوبِ»؟

٣٦٠ - الغاية المحتمة [٩٩]

الباء المفتوحة مع الظاء

قد خَلَقَ النَّاسَ وَأَرْزَأَهُمْ مَنْ يَرْزُقُ الثُّعْبَانَ وَالْحَنْظَبَةَ^(١)
وقدَّرَ الْمَوْتَ لَهُمْ غَايَةً لا فرق بين الصَّقْرِ وَالْعُنْطَبَةِ^(٢)

(١) الحَنْظَبَةُ: دابةٌ مثل الخنفساء.

(٢) الْعُنْطَبَةُ: الجراد الضَّخْم.

٣٦١ - الفصل الأول...! [١٠٠]

الباء المفتوحة مع الحاء والألف

هَلَكَ السَّيِّدُ الْإِمَامَ وَوَلَّى	بعد أن أتعَبَ الأَنَامَ وحابَا
كَادَ أَنْ يَأْمَرَ النُّجُومَ بِأَنْ تَخْ	سِيفَ وَالرَّيْحَ أَنْ تُبِيدَ السَّحَابَا
أَسْكَنَ الرُّعْبَ كُلَّ قَلْبٍ وَأَضْفَى	الْخَوْفَ يَغْشَى كَالسَّافِيَاتِ الرَّحَابَا
ضَاقَتِ الْأَرْضُ بِالْأَنَامِ فَلَا حُسْ	نَى ؛ وَلَا صَاحِبٌ يُرْجَى صَحَابَا
لَا تَرَى ؛ غَيْرَ ثَاكِلٍ أَوْ يَتِيمٍ	يَتَفَانُونَ لَوَعَةٍ وَانْتَحَابَا

١٣٦٧/٤/٧ هـ

٣٦٢ - الفصل الثاني: اللحظة الأخيرة [١٠١]

الباء المفتوحة مع الباء والياء

وَقَلَّا نَفْسَهُ وَعَافَ حَبِيبَهُ
وَالْمَالُ وَأَعْيَا وَزِيرَهُ وَطَبِيبَهُ
تُشْتَرَى مِثْلَمَا تُبَاعُ الضَّيْبَةُ^(١)
وَأَقْصَى حَكِيمِهِ وَلَبِيبَهُ
يَتَلْظَى ؛ وَلَا شَعُورُ الشُّبَّيْنِ

حِينَ وَافَاهُ الْمَوْتُ قَطْبَ دُعْرًا
لَمْ تُفِذْهُ الْحُصُونُ وَالْجُنْدُ
ظَنَّ أَنَّ الْخُلُودَ سَلْعَةً سَوَقِ
وَأَطَاعَ الْهَوَى ؛ وَلَمْ يُصْغِرِ لِلنُّصْحِ
وَمَضَى ؛ لَا أَسَى الشُّيُوخِ عَلَيْهِ

(١) الضبيبة: طعامٌ يتخذ للصبي.

٣٦٣ - الفصل الثالث: دستور ١٩٤٨م [١٠٢]

الباء المفتوحة مع الطاء والياء

لَمْ يَكُنْ غَيْرَ وَمُضَةٍ طَرَدَتْ عَنْ
لَحْظَةٍ كَالزَّمَانِ صَاحَتْ بِمَا
وَإِذَا بِالظَّلَامِ يَخْنُقُ مَنْ كَانَ
وَيُغْنَى الْفَنَاءَ صَمَتَ الْمَنَايَا
وَيُدِيرُونَهَا كَوْوَسَ اغْتِسَافٍ:
أَفَقْنَا بَازِدَهَا تَقْطِيبًا!
نَهَوَى وَأَوْدَتْ كَالزَّهْرِ غَضًّا رَطِيبًا
أَدِيبًا، أَوْ عَالَمًا. أَوْ خَطِيبًا
وَتَفْوُحُ الدَّمَاءِ خَمْرًا وَطِيبًا!
«مَرَّةً خَالِصًا، وَأُخْرَى قَطِيبًا»^(١)

(١) القطيب: الممزوج.

الباء المفتوحة مع اللام والياء

ثم دار الزمانُ دورةً حَقْدٍ
وتَفَانِي في الشرقِ قومٌ وغالى
كَمْ عَزِيزٍ أَضْحَى ذَلِيلًا؛ وَكَمْ مِنْ
مَعَشَرٍ يَخْبِطُونَ بَيْهًا؛ وَقَوْمٌ
لَا تَسْلُنِي عَمَّا جَرَى؟ لَسْتُ أَدْرِي
وَطَغَتْ حَيْرَةٌ عَلَى النَّاسِ حَتَّى
وَاضْمَحَلَّتْ حَوَاسُهُمْ، لَا يَمِيزُ
وَأَبَاحَ التَّقْتِيلَ وَالتَّصْلِيْبَا!
مَنْ يَرِيدُ التَّجْرِيحَ وَالتَّثْلِيْبَا
ذِي ثَرَاءٍ أَضْحَى شَرِيدًا سَلِيْبَا
مَزَقُوهُمْ، وَأَوْدَعُوهُمْ قَلِيْبَا
قَدْ أَلْفَتْ التَّغْيِيرَ وَالتَّقْلِيْبَا!
حَسِبُوا الْأَسَدَ فِي الْإِسَارِ كَلِيْبَا^(١)
وَنَ «جِدَاءٌ نَصْرٌ» أَوْ عُنْدَلِيْبَا!

١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م

(١) الكليبُ: جماعة الكلاب.

الباء المفتوحة مع الراء

يا مَنْ لَصَبٌ مُعْنَى	في الحُبِّ ضَيِّعْ دَرْبَهُ
يَتِيهِ فِي لَيْلِ شَوْقٍ	وَفِي مَجَاهِلِ غُرْبِهِ
مَلَّ الْحَيَاةَ اضْطِبَارًا	عَلَى الْفِرَاقِ، وَكُرْبِهِ
يَا سَارِي الْبَرْقِ هَلَّا	شِمْتَ الْحَبِيبَ وَسِرْبَهُ؟
وَهَلْ سَبِيلُ إِلَيْهِ؟	وَهَلْ سَأَشْهَدُ قُرْبَهُ؟
هُنَاكَ حَيْثُ قَضَيْنَا	عَهْدَ الشَّبَابِ وَإِرْبَهُ
هَنَّاكَ كُنَّا، وَكُنَّا:	تَرْبًا يُعَاشِرُ تَرْبَهُ
فِي «مَوْطِنٍ» أَتَمْنَى..	بِأَنْ أَقْبَلَ تُرْبَهُ
فِيهِ تَذَوَّقْتُ حُرًّا	سِلْمَ الزَّمَانِ وَحَرْبَهُ
مَا عَنَّهُ أَرْضَى بَدِيلًا:	شَرَقَ الْوُجُودِ وَغُرْبَهُ

* * *

مَضَى شَبَابِي جَنُونًا:	يَفْتَنُ عِشْقًا وَطَرْبَهُ
فِيَا لِحُسْرَانٍ عُمْرِي	إِنْ عَانَقَ الرُّوحُ أَرْبَهُ ^(١)
وَمَا ادَّخَرْتُ ثَوَابًا	وَلَا تَعَبَّدْتُ قُرْبَهُ ^(٢)

(١) الأربة: الغائلة، والمقصود الموت.

(٢) القرية: ما يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ.

٣٦٦ — قُلْ لِلْحُسُودِ.. [١٠٥]

الباء المفتوحة مع التاء

يَهْدِي وَيُكْثِرُ عَتَبَهُ	قُلْ لِلَّذِي حَسَدًا لِي
عَلَمًا، وَخَيْرًا، وَرُتَبَهُ	قَدْ نِلْتُ مَا أَتَمَنَى:
«صَنَعًا» وَتَعَشَّقُ كَتَبَهُ!؟	وَمَنْ سِوَايَ تُنَاجِي

٣٦٧ - الحُبُّ الخالص [١٠٦]

الباء المفتوحة مع النون

بِروحي أَفْدي الرُّشَا الأَشْبا	وإن ضيَّعَ العَهْدَ؛ أو أذْنَبَا
وكمْ في هَوَاهُ رَكِبْتُ الصُّـ	عَابَ وَأَضْنَيْتُهَا مِقْنَبَا مِقْنَبَا
خُلِقْتُ لَهُ؛ لَا أَبَالِي الحُسُو	دَ فِيهِ، وَلَا عَاذِلَا أَنْبَا
وَلَنْ يَصِفَ القَوْلُ مَا فِي الضَّمـ	ير؛ وإن هُوَ أَغْرَقَ أو أَطْنَبَا

الباء المفتوحة مع الحاء

وَمَلَكْتُهُ مُهْجَتِي مُصْحَبًا ^(١)	حَبَانِي الْحَيَاةَ فَحَابَيْتُهُ
كَثِيرَ الْأَسَى سَاهِرًا أَشْحَبًا	وَأِنْ عِشْتُ مُضْنَى بِهِ مَدْنَفًا
مِتُّ وَقُلْتُ لَهُ: «مَرْحَبًا»	وَلَوْ قَالَ لِي خَلَّ عَنْكَ الْحَيَاةُ
إِذَا مَا أَعَدْتُ لَهُ مَا حَبَا!؟	وَكَيْفَ يُعْنِفْنِي لَائِمٌ

(١) المصحب: من أصحب: إذا انقاد وخضع.

٣٦٩ - تأديب الضمير [١٠٨]

الباء المفتوحة مع الدال

حَنَانًا لِحُبِّ سَقْتِهِ الدُّمُوعُ	غَيْثَ الْأَسَى ^(١) عِنْدَمَا أَجْدَبَا
فَأَخْصَبَ مِنْ زَهْرِهِ مَا ذَوَى	وَنُورَ مَا شَاخَ وَاحْدَوْدَبَا
وَكَانَتْ ظَنُونِي قَدْ أَطْبَقْتُ	عَلَى رَوْضِهِ مِثْلَ جَيْشِ الدَّبَى ^(٢)
ضَلَلْتُ زَمَانًا، فَثَارَ الضَّمِيرُ؛	وَمَا مِثْلُهُ قَطَّ مَنْ أَدْبَا

(١) الأسى: جمع أسوة؟ ما يُتَعَزَى بِهِ.

(٢) الدبى: الواحدة دباء: أصغر الجراد؛ النمل.

٣٧٠ - بين المخاطر والحب [١٠٩]

الباء المكسورة المشددة

وهبتُ حياتي للمخاطرِ والحبِّ
وعِشتُ بِقَلْبِ التائهِ الوالهِ الصَّبِّ
ليالي أحلامي كأيامٍ يَقطُطي
تهبُّ عَلَى خَوْفٍ، وَتَغْفُو عَلَى خَبِّ^(١)
وإن زارني طيفُ السَّعادةِ؛ زارني
مَرُوعُ الأمانِي والزَّيَّارةُ عَنْ غَبِّ^(٢)
رَضِيتُ بها: إذا لَمْ تُطأِئْ لِهَامَتِي
جَبِينًا وَصَانَتْنِي عَنِ الثُّلْبِ والسَّبِّ
ولم أَتَّخِذْ غَيْرَ الكَرَامَةِ مَنَهِجًا
ولا خَفْتُ فِي هَذِي الحَيَاةِ سِوَى الرَبِّ

(١) الخَبِّ: الخداع.

(٢) غَبِّ: جاء زائرًا بعد أيام؛ ومنه الأثر: «زُرْغَبًا تَزْدُحِبًا».

٣٧١ - تمتّع بما تستطيع! [١١٠]

الباء المكسورة مع الدال

لِمَنْ تَكْسِبُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُشَرَّدٌ
تَهِيمٌ بِقَلْبٍ مُسْتَهَامٍ مُعَذَّبٌ
أَتَرْجُو خُلُودًا فِي الْحَيَاةِ إِذْ فَقَدْ
خُدِعْتَ؛ وَمَنْ يُخْدَعُ يَخَادِعُ وَيَكْذِبُ؟
وَمَا خَدَعَ الْإِنْسَانَ مِثْلُ ضَمِيرِهِ
وَيَسَّ ضَمِيرُ الْمَرْءِ مَا لَمْ يُهْذَبْ!
تَمْتَعْ بِمَا تَسْطِيعُ فَالْعَمْرُ ضَائِعٌ
كَأَشْبَاحِ طَيْفٍ فِي أَصَابِعِ جُذْبٍ
وَشَذْبٍ غِيَاطِ الْعَيْشِ تَزْهُو زَهْرُهُ
فَلَنْ تَزْهُوَ الْأَشْجَارُ مَا لَمْ تَشَذَبْ

٣٧٢ - اعتراف الرّاجي [١١١]

الباء المكسورة مع الجيم

حَنَانُكَ رَبِّي قَدْ قَصَّدْتُكَ خَائِفًا
لَأَنِّي قَدْ قَصَّصْتُ فِي كُلِّ وَاجِبٍ
أُنْكِرُ آثَامِي، وَمَا اجْتَرَحْتُ يَدِي
وَقَدْ طُبِعَتْ آثَارُهَا فِي الرُّوَاكِجِ^(١)

(١) الرواجب: مفاصل أصول الأصابع.

٣٧٣ — غَدْرُ الصَّدِيقِ [١١٢]

الباء المكسورة مع الحاء بعد الألفِ

خَبَرْتُ الرِّزَايَا وَالْخُطُوبَ، وَطَافَ بِي
زَمَانِي فِي أَفْقٍ مِنَ السَّعْدِ لِأَجِبِ^(١)
فَلَمْ أَرَ أَذْهَى، أَوْ أَشَدَّ مَرَارَةً
عَلَى مُهْجَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ غَدْرِ صَاحِبٍ!
يَرُوعُكَ مِنْهُ يَوْمَ خَيْرِكَ بِشْرُهُ
وَيَلْقَاكَ يَوْمَ الشَّرِّ فِي وَجْهِ شَاحِبٍ

(١) اللاحِب: الواضح.

٣٧٤ — جواذب الخير والشر [١١٣]

الباء المكسورة مع الذال بعد الألف

يَعِيشُ الْفَتَى مِنْ طَبْعِهِ فِي وَسَاوِسِ
تُصَدِّقُ أَوْهَامَ الظَّنُونِ الْكَوَاذِبِ
دَوَافِعُ ضَعْفٍ فِي غَرَائِزِ خَلْقِهِ
تُسَبِّبُ مَا يَنْتَابُنَا مِنْ تَجَاذِبِ

الباء المكسورة مع الزاء والألف

يَتِيمَ الْأَمَانِي مُسْتَضَامَ الْمَارِبِ وَطَوْرًا أُعَانِي وَحْدَتِي فِي الْمَغَارِبِ وَلَا مِنْ رَفِيقٍ غَيْرَ هَمْسِ التَّجَارِبِ تَضِجُ كَرُوَادِ الدُّجَى وَالْمَطَارِبِ! وَقَدْ أَوْصَدْتُ عَنْهُ جَمِيعَ الْمَهَارِبِ لِسَلَوَى وَمَا فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ لَشَارِبِ رِيحُ الرِّزَايَا مُطْنَبَاتِ الْمَضَارِبِ يَنُوحُ عَلَى الْهَلَكَى كَسِيفِ الْمَحَارِبِ	تَرَكْتُ فَوَادِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَضَارِبِ وَهَمْتُ وَحِيدًا فِي الْمَشَارِقِ تَارَةً وَلَا نُورَ إِلَّا مَا أَلْمَلِمْتُ مِنْ مُنَى كَأَنِّي — وَالْأَوْهَامُ حَوْلَ مَضَاجِعِي؛ أَسِيرُ بِأَيْدِي مَنْ يَرِيدُونَ قَتْلَهُ عَلَامَ الْأَسَى؟ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ بَقِيَّةٍ قَدْ انْخَسَفَتْ تِلْكَ الرِّيَاضُ وَمَزَّقَتْ وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا غَيْرُ قَلْبِكَ ثَاكِلًا

الباء المكسورة مع الكاف والألف

يَبْزُ الْفَتَى الْأَقْرَانَ بَيْنَ الْمَوَاكِبِ وَلَكِنْ بَصْبِرٍ فِي اِزْدِحَامِ الْمَنَاقِبِ كَمْ مَنْ يَتَدَلَّى فِي خِيوطِ الْعَنَاقِبِ قَوِيٌّ، وَطَاوُلُ نِيرَاتِ الْكَوَاكِبِ وَحَازِرُ مُنَى فُسْلِ عَنْ الْحَقِّ نَاكِبِ	بَطْعِنِ الْقَنَا، لَا بِالذَّمِّ مَوْعِ السَّوَاكِبِ وَمَا عَزَّ شَخْصٌ بِالْبَطَالَةِ وَالْخَنَا وَمَنْ يَتَّبَاهِي بِالْمَنَاسِبِ وَالْغِنَى فَزَاجِمُ بِهِ الْإِلَّالِ الرُّجَالِ بِمَنْكِبِ وَسِرِّ فِي رِكَابِ الْحَقِّ، وَأَنْسَ بِأَهْلِهِ

الباء المكسورة مع الهاء والألف

يَلُومُونَنِي فِيمَا أَقُولُ وَإِنَّمَا	يُعْنِيهِمْ وَمَا نِلْتُهُ مِنْ مَوَاهِبٍ!
إِذَا كَانَ رَبِّي قَدْ بَرَّانِي وَاعِيًا	بِدُونِ اخْتِيَارِي وَارْتَضَى لِي مَذَاهِبِي
فَمَا حِيلَتِي فِيمَا خُلِقْتُ لِأَجَلِهِ؟	وَمَا ذَنْبُ أَعْمَى تَاهَ بَيْنَ الْغِيَاهِبِ؟!
وَلَا ضَيَّرَ فِي شَتَى مَذَاهِبٍ مَلَّتِي	وَمَنْ يَزْدَرِيهَا فِي عِدَادِ الْقِرَاهِبِ ^(١)
وَلَكِنِّي قَدْ مَلْتُ لِلْقِسْطِ فِطْرَةً	وَنَكَبْتُ عَنْ تَضْلِيلِ قَسٍّ وَرَاهِبٍ

(١) القرهبط: الثور المسن.

٣٧٨ — اعترافُ التائب! [١١٧]

الباء المكسورة مع الهمزة بعد الألف

أَضَعْتُ الْهُدَى بَيْنَ الْهُوَى وَالرَّغَائِبِ
وَكُنْتُ إِذَا مَا نِلْتُ غَايَةَ مُنِيَّةٍ
وَلَمَّا أَفَاقْتُ بِالْمَشِيبِ جَهَالَتِي
فَسَأَلْتُ دَمْعِي حَسْرَةً وَنَدَامَةً
وَقَدْ رُضْتُ بِالتَّأْوِيلِ كُلِّ خَطِيئَةٍ
وَلَوْنْتُ أَيَّامِي بِشَوْقِ غَرَائِزِي
وَأِنْ خَطَرْتُ لِي مِنْ لَذَائِدِ شَهْوَتِي
تُرَى هَلْ لِمِثْلِي أَنْ يُؤْمَلَ رَحْمَةً
طَلَبًا لِمَجْدٍ؛ أَوْ لَوْصَلَ حَبَائِبُ!
طَمِعْتُ بِأُخْرَى سَاخِرًا بِالشَّوَائِبِ
حَزِنْتُ عَلَى صَرْعَى الْمُنَى مِنْ ضَرَائِبِي
وَكَادَتْ هُمُومِي أَنْ تَدُكُ تَرَائِبِي
وَحَسَنْتُ مَا تَقْلُو النَّهْيَ مِنْ مَعَائِبِ
وَزَيَّنْتُ أَسْحَارِي بِسِحْرِ رَغَائِبِي!
صَبَايَا هَوَى بِأَشْرُتِهَا غَيْرَ هَائِبِ
إِذَا جِئْتُ رَبِّي حَامِلًا قَلْبَ تَائِبِ!

(١) الضرائب: الطبائع.

الباء المكسورة مع الزاء

لَعَاَ لِلْمَعْنَى مِنْ شُرُورِ الْأَقَارِبِ فَمِنْهَا يُقَاسِي لَسَعَ سُودِ الْعَقَارِبِ^(١)
 بَنَى لَهُمْ مَجْدًا يَنَالُونَ بِأَسْمِهِ — إِذَا اجْتَهِدُوا — مَا يُرْتَضَى مِنْ مَّارِبِ
 فَرَامُوهُ كَيْدًا، وَاسْتَبَاحُوا ذِمَامَهُ وَكَادُوا لَهُ كَيْدَ الْعَدُوِّ الْمَحَارِبِ
 وَسَامُوا الْعِدَا فِي عَرْضِهِ يَنْهَشُونَهُ وَهُمْ بَيْنَ مَفْتُونٍ، وَقَدَمٍ، وَخَارِبِ!

* * *

لَهُ اللَّهُ مَوْلًى، قَدْ جَبَاهُ بِفَضْلِهِ وَأَغْنَاهُ عَنْهُمْ بِالنَّهْيِ وَالتَّجَارِبِ
 إِذَا شَطَحُوا أَوْلَاهُمْوَفِيضَ حِلْمِهِ وَإِنْ جَمَحُوا أَرْضَاهُمْوَبِالتَّقَارِبِ
 لَحَاَ اللَّهُ حَسَدَ الْأَقْرَبَاءِ فَإِنَّهُ . . يَهْدُ، وَيُقْوِي شَامِخَاتِ الْمَضَارِبِ^(٢)

(١) لَعَاَ لِلْمَعْنَى: أَنْعَشَهُ اللَّهُ وَأَقَامَهُ مِنْ عَثَرَتِهِ. وَالْمَعْنَى: الْمَكْلَفُ بِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِ.

(٢) لَحَاَ اللَّهُ فَلَانَا: قَبَّحَهُ. وَيُقْوِي: يُخْلِي.

٣٨٠ - الخطبة. الخطبة.. [١١٩]

الباء المكسورة مع الهاء

لَعَّا لِبِلَادٍ قَوْمُهَا فِي جَهَالَةٍ
وَقَدْ حَكَّمُوا مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ شِرْعَةً
يَحُوطُونَ أَرْبَابَ الْخَنَاءِ بِرِعَايَةٍ
وَمَنْ قَالَ: لَا صَبُّوا الرِّصَاصَ بِرَأْسِهِ
وَكَمْ سَيِّدٍ يَمْضِي اللَّيَالِي مُعْرِبًا
تَغَيَّرَتِ الْأَسْمَاءُ كَذِبًا وَلَمْ تَزَلْ

وَسَادَاتُهَا مَا بَيْنَ قَدَمٍ وَنَاهِبٍ
إِلَى الْحَقِّ أَوْ قَوْمًا خِسَاسَ الْمَذَاهِبِ
وَيُقْصُونَ أَرْبَابَ النَّهْيِ وَالْمَوَاهِبِ
أَوْ احْتَجَزُوهُ فِي بُطُونِ الْغِيَاهِبِ
وَيَلْبَسُ فِي رَأْدِ الضُّحَى ثَوْبَ رَاهِبٍ
شَمَائِلُ وَالِي يَوْمَنَا مِثْلَ ذَاهِبٍ!!

٣٨١ — الوحدة عبادة [١٢٠]

الباء مع اللام والياء

وَعَاقَرْتَهَا قَهْرًا بِعَقْلِ سَلِيبٍ ^(١)	بَلَغْتُ الْمُنَى مِنْ وَحْدَتِي وَبَلَوْتُهَا
بِعَرْضِي وَعَرَضُ النَّاسِ غَيْرُ ثَلِيبٍ	وَأَجْمَلُ مَا قَدْ نِلْتُ مِنْهَا تَمْتُعِي
عَلَيْهِ، وَمَدْعَاةٌ لِكُلِّ جَلِيبٍ ^(٢)	مُعَاشِرَةُ الْإِنْسَانِ لِلنَّاسِ مَحْنَةٌ
رَقِيقٌ قَبُورٍ، أَوْ عَبِيدُ صَلِيبٍ	وَمُعْظَمُ مَنْ عَاشَرْتُهُ مِنْ خِيَارِهِمْ:

(١) سَلِيبٌ: مَسْلُوبٌ.

(٢) جَلِيبٌ: مَجْلُوبٌ.

٣٨٢ - صوت شبيب [١٢١]

الباء المكسورة مع الباء والياء

كَرِهْتُ بَقَائِي فِي بِلَادِي تَعَفُّفًا
إِلَى حَيْثُ لَا أَذْرِي أَسْوَكَ رَكَائِبِي
وَرَغَمَ اعْتِسَافِي لِلْخُطُوبِ وَهَمَّتِي
وَمَا زَالَتْ الْأَهْوَاءُ تُغْوِي مَقَاصِدِي
وَإِنْ كَانَ فِيهَا مَسْكَنِي وَحِيبِي!
سِرَاعًا وَأُزْجِيهَا بِصَوْتِ «شَبِيبِ»^(١)
فَمَا زِلْتُ مَغْرُورًا، وَغَيْرَ لَبِيبِ!
وَمَا زِلْتُ بِالْأَيَّامِ غَيْرَ طَبِيبِ!

(١) شبيب بن زيد الخارجي؛ وفي صوته قال الشاعر:
إِنْ صَاحَ يَوْمًا حَسْبُ الصَّخْرِ مُنَحْدِرًا وَالرَّيْحَ عَاصِفَةً وَالْمَوْجَ يَلْتَطِمُ

٣٨٣ — لا أنسابَ يَوْمَئِذٍ! [١١٨]

الباء المكسورة مع النون والواو

إِذَا جَاءَ يَوْمَ الْحِشْرِ كُلُّ مَفَاحِرًا	بِمَجْدٍ «شَمَالٍ» أَوْ بِفَضْلٍ «جَنُوبٍ»!
وِظَنِّ الْفَتَى «الْأَرِي» أَنَّ سِمَاتِهِ	أَجَلٌ وَأَسْمَى مِنْ شَمَائِلِ «نُوبِي»
فإِنِّي سَأَتِي سَاهِمَ الْوَجْهِ مُطَرِّقًا	لَأَنِّي سَأَتِي مُثْقَلًا بِذُنُوبِي

٣٨٤ — الحدس مشكاة العقل [١٢٣]

الباء المكسورة مع الياء والواو

دُعُونِي فَإِنِّي قَدْ شُغِلْتُ عَنِ الْوَرَى
إِذَا ابْتَسَمْتُ يَوْمًا حَظُوظِي خَشِيتُ مَا
وَإِنِّي بِأَشْعَارِي وَفَهْمِي وَهَمَّتِي
وَحَدْسِي مَشْكَاءٌ لِعَقْلِي إِذَا دَجَا
«إِذَا قُرِنَ الظَّنُّ الْمَصِيبُ مِنَ الْفَتَى
وَعَمَّا هَمُوفِيهِ بَعْدَ عِيُوبِي
تَكَشَّرُ عَنْهُ فِي غَدٍ بَنِيُوبِ!
أُلَاقِي بَنَاتِ الدَّهْرِ غَيْرَ هَيُوبِ
بِي الْوَهْمِ. أَوْ جَابَهُتُ لَيْلَ رِيُوبِ
بِتَجْرِبَةٍ جَاءَ بِعِلْمِ غِيُوبِ»^(١)!!

(١) البيت الأخير: للمعري.

الباء المكسورة مع النون

وانظرُ غداةَ تصيرُ أنتَ بِجَنِيهِ	لا تَهْلِكُنْ أَسْفًا إِذَا مَاتَ امْرُؤُ
آثَامُهُ، أَوَّلَمْ يَتُبْ عَنْ ذَنْبِهِ	فَازَ الْمُخَفُّ وَخَابَ مَنْ عَثُرَتْ بِهِ
إِنْ ظَلَّ يَخْشَى مَوْتَهُ جَزَعًا.. بِهِ!	وَلَقَدْ يَمُوتُ الْمَرْءُ قَبْلَ مَمَاتِهِ

٣٨٦ — العِلْمُ .. والعَمَلُ [١٢٥]

الباء المكسورة مع اللام

بالْعِلْمِ .. مُقْتَرِنًا بِالسَّعْيِ يَبْلُغُ مَا
يُرِيدُهُ الْمَرْءُ مِنْ حَظٍّ وَمِنْ طَلَبٍ
الْيَوْمَ لَيْسَ لِنَجْمٍ عِنْدَنَا أَثَرٌ
وَأِنَّمَا تُؤْخَذُ الْأَشْيَاءُ بِالْغَلَبِ

الباء المكسورة مع الصاد

ماذا ترى نِلْتُ من جُهدي ومن نَصبي
- بَعْدَ الْأَذَى - غير إجهادي وإنصابي
لم أرتضِ «الرَّفْضُ» مِنْ قَوْمٍ كَمَا رَفَضْتُ
مبادئي قولَ فُسَّاقٍ و «نُصَابِ»
وقالَ قَوْمٌ نُرَجِّي بَعَثَ «دَاعِيَةٍ»
فقلتُ: شرعة أوثانٍ وأنصابِ
حَدَسَ المَجْرِبِ نِبراسي، وأبرأ مِنْ
قولِ «الصليبي» و «المانِي» و «الصَّابِي»
وقد عَرَفْتُ فنونَ القولِ مُنْتَقِدًا
كما مَزَجْتُ لذيذَ الشَّهْدِ بِالصَّابِ

الباء المكسورة مع الضاد والألف

أَرْضَى مِنْ الْخَلِّ مَا تَسْطِيعُ قُدْرَتُهُ وَلَا أَجَارِيهِ إِغْضَابًا بِإِغْضَابِ
وَلَا أَكِنُّ لَهُ إِلَّا الصَّفَاءَ عَلَى جَمِيعِ حَالَاتِهِ: دُرٌّ وَإِنْضَابِ!
وَلَوْ أَنَّ تَعَنَّنِي أَعْذَرْتُهُ حَدًّا وَقُلْتُ: رَبَّةَ يَوْمٍ سَوْفَ يَرْضَى بِي!

الباء المكسورة مع اللام

وكم خُدَعْتُ بِكَذَّابٍ وَثَلَّابٍ	ما إِنْ خَدَعْتُ صَدِيقًا أَوْ غَدَرْتُ بِهِ
ظُلْمًا وَكَانُوا أَصِحَّابِي وَطُلَّابِي!	وكم تَنَاوَلَنِي قَوْمٌ بِاللِّسَنِ
وَأَسْتَعِيدُّ بِهِ مِنْ كُلِّ غَلَّابٍ	رَضِيتُ بِالْحَقِّ أَرْعَاهُ وَأَحْمَدُهُ
أَخْشَى أَبَاطِيلَ تَمْوِيهِ، وَإِجْلَابِ	إِنِّي لَأَسْتَعَذِبُ التَّعْذِيبَ فِيهِ وَلَا

٣٩٠ - خطر الكذب [١٢٩]

الباء المكسورة مع الذال والألف

لي حيلةٌ في صنوفِ الشرِّ أدفعُها
ولا تحايل لي من شرِّ كذابٍ
يُعمي البصيرَ، ويُغوي كلَّ ذي حذرٍ
بحُسنِ لفظٍ ولحنٍ منه جذابٍ

٣٩١ — الصَّدقُ مَنْجَاةٌ [١٣٠]

الباء المكسورة مع الحاء والألف

لَمْ يَطْرُقِ اللُّؤْمُ لِي قَلْبًا. وَلَا وَجَدْتُ
عِنْدِي الدَّسَائِسُ يَوْمًا أَيَّ تَرْحَابٍ
بِالصَّدَقِ لُذْتُ فَظَلَّ الصَّدْرُ مُنْشَرَحًا
وَإِنْ خَسِرْتُ بِهِ أَهْلِي وَأَصْحَابِي

الباء المكسورة مع الزاء والألف

يا رَبُّ مكنون سرِّ لو أبوحُ بِهِ
 كأنما أنا بين الناسِ في وطني :
 لا يفهمُ الخلقُ حولي ما أجودُ به
 رُضْتُ الفجائعَ أعمى وهي مُبصرةُ
 ظَلْتُ تصيِّدُ أترابي ، وتفجعُني
 وهنتُ حتَّى على نفسي وأذكرُني
 وكم صديقٍ تحامى رُؤيتي حذرًا!
 أضعتُ عُمرِي في الأوهامِ أرزُعها
 كأنما أنا من جِسي ومن ألمي
 وإن تظاهرَ منهم من يُرحِّبُ بي
 والمرء إن كان ذا حسٍّ ومعرفةٍ
 غارَ الجهولُ ، وأملَى لي ، وأغرى بي!
 وجهًا ونطقًا غريبٌ بين أغرابِ!
 من البيان . ولا يذرون أرابي^(١)
 ترى مقاصدَ أسرارِي وأرابي^(٢)
 بهم ؛ فصرتُ وحيدًا دون أتراب^(٣)
 دهرٌ أحاطَ بآمالي وأزرى بي!
 وكم تجاهلني مَنْ كان أذرى بي!
 شعراً وأزويه من دَمعي وإطرابي
 صاحٍ يُرتل آيا بين شرَّاب!!
 فإنه في غدٍ يقضي بإغرابي^(٤)
 عاشَ الحياةَ أمينًا بين خُرَّابٍ^(٥)

(١) الأراب جمع أرب : بمعنى حاجة .

(٢) الأراب هنا جمع إربة : وهي الحيلة والدهاء .

(٣) تصيِّد : تتصيَّد .

(٤) إغرابي : إبعادي .

(٥) الخُرَّاب : اللصوص .

الباء المكسورة مع الهاء والألف

أَوْجَزْتُ نُصْحِي فَمَا أَصْغَى لَهُ أَحَدٌ
فَهَلْ تُرَى يَنْفَعُ الْإِخْوَانَ إِسْهَابِي؟
لا . . دَعَكَ عَنْهُمْ؛ وَلَا تَحْفَلُ بِمَا صَنَعُوا
وَلَا تَخَفُ أَيَّ إِعْعَادٍ وَإِرْهَابٍ
وَاحْذَرِ مُجَارَاةَ مَنْ عَاثُوا وَقَدْ نَطَقَتْ
أَعْمَالُهُمْ: بَيْنَ وَهَابٍ وَنَهَابٍ!
لَا يَرْحَمُونَ دُمُوعًا تَسْتَغِيثُ بِهَا
تَكَلِّي؛ وَلَا صَرْخَةً لِلْهَالِكِ الْهَابِي^(١)

(١) الهابي: الواهن.

٣٩٤ - قلبي لكم [١٣٣]

الباء المكسورة مع الذال والياء

قلبي لكم فلماذا تعبثون به؟
ماذا جنى كي تجازوه يتغذيب؟
أنتم يقيني وشكّي في الحياة كما
كنتم جُحودي، وإيماني، وتهذيبي!
بالحُب أقسم ما أشركتُ غيركم
فيه، ولا فهتُ عن عمدي - بتكذيب!

٣٩٥ — حقوق الإنسان [١٣٤]

الباء المكسورة مع الباء والياء

الأمرُ لله، قد ساوتُ شريعتهُ
بين الرِّعَابِيِّ^(١) والسُّودِ الغَرَابِيِّ
حريةُ القول، والتَّفكيرِ قَدْ ضَمِنَتْ
ما اخْتَرْتُ مِنْ «عمل» حرٍّ وتريب^(٢)
لا قيد؛ إلَّا إذا كانت «مُضاررة»
ولا ولاء بكَرهٍ أو بِتَخْيِبٍ^(٣)

(١) الرعبوبة: البيضاء.

(٢) تربب: اتخذ رباً.

(٣) التخيب: الغش.

الباء المكسورة مع الباء والياء

وَسَائِلُ النَّاسِ شَتَّى؛ مِثْلَ شَعْرَهُمْو؛
فَمِنْ هَجَاءٍ إِلَى مَدْحٍ وَتَشْبِيهِ
إِذَا أَرَدْتَ حَيَاةً كُلُّهَا دَعَا
فَلَا تُبَاشِرْ مَرَامًا دُونَ تَحْبِيهِ
«مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمُرِيدُ رَكَّهُ»
«وَكُلُّ مَا أَنْتَ لَاقِيهِ بِتَسْبِيهِ»^(١)

(١) صدر البيت للمتنبى، والعجز للمعري. وكأنما كانا على ميعاد!!

الباء المكسورة مع الطاء والياء

كَمْ قَدْ نَهَانَا عَنِ الْمَعَاصِي	نَاهٍ؛ وَكَمْ قَامَ مِنْ خَطِيئٍ
وَمَا بَرَّحْنَا؛ بَلَا عُقُولٍ	نَحْفُلُ بِالتَّافِهِ الْعَطِيبِ ^(١)
وَنَشْرَبُ الرِّاحَ فِي كُؤُوسٍ	شِيبَتْ بِمُسْتَقْطَرٍ وَطِيبٍ
وَالذَّهْرُ بِالمَوْتِ فِي انْتِظَارٍ	بِوَجْهِهِ الْكَالِحِ الْقَطِيبِ
إِعْصَارٌ جَذَبَ الزَّمَانَ آتٍ	عَلَى اخْضِلَالِ الْمُنَى الرُّطِيبِ

(١) العطيب: المعطوب.. الهالك.

٣٩٨ — وَلَوْلا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ...! [١٣٧]

الباء مع الحاء

وجدتُ العيشَ مَظْلَمَةً وَغَبْنًا	يَضِيقُ عَلَى الْفَتَى مِنْ بَعْدِ رَحْبِ
وَلَمْ تَتْرُكْ لِي الْأَيَّامُ إِلَّا	دَمُوعِي... بَعْدَ خِلَانِي وَصَحْبِي
«وَلَوْلا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ» قَبْلِي	عَلَى أَصْحَابِهِمْ لَقَضَيْتُ نَجْبِي!

الباء المكسورة مع الواو والياء

بَكَى قَبْلِي «الْفَرْزُوقُ» و «ابْنُ زَيْدٍ»
و «ذَوِجَدَنِ» بَكَى، و «أَبُو ذُوَيْبٍ»
وَمَا مِنْ شَاعِرٍ إِلَّا وَأَفْضَى
بِمَا فِي الصَّدْرِ مِنْ كَمَدٍ وَوَيْبٍ!

الباء المكسورة مع الياء والواو

و «لِلْخَنَسَاءِ» شِعْرُ فِي أَخِيهَا	يُذِيبُ الْقَاسِيَاتِ مِنَ الْجُيُوبِ ^(١)
و «لَا بَنَ زُرَيْقٍ» دَمْعٌ فِي قَوَافٍ	خَلَّتْ عَمَّا يَشِينُ مِنَ الْعُيُوبِ
و كَادَ «ابْنُ الْحُسَيْنِ» يَمُوتُ هَمًّا	و يَهْتِكُ بِالْأَسَى حُجْبَ الْغُيُوبِ
و جاء «أَبُو الْعَلَاءِ» فَنَاحَ حُزْنًا	وَإِنْ مَزَجَ التَّلَهُفَ بِالرُّيُوبِ
و «شَوْقِي» و «ابن محمود» و «صبري»	بَكَى عَلَنًا؛ وَلَمْ يَكُ بِالْهَيْبِ
و جَرَحَ الدَّمْعَ لَا يُشْفَى وَتُشْفَى	جَرَّاحٌ بِالسُّيُوفِ وَبِالنُّيُوبِ

(١) الجيوب: القلوب.

٤٠١ — ودموعي...! [١٤٠]

الباء المكسورة مع الحاء والواو

ولي فيه «بحور» من قوافٍ	تكاد تجفُّ من فرط الشُّحوبِ
بكيَتْ بها الشُّباب وما جتَّتْهُ	يَدِي بالأمْسِ مِنْ خُطَا وَحُوبِ

الباء المكسورة مع الباء والألف

دعوني أنتحبُ أسفًا لأنني وهبت اللهو أيامَ الشبابِ
شُغِلْتُ عن المحاسنِ بالمعاصي
أجازفُ بالمدائحِ ، والسَّبابِ
وأقطعُ بالظنون: بلاَ دليلٍ
وأرضى بالقشورِ عَنِ اللُّبابِ
وكدتُ أهيمُ في فلواتِ تيهي فتخطفني مَتاهاَتُ التُّبابِ
وهَلْ يُغْنِي التَّلَهُّفُ أو سيجدي إذا أَغْلَقْتُ دُونَ الناسِ بابي!!

٤٠٣ — عندما ينضبُّ اللسان [١٤٢]

الباء المكسورة مع الضاد

قُلْ لِلَّذِي تَخِذَ الْبَيَانَ ذَرِيعَةً	لِلرُّزْقِ يَنْضُوهُ كَسِيفٍ قَاضٍ
مَاذَا تُزَخْرِفُ لِلْحِسَابِ غَدًا إِذَا	مَا جِئْتَ مُحْشُورًا بِوَجْهِ غَاضِبٍ؟!
وَسُئِلْتَ عَنْ عَرَضِ الْبَرِيِّ : فَلَمْ تُجِبْ	أَيْنَ الْبَلَاغَةُ مِنْ لِسَانٍ نَاضِبٍ؟

الباء المكسورة مع الذال والألف

وَصَدَفْتُ عَنْ كَأْسِ الْهَوَىٰ وَمُذَابِهِ	لَا تَعْذِلْنِي ؛ أَنْ قَفَلْتُ بِحَسْرَتِي
يَغْشَى الْفَتَى مِنْ صِدْقِهِ وَكِذَابِهِ	أَنَا مِنْ بَلَوْتُ فَنَوْنَهُ وَخَبَرْتُ مَا
إِلَّا خِيَالُ تَذَكُّرٍ آذَى بِهِ!	لَمْ يَبْقَ مِمَّا نِلْتُهُ مِنْ خَيْرِهِ
بِجِرَاحِهِ ؛ وَقَضَى شَهِيدَ عَذَابِهِ	فَدَعِيَ الْمَنَى : قَدْ مَاتَ حُبِّي مُتَخَنًّا

الباء المكسورة مع الذال والياء

لَهْفَاتِهَا: وَتَجَدُّ فِي تَكْذِيبِهَا؟	بِكَ دَعَوْتِي قَامَتْ؛ فَكَيْفَ تَصَدُّ عَنْ
وَبَلَغَتْ مَا تَهْوَاهُ مِنْ تَهْذِيبِهَا	أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَ لِي أَحْلَامَهَا
مِثْلُ الَّذِي أَخْشَاهُ مِنْ تَعْذِيبِهَا!	حَتَّى تَشَابَهَتْ الْأُمُورُ: فَخَيْرُهَا
وَأَمَزْتُ صَوْتَ أَنْيْسِهَا مِنْ ذِيبِهَا	وَبِهَا الْخَلِيقَةُ صَغُرَتْ فِي رُؤْيِي

الباء المكسورة مع التاء

يَرْضَى لِنَفْسِي . . كُلُّ مَا رَضِيتُ بِهِ	كيف العثور على صديقٍ مُخلصٍ
وَإِذَا جَنَيْتُ حَنَا عَلَيَّ بِعَتْبِهِ	إِنْ تَهَتْ أَرْشَدَنِي بِصَادِقِ نُصْحِهِ
دَوْمًا يَنَادِمُنِي بِنِغْمَةٍ كُتِبَتْ	وَإِذَا نَأَيْتُ عَنِ الرَّبُوعِ فَإِنَّهُ

الباء المكسورة مع الجيم

لِلنَّفْسِ آفَاتٌ وَأَقْبَحُ آفَةٍ أَلَّا تَفِيءَ إِلَى الْهُدَى مِنْ عُجْبِهَا
أَخْلَقَ بِصَاحِبِهَا إِذَا جَمَحَتْ بِهِ أَنْ يَسْتَبِدَّ بِزَجْرِهَا وَبِحَجْبِهَا

٤١٠ - وثالثًا: سيزحف شرها. ! [١٤٩]

الباء المكسورة مع الواو والألف

لو يَعْلَمُ «الوالي» نهاية أمره	بين «الؤلاة» لَكَانَ مِنْ تُؤَابِهَا
وصغى إلى صوتِ القَرابةِ والتُّقى	وأتى بيوتِ الودِّ من أبوابِها
ولَمَّا اسْتَنَامَ إلى العُصاةِ مُدَاجِيًا	وَمُشَجِّعًا لِلْقَوْمِ مِنْ جُؤَابِهَا
يَسْتَقْطِبُ الآثَامَ في أفكارِها	ويُجَرِّدُ الحِسناتِ عَنْ أَثَوَابِهَا
يَوْمًا سَيَزْحَفُ شَرُّهَا فَتَنَالَهُ	ويَذُوقُ طَعْمَ اليأسِ مِنْ أَكْوَابِهَا
هَلْ رَحِمَةٌ تُرَجَى لَهُ؟ فَيَتَوَبُّ عَنْ	أَهْوَائِهِ، وَيَرَى سَبِيلَ صَوَابِهَا؟

٤١١ - ورابعًا: الحادثات بالمرصاد...! [١٥٠]

الباء المكسورة مع الياء والألف

لا يُرْهِبُنْكَ مَا تَرَى مِنْ قُوَّةٍ
فِتْنَةٌ تَغَاوَتْ لَا تَصِيخُ لِإِنْصَاحِ
الْجَهْلِ مِلْءُ رُؤُوسِهَا، وَاللُّؤْمُ مِلْءُ
وَالْحَادِثَاتُ لَهَا بِمِرْصَادٍ؛ وَقَدْ
حُضَّارَهَا لِلْإِثْمِ قَدْ شَهِدُوا عَلَى
لَوْجَاءِ «نُوحٍ» وَ«الْخَلِيلِ» وَ«يُونُسَ»
قَدْ أَشْبَعَتْ بِالْغِيِّ مِنْهَا أَنْفُسُ
فَالضَّعْفُ كُلُّ الضَّعْفِ تَحْتَ ثِيَابِهَا
وَتُحَكِّمُ الْجَهْلَ مِنْ هُيَّابِهَا^(١)
نَفُوسِهَا، وَالْجُبْنَ مِلْءُ عِيَابِهَا^(٢)
جَمَعَتْ سِمَامَ الْحَقْدِ فِي أَنْيَابِهَا
مَنْ يَكْتُمُونَ الشَّرَّ مِنْ غِيَابِهَا؟
لَمْ يُجَدِ مَا يَعْظُونَ فِي خِيَابِهَا^(٣)
فَفَنَى الْمَطَهَّرُ مِنْ طِبَاعِ صُيَابِهَا^(٤)

(١) تغاوت: تجمعت. وهيَّابها: خائفوها.

(٢) العِيَاب: كناية عن القلوب.

(٣) الخِيَاب: الخاسرون.

(٤) الصُّيَابُ: الخالص الأصيل.

٤١٤ - سمو المساكين [١٥٣]

الباء المكسورة مع الراء

تَبُّا لِمَنْ بَاعَ نَوَامِيْسَهُ بِالْمَأْكَلِ اللَّذِّ وَبِالْمُشْرَبِ^(١)
وَكَانَ - لَوْرَامَ - لَهُ فَسْحَةٌ فِي مَشْرِقِ الْأَرْضِ وَفِي الْمَغْرِبِ
لَكِنَّهُ لَزَّ بِأَهْوَائِهِ؛ وَلَمْ يَحْذَعْ عَنْهَا إِلَى مَهْرَبِ^(٢)
بِعِزَّةِ النَّفْسِ وَإِيْمَانِهَا يَسْمُو الْمَسَاكِينَ عَلَى الْمُتْرَبِ^(٣)

(١) النَّامُوسُ فِي الْعَرَفِ: مَا يَحْمِيهِ الرَّجُلُ مِنْ أَسْمِ وَأَهْلٍ. وَاللَّذُّ: الشَّهْيُ.

(٢) لَزَّ: التَّصَقَّ.

(٣) الْمُتْرَبُ: كَثِيرُ الْمَالِ.

٤١٥ — ضَبَطَ النَّفْسَ [١٥٤]

الباء المكسورة مع الجيم

نَفْسَكَ لَنْ تَأْمَنَ مِنْ شَرِّهَا	مَا لَمْ تُكْفِكَفْ أَنْتَ مِنْ عُجْبِهَا
فَاخْجُبْ عَنِ اللَّذَّاتِ أَهْوَاءَهَا	فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي حَجْبِهَا
وَعُجْ بِهَا عَنْ كُلِّ ذِي فِتْنَةٍ	فَزَيْغُهَا أَبْشَعُ مِنْ شَجْبِهَا
قَدْ قَلَّ فِي الْأَرْضِ رِجَالُ التَّقَى	وَمَاتَ مَنْ صَافَيْتُ مِنْ نُجْبِهَا

٤١٨ - لا فضل.. ولا خير [١٥٧]

الباء المكسورة مع الراء

مشارقي أَوْهَنْتَ مَغَارِبَهَا
ما إنْ بَلَغْتَ الْفِطَامَ فِي بِلَدِي
وَلَمْ أَزَلْ مِنْ مَنَى إِلَى أَمَلٍ
مُرْتَبِعِي الصَّدْرُ فِي مَجَالِسِهَا
ذَقْتُ ضُرُوبَ الْحَيَاةِ مُضْطَبَّرًا
ما خَلَبْتُ مُهَجَّتِي مَفَاتِنُهَا
لَكِنْ؛ وَقَدْ تَهَتْ فِي مِشَارِقِهَا
لَمْ أَجِدِ الْفَضْلَ فِي أَعَاجِمِهَا
وَجُلٌّ مَنْ عَزَّ مِنْ أَكَابِرِهِمْ
بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنْ تَجَارِبِهَا!
إِلَّا وَقَدْ هِمْتُ فِي ضَوَارِبِهَا^(١)
أَنَالُ مَا شِئْتُ مِنْ مَآرِبِهَا
وَحَيْثُ أَهْوَاهُ مِنْ مِشَارِبِهَا
وَسَلَكْتُ بِي شَتَى مَطَارِبِهَا^(٢)
وَلَا تَخَوَّفْتُ مِنْ مَسَارِبِهَا
كَمَا تَنْقَلْتُ فِي مَغَارِبِهَا
وَلَمْ أَرَ الْخَيْرَ فِي أَعَارِبِهَا!
أَتَقَنَّ لِلْسَّعِ مِنْ عَقَارِبِهَا

(١) الضوارب: الليالي تشتد وتتمد ظلماتها: مفردتها: ضارب، وكانت أول هجرة للشاعر مع أخيه وأمه من

«الضالع» إلى «صنعاء» سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

(٢) المطارب: الطرقات.

الباء المكسورة مع النون والألف

لا تَلْمَنِي إِذَا صَمْتُ، فَقِدْمًا	كَانَ عَيْبِي عِنْدَ الْوَرَى إِنْ نَابِي
كَمْ تَعَدَّيْتُ بِالْكَلامِ . . . كَمَا تَسْطُو	عَلَى النَّاسِ، ذَاتُ ظَفَرٍ وَنَابِ
وَلَكُمْ بِالْبَيَانِ دَافَعْتُ عَنْ نَفْسِي	وَعَنْ مَوْطِنِي، وَصُنْتُ جَنَابِي؛
وَأَنَا الْيَوْمَ فِي مَجَالِسِ قَوْمِي	مَقُولِي عَنْ مَضَارِبِ الْقَوْلِ نَابِي

٤٢٢ - الطبع غلب التطبّع [١٦١]

الباء المكسورة مع الياء المشددة

يَمْتُ إِلَى عُنْصِرٍ عَيْبٍ ^(١)	يَتَوَقُّ إِلَى الشَّرِّ مَنْ عِرْقُهُ
وَتَضْرُخُ فَيَمَنْ يَرَى: هَيَّا بِي!	وَقَدْ تَتَعَرَّى مَلَذَّاتُهُ
مَنْ ذَاتِ حِرْزٍ، وَمِنْ ثِيْبٍ؛	وَتُغْرِي الْفَحُولَ ذَوَاتِ الْحُجُولِ
وَتَأْبَى الطُّبَّاعُ عَلَى الطَّيِّبِ	فَيَهْفُو الْخَبِيثُ إِلَى عَهْرِهِ

(١) عَيْبٌ: فيه عيب وفساد.

٤٢٣ - الطمع .. مذلة !! [١٦٢]

الباء المكسورة مع الباء والألف

تَذِلُّ الصَّعَابُ لِمَنْ رَاضَاهَا	وَأُذِرَكَ بَاطِنَ أَسْبَابِهَا
وَلَوْلَا الْأَمَانِي وَأَطْمَاعُهَا	وَخَوْفُ الْفِرَاقِ لِأَحْبَابِهَا
لِمَا رَضِيَتْ أُمَّةٌ بِالتَّوَى	وَنَارَتْ عَلَى ظَلَمِ أَرْبَابِهَا ^(١)
وَمَرَتْ عَلَى شَفَرَاتِ السَّيَوَى	فِ تَجَوُّزِ الْمَنِيَّةِ مِنْ بَابِهَا
تَعَزُّ النَّفُوسُ إِذَا أَخْضَعَتْ	هَوَاهَا لِحُكْمَةِ أَلْبَابِهَا
وَتَنْهَارُ ذُلًّا إِذَا أَفْرَطَتْ	«بِعَشْقِ الْحَيَاةِ وَإِحْبَابِهَا» ^(٢)

(١) التوى: الضياع والخسارة.

(٢) المعجز، «للمعري».

الباء الساكنة مع اللام

لا تَرْحَمَنَّ الْمُسْتَبِدَّ إِذَا انْغَلَبَ
 قد كان قابَ القوسِ من آماله
 راضوا له شمسَ الخطوبِ محبةً
 كانوا بنور الصِّدقِ يَسْتَهْدُونَهُ
 وصبرتْ أَدْحَضُ بالبيانِ مَنْ افْتَرَى
 حتَّى استنام إلى المُنَى، وصَغَى إلى
 واغترَّ بالأشباهِ؛ وهو شراهمو
 من شاعرٍ فسلِّ، ومِنْ ذِي عِمَّةً
 وارْحَمْ مَصِيرَكَ إِنْ تَمَكَّنْ أَوْ غَلَبَ
 لَكِنَّهُ اسْتَعْلَى وَأَفْرَطَ فِي الطَّلَبِ
 لِلْحَقِّ، يَتَّبِعُونَ مِنْ نَادَى؛ وَلَبَّ
 فيصَدَّ؛ مُتَّبِعًا سَنَى وَهُمْ خَلَبَ!
 سَيَّانٍ مَنْ أَثْنَى عَلَيَّ وَمَنْ ثَلَبَ
 مَنْ يَطْلُبُونَ بِهِ الْغَنَائِمَ وَالسَّلَبَ
 بوعودِهِ؛ مِمَّنْ صَبَا. . ثُمَّ انْقَلَبَ^(١)
 قِمَىءٌ وَمِمَّنْ لِلْمَصَائِبِ قَدْ جَلَبَ

* * *

غَفَلُوا؛ فَلَاحِ يَنْوُحُ عَلَى الْأَلَى
 ذَهَبُوا، وَلَا مَنْ قَدْ تَصَرَّعَ وَأَنْصَلَبَ

(١) صبا: مال إلى جهلة الصبيان.

الباء الساكنة مع الباء

أَسْفَى عَلِيهِ؛ وَقَدْ جَفَا	مَنْ فِيهِ قَدْ غَنَى وَشَبَّ
مَاذَا جَنَيْتُ؟ وَمَا الَّذِي	لِشُرُودِهِ عَنِّي تَسَبَّبُ؟
مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَبْقَ لِي	فِي الْعَيْشِ مِنْ أَمَلٍ مُحَبَّبُ
مَرَضِي بِهِ؛ حُرَقَ تُذِيبُ	الْقَلْبَ فِي دَمْعٍ تَصَبَّبُ
أَضْنَتُ عَلَيَّ أَحْبَّتِي	حَدَبًا؛ وَأَغْيَتُ مَنْ تَطَبَّبُ

٤٣٠ - الإِثْمُ سِجْنٌ [١٦٩]

الباء الساكنة مع التاء

عن المعاصي تُبِّ وما زِلْتُ في
ولا تَتَّبِعْهُ في شَطَحَاتِ الْمُنَى
واخْلِصْ إِذَا شِئْتَ ثَوَابًا؛ فَكَمْ
الإِثْمُ سِجْنٌ، وَالْهُوَى حَائِطٌ
فُسْحَةٍ عَيْشٍ، وَإِلَى اللَّهِ تُبُّ (١)
كَالْجَمَلِ التَّائِيهِ بَيْنَ الْكُثْبِ
مِنْ ذِي رِيَاءٍ عَامِلٍ لَمْ يُثْبِ
يَا حَظَّ مَنْ عَنْهُ بَرُّشِدٍ وَثْبُ

(١) ثاب: رجع.

٤٣١ - رحمة الله [١٧٠]

الباء الساكنة مع التاء

خَفَ نَقْمَةَ اللَّهِ، وَلَا تَنْخَدِعْ بِمَا أَتَى مِنْ رُحْصٍ فِي الْكُتُبِ!
فَرَحْمَةُ اللَّهِ لَهَا شِرْعَةٌ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَرُشِفَ مِنْهَا فَتُبْ

الباء الساكنة مع الرَّاء والياء

«تَريم»، أو «صَعْدَة» أو مِن «حَريب» إذا التَقينا أَيَّ شَخْصٍ غَريبٍ سوف نرى رايتها عن قَريبٍ ما إن له بَيْنَ الورى مِن ضَريبٍ وشاعِرٍ فذُّ وطَبِّ أريبٍ	«اليمَنُ الكُبْرى» بلادي؛ فَمِن جَميعُهُم أَهلى، وما بَيْنَنا ووَحْدَةُ الشَّعْبِ برَغَمِ العِدا «صَنعاء» أُمُّ العُربِ؛ تاريخُها كَم أنجَبَتْ مِن عالِمٍ بارِعٍ

الباء الساكنة مع التاء والألف

ما كُنْتُ بِالْغَالِي، ولا بِالْمُرْتَابِ وما وثقتُ بِحَقُودِ مُغْتَابِ
وأَتَقَى بِاللَّطْفِ لَوَمَ الْعَتَابِ ولا أَلُومَ جَانِيًا إِذَا تَابِ^(١)
وإنْ تَدَجَّى لَيْلُ خُطْبِ مُنْتَابِ أَخَوْضُهُ مُسْتَبْسِلًا وَأَجْتَابِ
ولا أَصِيحُ لِوَعِيدِ رَتَابِ^(٢) ولا أَبَالِي بِدَعَاوِي الْكُتَابِ
بِذَاكَ يَسْمُو الْأَلْمَعِي الْمُهْتَابِ

(١) تاب: رجع.

(٢) رتاب: شديد.

الباء الساكنة مع التاء

«أبولهب»؛ وهو عَمُّ «الرَّسو
ولو كان يَنْفَعُهُ أَصْلُهُ لَنَا
وما الْحَظُّ إِلَّا جِزَاءُ الصِّراعِ
وقَدْ زَعَمُوا أَنَّ جُهدَ الْفَتَى
ل» تَبَّتْ يَدَاهُ ضَلالاً وَتَبَّ
لَ بِقُرْبَاهِ أَغْلَى الرُّتَبِ
إذا ما الْهُمَامُ عَلَيْهِ رَتَبُ^(١)
يُصَوِّرُ مَا خَصَّهُ وَأَنْكَبُ

أَكْمَلْتُ نَظْمَ حَرْفِ الْبَاءِ يَوْمَ السَّبْتِ الْمَوْافِقِ شَعْبَانَ ١٣٩٥ هـ، ٢ أغسطس
١٩٧٥ م، في لندن، أَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ.
بروملي: منطقة (كنت).

(١) رَتَبَ: تَبَّتْ.

فهرست المجلد الثاني

الموضوع	الصفحة
١٢٤ - لا أنام	٤٦١
١٢٥ - بلا دمع	٤٦٢
١٢٦ - زهرة في الفلا	٤٦٣
١٢٧ - النيل	٤٦٤
١٢٨ - أحمد شوقي	٤٦٥
١٢٩ - خليل مطران	٤٦٩
١٣٠ - هوميروس	٤٧٢
١٣١ - لعنة المعركة	٤٧٤
١٣٢ - استعطاف ونصح	٤٧٥
١٣٣ - حياتي	٤٧٦
١٣٤ - رسالة وداع	٤٧٧
١٣٥ - حرية الرأي	٤٧٨
١٣٦ - عام جديد	٤٧٩
١٣٧ - ودائماً أيها العام	٤٨٠
١٣٨ - لحن غربي	٤٨١
١٣٩ - حواء	٤٨٣
١٤٠ - عبلة	٤٨٥
١٤١ - دنيا	٤٨٦
١٤٢ - العروبة	٤٨٨
١٤٣ - صوت	٤٨٩

٤٩٠	١٤٤ - شاعر
٤٩١	١٤٥ - وحيد
٤٩٢	١٤٦ - تحية قلب
٤٩٣	١٤٧ - غريبان
٤٩٥	١٤٨ - عندما تعود
٤٩٦	١٤٩ - سرّ!
٤٩٨	١٥٠ - لا تسلمي
٥٠٠	١٥١ - عبد الرحمن الشامي
٥٠٣	١٥٢ - ملل وضيق
٥٠٤	١٥٣ - مذب
٥٠٦	١٥٤ - دمك دمعي
٥٠٧	١٥٥ - عقوق
٥٠٩	١٥٦ - كهف
٥١١	١٥٧ - انتظار
٥١٣	١٥٨ - تحية الشاعر للشاعر
٥١٥	١٥٩ - عدنان وقحطان
٥١٧	١٦٠ - أبي في قبره المجهول
٥١٨	١٦١ - نشيد أهل البيت
٥٢٣	١٦٢ - نشيد تقرير المصير
٥٢٧	١٦٣ - المجهول
٥٢٨	١٦٤ - شهيد حب
٥٣٠	١٦٥ - دمعة أسي
٥٣١	١٦٦ - بين الحب والحرب
٥٣٤	١٦٧ - هادم
٥٣٦	١٦٨ - من اليمن
٥٤٦	١٦٩ - أوزان الخليل باللغة الإنجليزية
٥٤٧	١٧٠ - بقايا مسرحية

٥٥٠	١٧١ - عيد ميلاد فيصل
٥٥٢	١٧٢ - أسطورة اليمن السعيدة
٥٥٤	١٧٢ - أسطورة اليمن السعيدة
٥٦٦	١٧٣ - الحرب الخاسرة
٥٦٩	١٧٤ - دودة الحب
٥٧١	دامغة الدوامغ
٥٧٢	١٧٥ - دامغة الدوامغ
٥٧٢	سبيل الأولين
٥٧٣	سبيل المنصفين
٥٧٤	شرعة الحق
٥٧٤	الأئمة واليمن الخضراء
٥٧٥	منطق التاريخ
٥٧٧	سيف بن ذي يزن
٥٧٧	طغاة . . ليسوا سادة
٥٧٩	الإمام الهادي
٥٨٠	عصر الإمام الهادي
٥٨١	يوم المنارة
٥٨٢	نعمان والإرياني
٥٨٢	نحن مظلومون
٥٨٤	آل البيت وبكيل
٥٨٥	يمن الثأر
٥٨٦	تذكير
٥٨٧	نصيحة
٥٨٧	الملك فيصل بن عبد العزيز
٥٨٨	خطر الشيوعية
٥٨٨	دعاء
٥٩٠	١٧٦ - كيف يرجون سقاطي

٥٩١	١٧٧ - الحنين إلى الوطن
٥٩٤	١٧٨ - دمعة وفاء
٥٩٥	١٧٩ - نشيد السلام
٥٩٨	١٨٠ - مغالطة
٥٩٩	١٨١ - سلوان
٦٠٠	١٨٢ - شكوى مصارع
٦٠٣	١٨٣ - صنعاء
٦١١	١٨٤ - سر الوجود
٦١٣	١٨٥ - نشيد المحارب
٦١٥	١٨٦ - غمامة الغد
٦١٦	١٨٧ - دعوه
٦١٧	١٨٨ - أين المفر
٦٢٠	١٨٩ - هزل وسياسة ونصح
٦٢١	١٩٠ - حسرة
٦٢٢	١٩١ - إلّا بلادي
٦٢٣	١٩٢ - الثمالة
٦٢٦	١٩٣ - دمعة على الزّيري
٦٢٩	١٩٤ - الشريعة المزيّفة
٦٣٠	١٩٥ - لا تغضب
٦٣١	١٩٦ - أنانية
٦٣٢	١٩٧ - تغابي
٦٣٣	١٩٨ - نصيحة
٦٣٤	١٩٩ - وصيّة محمود يهذي
٦٣٦	٢٠٠ - الشر والخير
٦٣٧	٢٠١ - قومّي
٦٣٨	٢٠٢ - فراش
٦٣٩	٢٠٣ - دمعة اعتراف

٦٤٢	٢٠٤ - إلى أبي الحسن الطاهر
٦٤٣	٢٠٥ - رسالة منظومة
٦٤٩	٢٠٦ - هنا آدم
٦٥٠	٢٠٧ - القبلات
٦٥٢	٢٠٨ - غزل الأعمى
٦٥٣	٢٠٩ - مات عهد الهوى
٦٥٥	٢١٠ - نشيد حياتي
٦٦٤	٢١١ - الثورة والتصحيح والسلام
٦٦٩	٢١٢ - العودة
	من يشتري السهر؟
٦٧٨	٢١٣ - من يشتري السهر
٦٧٨	المشهد الأول
٦٨٥	المشهد الثاني
٦٩٣	المشهد الثالث
٦٩٩	٢١٤ - أشباح الذكرى
٧٠٠	٢١٥ - بحر الدموع
٧١٠	٢١٦ - جحود
٧١١	٢١٧ - مُغْنِيَّة
٧١٤	٢١٨ - أنا
٧١٦	٢١٩ - مَيِّتة
٧١٨	٢٢٠ - العارفون والغافلون
٧١٩	٢٢١ - لحظة نعيم
٧٢٠	٢٢٢ - خلود الشقاء
٧٢١	٢٢٣ - أَحَبَّ
٧٢٢	٢٢٤ - مع الساعات
٧٢٣	٢٢٥ - عصر النُّقْط

الموضوع	الصفحة
٢٢٦ - ليت!	٧٢٤
٢٢٧ - استسلام	٧٢٥
٢٢٨ - الخائف الراجي	٧٢٦
٢٢٩ - تحايل	٧٢٧
٢٣٠ - نشيد التائبين	٧٢٨
٢٣١ - عندما يثور الحكماء!	٧٣٠
٢٣٢ - نشيد التعاون اليمني	٧٣٢
٢٣٣ - مومس	٧٣٤
٢٣٤ - خيبة أمل	٧٣٥
٢٣٥ - النادمون	٧٣٦
٢٣٦ - مع التائبين	٧٣٨
٢٣٧ - التائبون	٧٣٩
٢٣٨ - لحظة انعدام	٧٤٠
٢٣٩ - على قبر نابليون	٧٤٢
٢٤٠ - الهاربون	٧٤٤
٢٤١ - عاشق الهلاك	٧٤٥
٢٤٢ - نشيد الأسف	٧٤٦
٢٤٣ - لا عاصم اليوم!	٧٤٨
٢٤٤ - حصاد العمر	٧٥٠
٢٤٥ - القدس للعرب كل العرب عنوان	٧٥٤
٢٤٦ - نفحة من سقر	٧٥٧
٢٤٧ - وصاة	٧٥٨
٢٤٨ - نشيد الخيبة	٧٥٩
٢٤٩ - نار الروح	٧٦٠
٢٥٠ - الحزن الخالد	٧٦١
٢٥١ - محمد أحمد نعمان	٧٦٢
٢٥٢ - صوت المحرومين	٧٦٣

٧٦٨	٢٥٣ - يحیی الوادعی
٧٦٩	٢٥٤ - تحية جبال اليمن
٧٧١	٢٥٥ - السوداع
٧٧٢	٢٥٦ - عاشق الحكم وعبد المال
٧٧٣	٢٥٧ - بين الجبر والاختيار
٧٧٤	٢٥٨ - لهاث الجراح
٧٧٦	٢٥٩ - المثلثون
٧٧٨	٢٦٠ - تحية للرئيس الحمدي
٧٧٩	٢٦١ - بلا عنوان

ألف باء اللزوميات

حرف الهمزة

٧٨٥	٢٦٢ - فطرة الخير
٧٨٦	٢٦٣ - لماذا التهادي؟
٧٨٧	٢٦٤ - القضاء والقدر
٧٨٨	٢٦٥ - العصية
٧٨٩	٢٦٦ - بدأت وما زلتُ
٧٩٠	٢٦٧ - استنهاضُ
٧٩١	٢٦٨ - عشاق المخازي
٧٩٢	٢٦٩ - المحجة البيضاء
٧٩٣	٢٧٠ - الألحان والراح
٧٩٤	٢٧١ - زندقة العصر
٧٩٥	٢٧٢ - صوت العدل
٧٩٦	٢٧٣ - التباين
٧٩٧	٢٧٤ - القوة والقدر
٧٩٨	٢٧٥ - هل من صيحة

الموضوع	الصفحة
٢٧٦ - الناس والدنيا	٧٩٩
٢٧٧ - ثورة العدل	٨٠٠
٢٧٨ - أيها السجّان	٨٠١
٢٧٩ - الأمر بالمعروف	٨٠٢
٢٨٠ - رسول الموت	٨٠٣
٢٨١ - تعليم المرأة	٨٠٤
٢٨٢ - بين حياتين	٨٠٥
٢٨٣ - فساد العقائد	٨٠٦
٢٨٤ - أكرم الكرماء	٨٠٧
٢٨٥ - العين التي لا تنام	٨٠٨
٢٨٦ - ذكرياتي معي	٨٠٩
٢٨٧ - على هامش الكون	٨١٠
٢٨٨ - أيام الشباب	٨١١
٢٨٩ - الناس سواسية	٨١٢
٢٩٠ - حنين إلى صنعاء	٨١٣
٢٩١ - ضراعة صبّ	٨١٤
حرف الألف	٨١٦
٢٩٢ - القضاء .. والذنوب	٨١٧
٢٩٣ - تحذير	٨١٨
٢٩٤ - تعالى الله	٨١٩
٢٩٥ - لماذا الحنين؟	٨٢٠
٢٩٦ - سفير الهيام	٨٢٢
٢٩٧ - مقالات الضلال	٨٢٣
حرف الباء	٨٢٥
٢٩٨ - هو الشعب	٨٢٧
٢٩٩ - اعتراف	٨٢٨
٣٠٠ - أتعس خلق الله	٨٢٩

٨٣٠	٣٠١ - القلب التاكل
٨٣١	٣٠٢ - بين الشك واليقين
٨٣٢	٣٠٣ - الخروج
٨٣٣	٣٠٤ - كيف الخلاص؟
٨٣٤	٣٠٥ - بقايا الأمانى
٨٣٥	٣٠٦ - مخلوق الجمال
٨٣٦	٣٠٧ - الإنسان والبقاء
٨٣٧	٣٠٨ - لولا التقى!
٨٣٨	٣٠٩ - عندما يعذب الموت
٨٣٩	٣١٠ - حطب جهنم
٨٤٠	٣١١ - بم التعلل
٨٤١	٣١٢ - تحسّر!
٨٤٢	٣١٣ - النفي والإيجاب
٨٤٣	٣١٤ - الحب الصريح
٨٤٤	٣١٥ - القصة . . القصة
٨٤٥	٣١٦ - نشيد القهر
٨٤٧	٣١٧ - عميت من الذنوب
٨٤٨	٣١٨ - أزف الرحيل
٨٤٩	٣١٩ - المجد لا يورث
٨٥٠	٣٢٠ - عفو الله
٨٥١	٣٢١ - الصدى العاوي
٨٥٢	٣٢٢ - اختلاف البشر
٨٥٣	٣٢٣ - إلى د. ع. ب. (الدكتور عبد الرحمن البيضاني)
٨٥٤	٣٢٤ - نصيحة!
٨٥٥	٣٢٥ - وإلى القاضي محمد الأكوع
٨٥٦	٣٢٦ - موثق أو هارب
٨٥٧	٣٢٧ - اليقين هو الأنسب

٨٥٨	٣٢٨ - تحريم التعذيب
٨٥٩	٣٢٩ - المجلس الجمهوري
٨٦٠	٣٣٠ - نفثة محروم
٨٦١	٣٣١ - هل من توبة؟
٨٦٢	٣٣٢ - إلى منهزم في معركة
٨٦٣	٣٣٣ - أمر مبرم
٨٦٤	٣٣٤ - وقفة!
٨٦٥	٣٣٥ - مع النائم
٨٦٦	٣٣٦ - بالإلهام.. لا بالتجربة
٨٦٧	٣٣٧ - الأمن المخيف
٨٦٨	٣٣٨ - حسام الليالي
٨٦٩	٣٣٩ - حصادي
٨٧٠	٣٤٠ - العقل والحذر
٨٧١	٣٤١ - فيا موت زُرْ
٨٧٢	٣٤٢ - رحلة في النور الأعظم
٨٧٣	٣٤٣ - بين الأمس والغد
٨٧٤	٣٤٤ - صراط الأحرار
٨٧٥	٣٤٥ - إلى الحاكم
٨٧٦	٣٤٦ - أحذهم
٨٧٧	٣٤٧ - الوهم قتال
٨٧٨	٣٤٨ - كذاب مفدى
٨٧٩	٣٤٩ - ندم
٨٨٠	٣٥٠ - الهم الفريد
٨٨١	٣٥١ - عابس الوجه
٨٨٢	٣٥٢ - نعمة العذاب
٨٨٣	٣٥٣ - الطبع البشري
٨٨٤	٣٥٤ - أضحوا تراباً وتراثاً

٨٨٥	عصر العلم	٣٥٥
٨٨٦	حصادي من الأيام	٣٥٦
٨٨٧	الشعر نسبي	٣٥٧
٨٨٨	ولّى الهوى	٣٥٨
٨٨٩	تمثيل !.. !	٣٥٩
٨٩٠	الغاية المحتمة	٣٦٠
٨٩١	الفصل الأول!	٣٦١
٨٩٢	الفصل الثاني: اللحظة الأخيرة!	٣٦٢
٨٩٣	الفصل الثالث: دستور ١٩٤٨!	٣٦٣
٨٩٤	الفصل الرابع!	٣٦٤
٨٩٥	رجاء الغريب	٣٦٥
٨٩٦	قل للحسود	٣٦٦
٨٩٧	الحب الخالص	٣٦٧
٨٩٨	تهالك	٣٦٨
٨٩٩	تأديب الضمير	٣٦٩
٩٠٠	بين المخاطر والحب	٣٧٠
٩٠١	تمتّع بما تستطيع	٣٧١
٩٠٢	اعتراف الرّاجي	٣٧٢
٩٠٣	غدر الصديق	٣٧٣
٩٠٤	جواذب الخير والشر	٣٧٤
٩٠٥	القلب اليتيم	٣٧٥
٩٠٦	طائب المجد	٣٧٦
٩٠٧	الاعتدال	٣٧٧
٩٠٨	اعتراف التائب	٣٧٨
٩٠٩	بعض الأقارب	٣٧٩
٩١٠	الخطبة الخطبة	٣٨٠
٩١١	الوحدة عبادة	٣٨١

٩١٢	٣٨٢ - صوت شبيب
٩١٣	٣٨٣ - لا أنساب يومئذ!
٩١٤	٣٨٤ - الحدس مشكاة العقل
٩١٥	٣٨٥ - فاز المخفون
٩١٦	٣٨٦ - العلم والعمل
٩١٧	٣٨٧ - معتقدي
٩١٨	٣٨٨ - محض الود
٩١٩	٣٨٩ - مظلوم
٩٢٠	٣٩٠ - خطر الكذب
٩٢١	٣٩١ - الصدق منجاة
٩٢٢	٣٩٢ - غريب في وطنه
٩٢٣	٣٩٣ - دعك عنهم
٩٢٤	٣٩٤ - قلبي لكم
٩٢٥	٣٩٥ - حقوق الإنسان
٩٢٦	٣٩٦ - الأمانى .. والأسباب
٩٢٧	٣٩٧ - إعصار الفناء
٩٢٨	٣٩٨ - ولولا كثرة الباكين
٩٢٩	٣٩٩ - وهُم!
٩٣٠	٤٠٠ - ومن الباكين
٩٣١	٤٠١ - ودموعي
٩٣٢	٤٠٢ - أسف
٩٣٣	٤٠٣ - عندما ينضب اللسان
٩٣٤	٤٠٤ - مات الهوى
٩٣٥	٤٠٥ - إلى أستاذ!
٩٣٦	٤٠٦ - أحسن الأصدقاء
٩٣٧	٤٠٧ - العُجْبُ
٩٣٨	٤٠٨ - مسرحية الحرب والسلام قامرت أولاً

٩٣٩	٤٠٩ - وثانياً: لو كنت تدري
٩٤٠	٤١٠ - وثالثاً: سيزحف شرها
٩٤١	٤١١ - ورابعاً: الحادث بالمرصاد
٩٤٢	٤١٢ - قل للخليفة
٩٤٣	٤١٣ - الطبيعة أقوى
٩٤٤	٤١٤ - سموّ المساكين
٩٤٥	٤١٥ - ضبط النفس
٩٤٦	٤١٦ - سنة المختار
٩٤٧	٤١٧ - جواب المحتضر
٩٤٨	٤١٨ - لا فضل.. ولا خير
٩٤٩	٤١٩ - أحرص
٩٥٠	٤٢٠ - الصراع على السلطة
٩٥١	٤٢١ - نسب الأقوياء
٩٥٢	٤٢٢ - الطبع غلب التطبع
٩٥٣	٤٢٣ - الطمع مذلة
٩٥٤	٤٢٤ - الأمة الهالكة
٩٥٥	٤٢٥ - الثابت الوجود
٩٥٦	٤٢٦ - المستبد والناصحون
٩٥٧	٤٢٧ - ندم
٩٥٨	٤٢٨ - لولا الهوى
٩٥٩	٤٢٩ - التقيّة!
٩٦٠	٤٣٠ - الإثم سجن
٩٦١	٤٣١ - رحمة الله
٩٦٢	٤٣٢ - إلى الشاعر الباكي
٩٦٣	٤٣٣ - المبدع المعبود
٩٦٤	٤٣٤ - اليمن الكبرى
٩٦٥	٤٣٥ - الألمعي

الموضوع	الصفحة
٤٣٦ - الجاحدون	٩٦٦
٤٣٧ - نذير المنون	٩٦٧
٤٣٨ - الحظ والنسب	٩٦٨
فهرست	٩٦٩

• • •